أحمد أمين العطار

البقر؟!

ماذا علينا إذا لم يفهموا؟

مناظرة شاملة لمولانا الشيخ !! نصر أبو زيد بعيداً عن خزعبلات المغرضين
ومفهوم جديد يثار بجرأة لأول مرة عن ميراث الأنثى والجزية وعذاب القبر





أحمد أمين العطار

ماذا علينا إذا لم يفهم
الـبقـــر ..؟!!

(طبعة جديدة)
دار التوفيق للنشر والتوزيع - القاهرة
ت: ٩٨٦٠٧٦ / فاكس : ٢٦١٣٣٨١
١١٢ ش الطيران . التوفيق . م نصر . القاهرة . مصر

صـــورة الغـــلاف

تحيـة إلي الداعيـة الإسلامي الكبير ، فـضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي.. أطال الله في عمره ، وأكثر من أمثاله .. الذى يدعو للإيمان دائماً بالحكمـة والموعظة الحسنة ؛ أتراه في صورة الغلاف ، يهش الأبقار بعيداً عن بيوت الله ، لعجزها عن فهم الإيمان الذي يدعو له .. ؟! أم تراه يدعوها لأن تفهم ؟ لكنها تفر منه كفرار الثور المارق في الصورة ؛ أو تنصرف عنه ببلادة اللامبالاة ، وتسبح بغير هدي كالبهائم التائهة ، كما تظهر مظلمة كئيبة لا ملامح لها .. ؟ أم هو لا ينظر اليها أبداً .. وتراه ينظر في الأفق البعيد يستطلع لنا فيه رضوان رب العالمين .. ؟؟ أم تراه يرفع يديه للسماء يستجير بربه ؛ أن يوفر لنا السكينة ، ويخلصنا من كل مرتد آبق ..؟!

.. فإن كان المسجد في الغلاف يرمز للإيمان ، فإن فضيلة الداعية الكبير يرمز للدعوة الحسنة ؛ أما الأبقار وثورها .. فترمز للملاحدة الآبقين ؛ الذين لم يجد معهم دعوة أو دعاء ؛ .. فهم لا يفهمون .. وأحسبنى أتذكر فيهم قوله تعالي : ﴿ أولئك كالأنعام ؛ بل هم أضل ﴾ ١٧٩ /الأعراف .. وأتذكر في ثورهم قولـه تعالي ﴿ فمثله كمثل الكلب ؛ إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث، وذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فأقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ ١٥٦ الأعراف ..

وصورة الغلاف

* الداعية محمد متولي الشعراوي بريشة الفنان ، مصطفى حسين ..
* فكرة الغلاف وتصميمه لدار التوفيق للنشر والتوزيع ..
* التنفيذ والأخراج الفنى على أجهزة الكمبيوتر للمهندس الفنان / أحمد دسوقي (دسكى) ..
* الطبعة الأولي يناير ١٩٩٦ ..

إهداء

* * * * * * *

إلى .. العلمـــــاء والباحثين

إلى .. الأســـــاتذة والطـلاب

إلى .. المثقـفين والمجتـهدين

إلى .. المؤمـــنين الخاشـعين

إلى .. كل راغـــب فى إزديـاد

أهدى هذا الكتاب

المؤلف

تنويه

****

أتنـازل لكـل بـاحث بـالحق فـى إسـتخدام أى جـزء مـن هـذا الكتـاب، فى أى شأن من الشئون ، علمية كانت أو أدبيـة ويعتـبر هـذا التنـازل إذنـا منى بذلك ، حسبة للـه عـز وجـل ، " وقـل الحـق مـن ربكـم، فمـن شـاء فليؤمـن ومـن شـاء فليكفـر، إنـا أعتدنـا للظـالمين نـارا أحـاط بهـم سـرادقها ، وإن يسـتغيثوا يغـاثوا بمـاء كـالمهل يشـوى الوجـوه ، بئـس الشـراب وسـاءت مرتفقـا ، إن الذيـن آمنـوا وعملـوا الصالحـات إنـا لا نضيع أجر من أحسن عملا "أية ٢٩/الكهف ،

وصـدق اللـه العظيـم وصـدق رسـوله الكـريم ، وأنـا على ذلك من الشاهدين ،

المؤلف

مقدمة

****

٠٠وجدتنى أكتب فى المقدمة ، التى أعددتها قبل هذه - بعد أن فرغت من كتابة الكتاب جميعه - هذه العبارة " وفى النهاية ٠٠ هو كتاب ليس لجمهور العوام نصيب فيه ، لتعرضه لآراء إبن سينا ،لوك وباركلى وديكارت وأرسطو طاليس ، وإبن باجة ، وإبن تيمية ومحيى الدين بن عربى وأفلاطون،وإبن طفيل،وإبن رشد والرازى،والفارابى،والغزالى وغيرهم مما يشق على المؤلف مواجهة عوام الناس بهم ٠٠ ولكن وجدتنى أتذكر أنى ولدت من رحم لا تعرف صاحبته بالدرجة الكافية ، القراءة والكتابة ٠٠ تلك هى أمى ٠٠التى ولدتنى منذ أكثر من خمسين عاما فوجدتنى فى إطراقة خاشعة ، فتراجعت ، ووجدتنى أعيد صياغة كل ما كتبته فى كتابى مرة أخرى بأسلوب أتمناه - رفيقا بالقراء - حتى يتفهمه عامة الناس ٠٠ الذين فى النهاية ، بهم تكون مصر ٠٠ وبدونهم لا تكون ٠٠ فضلا عن أنهم أهلى وعشيرتى ٠٠ آملا أن يكون إيضاحى وبساطة الأسلوب الذى إنتهجته من جديد ، محتملا لدى فريق العلماء والباحثين ، ذلكم أمل مصر فى التخطيط لها بميادينها المختلفة ، لسلامة مؤسساتها وهيئاتها من الانهيار والتصدع ، فضلا عن واجبهم فى البناء والتجديد ٠

<u>أما إسم الكتاب ولماذا كانت التسمية ؟</u>

فهو مأخوذ من خطاب ألقاه " الزعيم/سعد زغلول " رئيس مجلس النواب ٠٠ فى مارس ١٩٢٦ ٠والذى إستخلصه بدوره من شطر بيت شعر نصه :-

على نحت القوافى من مقاطعها ٠٠ و ليس على إن لم يفهم البقر

والبقر ٠ ،ذلك النفر الذى يصل، سلبا، بتطرفه الى حد " الردة " أو إيجابا بتطرفه الى حد " الإرهاب " فكلاهما بغيض ٠٠يعمل لخراب بلده ، وليس لى من سبيل سوى أن أصفهما معا بـ٠٠" البقر " فهم لا يفهمون ، عنادا ٠٠ وصلابة ٠٠ أو حتى تيها وخيلاء أوغرورا وصلافة ٠٠٠!! فهم لذلك بقر٠٠ !! فى فهمهم للأحداث والرؤى من حولنا ، وليقبل " البقر" ،فى كل حقول بلدان العالم ، إعتذارى فهو نافع فى كل شىء ولا يضر أبدا ،حتى أنه لنفعه عبدته فى الهند بعض القبائل وحرمت ذبحه كطائفة السيخ وغيرها أما هؤلاء فهم يضرون فى كل شىء ولا نفع فيهم أبدا بقى أن نوضح أن القارىء واجد هنا معلومات دقيقة بدلا من تعبيرات يتحيز بها أصحابها لرأى خاص وحسبى أن أستعرت بعضا من كلمات بنت الشاطىء" أننا لا نأمن التورط فيما ليس للرأى فيه مجال أو الخوض فى مسائل خلافية مع قصور العلم بما لا تسعف عليه طاقتنا ٠

القسم الأول



* الباب الأول : فكر الإيمان في ماضي الزمان .

* الباب الثاني : نظرية المعرفة و معرفة ما نحن .

* الباب الثالث : الرعاء في الرغام .

* الباب الرابع : قصة سجود رسول الله للأصنام بعد المبعث .

الباب الأول

فكر الإيمان ٠٠ فى ماضى الزمان

****

رسالة الى الدكتور / نصر حامد أبو زيد

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ،

فهذه رسالتى اليك ٠٠ أرجولك فيها الهدى والرشاد والغفران من رب العالمين ،فلقد قرأت كتبك وأبحاثك وإطلعت على كل ما حولها من تأييد وتشجيع كما قرأت أيضا كل ما حولها من معارضه وإعتراض ولكن لى كلمه أصغوها إليك ٠٠ لأسمعها معك ٠٠ فإنى والله بحاجة اليها أكثر منك ٠٠ ولعلك تعرف بما حباك الله به من نعمة فى البلاغة التى من الله بها عليك فحصلت فيها على درجة (الدكتوراه) أن (صغا) تعنى مال ، وأصغى اليه أى مال اليه بسمعه لذلك فأنا أصغى بكلمتى اليك لأسمعها معك٠٠

٠٠ فقد مررت بكل ما تمر به اليوم ٠٠ ولكن منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما ٠٠ سمعت فى ذلك الزمن السحيق خطيبا فى مسجد قريتى (القنايات مركز الزقازيق شرقية) ينذر "الضالين والمغضوب عليهم " بما ينتظرهم فى الآخرة من الويل والثبور وعظائم الأمور وإبتعد خيالى أتصور النار التى يتوعدهم بها وأجسم حالهم فيها وأجسد الصورة فى ذهنى بما يتطابق مع بشاعة اللهيب واللظى الذى يشوى جباههم ٠٠ وصراخهم وأحتراقهم وما من شفيع ٠٠ ومامن راحم ٠٠ وأعود من عالمى الخيالى فأفيق على الرجل (الخطيب) وهو يقول " خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه " أية ٣٠،٣١،٣٢ (الحاقة) ثم يتولى الشرح (فيقول خذوه وضعوا فى يديه ورجليه الغل ، ويقاد الى الجحيم ، فتمر عليه وهو يقاد إليها مدة يظنها لطولها سنين ، ثم إذا ورد الجحيم تمر عليه مدة طويلة أيضا قبل أن يكبل بالسلسلة فيحسب أن ما هو فيه من العذاب أخر ألوانه حتى إذا سلكوه فى تلك السلسلة عرف أن هناك أنواعا منه أشد هولا) ٠

وأعود مرة أخرى وأنا جالس مشرئب العنق للشيخ العالى فى منبر الجامع وأنا جالس بين الصفوف على حصير الجامع المتواضع فى الأرض أتخيل مرة أخرى السلاسل والأصفاد وأتساءل وكنت فى سن غضة ربما ترتفع عن الخامسة عشر عاما بقليل : ترى هل يمكن فعلا أن يحرق (المغضوب عليهم والضالين) أمدا طويلا فى الجحيم، التى هى أشد أماكن النار تأججا ليصلوا فيها ثم تكون لهم حياة أو حتى قدرة بعد بقائهم فى الجحيم زمنا بحيث يحتاج زبانية جهنم أن يسلسلوهم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ويسلكوه (أى يكبلوه بأصفاد طويلة جدا ويدخل فى ثناياها وأطوائها) ٠٠ ويشتد خيالى فى مخيلتى الغضة ويدور حوار فى نفسى وأتساءل أفى النار أصفاد وسلاسل ؟ وأفيق من خيالى لأجد الفقية (الشيخ شنان) يقول بأن المغضوب عليهم يسامون العذاب وكلما حرقت النار جلودهم بدلها الله بجلود غيرها ليظلوا فى النار خالدين فيها أبدا ، فأجاب بما قاله عما تساءلت فيه بمخيلتى ٠٠٠ وأما عن السلاسل والأصفاد وما سمعته نصا فقد إستزدت بمعرفته من تفسير الشيخ / عبد القادر المغربى والمطبوع عام ١٩٤٧ وكان مقررا على مدرسة الزقازيق الثانوية الأميرية (تفسير جـــزء

تبارك) وكان المؤلف آنذاك نائب رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق وعضو مجمع فؤاد الأول فى اللغة العربية فى القاهرة فقد ذكر ص ٨٧ ما نصه " فإن ما آتى على ذكره كتاب الله من وصف النار والجنة إنما هو تنزل فى الخطاب الى ما أعتدناه من الأساليب وتقريب لحقائق الغيب فى مألوف التراكيب وإلا فإن ، إفهامنا ذلك بالكنة والحقيقة متعذر ، ما دام العالم الأخروى مباينا لعالمنا فى سننه ونواميسه و طبيعته التى ركبها الله فيه ، (فعلى المؤمن أن ينتبه لما قلنا وينسج على منواله فى فهم ما وردت به النصوص من هذا القبيل٠٠٠) (النصوص والخطاب تعنى القرآن من قديم -المؤلف) ٠ ثم أن عجزنا عن تعقل الجنة والنار بكنههما وحقيقتهما لا يستلزم إنتفاء وجودهما ما دام الوارد بشأنهما غير محال عقلا فأنت تعرف نفسك التى بين جنبيك ولكنك تعجز وتفحم إذا قلنا لك صفها لنا وصفا يوصلنا الى كنهة أمرها وحقيقة سرها وكل ما تقدر عليه من التعريف بها هو قولك أنى أريد وأفعل ، وأهم وأعمل ، وأنسى وأتذكر ، وأفكر وأتصور وكل ذلك لا يكون إلا بقوة موجودة بالفعل فى بدنى تصدر عنها تلك الآثار الموجودة ، إذ لا يصدر موجود عن معدوم ولا سيما أن تلك القوة إذا زايلت بدنى لم تعد تلك الآثار تصدر عنها مع أن البدن سالم لم ينقص فيه شىء تأمل يا أخى هذا ثم إعترف معى أن للدين مجهولات كما للعلم مجهولات وأنه ليس من الإنصاف أن نطأطىء رءوسنا بين يدى الثانية ثم نشمخ بأنوفنا أمام الأولى ٠٠أى نعترف بعجزنا عن وصف النفس ٠٠ ثم نكابر فى وجود الجنة أو النار أو الشياطين أو السحر أو الحسد أو عذاب القبر وما إلى ذلك من غيبيات ومجهولات ٠٠ إنتهى الخطيب (الشيخ شنان) وأقيمت الصلاة ٠٠ لكن ولعمرى ما أنتبهت الى صلاتى فى ذلك اليوم ٠٠ ولكنى كنت أرتل بغير وعى مع المصلين وأركع وأسجد وأقوم معهم وما زلت شاردا أفكر ٠٠فى النار ٠٠والجحيم ٠٠وأتساءل "ترى لولم يخلقنى الله من أبوين مسلمين أكنت أذوق هذا العذاب المهين ٠٠؟! ورددت بينى وبين نفسى " الحمد لله ٠٠الحمد لله " و لكن فكرى لم يتوقف عن الشرود وأستمر حواره معى ٠٠وقلت لنفسى أحاورها :-

- لا فضل لك ٠٠وإنما الفضل لأبويك المسلمين ٠٠وإلا لكنت ذقت العذاب ألوانا وصنوفا كما ورد فى الخطبة وتصورته مخيلتك ٠

- لا ٠٠٠ الله هو العدل فكيف لغير المسلم أن يذوق عذابا دون أن يقترف إثما سوى أن أبويه غير مسلمين و عاش يحترم عقيدتهما ويمارس طقوسها على أكمل وجه كما أمارس عبادة آبائى كما فطرت عليها صغيرا ،فكما لا فضل لى ٠٠ لا ذنب عليه

وأفقت من حوارى مع نفسى مع ضجيج المصلين بعد فراغهم من الصلاة التى عشت فيها دون أن أعيها ولا أدرى – ربما حتى اليوم – إن كنت تلوت القراءات المفروضة معهم بصورة ديناميكية إعتدت عليها من التكرار يوميا خمس مرات على الأقل إن لم أستزد بالسنن الشفيعة أم تحركت معهم كالمسحور دون أن أنبس ببنت شفة ووجدتنى أسأل الخطيب الذى صار إماما بعد خطبته فوق المنبر ٠٠

- يا فضيلة الشيخ حرما ٠

- جمعا إن شاء الله يا إبنى ٠

- أتسمح لى بسؤال ؟

- إتفضل ٠

-(غير المسلم) يدخل النار لماذا؟ إذا كان أهله ليسوا مسلمين وقد شب فلقى نفسه كذلك، ماذنبه ؟

- ذنبه ماذا،كيف يا بني إن أباك عالم جليل الذى أنشأ التعليم فى قريتنا ولم يحصل أحد بها على الشهادة الكبيرة من دار العلوم قبله وإنت إبنه فكيف لا تعرف أنه إذا كان طفل على غير دين الإسلام ومات ، يدخل الجنة لأنه مرفوع عنه التكليف لكن إذا بلغ يدخل النار (لاحظ أن الشيخ – بوصفه لثقافة والدى – يعيب على بطريق غير مباشر محاورتى معه فالمعنى الخبىء فى نفسه –أن أسئلتى تعنى أنى أشك فى الإسلام ٠٠ فهو إذن يذم ، ولكن بلسان مادح ٠!!)
- لماذا يا سيدنا إذا كان لا أحد علمه الإسلام
- لماذا مرة أخرى يا بنى !! لما بلغ ، يعني يعرف أن يميز ويمكنه أن يقرأ القرآن ويسلم ٠
- يقرأ القرآن ويسلم لماذا يا فضيلة الشيخ ، إذا كان قد ولد فوجد أباه وأمه وأخواته وعمامه وأهله على ملة أخرى أعتاد عليها وقالوا له (أنت صح) ، ومن شب على شىء شاب عليه والتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر وإقتنع بالتدريج من صغره بملة أبيه ولم يتسرب له شك فيها فما ذنبه إذن ؟ وماذا جنى ٠؟!
- يا بنى إذا بلغ يبقى يتحاسب ، لازم يبحث وحده لماذا إذن ربنا أعطاه عقل ؟ لماذا !
- يا مولانا ٠٠٠٠٠٠٠
- يا بنى إنت تجادل فى ماذا ٠٠؟ إنتم ناس طيبين خالك الشيخ /مصطفى شلبى إستاذنا كلنا وأبوك وخالك محمد شلبى قطب فى الإخوان إسألهم السلام عليكم٠٠

وإنصرف (الشيخ شنان) ولم أسأل أحدا ٠٠ فإذا كان فضيلة الامام وصفنى بالمجادل ٠٠ فلا شك أن أبى سيصمنى بالكفر إن أنا سألته ٠٠وربما أنال عقابا لم ينله حمار فى مرتفع

وأن أنا سألت خالى الشيخ مصطفى شلبى وكان عميدا للمعهد الدينى بالزقازيق ٠٠ربما تسرب السؤال فى جلساته مع (صهره) والدى فآخذ العقاب بدلا من الجواب ٠

فقررت أن لا أسأل أحدا من هؤلاء الكبار ولكنى منزعج من وصف جهنم وأخشاها٠٠ خاصة وأنى سأموت لا محالة إن عاجلا أو أجلا ٠٠ورحت أساءل نفسى :-

- طيب يا ناصح ٠٠أليس من الجائز أن تكون مسلما ٠٠ ومقتنعا بالاسلام لأن والدك مسلم وعالم وأول من حصل على ليسانس دار العلوم فى البلدة وتعلمت الإسلام على يديه منذ ميلادك ٠٠ ولأنه وكما ذكر الشيخ شنان حاصل على عالمية الأزهر الشريف ٠٠أى كان أزهريا أصلا فى بداية نشأته ٠٠ ولأن البيئة التى حولك كلها مسلمين ٠٠"أخوالك وأعمامك الشيخان ذكى وأحمد والجيران الأستاذ / عباس لكشه والشيخ حموده أبو خليل والشيخ أحمد جاد والشيخ ياسين حسين والشيخ عباس المعاملى والأستاذ/إبراهيم متولى وحتى عمدة البلد رجل متدين وصديق لوالدك الحاج / حسن مباشر "رحمهم الله جميعا فقد ماتوا من زمن بعيد حتى لا نذهب وراء شمس لا تشرق أبدا٠٠!!"

أى إن الجو المعبأ فى القرية الطيبة كله إسلام فى إسلام وحتى الفتيان فى العائلة كانوا أحبارا فى الدين ،زعيم الشباب وقتها خالك /عبد الفتاح والاصغر سعد ، لم يكن أيا منهما قد حصل على درجة الدكتوراه بعد ٠٠ وإن كانا قد تبوءا –بعد ذلك مكانتيهما العالية فى النفوس والقلوب ٠٠فضلا عن أنهما معا قاما بتفسير القرآن الكريم بعد ذلك وتذكر أنك حضرت مناقشة درجة الدكتوراه لكليهما وعلى ما تذكر أنها للأول كانت فى (الإمالة) أى تنغيم القراءات أو نطق الحروف والصوتيات فيها حيث للتشكيل درجات فالكسرة أو الفتحة أو الضمة أو التشديد أو السكون ٠٠وغير ذلك ٠٠(وتسمى الكسر والبطح والاضجاع) والثانى الذى حزنت كثيرا بفقده كانت رسالته فى البيئة الاندلسية وأثرها فى الشعر فى عصر ملوك الطوائف ٠وهذا كنت تفرح به كثيرا –كلما رأيته حيث كان من جيل أخيك الدكتور أسامه

..وتذكر خطاباته لك والتى كان يفوح منها عبق بلاغة اللغه العربية .. حيث وصل فى نهاية حياته لدرجة عميد كليه التربية بجامعة طنطا .. - قلت لنفسى أرد عليها .. نعم أذكر أننى كنت أرد على خطاباته مستهلا إياها بعبارة "فهد اللغة العربية ".. وأذكر أيضا أننى شاهدت حفل عرسه فى بيت جدى الكبير بشارع الجز .. الذى أصبح مهجورا خربا لا أحد يهتم به .. تماما كحال بيت والد جدتى لأمى المغفور له أحمد شاهين ، الكبير، الذى ولد له عند وفاته طفلين يتيمين عبد المنعم وصلاح هذا الذى مات فإشتد يتم عبد المنعم، وهام على وجهه وهو إبن عشرة سنين حتى دخل مسجد السيدة زينب، وببراءة الأطفال قال يدعو ربه :- "رب إنى يتيم ، لاأب لى ، فلتكن لى ، أبا وربا " فإذا به اليوم من أشهر رجال الاقتصاد وأعظمهم شأنا فضلا عن تواضعه الجم ، وأدبه الرفيع ..وخلقه السامق ..فقد رعاه الله ورباه ..ذلك عبد المنعم شاهين ..الذى يسعى اليه اليوم أقطاب السياحة فى العالم ، فيثروا مصر .. ويثرى معها قطاع عريض من عائلات مصر بسلسلة فنادق البارون الشهيرة ومشاريعه العملاقة العظيمة وأنظر اليه وقد أصبح متوجا على عرش السياحة فى مصر وأنظر لمسقط رأسه بالقنايات وأعرف أن البوم والغربان تنعق فيها فأأسف كلما سمعت بذلك ..لانه البيت الذى ولد فيه أقطاب كبار ..الجميع هجره .ولا أحد يفكر فى تجديده ..حتى الاحفاد ..كلهم اليوم عظام الشأن ..ولا أحد ينظر إلى ماضى الزمان ..رغم أن أقطاب العائلة جميعا قد ولدوا فيه فقد كان بحق دوارا .

- يا سيدى ..أنت تأسف لانك تعرف أن أمك قد ولدت فيه ..ولكن ما لهذا كله بأمر تفكيرك فيما قاله لك الشيخ شنان خطيب المسجد .

- فعلا ..لقد سرحت بفكرى وأنا أحادثها ، بعيدا .. أرجو أن تغفر لى ..ولكنى أقصد أنه أليس من الجائز أن يكون إسلامك وراثيا من كل ذلك الموروث ولاشأن له بالعقيدة .

- تقصد أن البيئة تفرض هيمنتها على السلوك الإنسانى ..خاصة وأن كل هذه الكوكبة من العلماء التى تحيط بك .. كلهم يعتبرون أنفسهم من تلاميذ والدك حتى لقد كنت أشاهد أدبهم السامق الجم فى الحديث معه والجلوس أمامه .

- فكيف لك من سبيل ..وكيف تتجاسر على سؤاله فى دينك ..وبينك وبينه ..بون شاسع فى الإسلام ألم تلاحظ كيف إستنكر الشيخ شنان أسئلتك .. فما بالك بأبيك ؟.

- وماذا سيحدث إن أنا سألته ؟!

- أجننت ..ألا ترى كيف يخافه أخوتك الكبار فى الحديث معه ..أنه يلقى بالاوامر فقط ولا احد يناقشه حتى أمك .

- صحيح .. أنه يستخدم جرسا على مكتبه تلبى نداه إذا دق عليه .

- يا صاحبى - ماذا سيحدث لو سألته .. ؟ أسأله .. أليس هو الحبر العلامة .

- أجننت أسأله كيف؟!! ألا ترى إذا كان البيت فى سكون تام -.. يعنى أنه إذا سقطت فيه إبرة تحدث إزعاجا - يعتذر عنه - يكون هو بداخله .. وإن كان هناك صوت إحتكاك كرسى بالارض عند جلوس أحد عليه يتأكد لك أنه خارج المنزل ..!! لا يمكن طبعا أن أسأله وأقول له لماذا لسنا كلنا أمة واحدة ..!! أسأله لماذا يدخلنا الله الجنة و يدخل غيرنا النار ؟! إن كنت لا أستطيع أن أسأله هو عن شأن من شئونه ..أأستطيع أن أسأله عن شأن من شئون الله ..؟ يا خبر أسود .

- معك حق .. إن كنت لا تستطيع أن تعترض على ميعاد النوم أو تستطيع أن تتخلف عن الميعاد المقدس لوجبات الطعام .. فكيف تتجاسر على مناقشته ؟!

- ولكن إذا كنت تخشى مجرد السؤال .. فطبعا تخشى عذاب الله بدرجة أشد .
- إلا عذاب الله هذى .. لقد أرتعدت فرائصى .. منذ خطبة الجمعة .
- طيب أليس من الجائز أن يكون غير المسلمين هم أصحاب الجنة والمسلمين هم أصحاب النار ..وكل من حولك تربيت بينهم ..ولم تتبين..لأن الوسط كله إسلام فى إسلام .
- تقصد إن الخطيب عندما قال ان الإنسان لازم يفكر ..كان يقصد أنى أنا المطالب بالتفكير
- ولم لا ..
- لقد كان يقول إن من على غير دين الإسلام هو المطالب بالتفكير إذا بلغ وشب عن الطوق .
- طيب ..ومن على غير دين الإسلام ..لماذا يفكر ..والوسط المحيط به كله لا يدعوه للتفكير .. فهو مقتنع أيضا بما عليه من دين ..أو هو كذلك موروث من موروثاته .. فلم يرد فى ذهنه ضرورة التفكير ..كما أنه لم يكن معك فى الجامع ولم يسمع الخطبة فهو على دين أخر ..لا يصلى صلاتك .. ولا يحضر فى الجمعة ..فله نسكه وعباداته المختلفة فمن سيخبره؟.
- أخبره أنا .. فلى صديق إسمه صبحى صليب إبن عمى جرجس ..حرام أتركه هكذا ..فأنا أقدره ..ولا أريده أن يدخل النار .. والتعب الذى يبذله فى الذهاب الى الكنيسة ..وقراءة الإنجيل ..جهد لا طائل من ورائه .
- ومن أدراك ..أليس من الجائز أن يكون أهله قد أقنعوه صغيرا وإقتنع بأنه على حق ..تماما كما أنت مقتنع أنك على حق ؟.
- تقصد إن أنا مقتنع ..وهو مقتنع ..وكل يطبق ما ورثه من الموروث وليس هناك من يعرف أين الحقيقة فلا أحد يعرف ماذا على الجانب الآخر . ؟!!
- يا نهار أسود ..هذا خازوق(مغرى بنيلة) طيب ..ما الحل ؟
- لقد بلغت أنت أيضا ..فلماذا لا تفكر أنت ..؟ بدلا من أن تحرج نفسك بدعوة صاحبك فى دينك .. والخطيب قال .. طالما بلغ فلابد من أن يفكر .
- يا عم .. أن أهلينا قد علمونا "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " ٨٥/آل عمران
- .. (أهالينا) .. أفهم ..ليس أهالى غيرنا ..ومن أدراك أليس من الجائز أن يكون أهل صاحبك يعلمونه بأن من يتخذ غير النصرانية دينا فلن يقبل منه وكذا اليهود يعلمون أولادهم بأن الله ما كان ليبدل الدين الذى أنزله أولا ..وربما باقى ملل الأرض وعقائد الشعوب تعلم صغارها التمسك بدينهم كما يعلمك أهلك التمسك بدينك ضرورى كل ملة مقتنعة .. وإلا كان قد تركها ودخل الإسلام .. (أيوجد أحد يهوى التعذيب لنفسه).
- طيب ..لازم ..أرسى على بر .. (فالشيخ شنان) رعبنى ..وطبعا يستحيل أن أكون راضيا لنفسى أن تدخل النار .
ومن لا يريد دخول الجنة ..هذا ..حتى الدهريين ..والعلمانيين ..والوثنيين ..وحتى الكفار كلهم يريدون دخول الجنة أو على الأقل ينكرونها .
- مؤكد كل واحد فيهم فى نفسه متأكد إنه لن يدخل النار وإلا يكون " أهبل " لو عرف إنه سيدخل النار بملته ويظل عليها ..
- لا .. فهو لو أهبل يكون مرفوع عنه التكليف .. إذن سيدخل الجنه شأنه شأن الطفل الذى لم يبلغ بعد .
- " أهبل " هذه فكرة جيدة .. يعنى الواحد لو "إتهبل " يضمن الجنة .
- إنت فعلا الأن " تستهبل "

****

المهم ٠٠ يا أخى نصر٠٠٠٠ (عفوا دكتور/ نصر) أن ناديتك هكذا فقد كنت فى هذا السن دون العاشرة وكنت أنا أقترب من العشرين و أبحث فىعلوم القرآن وفى غير علوم القرآن بدافع أنانى بحت. أى لا من أجل دكتوراه أو منصب أو شهرة أو مجد أو مال فقد كنت أبحث لنفسى فقط لأذود عنها النار ، حتى لو لم تكن الجنه من نصيبى وعرفت فى ذلك الزمن " إسقاط الفرض " فرض الكفاية " " وفرض العين " ٠٠٠٠ألخ المهم أن أبعد هذه النار التى وضعها لى إمام الجامع فى طريقى وقلت لنفسى أنا الآن مسلم بالميراث وحالا وصلت إلى سن البلوغ ٠٠ أى سن التمييز الذى ذكره أمام الجامع فعلى أن أختار دينى لنفسى و ليس دين آبائى٠ ٠وطويت أمرى بينى و بين نفسى سرا ولعلك تندهش إذا أذعت الآن سرا- بالقطع يعلمه الله أننى بدأت

فى التأمل مع الشمس فى هذه السن المبكرة وفى صمت لم يعرفه أحد ٠٠أخرج فى الصباح الباكر أسعد أيما سعادة ببزوغ الشمس من وسط الحقول وأفكر ٠٠ وأدعو " أللهم رب هذه القدرة والقوة العظيمة أرشدنى الى طريق الخير والهداية " ٠

وفى الغروب أصعد فوق سطح المنزل لأودعها (الشمس) وهى تختفى خلف النخيل البعيد رويدا رويدا و أدعو " اللهم خالق هذا الجمال أرشدنى الى طريق الخير والهدى " وجمعت كتب الديانات كلها(التوراه - والانجيل - والقرآن) أقرأها جميعا، لأختار ٠٠ ووقعت عيناى بعد شهر واحد (عانيت فيه الأمرين) على أية فى القرأن تقول " وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين " ٩٩/الحجر وبحثت فى التوارة والانجيل على مثيلها فلم أجد ،فوجدت فيها الأمان ٠٠وكنت أصلى كأى مسلم حتى إذا مت قبل أن يأتينى اليقين ٠٠أكون قد إحتطت لنفسى ٠٠ نسيت أن أقول إننى خلال هذا الشهر الذى كنت أتأمل فيه قبل أن تصادفنى هذه الآية ٠٠ تسرب ما أنا فيه لبعض أشقائى (نبيل وعزة) فكانوا يضحكون وهما يشاهدانى أحرص على التأمل فى قرص الشمس وقت بزوغه وحين غروبه (ما زلت أشعر بجمال وعظمه هذا المشهد كلما حانت لى الظروف لمشاهدته حتى اليوم) وتسرب الأمر لرفاقى فى المدرسة الذين أسررت لبعضهم بمخاوفى من مغبة عدم البحث طالما بلغت ٠٠ ودار نقاش مع بعض أصدقائى فى المدرسة الثانوية الأميرية بالزقازيق ٠٠ووصفنى أحدهم بأنى (مرتد) فأجبته (يا بنى أنا لم أرس على بر) فهل أنا كنت مسلما وإرتددت، عندى شهادة ميلاد كتبت فيها أنى مسلم وأنا عمرى يوم واحد أول ما ولدت ، وحالا أفكر فلم أبلغ سنا قانونية ، ولم تصدر لى بطاقة حتى الأن وطبعا لم يعجبه هذا الكلام ولا داعى لذكر أسمه فهو اليوم فى منصب مرموق ٠٠ ومن عائلة كبيرة بالشرقية ، حكم بعض أهلها مصر فى مواقع حساسة وكبيرة ٠٠ومازال له ولهم شأنهم حتى اليوم٠٠ فهم زعماء لحزب كبير قديما ٠٠ويتسمون بالخلق الرفيع والأدب الجم وهذا الصديق الذى نتجاذب اليوم أحلى ذكريات الشباب ٠٠أبلغ والده الذى بدوره أبلغ الشيخ محمد بسطاوى خطيب وإمام أكبر مسجد فى الشرقية كلها (الجامع الكبير) بالزقازيق عام ١٩٦١ ٠٠وما زال الرجل حيا حتى اليوم ٠٠ وقد قابلته حديثا دون أن أعرفه شخصيا طوال هذه السنين الطويلة التى أربت على الثلاثين عاما وفى دار أحد أقاربى عندما كنت أزوره لشكره على تعازيه فى أمى عام ١٩٨٩وهو الحاج صبرى مباشر وهو رجل عزيز فى عائلتنا وبلدتنا ٠٠وهناك قابلته (الشيخ /محمد بسطاوى) وكان معى الدكتور / صفوت شلبى أستاذ جراحة العظام / بطب الزقازيق وأبن خالى مصطفى ، برفقتى ، وقص الرجل حديث الذكريات ٠٠وكيف أنه هاجمنى بشراسة عندما وصله نبأ هذا الملحد الزنديق الذى تترك له مدرسته مكبر الصوت لينفث سمومه بين أولادنا كل صباح " يقصدنى " وكان هذا الهجوم من فوق منبر ذلك الجامع الكبير ٠٠ وبتفاصيل لا تخلو من طرافة عندما تقص عليك بعد كل هذه السنين ٠٠ ولم

أكن قد رأيته أو رآني من قبل ذلك .. الحاضر .. أنني عرفت حينها (١٩٦١) وأنني هوجمت بعنف بل هوجمت مدرستي كلها أنها تحوى بؤر الفساد ..وتعلم الإلحاد ....و.....و..... وبسرعة البرق وصل الخبر الى ناظر المدرسة (العدوى بدر) ناظر مدرسة الزقازيق الثانوية الأميرية الذى تسلمت منه - وفي موقف مأساوى فريد - خطابا بالفصل كان نصه : الى السيد ولى أمر الطالب أحمد أمين العطار بالغرفة الثالثة فصل خامس نحيطكم علما بفصل نجلكم من المدرسة نظرا لما اشيع عنه من افكار تعرضه لأشد العقوبات ..ووصل الخطاب الى والدى .. الذى أخشى أن أسأله في أمور الدين ..وصله خطاب بفصلى من مدرستى ..وكان قد عرف التفاصيل من أولاد الحلال ..فلقد كنت ألقى دائما كلمة الصباح في المدرسة ..وطبعا

وصلته الأنباء مبالغ فيها - وبأننى هاجمت الإسلام من ميكروفون المدرسة ..و.......الخ وتدرعت بجلدى إستعدادا للضرب المبرح الذى ينتظرنى ..ومضى ..يوم ..وإثنان ..وفوجئت تماما بتصرفه..فلم يضربنى ..ولم يعاتبنى ..ولاحتى عنفنى ..وكأن شيئا لم يحدث ..وأن كان هذا التصرف السلبى ..قد أقض مضجعى ..وإن كنت أذكر أنه شكا لأحد أصدقائه العلماء في البلدة (الشيخ إسماعيل خضر) فقام بالنيابة عن والدى باللازم باستخدام رهط من رجاله الذين يعملون في حقوله الخاصة .أما ما فعله والدى تجاهى ..فهو أن ألقى بخطاب الفصل الذى ورد له من المدرسة على مكتبى في حجرتى الخاصة والتى إستقللت بها بعد سفر باقى أخوتى وإقامتهم بجوار كلية طب القصر العينى التى إلتحقوا بها .. ولم يفتح الموضوع معى إطلاقا فقط ذكرت لى أمى نقلا عنه " أبوك خايف عليك ..إنت بتتكلم في السياسة في المدرسة ..وأنت عارف إن اللى بيتكلم في السياسة بيروح ورا الشمس) ولم أنبس ببنت شفة .. فقد كان والدى .. بطبيعة الحال ..يعرف حقيقة الأمر ..وكنت أدعو أصدقائى في المدرسة لتحصيل واستذكار الدروس التى يتلقونها إبان فصلى من المدرسة لتحصيل ما يفوتنى من الدروس ..فقد كان عام الثانوية العامة وكانوا يحضرون لى من الزقازيق منهم الصديق الذى لم يفارقنى في محنتى أبدا (محمد أحمد الاحمدى) حتى أنه عندما حضر لأول مرة بعد الفصل) ومعه زملاء لنا إمتزجت مشاعرهم بين حب الأستطلاع وقليل من الإعجاب وكثير من الخيال ولم تخل من بعض الحب لى أو الإشفاق على .. وجلسوا معى في بهو المنزل الفسيح ..وبينما نتحادث ..حضر والدى من خارج المنزل ودخل البيت مارا بنا ..فما إن رأيته حتى هببت واقفا مذعورا ..فإذا بكل زملائى يقتدون بى لا إراديا فهبوا واقفين صامتين .ورمقنا والدى بنظرة حادة وتمهل في خطوته يتفرسنا جميعا ..وخشيت أن يطردهم وانكمشت في جلدى وامتقع لون وجهى ..فربما تصور أن هؤلاء جماعتى ..ومريدى ..!!.. وكم كان عزيزا على أو على أى من أخوتى أن يهان أحدنا أمام أى أحد ..فلم يحدث إطلاقا من والدى .. فربما تصل عقوبته الى حد الضرب بالكرباج ..ولايعفى أحدا ، من أكبرنا أخى الدكتور الكبير الذى رفض له زواجه من فتاته المحبوبة وكان قد خطبها وأحبها ..فإنصاع لرأيه كرها ، وإقترب منها بعده زميله في المدرسة والجامعة "يوسف إدريس " وأصبحت ملهمته في قصصه ذلك الذى هجر الطب وإشتهر بالكتابة بعد ذلك ..واليوم هى أرملة وجدة أما أخى فقد هاجر الى أمريكا من ذلك اليوم ولم يحضر لمصر أبدا وإن كان قد إشتهر هناك بتخصصه الدقيق في جراحة القلب ويتميز عمن سواه في هذا التخصص ..ويسافر لمستشفاه من كل أنحاء العالم المحتاجون لعلمه وتفرده ومنهم رئيس وزراء مصرى.. أو حتى أمى التى لا أعرف حتى اليوم أكانت تخشاه وتخاف منه أم تقدره وتحبه ..ربما كانت الحقيقة ، مزيجا من كل ذلك ..وحتى أصغر من في البيت

٠٠وكنت أنا ٠٠ولكنه أبدا –رحمه الله –لم يعنف أيا منا طوال حياته أمام غريب ٠٠أو خارج البيت–والوجه هو منطقة التكريم ٠٠لا يمس ٠٠لا صفع٠٠ولاقرص أذن ٠٠ ولكن بالعصا والكرباج على الظهر ٠٠وكانت له –حرفية شديدة – في ذلك يستطيع وأنت في مواجهته أن ينال الظهر من فوق الكتفين بسهولة ويسر ٠٠ هكذا تربينا جميعا ٠٠

مر بي ٠٠في ثوان معدودات ٠٠كل ذلك ٠٠وهو يتفرسنا ٠٠٠وخفت أن ينزل بي أو بهم عقابا أمامهم فتكون –فضيحة –فلم نعتد الإهانة أمام أحد ٠٠ ولم يفعل ذلك بأي منا طول حياته ٠٠ولكن الجرم الذي أقترفته أيضا جرم ٠٠لم يحدث ٠٠فلماذا لا يقابله بتصرف لم يحدث أيضا ٠٠كانت تلك خواطر سريعة ومرت الثواني اليسيرة كأنها دهر طويل ٠٠وتصورت في

إستعراضه لنا ٠٠أنه ينقل خطواته وئيدة ٠٠حتى تصورت أنه يخطو خطوة و بين الخطوة وأختها ٠٠تمر الساعات ٠٠وإن كان في حقيقة الامر يسير بخطواته التي أعتادها دائما ٠٠ولكني ٠٠هكذا تصورت ٠٠

٠٠وحاولت أن أقطع صمت هذا المشهد المهيب الذي وقف فيه زملائي بجواري مشدوهين وكأن على رؤوسهم الطير ٠٠فلا أحد يعرف ما يدور بخاطري ٠٠ولا أحد يفهم ٠٠فقلت موجها حديثي لوالدي :"زملائي في المدرسة "وأمام صمتهم التام ٠٠وأدبهم الجم ٠٠ووقوفهم مرهوبين ٠٠وجدت نظرته تتحول الى نظرة حانية ٠٠كأنما قرأ في وجهي كل مخاوفي التي دارت في عقلي ٠٠وإستمر سيره الى داخل الدار دون أن يرد على أو يوجه لي أو لأي أحد أي كلمة أيا كانت لا ترحيب ولا تبكيت ٠٠الحمد لله ٠٠وجلست ٠٠ومازال الإضطراب لم يتسرب

من نفسي تماما ٠٠وإذا بزملائي يجلسون صامتين مرتبكين دون أن يعرفوا ٠٠لماذا هم مرتبكين ٠٠ وكان أحبهم لقلبي "محمد الأحمدي "والذي كان بجواري تماما ٠٠فقطع الصمت قائلا لي"مين ده٠٠أبوك"

قلت وبصوت خافت خفيض (أيوه)

قال (وإيه الرعب اللي إنت فيه ده٠٠دا أنا أبويا صاحبي)

طبعا لم أرد ٠٠ولكن كل ما أذكره جيدا ٠٠هو أن أصدقائي جميعا ٠٠خرجوا بعد هذه الزيارة ٠٠ولم يعودوا ٠وبقي بجواري الصديق محمد الأحمدي الذي لم يعرف – ربما حتى اليوم ٠٠أن والدي لم يكن قد فاتحني في أمر ما أشيع عني ٠٠وخشيت أن يفجر الموقف أمام زملائي عند دخوله فهبيت مرتعدا ٠٠ويبدو أنه قرأ ذلك ٠٠ فأشفق علي ومضى لحال سبيله بنظرته الحانية التي أحتضنها قلبي وهدأت ـ من روعي دون أن ينبس ببنت شفة ٠٠كما حدث ٠٠(رحمه الله فقد كان رجلا عظيما) ٠٠وهكذا ظل صديقي محمد الإحمدي الصديق الذي أشعر بحبه حتى اليوم ، يتابعني ولم يفارقني في محنتي تلك التي أنفض عني فيها كل زملائي (مفيش حد عايز وجع الدماغ) المهم مضت شهور سنة كاملة وأنا مصمم على إنهاء البحث وشعرت كأني حصلت على تفويض صامت من والدي ، وهكذا قرأت في سن مبكرة جدا ٠٠(في الشعر الجاهلي) لطه حسين وكيف أنه أتصف بالإلحاد والردة يوم أنكر فيه حقائق ثابتة " نسبة العرب إلى إبراهيم وإسماعيل وإنكاره وجودهما في مكة "

وإمتدت يدي للقلم الاحمر لأجد في الإنجيل عن سيدنا نوح أنه عاش تسعمائه وخمسين عاما وفي القرآن نصا " ألفا إلا خمسين " وهكذا أفاء علي الله بنعمته بسبب حدث دفعني من سن مبكرة للغاية أن أطلع على كتب الفقة والتفسير فضلا عن التوراة والإنجيل وكذا مؤلفات التفتازاني ٠٠وتفسير الامامين الجليلين ٠٠وكتابات إبن عربي ٠٠والغزالي وسيد قطب ٠٠حتى

أفاء الله على بنعمه اليقين فى نهاية شهور ستة كما ذكرت وكنت أعبد الله حتى يأتينى اليقين ٠٠وكما أوضحت لأتخذ جانب الحيطة والحذر ٠٠ حيث فى بحثى أيضا لم أجد فى التوراه أو الإنجيل عبارة واحدة تشير أن غير التوراتيين سيدخلون النار أو غير الإنجيليين سيدخلون النار ولكنى وجدت فى الإسلام " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " كما أنى بإسلامى أكون مؤمنا بـ (إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ٨٤ آل عمران ٠

ونسيت أن أذكر أننى عدت للمدرسة بتعهد بأنى مسلم وغير مرتد ٠٠!! وكان فصل الختام فى هذه المحنة الطويلة أن أنار لى الله طريقى فوضع أمامى الآية الكريمة التى تقول " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنه وإبتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم

يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) آل عمران آيه ٧ وكنت قد شرفت بمقابلة خلفاء الله فى العلم فأزادونى وزودونى وعلمت أن تلك الآية الكريمة والتى هى القول الفصل تعنى أن الله يا محمد أنزل عليك الكتاب (القرآن الكريم) منه آيات محكمات أى قاطعة كالحدود والمواريث وما إلى ذلك (هن أم الكتاب) أى الأسس الصادرة فى الكتاب(وأخر متشابهات) أى آيات أخرى يشتبه على الناس فهمها مثل (الم) (كهيعص) وغير ذلك ٠٠

فالذين فى قلوبهم زيغ من إيمان ولم يصلوا إلى حد اليقين أو المهزوزين فى إيمانهم أو المنافقين فيتبعون (يسيرون ويستخدمون) (ما تشابه منه) ما أختلف فيه القرآن من المتشابه

والمشتبهات بغية إثارة الفتنة بين المؤمنين وفقا لأغراضهم وتلك الآيات المتشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون فى العلم ٠٠يقولون عن المتشابة آمنا به كما أنزله الله (دون لغو فيه أو لغط ٠٠إيمان تسليم وطاعة كتأدية بعض المناسك فى الحج كتقبيل الحجر الاسود مثلا)

ولقد من الله على بمقابلة العالم الجليل سيد قطب فى حياته وسألته لماذا أنزل الله المتشابهات فى القرآن طالما لا يعلم معناها سواه وكان رد فضيلته الذى أقتنعت به مفهوما من الحوار الذى أدرته مع فضيلته وقتها وفقا للتصور التالى :-

قلت لسيادته

- لماذا أنزل الله الآيات المتشابهات فى القرآن طالما لا يعلمها سواه فما فائدة نزولها لكافة المسلمين طالما لن يعلموها ؟

- قال هناك قراءتان لهذه الأية علما بأن هناك قراءات كثيرة أشهرها قراءة حفص عن عاصم وقراءة ورش عن نافع فأما أن تقرأ ..(الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم) أى تستمر القراءة دون وقف حتى تشمل (الله والراسخون فى العلم) فيكون العلم لله يؤته الراسخين فى العلم ٠٠وعلى عامة المسلمين اللجوء (للراسخون فى العلم) للتزيد على كنه تلك الآيات منهم فيبصرونهم بمعانيها ٠٠وتلك قراءة ثم بعد الوقف هذا تستمر تلاوة الآية (يقولون٠٠٠٠) الخ

والقراءة الثانية يكون فيها وقف القراءة عند الله (وما يعلم تأويله إلا الله) ثم تستمر القراءة (الراسخون فى العلم يقولون ٠٠٠) وهذه القراءة هى التى تختص بسؤالك لأنها أوقفت تأويل ما تشابه منه على الله وحده ٠

والإجابة هنا ليبين الله الذين فى قلوبهم زيغ (المتبعين لما تشابه إبتغاء فتنه المسلمين فى دينهم وتفسيره تفسيرا يواكب هواهم).
قلت : -
أولا يعلم الله جلت قدرته المنافقين والذين فى قلوبهم زيغ بدون نزول هذه الآية وبدون نزول الآيات المتشابهات فى القرآن ..فما الداعى لنزولها وتكون سببا فى إحتمالية إستخدامها ممن فى قلوبهم زيغ إبتغاء الفتنة ..وما الداعى أن يكون فى القرآن أيات يسبب بها هؤلاء (الذين فى قلوبهم زيغ) فتنه بين المسلمين .
قال فضيلته : طبعا الله يعلمهم دون نزول هذه الآية ..ولكن المسلمين الذين فطرت قلوبهم على الإيمان لا يعلمونهم فبنزول الآيات المتشابهات فى القرآن يسهل على المؤمنين معرفة الذين فى قلوبهم زيغ فيحتاطوا منهم عندما يجدونهم يتبعون ما تشابه منه إبتغاء فتنة المسلمين فى دينهم فالمنافق والخبيث والذى فى قلبه زيغ ومرض أولى صفاته أن لا يبدو أنه خبيث او ماكر كما أنك لن تعرفه إذا كان فى قلبه زيغ فهلا شققت عن صدره ؟! فهو إن عرف عنه خبيثه لم يعد خبيثا فمثلا إن زارك أحد فى مرضك (ولم يكن هدفه زيارتك والإطمئنان عليك ولكن هدفه أن يقف على درجه قدرتك فى مرضك حيث سيبنى على الوقوف عليها ومعرفتها مدة غيابك عن متجرك ليسرقه مثلا) فهو خبيث لانه لم تظهر نواياه بسرقتك بعد ، أما إذا قام بالسرقة فعلا فيكون بذلك لصا وهنا تعرف أنه كان وقت زيارته لك فى مرضك خبيثا أما بعد قيامه بالسرقة فهو لص و ليس خبيثا .وعلى هذا النحو فهذا اللص الذى كان خبيثا فى زيارته لك كان - وقت زيارته - شأنه شأن أى زائر يعودك ويطمئن عليك لا تقوى على إكتشاف خبثه لأن هذا الخبث دفين فى صدره وحده لا تعلمه و لا يمكنك أن تعلمه إلا عندما يقوم بواقعة السرقة فعلا ويتضح أن نجاحه فى السرقة ما كان ليتم إلا بتحقيق الدراسة التى كانت مجهولة له قبل زيارته لك وبهذا فقط تعرف أنت انه كان (خبيثا فى زيارته) ولكن الله تعالى كان يعلم نواياه وأهدافه الحقيقية عند زيارته لك فى مرضك وبهذا القياس يعلم الله الذين فى قلوبهم زيغ .. ولكنك لا تعلمهم وحتى يبينهم لك أنت المؤمن المفطور على الايمان ، أنزل الآيات المتشابهات لتكون لك دليل عندما تجد من يلج فيها بغية الفتنة تستطيع أنت المؤمن أن تأخذ حذرك عندما تجده يلج فى هذه الآيات وقبل أن يحقق الفتنة بين المسلمين فى دينهم وعلى ذلك فمن أهداف نزول الآيات المتشابهات لا أن يعرف الله الذين فى قلوبهم زيغ ..فهو يعرفهم سواء نزلت الآيات المتشابهات أو لم تنزل ..ولكن ليعرفك أنت المؤمن بهم هؤلاء الذين فى قلوبهم زيغ .

بسم الله الرحمن الرحيم
.ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آل عمران/ ٨
وهنا قررت أن أصوم عاما كاملا تطوعا بعد أن عمرالإيمان قلبى ..وشعرت أننى لم أعد مسلما بالميلاد أو الميراث ..ولكن مسلما عقيدة ..وفعلا شرعت فى الصوم ..وما إن مرت شهور ثلاثة حتى ألتحقت بالكلية الحربية فتوقف الصوم وتخرجت فيها ..وحاربت فى معارك الحديدة فى اليمن و حتى أكتوبر ١٩٧٣ .. وحصلت فى أثناء ذلك و بعده على ليسانس الحقوق ..وقبله على بكالوريوس التجارة وإستمر عملى بالقوات المسلحة الذى أمضيت فيه زهاء سبعة وعشرين عاما أو يزيد ثم فرغت للأطلاع أكثر من ذى قبل حيث شدتنى ظروف خاصة جدا أن أبحر فى كتب الفقه واللغة فكنت أسهر شهورا حتى الصباح فى مكتبه القانون بنادى القضاة أبحث وأنقب إبان دعواى التى رفعتها بالمحكمة الدستورية العليا رقم ٧ لسنة ٨ دستورية عليا لعدم دستورية القانون رقم ١٠٠ السنة ١٩٨٥ وإضطررت قسرا للاطلاع على

تاريخ الأئمة الأربعة المشهورين وقرأت عن الأمام محمد بن أدريس الشافعى كتاباته وتاريخه وتوقفت كثيرا عند قوله: (أنا إذ عشت فلست أعدم قوتا ٠٠وإذا مت فلست أعدم قبرا) وجرفنى ذلك للغوص كثيرا فى سلوكيات بعض أئمة المذاهب الإسلامية خاصة الإمام أحمد بن حنبل ،والبويطى وحكام ذلك العصر والذى يمكن بحق أن يطلق عليه " عصر محنة القرآن " فى زمن المأمون / المعتصم / الواثق ٠٠،وهذا الأخير كان لاهيا بالطرب والغناء والجوارى الحسان ٠المهم أنه كان على أن أغوص تماما فى القرآن والفقه غوصا لأنجاح دعواى الدستورية فعرفت يقينا أن هناك آيات فى القرآن الكريم يقصد منها كناية وليس من باب الحقيقة فعلى سبيل المثال لا الحصر ما ورد فى سورة المدثر " فإذا نقر فى الناقور" فالنفخ فى الصوروالنقر فى الناقور كليهما ليس من باب الحقيقة بل هو كناية عن إعلان ذلك اليوم ،والمنادة به ،وظهور أمره ، وإنكشاف سره أو هو تمثيل لبعث الخلائق وحشرهم فى صعيد واحد بحيث يحسب من رآهم ان نفخة صور أو نقرة ناقور أهابت بهم وأزعجتهم إلى حضره ربهم والله أعلم ٠

على أن الشرع إن كلفنا الإعتقاد بالصور والناقور فإنه والحمد لله لم يكلفنا معرفتهما ، وكيفية النفخ فى الصور أو النقر على الناقور – معرفه إكتناه –رحمة بنا وتيسيرا للأمر علينا ٠

ولكن من الظلم البين لأنفسنا أن نبلغ من العلم مبلغه وننكر تماما الحسد والجن والملائكة وعذاب القبر والعرش والملك والناقور والصور وملك اليمين وغير ذلك مما ورد فى القرآن الكريم لأننا لا نعرف كيف يكون أى من ذلك على الحقيقة معرفة إكتناه ٠٠ولاالشرع يطلب منا ذلك فقط الإعتقاد ملزم وإلا كان إنكارا لآيات الله والعياذ بالله ٠

****

فهل فعلت ذلك يا دكتور نصر فى أبحاثك ٠٠ أم أنكرت وتمسكت بالنكران لآيات الله وكلماته ٠٠ هذا ٠٠ما سنتناوله بالبحث ٠٠

ومع خالص تحياتى بالهداية والتوفيق أرجو أن تتذكر دائما ما أنت متأكد منه يقينا وهو أن الدنيا عرض زائل والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ٠

****

الورطة ٠٠ والوارط والموروط فى الزمن الأمعط

****

٠٠ إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا كان هناك سبعون وجها للكفر ووجه واحد للايمان فلنحكم بالوجه الواحد " وفى رواية أخرى "تسعة وتسعون وجها " ٠
واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "جاء الإسلام غريبا وسيعود غريبا " ٠
وإذا كان الله جل شأنه يقول " ولكم فى رسول الله أسوة حسنة " وإذا كنا نعلم – علم اليقين – أن الإسلام حينما نزل كان سرا حتى تأتلف القلوب حوله وحتى يباغتوا به عدوهم حينما يتمكن من الارض وتشتد شوكته فيجاهر به، فالإسلام بدأ فى مكة، وعندما نستعرض الآيات المكية نجدها جميعا – تحض على الخير والسلام بين الناس ، وإطعام المسكين، ولم تنزل – يقينا – الحدود فى أول عهد نزول الاسلام ٠٠ بل نزلت آيات الحدود بعد إنتشار الإسلام ، وتمكنه من القلوب والنفوس ٠٠ بل إن آيات العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة وغير ذلك لم تنزل مع أولى آيات نزول القرآن ٠٠
ألا نتأسى بدعوة رسول الله وسلوكه الإنسانى الذى فطره الله عليه وألهمه إياه ؟٠٠ ألا يعلم المفكرون والباحثون وعلماء الإسلام -- أن الله تعالى كان ينزل على محمد عليه السلام آيات الصبر والعفو والمغفره ، عندما كان يشتد أذى الكفار له ٠٠ سواء من الاستهزاء به أو السخرية منه ومن رسالته ودعوته ؟ مثل آيات " اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون " " فصبر جميل والله المستعان " " ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين "٠
بل إن الصلاة نفسها كانت " سرية " خاصة صلاتى فريضة الظهر والعصر وقيل فى شأنهما أنهما كانتا سرا حتى لا يسمعهم الكفار فيروهم ويأذوهم ويضربوهم ويشنقوهم ويعيدوهم لملة آبائهم أو يقتلوهم ، أما صلوات المغرب والعشاء والفجر فكانت كلها فى جنح الليل البهيم " جهرية " فى بطون الجبال وحتى وديان الفيافى البعيدة ٠٠ حتى يقض مضاجع الكفار عندما يصلهم صدى الصوت ، فيتخبطون ويقلقون وينزعجون وهم غير عارفين بمصادر الصوت ٠٠ فضلا عن أنهم بذلك كانوا يسمعون تلاوة القرآن دون أن يعرفوا أحدا ، فسمعوا الآيات التى تحض على التراحم والألفة وإصلاح ذات البين والعفو والمغفرة فأمن من آمن ممن إقشعرت أبدانهم وخشعت قلوبهم لذكر الله فزاد الايمان والمؤمنون بمن آمن سرا ، أما من كفر وأستمر فى طغيانه يعمه ويتخبط فلم يعرف من المصلين أحدا وبالتالى كانوا فى مأمن من أذى الكفار ٠ ولتجدن المصلين اليوم ما زالوا يتأسون بنهج نبيهم ويستنون بسنته ٠

****

أما عندما قويت شوكة الإسلام وضربت فى الأرض شرقا وغربا ، نزلت آيات القصاص " العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص" فلم ينزل القرآن بظلم – حاشا لله – ولكن وحتى فى قوته كان القرأن يحض على العفو، بل ويجزل الثواب لمن عفا وكان قادرا على القصاص ٠ وعندما قويت شوكة الاسلام بدأت " الحدود " تترى والعبادات تسن والجزية تفرض ، وظلت آيات التراحم والعفو والشفاعة والمودة والألفة والائتلاف وغيرها لم تنسخ منها آية واحدة ٠

****

واليوم فى ظل الضرب الموجع للإسلام فى البوسنة والهرسك وجروزنى عاصمة الشيشان وفى باكستان وغيرها فى كل بقاع الأرض بل وفى ظل النظام العالمى الجديد، وفى ظل الأمم المتحدة ومجلس الأمن، نسأل السادة المفكرين و الباحثين ، نسأل السادة الأساتذة والطلاب

.. نسأل السادة القضاة والمستشارين .. نسأل السادة الملتحين وحالقى الذقون .. نسأل السادة لابسى الجلاليب و(البنجور) .. هل الإسلام ضعيف غريب.. أم قادر ظاهر ؟

أجيبوا يا قوم .. ماذا يفعل الغرب بالإسلام عندما يرى ويشاهد أننا نفرق الزوج عن زوجته ونوصمه بالردة التى تعنى الموت سواء بسواء . عندما يفكر فى دين الإسلام .. ألا يمكن اليوم أن نبرز آيات العفو والمغفرة والتراحم؟ .. حتى يحين وقت القصاص ويكون الإسلام فيه ليس غريبا كحاله اليوم .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم "بشروا ولا تنفروا .." ..فهل يمكن فى ظل هذا القول أن أكون داعيه للإسلام وأول كلمات تقرع أذن من أدعوه هى : " أنك ستفرق عنك زوجتك ويحكم عليك بالموت إذا أنت إرتددت عن دين الإسلام بعد الايمان به "

ترى ماذا تراه يفعل عندما يسمعك تنفره هكذا ؟ !! أسيسعى حثيثا للإنضمام للإسلام .. أم يفر هاربا ؟! أم سيحاربك ويقتلك ؟!.الإجابة معروفة طبعا..

إنك تنادى بالقتال والتضحية والموت فى سبيل الإسلام و نحن معك و لكن أرجو أن تتدبر العبارات السابقة جيدا " الموت فى سبيل الإسلام " أى الموت ليحيا الإسلام .. وليس الموت وضعف الإسلام فهب أنك فى ظل القوى الغاشمة لأعداء الإسلام فى كل مكان .. والتمزق والتناحر البادى للعيان فى صفوف المسلمين . هب أنك فى ظل ذلك - وغيره كثير - (جاهدت بالقتال) ماذا سيحدث ؟ ستقتل وربما يقتل أو يغل بالسلاسل بنوك وحموك (وكل من يتشدد لك).. وتكون قد ساهمت فى ضعف الإسلام أكثر بموتك وموت رفاقك المؤمنين الغيورين على دينهم وخسرهم الإسلام وبموتك تكون شهادتك - محل نظر - حيث أنك بها لم تنصر الإسلام والمسلمين ولكنك أضعفته وأضعفت المسلمين بموتك وموت رفاقك المؤمنين .

وقد كانت هذه الأحاسيس والأراجيف تنتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا فى بداية الدعوة وقبل أن يضيق صدره كانت تنزل عليه آيات الصبر وكظم الغيظ (فأصبر وما صبرك إلا بالله) (إن الله مع الصابرين)(إن مع العسر يسرا) ..إلخ .

ولكن هب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل وهو ضعيف فى بداية الدعوة ، أكان يمكن أن ترى الإسلام اليوم؟ أم كانت قد أجتثت شأفته من البداية ولم تعد له قائمة وكنا اليوم كالبهائم السابحة بغير هدى .

تدبروا يا قوم آيات الله جيدا وليكن لكم فى رسول الله أسوة حسنة . فعندما يكون الإسلام ضعيفا غريبا ، علينا أن نتأسى برسول الله كيف كان يتدبر أمره (وأدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن) ١٢٥/النحل

وعلى هذا القياس - أرى - أن الحكم بفرقة د.نصر عن زوجته اليوم هو حربة موجهة لجسد الإسلام الضعيف فسيقول الغرب " أنظر ماذا يفعل الإسلام ببنيه ؟ فماذا سيفعلون بنا إن تمكنوا لنقضى عليهم اليوم قبل أن يقضوا علينا غدا " .

وعلى ذلك لن يستفيد من صراع (نصر / شاهين) سوى الإرهاب .. الإرهاب الدولى العالمى الذى يتربص بنا وبإسلامنا .. إفرحوا يا علماء و مثقفى مصر مما جنته أيديكم ..

ألغوا الحكم بفرقته عن زوجته.. وأعيدوا له أعتباره.. ألا تتدبرون بأهتمام وكالات الآنباء العالمية و الغربية بأمره .. ظن الفتى المغرور د.نصر أن له شخصيا أهتماما عالميا .. وخاب فكره .. إن أمر ردته ، فضيحة .. ليس أفضل كثيرا من فضيحة عمليه ختان الفتاة الصغيرة التى أذاعتها شبكات التليفزيون العالمية .C.N.N فالفتاة ليست لها أهمية عالمية عندما أشتهرت بفضيحة ختانها المأساوى، وإنما الإهتمام بكشف عورات المسلمين فهو المهم

لديهم .. وهو الهدف ..وهو الغاية والمرتجى .. إن الغرب يتلمظ وينتبه إنتباه النمر لفريسته بل ويتمنى أن يكون حكم محكمة النقض مؤيدا للفرقة .. حتى يجد لنفسه ذريعة للإنقضاض على الإسلام والمسلمين علانية ليضعفهم أكثر .. وليجعلوا من المسلمين عبيدا لهم وليسوا تابعين فقط .. إن إهتمامهم ليس بك يا نصر فهم يتمنون موتك على يد المتطرفين أو حتى الإرهابيين .. وربما قتلوك هم وإتهموا الإسلام فيك .إذا قضت محكمة النقض بنقض الحكم وإلغائه – فهم يتدارسون سيادتهم بغير منازع على العالم – وانظر ما قاله ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكى الأسبق عن الإسلام فى كتاب لنا سبق باسم " مصر بين الملك والصعاليك " قال حرفيا "إن المسلمين غير متحضرين ولا يغتسلون ... بربريون ، همجيون ، وغير عقلاء" ولقد سمى الكتاب هذا " إنتهزوا الفرصة " يخاطب الأمريكيين .. أفلا تدبرنا أمرنا انهم يتحينون الفرصة للإنقضاض .. وليس كما تظن أنك مثار إهتمامهم ، إنك لواهم أنت وكل من يدور فى فلكك .. فلنفوت عليهم فرصتهم وليكن إلغاء الحكم لأسباب جوهرية .. لنحفظ علينا إسلامنا الذى يريد الغرب أن (ينتهزوا الفرصة) لينالوا منه بدعوى محاربة الإرهاب .والأسباب الحقيقية هى : تمسكه بالإسلام دينا وبمحمد نبيا .إن قضاء حكم النقض بالإدانة – إذا تم –فإنما يقضى بالإدانه فضلا عنه على كل من أيده فى حريته فى البحث وعلى كل الصحفيين الذين ناصروه د. جابر عصفور والاستاذ/لطفى الخولى ورجاء النقاش والاستاذ/صلاح منتصر وحتى كاتب هذه السطور هذا فضلا عن كل من نقل عنهم سواء محيى الدين بن عربى أو إبن رشد أو أقطاب الشيعة والمعتزلة وكذا كل من دافع عنه سواء داخل الجامعة أو أمام المحاكم أو فى المقالات ...إلى أخره .

فلتنتبه المحاكم فى أعلى درجاتها إلى مصلحه مصر العليا ، ولتنظر حولها جيدا ، عندما تصدر حكما يمس أمن مصر القومى ، ولتعلم – إن لم تكن قد علمت – أن المجانين والمهابيل وفاقدى العقول أطلقت سراحهم جميعا فى الشوارع ، مستشفى الأمراض العقلية الشهير فى العباسية ، وعددهم بالمئات عندما رفض أهلوهم دفع مصاريف علاجهم أو شق عليهم ذلك ، بعدما لبثوا سنين عددا يعالجون بالمجان ..فما أثروا فى مصرالحضارة ، وإن كنت أرى أن إطلاقهم على هذا النحو فيه قسوة على حالهم ، وقسوة على ضمائرنا وقسوة على المجتمع بأسره .. وقد رأت الدولة أن تحتمل ونحتمل معها كل هذه القساوات من أجل حفنة دولارات ..!! أليس الأجدى – أن تلغى المحاكم – حكم تفريق الرجل عن زوجته رغم عصيانه وسفاهة ما كتبه وإسرافه على نفسه بأن أخذ من كل كتاب قرأه أخبث ما فيه ، وضم كل هذه الخباثات فى كتاب واحد ، أدعى به أنه صاحب فكر جديد ، فليكن مجنونا إضافيا مع مجانين الشوارع المنطلقين كالأبقار بغير هدى ولنتجنبه ، وقديما قال والدى وهو يعلمنا الحكمة : أأذا رأيت بقرة أصابت الأرض بروثها وتناثر على ملابسك أثناء سيرها أتحاسبها وتعاقبها ؟!.. قلت كلا .. فهى لا تفهم والأجدر بى أنا أن أبتعد عنها . فالأجدر بالمحكمة فى أعلى درجات تقاضيها أن تتصرف تصرفها مع الحالات الإنسانية كعفوها عن الولد العاق عندما تتوسل أمه التى ضربها بالإفراج عنه ، شفقة من المحكمة على الأم وليس على الولد العاق .. فالأم هنا هى مصر ، فلابد أن يكون هناك خشية عليها من الإرهابيين الذين يتربصون بها من كل جانب بإدعاء أننا لسنا دولة تطبق الإسلام إذا نقض الحكم ، ومن جانب أخر تلك الدول التى تتمنى الخراب لمصر لتضعف أكثر وتكون تابعه أكثر وتنتظر الحكم لتؤلب علينا طوائفنا المسيحية أو لتشعل الفتنة وتحولها حربا أهلية إذا تم تأييد الحكم بدعوى أننا دولة تهدر حقوق الإنسان والحرية .. وعلى أى الاحوال فالفضل فى هذا الشرك الذى نحن واقعون فيه ليرجع لكلا الرجلين (شاهين /نصر) .

فقبل أن يجرفنا الطوفان على المحكمة فى أعلى درجاتها. أن تتخذ أسوة حسنة بالزعيم الخالد /سعد زغلول يوم كان رئيسا لمجلس النواب (مجلس الشعب الحالى) فى مارس ١٩٢٦ وصاح فى المتظاهرين حول مجلس الوزراء ومجلس الامة من طلبة الأزهر و طوائف الشعب يريدون محاكمة الدكتور / طه حسين وكان عميدا لكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) بعد أن كتب كتابه (عن الشعر الجاهلى) وورد فيه تطاوله على الرسل وخاصة سيدنا إبراهيم ونفى وجوده فى مكة وبالتالى تكذيب للقرآن الكريم بأنه (رفع القواعد) للكعبة المشرفة ، كما شكك فى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة غير لائقة صاح الزعيم سعد زغلول على المتظاهرين (وكان حصيفا يعلم أن مصر تحت الأحتلال وأن الإسلام والأزهر مستهدفين من أعداء مصر وأعداء الأمة الإسلامية) وخطب فيهم قائلا :

" إن الذى شك فى الإسلام ، ليس زعيما ولا إماما ، فليشك ما يشاء ، أنه لن يؤثر فى الإسلام بشىء ، ذلك الدين المتين ماذا علينا إذا لم يفهم البقر " . وبذلك أمتص غضب المتظاهرين بل الأمة كلها .. وفوت الفرصة على أعداء الإسلام الذين كانوا ينتظرون الفرصة للإنقضاض على الإسلام فى دولة الأزهر بدعوى محاربة الإرهاب ، أو حماية الأقليات أو بدعوى عنصرية الدولة ..وبذلك حقق المصلحة التى تغياها .

أن الدكتور/ نصر ليس غاية الغرب ، إنما غايتهم الإسلام والقضاء عليه ، هم ينتظرون كيف يتصرف الإسلام فيه .. وعلى ضوء ذلك .. يتصرفون هم مع الإسلام .. أفلا لملمنا جراحنا – فى ضعفنا – فى ذلك الزمن الغريب..؟! أيحارب الإسلام وهو جريح مقهور ، ممزق مكسور فى كل مكان أم يلملم أثماله يتدثر بها حتى يبرأ جسده ويشتد عوده ويقوى بنيانه ؟!

لكم الطوبى يا قوم يا باحثين ويا مثقفين يا علماء الإسلام ويا مستشارى المحاكم يا أساتذه ويا طلاب يا مصر ويا إسلام .

ففى الزمن الذى خلا منه تمامه وأكتماله ، فأصبح زمننا ناقصا كالرجل (الأمعط) الذى لم تكتمل هيئته لإنعدام شعر جسده ، يتبارى الرجل المتورط فى لغته وأبحاثه (د.نصر) مع الرجل الذى تلقف ورطته تلك ، فأورطه أكثر بفضحه والنكال به ذلك الوارط (د.عبد الصبور شاهين) وتركوا لمصر شأنها وأنتبه (الوارط والموروط فى الزمن الأمعط) وتركوا مصر تضطرم بأفعالهم بغير وعى فى ورطتها. " الفتنة نائمة .. لعن الله من أيقظها " .

****

الدعموص فى زمن النصوص

****

وقف العالم (جاليليو جاليلى) أمام المحكمة المؤلفة بأمر قداسة البابا فى ٢٢يونية سنة ١٦٣٣ ميلادية لسماع الحكم عليه بشأن عقيدته العلمية وصدر الحكم المشهور فكان لطمة جريئة على وجه الحقيقة العلمية ليس لها مثيل فى التاريخ. ثبت لدى المحكمة أن (جاليليو) العالم الإيطالى الكبير ، أعتقد أعتقادا فاسادا ومنافيا للتعاليم السماوية بأن الشمس هى مركز الكون ، وأنها لا تتحرك من الشرق إلى الغرب ، وإنما الأرض هى التى تتحرك ، وانها ليست مركز الكون .فحكمت عليه (بأن يرتد عن عقيدته هذه) و (أن يعلن لعنته عليها) و(إحتقاره لها) ثم بالغت المحكمة فى قسوتها فقضت على (جاليلو) بالسجن ، لولا أن تداركته العناية الإلهية ، فقد أشفق البابا على الشيخ العظيم ، وألغى السجن ، ولكنه قضى عليه بأن (يلزم عقر داره فى الريف ، وألا يتصل بأحد إلا بإذن خاص) .

****

ولم يكن جاليليو هو صاحب هذه النظرية .. فقد سبقه اليها (فيلالاوس) حوالى القرن الخامس قبل الميلاد ..!! ومن بعده (أرستاركس) أحد علماء مدرسة الإسكندرية فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، ولكن (أرسطو طاليس) إعترض وزعم بأن الأرض ثابتة لا تتحرك حتى كان منتصف القرن السادس عشر وفيه نشر كتاب ..-

De Revolutionibus Orbium Celestium للعالم البولندى (كيرتكس) وفيه يفسر المؤلف حركة الكواكب السيارة على أساس نظرية (أرستاركس) فيقول بأن الأرض وجميع الكواكب السيارة تدور حول الشمس ، ولكن ما كاد ينتشر الكتاب حتى قامت الكنيسة والجامعات على السواء ، وأوصدوا أبوابهم دون نظرية (كيرتكس) ووضعوا أصابعهم فى آذانهم ، إذ لم يرق لهم أن يكون مهد الإنسانية ومهبط روح الله (عيسى عليه السلام) مثل ما يدعيه (كيرتكس) فى نظريته . ثم كانت حرب طاحنه بين ، الحقيقية والوهم ، كان النصر فية حليف الحقيقة ، لأن (جاليليو) كان قد أتى بالبزاهين العملية على نظرية (كيرتكس) فاخترع منظارا لم يكن موجودا قبل ذلك ، رأى فيه (الزهرة) تتشكل باشكال مثل أشكال القمر ويرهن على أن ذلك لا يكون إلا نتيجة لدورانها حول الشمس .

ثم جاءت البراهين تلو البراهين على صحة نظرية (كيرتكس) حتى تثبتت وأصبحت مما لا يقبل الشك .

بعد ذلك تقدمت علوم الفلك فوجد أن الشمس ليست سوى مجموعة من الشموس أو نجوم مثلها، يقدر عددها بمائة ألف مليون ، وهذه المجوعة تسمى المجموعة المجرية . وهى المحدودة فى السماء (بسكة التبانة) وتدور حول مركزها بمعدل مائتى ميل فى الثانية .

هذا جاليليو وهؤلاء هم العلماء ارتطموا برجال الدين فى عدم مطابقة ما فهمه العلماء من الدين على ما أكتشفه (جاليلو) فالدين وسع المعارف و لكن رجال الدين هم الذين كانوا قاصرى الفهم للدين،فارتطموا باكتشافات جاليليو واختراعاته ... ويقينا وجد رجال الدين بعد ذلك

تفسيرات للدين إتفقت مع الإختراعات ٠٠ وإلا لما كان هناك اليوم مسيحى واحد يؤمن بالمسيحية ٠٠ إذا لم يجد رجال الدين تفسيرا فى الدين يسمح بهذه الاكتشافات او يتطابق معها أو لا ينكرها ٠٠ أو يرفضها ٠

****

أما صاحبنا الدكتور / نصر حامد أبو زيد ٠٠ فلم نره يخترع شيئا أو يكتشف شيئا ٠٠ فقط راح يجادل ٠٠ ويشك ٠٠ فى أن القرآن الكريم سقطت منه آيات أو نسيت ٠٠ وفقا لمدة زمنية ٠ ظنها كافية للنسيان ٠٠ ثم أسس على هذا الظن حقائق ٠٠

وراح ينسب الآيات ويوفقها على مناسبات نزولها ، والتطور الطبيعى الذى يمكن أن يستطرد فيه أن لنا أن نتطور عما جاء بهذه الآيات ٠٠ حيث أننا فى عصر الكمبيوتر والصواريخ والأقمار الفضائية والليزر والآشعة فوق البنفسجية والأخرى الحمراء التى تفتح البواب دون أن يلمسها الإنسان (مثل أبواب المحلات الراقية أو أبواب الفنادق العظيمة فى مصر التى تفتح دون أن يلمسها أحد فقط يقترب منها الإنسان وهناك جهاز صغير به أشعة حمراء تتأثر بحرارة جسم الإنسان فتعمل الدائرة الكهربائية المتصلة بالجهاز وتفتح الباب وحينما يبتعد الإنسان تتعطل الدائرة الكهربائية حيث لا تعمل إلا بحرارة الأحياء فيغلق الباب)٠٠

وطبعا كل ذلك لم يكن قد إكتشف فى عهد النبى عليه السلام وبالتالى علينا أن نتطور نحن أيضا ٠٠هكذا يفهم من كتب ومؤلفات الدكتور / نصر ولكنى أرى أنه من الصعب بمكان أن نحكم عليه بالردة أو حتى نتهمه بها لأسباب هى أصل هذا الكتاب وجوهره وإن كنت قادرا بالطبع ٠٠ على الرد عليه ٠٠وكشف سفاهة آرائه بوضوح ٠٠وهذا أيضا فى أصل الكتاب وجوهره ٠٠وإذ كان قد سهل لى مهمتى بأخطائه الفادحة فى آيات القرآن (لغة ومعنى) إلا أننى - يطيب لى أن اتساءل - إذا كان الغرب قد تقدم فى الفلك كما أوضحنا فى شأن (جاليليو) بل وإخترع القنابل الذرية و الهيدروجينية والتلفاز والطباق الطائرة والكمبيوتر ٠٠ والأشعة الحمراء والبنفسيجية ٠٠ إلى آخر هذه الإختراعات العملاقة التى طوعت لخدمة الانسان فماذا اخترع د٠/ نصر أبو زيد ٠٠ حتى يدخل فى جدل مع رجال الدين ؟!! أم على الغرب أن يخترع وعلى الأخرين أن يكفروا ، إنبهارا بما اخترعه الغرب ، إذا كان قد إخترع جهازا يكشف لنا المعادن والبترول فى جوف وطننا بيسر وسهولة ٠ أو اخترع جهازا يشفى أمراض الكبد التى تودى بالآلاف سنويا من أهلنا وأخواننا فى مصر أو أى شىء يثرى بلده أو يدفعه للأمام فالضجة الرعناء المثارة حوله ٠٠ ربما أكبر من أنه إخترع علاجا ناجحا لمرضى الكبد والذى تفشى فى ربوع مصر وفيافيها فأكل الشباب قبل الشيوخ وهلك الانتاج بهلاك هؤلاء وأولئك ، لو فعل ذلك ٠٠ أو حتى دلنا على (الونش) التائة الذى فقد وسط العاصمة عند أعمال أنفاق المترو فى القاهرة لوقفنا معه ضد المعترضين ولبحثنا له ما يؤكد إيمان اختراعاته وترحيب الدين بها بل وسعادة الأمة به ٠

****

ولكن أن يخترع الغرب ٠٠ وأكفر أنا ؟ أى يتقدم الغرب باختراعاته هو ٠٠ ويسجد شكرا للرب فى كنائسة ٠٠ وأنظر أنا لهذه الاختراعات المعجزة ٠٠ فأكفر بالله من فرط انبهارى ودهشتى مما اخترع الآخرون ٠

فهذا ما لا يحتمل ،أبدلا من أن تأكلنى الغيرة بأننا دولة السبعة آلاف سنة٠٠ وكيف يخترع الغرب كل ذلك وأبقى أنا دون إختراعات تسبقه وتتفوق عليه ؟!

أقـوم بـالكفر بنـاء علـى تطـوره هـو فـى إختراعاتـه وتقدمـه٠٠ ألا يكفـى قعـودى و بلادتـى وتواكلـى وانـا أنظـر لهـم كالجثـة الهـامدة بـلا حـراك كـالميت وهـم يسـابقون الزمـن فـى عمـل كـل شـيء ؟ ٠ حتى إمتلأ وجهى بالذباب ، وأنا ساكن كسلان عفن ، لا أنب الذباب حتى عن وجهى ٠

وتكون حركتى الوحيدة، إن أنا تحركت ، لأكفر بالله ٠٠!!!

طبعـا ٠٠لابـد أن يهلـل الغـرب لكفـرى ، ويعتـبرنى بطـلا شـجاعا تقدميـا- مثقفـا ٠٠إلـى آخـر هـذه الأوسمة الكلامية التى لا تغنى من جوع و لا تروى من ظمأ ٠

مـاذا فعلـت لأمتـك يـا نصـر ؟٠٠ لقـد كنـت أكـثر إنتاجيـة عندمـا كنـت تصلـح (التليفونـات) فـى المحلـة أوتقـف علـى حراسـة الأمـن مـع أمنـاء الشـرطة ٠٠ فهـذا وذاك أفضـل مـن أن تعلـم الشـك للجـامعيين فـى دينهـم ٠٠أكثـير علينـا ، ونحـن فـى هـوان التخلـف عـن الـدول قاطبـة ، أن نتمسـك بديننـا الـذى نحـن مفرطـون فيـه ، بقعودنـا عـن ملاحقـة ركـب التقـدم والحضـارة ، المنتشـر حولنـا فـى العـالم؟ أتشـككنا وتشـكك أولادنـا فـى البقيـة الباقيـة مـن ديننـا ؟ الـذى لـو عملنـا فعـلا بكـل مـا جـاء فيـه ، لكـان حالنـا اليـوم أفضـل مـن أى دولـة حولنـا ٠٠ ألا تـدرى أن تلـك البـلاد التـى تقدمـت تعمـل بمـا جاء فى دين الإسلام ؟ فتقدمت ، ونحن الذين ندين به لم نعمل بما جاء فيه ٠٠

٠٠ ويكفينـا هوانـا أن دولـة إسـرائيل بعـد نجاحهـا و قضائهـا علينـا فـى حـرب ١٩٦٧ إذاعـت فـى إذاعتهـا الموجهـة بالعربيـة الآيـة الكريمـة : "كـم مـن فئـة قليلـة غلبـت فئـة كثـيرة بـإذن اللـه واللـه مـع الصـابرين " /٢٤٩ البقـرة ، لقـد عملـت إسـرائيل بمـا جـاء بـالقرآن وإن كـانت لا تؤمـن بـه ٠٠ ونحـن نؤمـن بـه ولانعمـل بمـا جـاء فيـه ٠٠!!! حتـى أن موشـىديان أجـاب وقتهـا علـى سـؤال لـه: لمـاذا لـم تدخـل القـاهرة بعـد الهزيمـة فـى عـام النكسـة فقـال" كـانت القـاهرة تفتـح لـى ذراعيهـا ولكـن كيـف يكـون لـى إطعـام ٣٠ مليـون خـنزير "وكـان المتطـرف اليهـودى / جرونفسـكى قـد قـال " أنـه حيثمـا كـانت هنـاك حـرب فالمسـلمون هنـاك فالمافيـا والدعـارة والإرهـاب كلهـا صناعـة إسـلامية ٠٠ هـذا مـا قالـه الأعـداء ٠٠ وفـى النهايـة تشـكك فـى إسـلامنا ٠٠ أهـذا مـا أسـتطعت أن تقدمـه لأمتـك الإسـلامية يـا نصـر ٠٠ طبعـا لابـد أن يحميـك الغـرب ويفـرح بـك حتـى نكـون وللنهايـة ٠٠ مجتمعـا اسـتهلاكيا لمبيعـات إنتاجـه المتقـدم ؟٠٠ تـرى لمـن يبيـع إنتاجـه إذا تقدمنـا وأنتجنـا ؟٠٠ فلابـد أن ينتج ويتقدم ٠٠ وأتخلف وأكفر أنا ، فيسعد الغرب بنا ٠٠!!

الباب الثاني

نظرية المعرفة ؛ ومعرفة د . نصر

أصل الحكاية

في ٩ / ٥ / ١٩٩٢ تقدم الدكتور نصر حامد أبو زيد ، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة القاهرة بإنتاجه العلمي إلى « اللجنة في العلمية الدائمة» للترقي إلى درجة أستاذ ؛ اجتمعت اللجنة في ٢٨ / ٥ / ١٩٩٢ وتم توزيع هذا الإنتاج على اللجنة الثلاثية لفحص الإنتاج العلمي وهم :-

١ - أ . د **عبد الصبور شاهين** - رئيس قسم اللغويات بكلية دار العلوم / جامعة القاهرة وعضو اللجنة العلمية الدائمة للترقيات ، وهو عالم جليل بحق .. ويعتبر كتابه (تاريخ القرآن) من الكتب التي أثرت المكتبة العربية بصفة عامة، والمكتبة الإسلامية بصفة خاصة . وكذا تراجمه للمفكر الجزائري «مالك بن نبي» .. وأيضا ترجمة كتاب« **العربية الفصحى نحو بناء جديد**» «لهنري فليش» .

٢ - أ . د . **محمود علي مكي** ؛ وكان مرشحاً بدلاً منه في لجنة الفحص أ . د . **شوقي ضيف** وهو «مقرر اللجنة الدائمة للترقيات» ولكنه إعتذر .. وحل محله أ . د . محمود علي مكي .

٣ - **الدكتور / محمود عوني عبد الرؤوف** .

وتلك تسمى لجنة فرعية لفحص الإنتاج العلمي ؛ وأعد كل منهم تقريراً في (الإنتاج العلمي المقدم من د. نصر حامد أبو زيد.. وكان تقريرا أ.د. محمود علي مكي وأ.د. محمود عوني عبد الرؤوف إيجابيين - كما قيل - أي انتهيا بالرأي إلى جواز ترقيته إلى درجة أستاذ ؛ بينما كان تقرير أ.د. عبدالصبور شاهين يعارض ترقيته .

اجتمعت اللجنة العلمية الدائمة لمناقشة تقارير اللجنة الفرعية المنبثقة عنها والخاصة بفحص الإنتاج؛ يوم ١٩٩٢/١٢/٣ وشملت :-

أ .د / شوقي ضيف ، أ.د /أحمد هيكل ، أ.د/ رمضان عبد التواب ، أ.د/ **نبيلة إبراهيم** ، أ.د/ **محمود فهمي حجازي**، أ.د/ محمد عوني عبد الرؤوف، أ.د/ عبد الصبور شاهين ، أ.د/سيد حامد النساج ، أ .د كمال بشر، أ .**د محمود علي مكي** ، أ.دمصطفى هدارة ، أ.دعبد السلام عبد العزيز .

وناقشت اللجنة العلمية الدائمة تلك ؛ تقريري كلاً من أ.د محمود علي مكي ، أ.د/محمود عوني عبد الرؤوف الإيجابيين وتقرير أ.د/ عبد الصبور شاهين السلبي ، فوافق على التقرير الإيجابي أستاذان فقط فضلا عن واضعي التقرير فأصبح عدد المؤيدين لترقيته أربعة أصوات واعترض على الترقية خمسة أعضاء وبإضافة صوت أ.د/عبد الصبور شاهين واضع التقرير السلبي فيكون المعارضون ستة أعضاء والرئيس المقرر وهكذا كانت الغلبة في جانب التقرير السلبي بنسبة ٧ : ٤ وإمتناع صوت واحد .. إلا أن المناقشة احتدمت حتى انتهت إلى رفض الترقية وإرجائها بإجماع الأصوات وإمتناع صوت واحد؛ حتى أن واضعي التقريرين الإيجابيين إنتهيا إلى تأييد تقرير أ.د/عبد الصبور شاهين.. وتسربت أنباء هذا الاجتماع بتفاصيله إلى الصحف ومنها علمنا بهذه التفاصيل .. وكان من اللائق أن لا تتسرب هذه التفاصيل .. صيانة وحماية لسرية المناقشة.. ولكن هذا ما كان.. وكان الصوت الممتنع عن التصويت هو صوت آخر القائمة أ.د/ سيد حامد النساج؛وهذا تلقفته الصحف .. بالحوار .. والمناقشة .. وبهذا وبغيره تمزق ستر المؤسسة العريقة وإنكشف على الغوغاء؛ الحاصل .. أن التقرير النهائي والذي أجمع على إرجاء الترقية أو رفضها حتى يتم التقدم بأبحاث أخرى وإنتاج آخر جدير بالترقية .. أرسل إلى مجلس الجامعة للتصديق عليه وإلى كلية الآداب

/ قسم اللغة العربية باعتبار الباحث د. نصر أحد أعضاء التدريس بها .

لم يصادف تقرير اللجنة الدائمة هذا إرتياحاً أو قبولاً لدى قسم اللغة العربية / كلية الآداب خاصة وأنه انتهى فى توصيته المجمع عليها لإرجاء الترقية بالعبارة التالية «..وبذلك نرى أن الأعمال التى تقدم بها السيد الدكتور / نصر حامد أبوزيد تحتاج إلى إعادة نظر وتنقية ، كما تحتاج إلى إضافة جديدة تتصل إتصالا كاملاً بمواد الدراسة التى تدرس فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب، فالإنتاج المقدم لا يرقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة» .

وتواترت الأنباء .. بأن أ.د/ عبد الصبور شاهين هو الذى صاغ التقرير الختامى الذى أرسل لمجلس الجامعة .. وكلية الآداب على النحو المتقدم .

.. كان عدم إرتياح قسم اللغة العربية ـ فى رأى المؤلف ـ لا مبرر له .. فالجامعة لها أعرافها وتقاليدها التى لابد وأن تحترم من أساتذتها .. ومن عجب أن هذا (العدم إرتياح) لم يكن سلبياً بل اجتمع مجلس الكلية لمناقشة (تقرير اللجنة الدائمة) فى ١٩٩٢/١٢/٧ واجتمع مجلس قسم اللغة العربية/ كلية الآداب وضم كلا من الأساتذة والدكاترة الآتين بعد :ـ

يوسف عبد القادر خليفة / **محمود على مكى** / **نبيلة هانم إبراهيم** / سيد حنفى حسنين / **محمود فهمى حجازى** / أحمد على مرسى / جابر عصفور / طه والدى / شوقى رياض / عبدالله التطاوى / أحمد شمس الدين الحجاجى / سليمان العطار .

.. وانتهوا من اجتماعهم هذا برفض تقرير اللجنة الدائمة للترقيات .. وقاموا بكتابة تقرير بنقد تقرير (اللجنة العلمية الدائمة للترقى) نقداً لاذعاً .. وأوصوا فى نهايته بجدارة إنتاجه للترقية لدرجة أستاذ .. وبالإجماع .. ورفع هذا التقرير إلى مجلس كلية الآداب فى ١٩٩٢/١٢/٩ فأيدته بدورها وأوصت بالترقية فى تقرير أعدته لجنة من أساتذتها ضمت كلا من الأساتذة الدكاترة (مصطفى سويف / جابر عصفور / عبد العزيز حموده / حسن حنفى) ووافق عليه بالإجماع مجلس الكلية فى ١٩٩٣/٢/٢٠ حيث رفع أيضا إلى مجلس الجامعة .

ملحوظة للمؤلف ـ أسرفنا فى ذكر الأسماء.. وكان لنا هدفا فستجد أعضاء بأسمائهم وافقوا على الترقية فى لجان انعقدت.. وهم بذات أسمائهم وافقوا على عدم الترقية فى لجانٍ سبقت.. مما يشكك فى مصداقيتهم.. فهم مع إجماع اللجنة الدائمة برفض الترقية .. وهم بذات أسمائهم مع إجماع مجلس القسم بضرورة الترقى .. وسنترك للقارىء .. أن يراجع مرة أخرى.. الورقة بعاليه .. ويقرر بنفسه وصفه .. لهؤلاء .. !!

كما أن مجلس القسم .. ومجلس الكلية . ليس لأيهما الصلاحيات اللائحية .. لهذه التقارير وهذه الاجتماعات .

واجتمع مجلس الجامعة يوم ١٩٩٣/٣/١٨، فى اجتماع برئاسة رئيس الجامعة آنذاك أ.د.مأمون سلامة ونائبه أ.د/محمد الجوهرى (رئيس جامعة حلوان حاليا) وشمل الاجتماع أموراً متفرقة من بينها تقريرى اللجنة الدائمة للترقى .. وكلية الآداب قسم اللغة العربية.. وكان أمامها أسماء أساتذة .. وقعوا فى كلا التقريرن المتناقضين بذات أسمائهم ..!! فكلية الآداب تلح فى تقريرها على الترقية.. وتنقد تقرير اللجنة الدائمة للترقيات نقدا لازعاً .. ومن بين الموقعين على هذا التقرير الأساتذة/ **محمود على مكى ، نبيلة هانم إبراهيم ، محمود فهمى حجازى ..**

واللجنة الدائمة للترقيات ترى عدم الترقية وإرجائها لحين تنقية البحوث والإضافة عليها كما أشرنا ..

وعلى هذا التقرير وقعت اللجنة الدائمة للترقيات ومنهم أ.د**محمود على مكى** ، **نبيلة هانم إبراهيم** ، **محمود فهمى حجازى** .. فوقعوا مؤيدين عدم الترقية، ووقعوا بأنفسهم مرة أخرى بالترقية.. وأمام هذا العبث كان الرأى لمجلس الجامعة هو اعتماد التقرير الرسمى الخاص برأى (اللجنة الدائمة للترقيات) باعتبارها وفقا للائحة ـ اللجنة المعتمدة رسميا بإعداد تقارير الترقى..

.. وإن كان من حق مجلس الجامعة الأمر بتشكيل لجنة أخرى .. إلا أنها لم تفعل .. واعتمدت التقرير الخاص بتأجيل الترقية لحين تلافى الباحث للملاحظات المبداه .

الصفصاف والسفساف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب معالى الأمور ويكره سفسًافها»

«صدق رسول الله (السفساف ـ الأمر الحقير)

أولاً: السفساف .. ومعالي الدكتور نصر ..

نبذة عن الدكتور نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣ ـ ؟؟) وسيرته الذاتية .. !!

ولد فى «قحافة» قرية بجوار مدينة طنطا وأحد ضواحيها الآن من إقليم محافظة الغربية التابع لدولة «مصر» بالشرق الأوسط .. ويروق له أنه يكني «بأبى زيد الثانى نسبه لما قيل أن هناك رجلاً سبق أن حوكم لردته وكان أسمه (أبى زيد) أيضا .. المهم أن الدكتور / نصر أبو زيد لا أحد يكنيه بهذا .. ويغلب عليه الحديث عن نفسه بإستعلاء فى مواجهة الآراء المعارضة له بما فيها الآراء الصادرة من رؤسائه أو أساتذته ودائماً تجده يطلب من العلم أن يتواضع له .. !! فهو لايتواضع للعلم أو للعلماء أبداً فإن فهم آراء العلماء والفلاسفة أراد أن يطورها ..

وهذا فى حد ذاته مدعاة للإبتكار والتجديد الذى يرى نفسه قادراً عليه فهو يبحث عن مكان له بينهم.. ولكنه رأى أن الزمن يجرى به إلى نهايته ومازال أمله المعقود أن يترك بصمته على الزمن قبل أن يفلت منه الزمام ويجرى مع غيره ويتركه يسكن مع الفناء قابعاً بين جدرانه ، فلابد له من بصمة أو طعنة إن لم يستطع أن يسفح الزمن أو يحل دمه !!

عندما ولد فى العاشر من يوليو من أم ريفية وأب هجر الزراعة لتكاثر الأمراض عليه وعدم قدرته على سبر أغوارها فضلاً عن عدم ملكيته لأرض يزرعها، فانتحى فى دكان صغير فى القرية يبيع فيه الزيت والصابون والملح وبعض الأغراض للفلاحين فى القرية وينحت بمكسبه الصغيرة صخور تربيته لـ«نصر» مع أمه وولد آخر وبنتين هم كل عائلته .

مات عنه بوه وهو فى الرابعة عشر بعد حصوله على شهادة إتمام الدراسة الإعدادية (الأولية) فوقفت أمه بالحانوت الصغير تكافح لتتم مشوار الراحل الحبيب، وألحقته ـ ذلك نصر ـ بمدرسة التعليم الصناعى ـ نحن الآن عام ١٩٥٧ ـ وسارت بهم الحياة قاسية تكشر له عن أنيابها فقد أضطر للوقوف كثيرا بعد عودته من المدرسة بجوار أمه فى الدكان أو لقضاء حوائجها وحوائج إخوته وهكذا حتى إتمامه لمرحلة التعليم الصناعى عام ١٩٦٠ غالبا؛ فهجر أهله وعشيرته حيث تفرقت سبل عيشه فى طنطا والمنصورة ودمياط حتى إلتحق بالشرطة وعمل عاملا فنياً فى لاسلكى بوليس النجدة بالمحلة عام ١٩٦١ وحتى عام ١٩٦٨ حيث استأجر مسكناً صغيراً سكن فيه هناك .

وكان قد استطاع أن يدخر بعض المال من أعمال متفرقه بجانب عمله الحكومى ووجد طموحه الذى أفرزته معاناة حياته الشبابية تفرض عليه أن يخرج من عنق الزجاجة هذا الذى يحياه فاستطاع أن يحصل

على شهادة إتمام الدراسة الثانوية «نظام الثلاث سنوات» بعد إنقطاع تام عن تحصيل العلم عامين كاملين ورأى أن ما يستوعبه من العلم يفوق مجتمعه الذى عايشه ..

ففى «قحافة» كان مفتوناً بعلومه الصناعية بالقياس لما أحيط به من أمية مدقعة فى الجهل هناك.. وفى بوليس النجدة إفتتن بدراسته الثانوية على بعض رفاقه الذين من بينهم رجال كبار السن غاية ما حصلوا عليه هو تمكنهم من التعرف على صور أسمائهم .. ويمكنهم نقشها ـ كما هى ـ ربما دون أن يعرفوا تفاصيل الحروف بمسمياتها .. فقط لينزحوا من تحت نير الأمية رسمياً الراسخين تحته ـ عمليا ـ وعندما استطاع الحصول على شهادة إتمام دراسة التعليم الثانوى كان عمره ٢٣عاماً فكان أعظم شأناً من كل زملائه الذين رافقهم حتى هذه السن سواء رفاقه فى التعليم الصناعى أو رفاقه فى بوليس النجدة.. ولكنه عندما إنضم لكلية الآداب كطالب كان أقرانه فيها لا تزيد أعمارهم عن الثامنة عشرة عاما بقليل .. بفارق سبعة أعوام كاملة فهل أثر هذا التباين فى البناء على تكوين شخصيته ؟! .. هذا ما سيتضح من سلوكه وتصرفاته التى نشير إليها فيما بعد .

وهكذا إلتحق بكلية الآداب / اللغة العربية عام ١٩٦٨ وتخرج فيها عام ١٩٧٢ وكان عمره ٢٨عاماً ونيف فماذا فعل لأسرته فى قحافة .. بعد هذه الرحلة بكل أعبائها .. قال بنفسه عندما سئل : حين مات أبى كانت أختى صغيرة عندها ستة شهور وبعدما تزوجت هذه البنت وأستقرت فى بيتها قررت أمى أن تموت ... !! وقال : كنت أتمنى أن تعيش ولو عام بعد هذا لكى تحج !! فلنحلل وفائه لأمه الأرملة وأخوته من أقواله .

عندما مات أبوه كانت أخته الصغيرة عندها ستة شهور وكان هو عنده ١٤ سنة .. بعد زواج هذه البنت أى بعد قرابة ٢٠عاماً أخرى على أقل تقدير واستقرارها فى بيتها أى بعد عامين آخرين فكان عمره ٣٦ عاماً . (نحن الآن فى عام ١٩٧٩) وكان هو فى الجامعة وأنقضى على عمله بها أكثر من ٧سنوات (٧٢ ـ ٧٩) حتى تاريخ وفاة أمه المحسوب .. فلماذا لم يحقق لأمه طوال هذه السنوات أملها ورغبتها فى أداء فريضة الحج؟! بعد شقائها طوال هذه السنين، ربما لم تكن ظروفه المادية تمكنه من القيام بهذا العمل الجليل .. وربما كان إشفاقا منه على صحة أمه .. وربما..؟؟

ولكن تبقى علامة استفهام تحتاج لتفسير أمام قوله «قررت أمى أن تموت وترحل عن هذا العالم ولا تتصور الألم الذى إعترانى والدكتور إبراهيم يقول لى يا إبنى الست والدتك نقدر نعمل لها عملية وتنجح لكن الست دى قررت تموت ..» !! ويستطرد «قال لى أنت مش مصدق لكن هذا قرار وهذا ليس طبعاً ضد إرادة الله»

يتضح أن هذه السيدة كانت تحمل آلاماً تفوق درجة احتمالها وكانت تعيسه فطلبت الموت حتى وصل إلى حد وصف الطبيب أنه «قرار» . ويشير عدم رغبتها فى الشفاء أنها كانت تشعر بقدر كبير من التعاسة وأن تعاستها تلك أكبر من حاجتها للشفاء .. وإلا لطلبته أو تعلقت به أو تمنته على أقل تقدير، يقيناً افتقدت الأمان .. والإلتفاف حولها .. والعطف والحنان .. بل والعرفان وإلا ما كانت تطلب الموت وتتمناه وتقرره فذلك يعنى علامة استفهام بغير جواب . ؟؟

وتركها الدكتور نصر لقرارها .. ترك أمه تموت لينفذ لها قرارها .. !! فى حين أن الدكتور المعالج قال له أيضاً «الست والدتك نقدر نعملها عملية وتنجح» ولكنه اختار قرار والدته .. دون أن يحاول ..

تلك الهنات .. ليست بالضرورة خارج سياق الموضوع فنحن واجدون كيف تؤثر الحياة على سلوك معايشيها كما أنها تشكل لنا شخصية الدكتور نصر .. ماتت أمه ولم يستمر يعمل بالتدريس بكلية الآداب/ جامعة القاهرة .. وأنما نقل منها إلى فرع الخرطوم بسبب مذكرات كتبها قيل أنه أنكر فيها وجود الله .

وفى سبتمبر ١٩٨١ نقل إلى وزارة الشئون الاجتماعية تاركاً الجامعة والتدريس وعلى هذا يكون عمل

بالجامعة تسع سنين فقط ولست أدرى ـ المؤلف ـ ما الذى ألح على ذهنى فى إرتباط وفاة أمه مقهورة بعدم العرفان بفضلها وبين فصله من الجامعه؛ أن أتذكر قوله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب إرحمهما كما ربيانى صغيرا﴾ ٥٣ / الاسراء .

والحاصل أنه عام ١٩٨٥ استطاع أن يحصل على عقد عمل فى اليابان لتعليم اللغة العربية هناك وعاد منها إلى مصر مرة أخرى إلى كلية الآداب/ قسم اللغة العربية عام ١٩٨٩ وهو نفس العام الذى تزوج فيه الدكتورة إبتهال كمال يونس وهى مصرية لها جذور تركية أقامت فى فرنسا مع عائلتها حينا وتعمل أستاذ مساعد بقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب/ القاهرة .

تقدم دكتور نصر بأبحاثه لقسم اللغة العربية بعد حصوله على درجة الدكتوراه وعمل بوظيفة أستاذ مساعد بغية الحصول على درجة أستاذ؛ عام ١٩٩٢ وقدم كتباً وأبحاثاً لنيل هذه الدرجة ويعمل فى الجامعة منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم .. وعلى ذلك تكون إجمالى مدته فى التدريس بكلية الآداب لا تزيد عن ١٥ عاماً من تخرجه عام ١٩٧٢ وحتى ١٩٨١ ثم منذ ١٩٨٩ وحتى اليوم .

حوم وتحليق فوق كتب دكتور / نصر من الصعب بمكان نشر كل حرف ورد فى أبحاث الدكتور نصر وإن كان غيرنا قد قام بنشر أجزاء ؛ مما كتب ؛ وعلق عليها ؛ فأنت واجد هنا قبساً مما نشر عنه فى صفحات أخر من هذا الكتاب حتى يكتمل للبحث جوانبه؛ ولكنا هنا نحلق فوق تلك الأبحاث والآراء والكتب ففى ذلك رؤية بصفة عامة ؛ وإن كنا منقضين لامحالة على أجزاء من تلك الآراء ؛ ربما لنلقيها بعيدا بعد أن وجدناها لانفع فيها ؛ وربما لنتغذى بها ؛ فليس كل ما فى البحيرة جيفاً لا صلاح فيه؛ وربما إفترسنا بعضاً من تلك الآراء وطرحناها بعيداً بعد أن كنا نحسبها ثميناً وتبين لنا غثاثتها وإن كان حتماً علينا بعد ذلك أن نسبح فى أعماق لم يطرقها غيرنا فى فصول تالية ؛ ذلك أننا نبحث فيما كتب عن براءته من إتهام الردة التى ألصقت به ؛ وأبداً لا نبحث عن أسباب لإدانته .. فإذا كان قد خلص فى أبحاثه بعدم الإعتداد بآراء «الإمام الشافعى» وبعضاً مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أن هذه أو تلك جهداً بشرياً وليس إلهياً وبالتالى تجوز المناقشة وإستخلاص مفاهيم عصرية . فهم بشر ونحن بشر .. ولهم عقل أستخدموه ولنا عقل نستخدمه .. «ونحن أولى بشئون دنيانا» فنرجو أن لا يغضب د.نصر إن نحن ناقشنا ما وصل إليه من رأى وقرار؛ ونرجو ألا ينسى أن له عقل ولنا نحن أيضاً عقل وقد استخدم عقله ونحن ـ فى هذا الكتـاب ـ نستخدم عقلنا ؛ ولنا أن نعارضه أو نتفق معه ؛ تماماً كما يطالب بالعفو عنه لأنه استخدم عقله فيما رآه، أى فيما رآه من أعمال العقل الإنسانى ؛ حتى لو كان هذا فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صحابته أو أئمة الإسلام فليس له والحال كذلك أن يحرمنا مما حلله على نفسه وإلا كان متناقضا فى فكره فهو يدعو إلى [التحرر من سلطة النص القرآنى] بدعوى أن النص الإلهى المقدس (القرآن) فهم بواسطة محمد ـ ﷺ ـ وتناقل إلى الصحابة ، فالأئمة ، فكافة المسلمين ؛ وكل هؤلاء بما فيهم محمد رسول الله ـ ﷺ ـ؛ أصحاب عقول بشرية ؛ فلا أحد يدعى لنفسه صفة الألوهية ؛ فهم جميعاً بشر يملكون عقولاً بشرية وهو أيضاً (د/نصر) بشر يملك عقلا بشرياً فله الحق أيضاً فى أن يتحرر من سلطة النص ـ هكذا يقول ـ وهو يعنى السلطة التى فهم بها هؤلاء القرآن المقدس وتسلطوا بهذه السلطة على كافة المسلمين ؛ فهو يرفض هذه السلطة أو يدعو إلى مراجعتها لتواكب سلطة العصر ؛ وبصرف النظر فسواء أراد أن يستبدل تلك السلطة التى فهمت (النص القرآنى) بسلطة جديدة عصرية يدعو لها بعلماء جدد أو سواء أراد أن يستبدل تلك السلطة بسلطته هو ؛ التى وصل إليها وفهم بها النص القرآنى؛ فهذه أول تلك ستكون أيضاً سلطة عقلية بشرية من حقنا أبتداءً أن نأخذ بها أو نرفضها ؛ فإن كان قد أسقط صفة الألوهية عن السلف ونحن معه بالقطع كما أنها ساقطة أصلاً فلا أحد يدعى الألوهية ممن سبقوا وإن كان يدعى لنفسه صفة عقلية تفوق الصفات العقلية لكل

من سبق من الأقدمين والقدماء بدعوى أنه يتفرد عليهم بإنتمائه لهذا العصر الحديث دونهم فهو معايش لعصر جديد يختلف عن عصورهم القديمة ..

وإذا إفترضنا جدلاً صحة قوله فهذا يؤكد لنا ـ نحن أيضاً ـ حقنا فى أن نسقط عنه صفة الكهنوتية ولنا أيضاًبنفس القدر الذى نفاه عمن سبقوه ؛ أن نأخذ بما حققه فى دراسته أو نطرحه جانباً .. كما لنا أيضاً أن نتحرر (من سلطته التى فهم بها النص القرآنى) أى لنا أن نتحرر من آرائه التى وصل إليها .. برفضها أو قبولها .. بمناقشتها وتمحيصها .. وقبول ما نراه ـ بعقلنا ـ مقبولاً، وأصبح لزاماً عليه أن يقبل بنفس مبادئه وإلا كان متناقضاً مع نفسه كما أننا أيضا نعايش العصر الذى يعايشه ، حيث عندما هاجمه أحد العلماء المتخصصين بأن ما تطرق إليه من مواضيع ليس له من تخصص فيه ؛ وكان ذلك العالم المتخصص وهو الدكتور / **محمد البلتاجى حسن** عميد كلية دار العلوم ؛ كان رد نصر : **(د . البلتاجى حسن معتقد أن التخصص يعنى «حماية» بمعنى «مستعمرة» فلا يصح أن يقترب منها أحد بالعكس ..)**

فهو بهذا الرد ، أتاح لغير المتخصصين أن يبحثوا فى أقوال المتخصصين وإذا كان «نصر» (الغير متخصص) قد سمح لنفسه بالبحث فيما بحث فيه المتخصصون باعتبار أن هذه (المباحث) ليست (حماية) وليست (مستعمرة) .. فمن باب أولى ان من حق أى أحد «غير متخصص» أن يناقش آراءوأفكار وكتابات (د.نصر) الغير متخصص أيضاً .. أى أنه ومن نظرية د. نصر لايمكنه الاعتراض على المعادلة التالية :

بما إن د. محمد البلتاجى (المتخصص) مسموح أن يناقشه د . نصر (الغير متخصص) .

إذن د . نصر (الغير متخصص) مسموح أن يناقشه أى أحد (غير متخصص) من باب أولى .

وقبل أن نسبح فى كتابات الدكتور نصر (لنناقشها بعقلنا) .. ونطرح منها الطالح ونبقى على الصالح فيها ؛ وقد سمحنا لأنفسنا مناقشته فيما كتب ؛ أما هو فقد سمح لنفسه بمناقشة د.البلتاجى فى كتابه (التفكير فى زمن التكفير) وسمح قبل ذلك مناقشة الإمام محمد بن إدريس الشافعى منشىء علم أصول الفقه فى كتابه (الإمام الشافعى وتأسيس الأيدولوجية الوسطية) وسمح لنفسه مناقشة السنة المشرفة والقرآن الكريم فى كتبه الثلاث (مفهوم النص ـ دراسة فى علوم القرآن) و(نقد الخطاب الدينى) و(إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى) قبل أن نسبح فى هذه الكتابات نحلق ونحوم فوق كتاباته لنؤصل أولاً ما كتبناه عنه من أنه لا يتواضع ولا يخضع للعلم ولا لأساتذته وإنما يريد أن يتواضع ويخضع العلم والعلماء له .. !!

ففى حديث للدكتور نصر قال : «**أنا رجل باحث أدرس نظرية المعرفة وأظن أن الدكتور محمد البلتاجى حسن لا يعرف ماذا تعنى نظرية المعرفة .. يعنى كلمة نظرية المعرفة نفسها لو سألته عن معناها لا يعرف الإجابة عليها ... وهذه هى قمة المأساه» أ . هـ .**

هذا ما ذكره دكتور نصر نصاً .. وقد أخذتنى الدهشة كل مأخذ .. فقد عرفت ـ المؤلف ـ نظرية المعرفة على يد د . محمد البلتاجى حسن عام ١٩٦٠ .. كان أستاذاً بدار العلوم بالمنيرة .. وكنت أسكن المنيرة ولما كنت أدعى من بعض أقاربى وأصدقائى لحضور حفل مناقشتهم لرسائلهم العلمية لنيل درجة الدكتوراه فى دار العلوم فقد تعرفت على د . محمد البلتاجى حسن وعلى غيره من ذوى المكانة العلمية الرفعية وأذكر أننا تناقشنا فيما تناقشنا فيه فى نظرية المعرفة وكان له رأى فى اوضعيها .. وبالقطع الذى لا مراء فيه كان عارف لها ومن مصادافات الزمان .. أننى قابلته بعد ذلك وعرفته عن كثب وكذا لفيف من أساتذة الفقه والشريعة منهم من قضى نحبه مثل د . زكريا البرى وزير الأوقاف الأسبق ومنهم من ينتظر مثل د . بنت الشاطىء و الدكتور / سليم العوا والدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية والدكتور محمد عصفور إبان الطعن الدستورى الشهير الذى قدمته للدكتور عوض المر رئيس المحكمة الدستورية العليا ..

الحاصل أننى عندما اقتربت من الدكتور محمد البلتاجى حسن عن كثب ذكرته بمحاضرته التى سمعتها منه بدار العلوم عام ١٩٦٠ والتى تناول فيها نظرية المعرفة بتشوق أثير دفعنى لإقتناء موسوعات فلسفية كثيرة لأستزيد منها وأتعرف على غيرها وفى ذلك الوقت كان الدكتور نصر ـ حينها ـ فى مدرسة الصنايع يساعده أمه فى الحانوت ؛ ومن عجب ـ أن د. نصر.. عندما قرأ عنهاحديثاً .. تصور أن غيره لم يسمع عنها قبله بما فيهم ـ الأساتذة الأجلاء ـ الذى لم يكن ـ حتى ـ تلقى العلم عنهم .. فلم يكن وقتها جديراً بأن يتتلمذ على أيديهم .. لصغر سنه وهذا مالا شأن له فيه .. ولكنها جديرة بالملاحظة ومن عجب أنه عندما عرفها بافتراض صحة إدعائه ـ راح يشيع بغير دليل ـ أن غيره لا يعرفها بل ويؤسس حقائق ثابتة على هذه الشائعة بأن عدم معرفة أساتذته بها مأساة .. ومع ذلك فلم يعرفنا بماهية نظرية المعرفة.. ولا لخص عنها .. كمافهمها بعقله البشرى .. وربما تصوراً منه أن ما فهمه منها .. يشق على غيره أن يفهمه ؛ فربما نسى .. أن الله خلق لنا عقلا بشرياً .. يفهم .. ويناقش .. ويستخلص النتائج.. كسائر عقول خلق الله .

لذلك نفرد جانبا غير قليل .. ليعلم الكافة ما هى نظرية المعرفة .. ونحن واثقون من معرفة الخاصة بها .. ونسوقها خاضعين لكل تعديل يرى العلماء مناقشتنا فيه ..

نظرية المعرفة .. ومعرفة الدكتور نصر

ـ نظرية المعرفة ـ

ويطلق عليها Epistemeloge وهى مشتقة من الكلمة الإغريقية Epistemc = المعرفة/ العلم.

وهى ثمة مجموعة جد متنوعة من المشكلات الفلسفية ليس بينها رباط وثيق تتعلق بأفكار من قبيل المعرفة والإدراك ، والتيقن ، والتخمين ، والوقوع فى الخطأ ، والتذكر ، والتبين ، والإثبات ، والإستدلال والتأكيد ، والتعزيز ، والتساؤل ، والتأمل ، والتخيل ، ورؤية الأحلام ،... إلخ وهذا الجزء من الفلسفة كثيراً ما يسمى بنظرية المعرفة أو «الابستمولوجيا» .

ويـدور بعض هــذه المشكلات حــول فكـرة العلـم بالمعنــى الذى نعد به علم الفلك علماً، ولا نعد التنجيم كذلك.. وثمة مشكلة نموذجية إلى حد ما من هذا النوع ، هى مشكلة تعليل قيام براهين قاطعة على النظريات فى الرياضة البحتة ، فى حين أن مثل هذه اليقينيات القابلة للبرهان تنتفى تماما عندما نتناول علم التاريخ أو الطب على سبيل المثال ، على أننا ـ المؤلف ـ نميل إلى أن نرى أن مجموعة من الحقائق لا تعد علماً حقيقياً إلا إذا تأكد صدقها على نحو قاطع .. وعلى كل ـ فإذا قسنا العلوم بهذا المعيار ـ فإن علم الفيزيقا والكيمياء لا يعد علما بالمعنى الحقيقى ، وهذه نتيجة تتعارض تعارضاً شديداً مع أفكارنا المألوفة .

.. وبعض الإشكاليات الأخرى فى «نظرية المعرفة» لا تدور حول فكرة «العلم» وإنما تدور حول «الأفكار» التى تتعلق بما نقوم به نحن من عمليات مثل البحث / الإستدلال / الإدراك / التذكر/ التخيل . فعلى سبيل المثال : كيف يمكننى أن أعرف **على نحو يقينى** إذا كنت أتذكر حقا حادثة ما مضت .. أم أن الأمر لا يعدو أننى **أتخيلها فحسب** .. ولا وجود لها فى واقع الماضى، أو ما الذى يؤكد لى على نحو يقينى أن العصا المغموس نصفها فى السائل ليست منكسرة فى الحقيقة .. وأن ما أراه إنما هو إنكسار السائل .

فإن كنا فى الحقيقة ـ فعلا وواقعا ملموساً ـ نجد من يخطىء فى التصويب فى الرماية ومعالجة المرضى والتهجى .. فماذا لدينا إذن من ضمانات تقينا من الأخطاء فى التذكر أو تقديراتنا البصرية للسرعات والمسافات أو فى تعرفنا على الأشخاص والأماكن أو فى العد أو فى الحساب أن محاولتنا الكشف عن حقائق الأشياء قد تفشل ـ على نحو أو آخر ـ أياً ما كانت الأشياء التى قد نريد الكشف عنها ؛ فقد نخرج من محاولتنا صفر اليدين . أو أننا قد نحصل على شىء لانتردد فى الحكم عليه بالخطأ .. فقد نندحر دون غايتنا .

كيف يمكننا إذا كان هذا ممكنا على الإطلاق - أن نعرف أى شىء كائناً ما كان ؟ لأنه لا يجوز لنا فى المعرفة - على خلاف الاعتقاد والظن والشعور بالطمأنينة - أن نرتكب الأخطاء .

إلى هنا لم نكن - المؤلف - نعرض نظرية المعرفة بقدر ما كنا نعيد من جديد - بناء نمط من التفكير كان سائداً فى كتابات (لوك) و(باركلى) و(هيوم) بصفة خاصة .. فلقد قارنا بين إدراكاتنا الحسية وإستدلالاتنا المعرضة للخطأ ، وبين معرفتنا بما يوجد وما يحدث فى العالم المحيط بنا مقارنة انتهت بنا إلى نتيجة مخيبة لآمالنا ، هى أن هذه المعرفة تبدو فوق متناول أيدينا إلى الأبد . فتلكم الأمور ذاتها التى نلتقى بها فى واقع حياتنا اليومية ، والتى كثيراً ما نستشهد بها بوصفها أمثلة جلية لما نعرفه من أشياء ولا يقتصر الأمر على تخمينها أو اتخاذ رأى معرض للخطأ فيها - كأن نعرف أن طائر (الوقواق) قد وصل إلى إنجلترا فى طريق هجرته مثلاً فى زمن معين، ولكن قياس الزمن نفسه قد يختلف من شخص إلى شخص كما، أن صوت (الوقواق) قد يظنه البعض أنه لذات الطائر ينبىء عن وصوله .. ويكون الصوت لطائر غيره .. أو يكون هو من طول الانتظار تصور أو تخيل أو خمن أنه سمع صوت (طائر الوقواق) ولا يكون هناك فى الحقيقة أى صوت صدر لأى طائر .

.. وكذلك الحال فى قياس ارتفاع برج عن آخر فلابد أن نواجه ثمة أخطاء فى قياس ارتفاع البرجين : أقول أن تلكم الأمور ذاتها لا تكاد تصمد حتى تحقق لنا ما علقناه عليها من آمال . إذ يبدو أن الأساس الصلد من الانطباعات الحسية التى هى على مناعة من الخطأ ، لا يحتمل أن يبنى فوقه أى بناء من (المعرفة) فالفارق بين أن نعرف شيئا ما فى العالم المحيط بنا وبين أن نرى مجرد رأى ؛ معرض للخطأ فى هذا الشىء هو أن **المعرفة** تدعمها الانطباعات الحسية من جميع النواحى ، بينما الرأى المعرض للخطأ وإن كانت الإنطباعات الحسية هى التى أوحت به .. إلا أنها لا تدعمه إلا على نحو جزئى على أحسن تقدير؛ فحيث أكون مخطئاً بالفعل أو حيث يحتمل أن أكون مخطئاً ، فإنما أكون قد سمحت لخيالى أن يقفز مستبقا ما تقتضيه المعرفة الحقة من إنطباعات .

هذا التفسير الذى قدمناه للفارق بين المعرفة والرأى المعرض للخطأ ، لا يمكن تطبيقه فى مجالات الحقائق والأكاذيب المجردة المحضة ، كتلك الحقائق التى تجدها فى مجال الرياضة البحتة، ولا يمكن تطبيقه فى بعض الميادين كميادين الدراسات الأخلاقية ، بل معرفتى برغباتى ومخاوفى وتخيلاتى وخواطرى الحالية لا يمكن أن ترتكز على دعامة مما أبصر بعينى وأتذوق بلسانى ، إذ يبدو أن الإنطباعات الحسية لا تقدم الأسس الراسخة إلا لمعرفتنا بما يوجد وما يحدث فى العالم المحيط بنا فحسب ، ولمعرفتنا بما يوجد وما يحدث فى أبداننا أيضا .

على أن الواقعة التى نزعم أننا نعرفها فى أية حالة نصادفها فى هذا الميدان ، فنزعم كالمعتاد أن معرفتنا بها ليست مجرد تخمين لشىء ما أو اعتقاد فى شىء ما . ولكننا قد استكشفنا شيئا ما أو تيقنا منه - أقول إن هذه الواقعة التى نزعم أننا نعرفها إنما تتجاوز نطاق أى إنطباع بصرى أو سمعى محدود بلحظته .

فأنا إذا قررت أن طائر (الوقواق) قد وصل ، إنما أقرر ما هو أكثر من أننى فى لحظة بعينها قد سمعت صوتا من نوع بعينه ، فكيف يمكننا إذن أن نجاوز نطاق إنطباعاتنا الراهنة ونزعم مع ذلك فى بعض الأحيان **أننا نعرف** ؟ الإجابة الطبيعية على هذا السؤال هى أننا «**نستدل**» من الصوت الذى سمعناه مثلا نتيجة تتجاوز ذلك ، هى أن الطائر قد وصل ، فمعرفتنا بالعالم المحيط بنا بالإضافة إلى آرائنا التى هى مجرد معتقدات أو تخمينات فيما يتعلق بهذا العالم ، هى جميعا أكداس من النتائج المتشابكة التى إستدللناها من إنطباعاتنا الحسية على نحو مشروع تاره، وعلى نحو جزافى تارة أخرى ، وعلى نحو غير مشروع تارة ثالثة.

لكن **المعرفة** - على خلاف الاعتقاد والتخمين - لابد أن تكون نتاجاً للإستدلالات المشروعة وغير الجزافية فحسب ؛ لكن ماذا يضمن لنا - إذا كان هناك أى شىء على الإطلاق يضمن لنا - ألا يكون فى إستدلالاتها ذاتها أخطاء ؟ إذ حتى لو كانت إنطباعاتنا الحسية التى نستدل منها خلوا من الهفوات ، فإذ

الاستدلالات التى نستمدها من هذه الإنطباعات ليست خلواً من الهفوات .

فإذا كانت الحقائق اليقينية التى فى متناول أيدينا هى فى حد ذاتها فارغة من الأخبار عن الواقع بحيث لا يمكن أن تتيح لنا معرفة بالعالم كما هو واقع بالفعل ، وإذا كانت الإنطباعات الحسية فى حذ ذاتها هى التوخى بحيث لا تقدم لنا إستدلالات جديرة بالثقة عما يوجد ويحدث بالفعل فى العالم والواقع - أقول فإذا كان الأمر على هذا النحو- لم يكن أمامنا إلا مهرب نتقى به نتيجة محزنه هى أننا لا نستطيع - فيما يبدو أن نعرف نتفة واحدة مما نريد فى شغف شديد أن نعرفه . هذا المهرب هو الطريق الذى أقترحه (**كانت**) ، إذ لا يكفى أن تجعل **المعرفة** بما يوجد ، وما يحدث أساسها ما هور صورى وبالتالى ما هو غير قابل للتناقض من حقائق العقل الخالص ، كلا ، ولا يكفى أن نتخذ أساسها من الإنطباعات الحسية التى يدخل عليها تفسير فتكون بالتالى على مناعة من الخطأ ، ولكن ينبغى أن نتخذ المعرفة أساسها من كل من حقائق العقل باعتبارها مبادىء تنظم الإنطباعات الحسية ، ومن الإنطباعات الحسية باعتبارها المادة الخام التى تنظهما حقائق العقل .

فبفصل تطبيقنا لما فى العلوم المجردة من يقينيات صورية على ما تحصل عليه (من إنطباعات) عن طريق الإبصار المحض والسمع المحض .. إلخ ؛ يمكننا أولاً أن نستخرج شيئا - أى شىء - من إنطباعاتنا الحسية ، ثم يمكننا ثانيا أن نعزل ما يوجد وما يحدث حقا عما نفترض أنه (موجود وحادث إفتراضا) غير متثبت وغير مصيب فى أغلب الأحوال . إلا أننا رغم ذلك ما نفتأ بطبيعة الحال نقع ضحية للأوهام والفروض المتسرعة ؛ لكننا نعلم من حيث المبدأ كيف نراجع هذه الفروض وكيف نصححها .

إننا نعرف مناهج التحقق من الفروض.، والمبادىء التى يقوم عليها ما نتبعه من طرائق فى التحقق من صدق الفروض، هى حقائق العقل الخالص المجردة ، وقد اتخذناها قوانين لنا نحقق بها الموضوعية فى بحثنا التجريبى للعالم المحيط بنا . فالعقل الخالص لايدلى لنا بخبر عن أمور الواقع ، لكنه - كما يقال - يسبغ المضاء على مقاييسنا الماضية ، أى (يسبغ النفاذ) .

ونحن حينما نجاوز مرحلة الإحساس المحض ، وهى مرحلة طفلية (من طفل) ، إلى المرحلة التى نحاول فيها أن نتحقق من الأشياء ، فإننا لا نهتدى فى أبحاثنا بمثل أعلى من المعرفة المعصومة من الخطأ ، بل نهتدى بطرائق فعالة لتمحيص الفروض : وإن لم تكن هذه الطرائق واضحة الصياغة فى بادىء الأمر . إننا حينئذ نأخذ فى النظر والشعور والإصغاء على نحو تجريبى منهجى متشكك، ولئن كنا نقع فى كثير من الأخطاء ، فإننا نبدأ فى اتخاذ إجراءات وقائية لدرء الأخطاء وإجراءات علاجية لتقويمها . وهنا نصبح على وعى بالتعارض بين ، (ماهو واقع حقيقى) ، وبين (ماهو ظاهرى) إذ نتمكن من الطرائق الفنية المعقدة للفصل بينهما . هنا نأخذ فى استخدام أعيننا وأصابعنا وآذاننا بشىء من الفطنة، ولا تصبح عمليات الإبصار والسمع لدينا ممارسة لحواسنا فحسب . بل تصبح ممارسة لعقولنا أيضا . أما فيما يتعلق بما نقع فيه رغم ذلك من أخطاء إدراكية كثيرة . كأخطائنا فى التقدير والتعرف وكأخطائنا الناتجة عن عدم التمييز بين الأشياء فإننا نتخذ منها موقفاً سديداً. فلا نرى أننا كنا بصددها صما أو عمياً ، بل أننا كنا من الحمقى ، فالإدراك الحسى لا يستدعى الحس فحسب ، بل يستدعى الجانب العقلى أيضاً ، وإن لم يستدعى - إلا فى حالات إستثنائية - عمليات إستدلالية عقلية صريحة .

إننا ما نفتأ دائماً عرضة لامكان الوقوع فى أخطاء ، لكن فى مقدورنا دائماً إمكان كشف الأخطاء وتقويمها ودرئها قبل وقوعها ، **ذلك أن الفطنة فى حقيقتها ليست هى أن نكون معصومين من الأخطاء** ، بل هى أن نعرف كيف ندرأ الأخطاء قبل وقوعها . فما يوجد وما يحدث فى العالم المحيط بنا قابل - من حيث المبدأ - لأن تعرفه مخلوقات تتمتع «بالحس» و«العقل» معاً؛ أى مخلوقات يمكنها أن تمحص الأمور بفطنه .

ومن المهم أن نأخذ حذرنا من ميل راسخ فينا جميعاً ، وهو أن نتصور الناس وكأنهم ـ كالمحلات التجارية الضخمة ـ مقسمون إلى أقسام ، فترانا نميل إلى التحدث عن الأشخاص كما لو كان الشخص يتألف ـ بطريقة أو بأخرى ـ من موظف أو وكيل فى داخله يسمى (عقله) وآخر يسمى (ذاكرته) وثالث يسمى (خياله) ورابع يسمى بصيغة الجمع (حواسه) أو بصفة المفرد «بصره» «سمعه» وهلم جرا . والواقع أن باستطاعتنا أن «نميز» دون أن نجاوزالصواب هذه القدرات وغيرهامن القدرات الإنسانية العديدة ، **فقد تكون ذاكرتى فى طريقها للتلف بحكم تقدمى فى السن، فى حين أن بصرى وسمعى ما يزالان من الصلاحية كما كانا من قبل ؛ بل ولقد تكون قدرتى على الحساب أو الحجاج فى** تحسن؛ والدروس والمثيرات والتمرينات التى تنمى قوى الموسيقارالناشىء تختلف كل الاختلاف عن تلك التى تنمى قوى المهندس الناشىء أو عالم الهندسة الناشىء ، أو هى تختلف بطبيعة عن تلك التمرينات التى تنمى قوة السباح الناشىء أو لاعب الإنزلاق الناشىء ؛ ولكن مكمن الخطورة هو أننا قد ننزلق من التفرقة الصحيحة بين ذوق عازف الكمان الموسيقى مثلاً وبين مهارته اليدوية ، إلى تشخيص «ذوقه» و«مهارته اليدوية» وكأنهما موظفان فى داخله كل منهما قائم بذاته ، ومن ثم نربك أنفسنا بأسئلة من قبيل : هل العلاقة بين ذوقه ومهارته هى علاقة السيد بالمسود ، أو هى علاقة الشريك بشريكه ، أو هى بالأحرى علاقة الغريم بغريمه ؟

وكثيراً ما أثيرت أسئلة شبيهة بهذه الأسئلة فى ميدان **نظرية المعرفة** ، فقد تساءل الناس عما إذا كنا نتلقى المعرفة عن طريق **عقولنا** أم عن طريق حواسنا ، وما إذا كانت أخطاؤنا ترجع إلى **حواسنا** أم خيالنا ، وكان تلك القدرات التى يمكننا أن نفرق بينها هى ذاتها فريق من الباحثين؛ كل منهم كأنه شخص قائم بذاته، ويدب بينهم الشجار داخل عقولنا ، ويقدمون لنا ـ نحن مستخدميهم ـ تقارير متضاربة عن العالم .

ولكن الواقع هو أننا نحن الإناس العاديين الذين نحاول أن نتحقق من الأشياء ، وعلى الرغم من أننا قد نتفاوت فيما بيننا ـ ما فى ذلك شك ـ من حيث الإبصار والسمع والذاكرة والفطنة والقدرة على الإبتكار ، وفى قدرتنا على الإحصاء وتنسيق الأفكاروالتجربة وما إلى ذلك . فإن هذه القدرات التى يمكن التفرقة بينها ليست هذ ذاتها كائنات منفصلة تقوم بالملاحظة والتجربة والإحصاء والبحث النظرى ، أو تقوم بتقديم التقارير . ولقد نقول على سبيل التوضيح بالمجاز أن أبصارنا تنبئنا بمعلومات عن الأشياء ، وأن آذاننا أو ذاكرتنا قد قدمت إلينا تقارير كاذبة وأن عقولنا قد أقنعتنا ، وأن خيالنا قد ابتكر الأشياء ، بل ولقد نقول أن ضمائرنا تؤنبنا؛ ولكن لا مناص لنا من المناقشات النظرية الجادة من أن نتجنب هذه التعبيرات المشخصة المغرية .

معنى ان يكون لدى المرء افكار :

إذا كان هناك شخص لم يأكل «ثمار الأناناس» مثلاً فهل يمكنه أن يميز طعمه ؟ بالقطع لا .. أو كان لم يتعلم ماذا عساه يعنى «متساوى الساقين» فى علم الهندسة مثلا .. فهل يمكنه إثبات ذلك..؟ بالقطع لا وإذا كان لم يتعلم لعبة «الشطرنج» فهل يمكنه فهم كلمة «الملك مات» عندما يسمعها ؟ بالقطع لا .. وهكذا

وقد يستطيع هذا الشخص ـ فيما بعد ـ أن يتعلم هذه الأشياء ، تلك حقيقة لا نشك فيها ، لكننا نتعرض حينئذ لإغراء يدفعنا إلى أن نحتذيه فى نظريتنا عن **المعرفة** وهو ما قد يسمى بـ(طراز الوعاء الحاوى) . وبناء على النموذج السابق ـ لابد أنه قد حدث فى الفترة التالية أن وجد فى داخل هذا الشخص الذى كان عاجزا عن تمييز مذاق (الأناناس) من قبل ـ شيء ما يسمى بـ«فكرة مذاق الأناناس» والفكرة المجردة أو المعنى أو المدرك الخاص (بمتساوى الساقين) فكأن الأمر شبيه بقفص طيور كان خاليا فيما مضى لكنه فى الوقت الحاضر قد أصبح يحوى (عصفورا) .. فالوعاء أصبح يحوى فكرة مذاق الأناناس أو فكرة (متساوى الساقين) .. إننا نميل إلى أن نفترض أن فى إمكاننا ـ بل وعلينا ـ أن نمعن النظر فى داخل عقولنا لنرى ما إذا كانت هناك الفكرة التى حصلناها أو المعنى الذى حصلناه أم ليست (أو ليس) هنالك .

لكن من المستحيل بطبيعة الحال أن نتصور «مذاق الأناناس» بـ«لسان العقل» إذا كنا نتصور ذلك إنما نتصوره على نحو من الإبهام ومع ذلك فمن المرجح إلى حد بعيد أن نتصور (مذاق الأناناس) من مذاق البرتقال أو أيا من الثمار الأخرى .. ونستطيع بإزاء شكل ثلاثى الأبعاد أن نقرر ما إذا كان هذا الشكل متساوى الساقين مثلاً أم غير متساو : فنحن قد تعلمنا ـ ونحن نعرف الآن ـ مذاق الأناناس وماذا يعنيه «متساوى الساقين» دون أن يوجد «فى داخل عقولنا» أى شىء نلقاه حين نمعن النظر فى عقولنا، فالواقع أن التعلم هو إكتساب أو تحصيل شىء ما ، لكن ما نكتسبه ليس شيئاً ، إنما هو قدرة من قبيل القدرة على تمييز مذاق ما عن غيره من المذاقات ، أو القدرة على تصنيف الأشكال الهندسية إذا عرفنا أبعادها .

وحينما يريد المدرس أن يتبين ما إذا كان أحد التلاميذ قد تمكن من تحصيل فكرة «العدد المربع» أو فكرة «الجذر التربيعى» فإنه يختبره فى بعض المشكلات الحسابية فإذا استطاع حل هذه المشكلات كانت لديه فكرة، وإذا لم يستطع بعد أن يحلها لم تكن لديه الفكرة ، وذلك معنى أن يكون لدى المرء أفكار .

الكيفية التي نكتسب بها أفكارنا:

سؤال له إجابات مختلفة بقدر ما نكتسب من أنواع مختلفة من القدرات العقلية . فنحن لا نألف مذاق الأناناس عن طريق تذوق ثمار الأناناس فحسب ، بل بتذوق كثير غيرها من أنواع الثمار أيضاً بالمقارنة بين هذه المذاقات ، بل ولعلنا لا نألف مذاق الأناناس إلا إذا حاولنا أيضا ـ وفى هذا ما فيه من الصعوبة البالغة ـ أن نصف بالألفاظ هذه المذاقات المختلفة ، ونحن لا نحصل فكرتى (العدد المربع) ، «الجذر التربيعى» إلا حينما نتعلم .. وعلى نحو شبيه بهذا علينا أن نقدم تفسيرات من أنواع مختلفة للكيفية التى نكتسب بها أفكاراً من مثل «كش الملك» و«الملك مات» و«القولت» و«خط الاستواء» و«المخاطرة» و«الاستحالة» و«غدا» و«الدين» وما إلى ذلك .

والنظرية التى ترى أن جميع أفكارنا تنشأ عن إنطباعاتنا الحسية هى .. وإن تكن غير مجدية فى تفسير «منشأ الأفكار» ـ صحيحة بما فيه الكفاية ؛ إذا كانت تقتصر فى معناها على أن الطفل الذى يولد أعمى أصم محروما من الحواس، لا يمكنه أن يتعلم شيئا على الإطلاق ؛ لكنها تغدو نظرية باطلة إذا كانت تعنى أننا نحصل على فكرة «الجذر التربيعى» أو فكرة «غدا» مثلاً بنفس الطريقة التى نحصل بها فكرة «الأناناس» بل إننا لا نحصل على هذه الفكرة الأخيرة بأن نتلقى إنطباعاً ذوقيا فحسب لمرتين أو ثلاث مرات ، ولكن بأن نتلقى الإنطباع ونتنبه إليه ونقارنه بغيره من المذاقات ، بل ولعلنا لا نحصل على هذه الفكرة إلا بأن نصوغ ما بين هذه المذاقات من أوجه شبه وأوجه خلاف فى ألفاظ ؛ ذلك أننا إذ نتعلم شيئا ـ بالغا ما بلغت بساطته ـ من إنطباعاتنا الحسية ، فإنما نكتسب على الدوام ما هو من مجرد تلقى هذه الإنطباعات ، إذ نكتسب القدرة على أن نواجه ـ إلى حد ما ـ بعض أنواع المهام أو المشكلات بالغا ما بلغت أوليتها .

ومن الشائع أن يقسم الفلاسفة «**المعرفة**» إلى فلاسفة «**تجريبيين**» مثل «**لوك**» «**وباركلى**» و«**هيوم**» وفلاسفة **عقليين** مثل «**أفلاطون**» و«**ديكارت**» و«**سبنيوزا**» و«**ليبنتز**» .. ويذهب التحريبيون ـ فيما يقال ـ إلى أن جميع أفكارنا مصدرها الخبرة ، بينما يذهب «العقليون» إلى أن بعض أفكارنا لا تنشأ عن الخبرة بل عن العقل أو الفكر .

وإن كنا ـ المؤلف ـ نرى أن لا فكرة بدون عقل أولاً أو عقل وتجربة وقبل أن نشرع فى الإيضاح يهمنا أن ينتبه قارئنا إلى أن نموذج «الأناناس» الوارد فى هذه النظرية هو نموذج «هيوم» ومصدر إثباته لنظرينه فى أن الأفكار مصدرها الخبرة .. وإن كنا نعارضه ههنا ـ المؤلف ـ فلنا دليل عملى يمكن لكل قارىء تجربته .. لنثبت نحن أبناء مصر مقدرتنا على هدم نظرية «هيوم» وسائر «التجريبيين» حيث ثبت عميا أن جميع القطط فى كل بلدان العالم تحفر لنفسها عند قضاء الحاجة وعندما تنتهى تلتفت وتهيل التراب .. وقد شاهدت قطة ولدت عمياء وماتت عنها أمها صغيرة فقمت برعايتها .. وفعلت نفس الشىء .. دون أن يعلمها أحد .. ذلك عندما كنت فى بيتنا بقريتنا «القنايات شرقية» لذلك أميل للاختلاف .. وأتصور أن العقل أساس الأفكار ومستودعه ولابد أن يكون «لكروموزومات الوراثة والچينات الوراثية» الأثر الفعال وربما الوحيد فى شأن

تصرف القطط .. ومن هنا أتصور أن للوراثة عاملاً حاسماً فى ابتكار الأفكار من العدم.. وهذا لا ينفى بالقطع أثر التجربة أو الخبرة أو التعليم .. كما أتصور أن الأطفال فى المدارس تتفاوت نتائجهم بالرغم من وحدة المواد ووحدة التحصيل ووحدة المعلم ووحدة ساعات الاستذكار ووحدة الرغبة فى الانتباه والتفوق بسبب عوامل الوراثة .. وهذا لا يناهض الواقع فى بعض الأحيان .. فقد نجد أن ابن العالم (المتعلم) فاسداً أو متعثراً فى تحصيل العلم .. وابن الجاهل فى بعض الأحيان عالما متميزاً .. ذلك لأمرين .. فإما أن يكون ابن العالم لم يأخذ من أبيه صفات الوراثة ولكنه أخذها من أمه أو أحد الفروع الأخرى .. وبالتالى فلا عجب أن يكون كل أخوته نابهين دونه .. لأنهم جميعاً قد أخذوا صفاتهم الوراثية من أبيهم دونه وإما أن يكون ابن العالم.. كأبيه تماماً فى سوء التحصيل .. ولكن الأب تغلب على سوء تحصيله للعلم الناتج من صفاته الوراثية المكتسبة بمداومة التحصيل والصبر والمثابرة وظروف معيشية وحيلتيه ألزمته أن يحفر الصخر ليخرج من عنق زجاجة واقعه المعيش السيء فكان (العالم) ظروفه المعيشيه سيئة فى الأصل فكافح كفاحاً مريرا .. (رغم غباء أهله وعدم وجود أى صفة وراثية تساعده على الابتكار والتحصيل) .. فوصل .. إكتساباً .. أما ابنه (ابن العالم) فقد وجد نفسه فى عيشة رغدة فاستسلم لصفاته الوراثية فلم يفلح .. والعكس بالعكس فى مثال ابن الجاهل الذى أصبح عالما .. فربما صفات الابتكار للأفكار متوفرة فى عقله من «كروموزومات الوراثة» والچينات الوراثية التى يتمتع بها والده الجاهل .. ولكن سبب جهل والده كان لعدم قدرة جده المادية لتعليم الأب .

فالعقل أولاً قبل الخبرة والتجربة .. والخبرة والتجربة ثانيا بعد العقل الذى هو ـ فى ظنى ـ أغلى ما يملكه الإنسان أتفهمنى يا دكتور نصر .. !! ولكن يبدو أن علم الوراثة لم يكن متقدما عندما تعلم د . نصر نظرية المعرفة عن أصحابها الذين كتبوها عام (١٧١١م) كما هى متقدمه فى عالم اليوم . نعود ـ المؤلف ـ مرة أخرى إلى نظرية المعرفة كما هى فى الكتب التى يفخر د نصر أنه يعرفها وهى من نبت أفكار اليهودى التجريبى (هيوم ديڤيد) الذى ولد عام ١٧١١م ومن عجب أن د. نصر يحاول أن يطبق ما جاء فيها على واقعنا المعاصر بدعوى الحداثة فيجرنا هذه المرة أكثر من ٢٨٤ سنة إلى الوراء (١٩٩٥ ـ ١٧١١ = ٢٨٤سنة) والغريب أنه يعترف أنه يطبقها على أفكار الإمام الشافعى أى يأخذ أفكار (ديڤيد) اليهودى مقياساً لصحة أفكار محمد بن أدريس الشافعى المسلم والإمام ومنشىء علوم أصول الفقه وصاحب أحد المذاهب الأربعة فى الإسلام .. !! ونحن ـ المؤلف ـ ننقل نظرية المعرفة هنا من ثبت مراجعها الأجنبية وتجد إشارة لنا أن نحن تدخلنا بالرأى فيما نطرحه على القارىء فى نظرية المعرفة .. والآن نعود إليها مرة أخرى، ولكن إلى ما ينتهى هذا الصراع الظاهرى الذى يشبه لعبة شد الحبل ؟ وما معنى «تنشأ عن» ؟ وما معنى «الخبرة» ؟

تستخدم «العبارة الحسية» لتشير إلى مجرد تلقى الإنطباعات الحسية ، وفى هذا الاستخدام يتحدث الفلاسفة أحياناً عن خبرة حسية جزئية هى بنت لحظتها وعلى نقيض هذا المصطلح الفنى، ترانا نستخدم ـ فى أغلب الأحوال ـ كلمة «الخبرة» على نحو آخر بحيث تدل على المران المستمر أو المتكرر لشىء ما .

فقد يكون للاعب الشطرنج ـ بناء على هذا ـ حظ قل أو كثر من الخبرة فى لعب الشطرنج؛ لكن لا يجوز له أن يصف نفسه على أنه ذات يوم فيما بعد الظهيرة قد نلقى خبرة فى لعب الشطرنج؛ فالخبرة فى هذا الاستخدام هى ما يجعل الشخص أكثر دراية عما كان . فهو قد تعلم بأنه مر بقدر بعينه من المران . والخبير فى رئاسة المجالس ، هو الذى قضى وقتا طويلاً فى مركز الرئاسة وفى عديد من المواقف التى تتفاوت فى عسرها .

أن قولنا إن جميع ألوان المعرفة ـ جميع أنواع الدربه والكفاية على سبيل المثال ـ تنشأ نتيجة للخبرة بالمعنى الثانى ، أى نتيجة للتدريب والمران ، أقول إن قولنا هذا حقيقة لا جدال فيها على الأقل إذا تحفظنا عليه بشكل مبدئى ، هو أن كثيراً مما نتعلمه يأتى عن طريق ما نتلقاه من الآخرين من تعليم . لكن هذا ليس مرادفا على الإطلاق لقولنا إن ما نعرفه ـ أيا ما كان ـ لابد أن يكون مستدلاً من مقدمات تزودنا بها فى التحليل النهائى خبرات حسية جزئية ، وإن كان بعض الفلاسفة التجريبيين يعتنقون هذه النظرية مع بعض التحفظات .

فنحن إذا أقلعنا عن تشخيص القدرات الإنسانية ونبذنا طراز (الوعاء الحاوى فى التفكير) فلن نعانى كثيرا من توزع عقولنا بين (العقلية) و(التجريبية) ، لأن ما بينهما من شد وجذب ليس بذى موضوع ، (فهما كمن يلعبان شد الحبل بغير حبل) انتهى . تلك هى نظرية المعرفة والتى أسسها تجريبيين مثل لوك وباركلى وهيوم وفلاسفة عقليين مثل أفلاطون وديكارت وسبينوزا وليبنتز .. ونحيل القارىء المستزيد إلى المراجع التالية:-

1 - Encycolopedia Britannice دائرة المعارف البريطانية

2 - Principles of Human Knowledge أصول المعرفة البشرية (لباركى)

3 - Objections الإعتراضات (لديكارت)

4 - Plato, The man and his work أفلاطون ، الرجل وعمله (لنيلر ، ألفريد)

5 - Kant,s Theory of Knowledge نظرية المعرفة عند كانت (لبرتشارد)

6 - Principles of Philosophy مبادىء الفلسفة (لديكارت)

7 - Le Monde العالم لديكارت

8 - Meditations on the First Philosophy تأملات فى الفلسفة الأولى (لديكارت)

9 - An Investigation of the Lows of Thought

بحث فى قوانين الفكر (لبول ، جورج)

10 - Short Treatis on God, Man And His Wellbeing

رسالة موجزة فى الله والإنسان وسعادته (لسبينوزا)

11 - Abologe الدفاع (لأفلاطون)

فإن كان د . نصر ينادى بأعمال العقل على أفكار وكتابات الإمام محمد إدريس الشافعى (رضى الله عنه) ويخضعها له مستخدماً أسلوب (نظرية المعرفة) .. رغبة منه فى التطور وملاحقة العصر وحتى لا نساير فى عصرنا الحالى تراث رجعى خلفه القدماء لنا .. فكان عليه أن يطبق نظرية معاصرة على أعمال الشافعى تماشياً منه للمعاصرة .. فكيف يعيب علينا تمسكنا بتراث الشافعى الذى ولد عام ١٥٠هـ / ٧٠٠م ثم يدعونا لأن نطبق نظرية المعرفة التى ولد أصحابها عام ٤٢٧ قبل الميلاد .. ! حيث أفلاطون الفيلسوف العقلى ولد عام ٤٢٧ق . م أى يعيب علينا أن نتمسك بتراث الإمام الشافعى الذى مضى على ميلاده (١٩٩٥) فقط ١٢٧٥ عاماً ويدعونا باسم الحداثة والتطور أن نجر لتطبيق نظرية المعرفة التى ولد أصحابها منذ ٢٠١٧ سنة كاملة .. ! الزمن الفارق بين (٤٢٧ق.م - ١٩٩٥) !!

فكيف يدعونا للحداثة .. والفكر المستنير وهو فى حقيقة الأمر يشدنا - وفقاً لاعترافه أنه طبق نظرية المعرفة على فكر وكتابات واراء الإمام الشافعى - إلى ما وراء الميلاد .. ! وبأكثر من ٢٠١٧ عاماً هذه واحدة ، والثانية هو أنه يطبق فكر غير المسلم (أفلاطون وصحبة) ويعمل عقلهم وفكرهم على فكر المسلم المتخصص (الإمام الشافعى وتلاميذه) والثالثة أنه لم يأتى بجديد فى كل ما كتب فمن يطلع على كتابات اليهودى المستشرق «أجناس جولد تسيهر» الذى قال فى كتابه «تاريخ تطور العقيدة والشريعة فى الإسلام» فى مبحث (محمد والإسلام) الإسلام معناه إنقياد المؤمنين لله ، فهذه الكلمة تركز أكثر من غيرها الوضع الذى وضع فيه (محمد) المؤمنين بالنسبة إلى موضوع عباداتهم (وهو الله) فوق كل شىء ، بشعور التبعية الذى يحس به وقال «الإسلام مصطبغ بالأفكار والآراء (الهلينستية) ونظامه الفقهى الدقيق يشعرك بأثر القانون الرومانى ونظامه السياسى ، والتصوف ليس إلا نقلاً للأفكار الهندية والأفلاطونية ، ومن يقرأ كتابات ابن عربى وابن رشد سيعرف من أين أتى د . نصر بما كتبه .. فلا جديد

مازلنا نحوم ونحلق فقط حول كتابات د . نصر لنقترب أكثر من شخصيته ونتعرف عليها .. ولم نسبح أو نغوص فيها ولا التقطنا قطعة ولا جيفة مما كتبه أو إدعاه بعد ..

وإن كنا عندما نفعل ـ باعدون ـ عما كتبه أساتذة أجلاء رفيعى المقام من آراء تدراكاً وتحاشياً له فى صفحات تالية .

ذكر د . نصر أنه عندما كان فى العاشرة من عمره رفعه الكبارليرى الإمام الهضيبى فأعطاه الأخير (بوصلة) فذهب لناظر مدرسته وقال له (يا أخ إبراهيم لابد أن تضعنى فى أسر الإخوان) هكذا يتحدث تلميذ فى العاشرة مع ناظر مدرسته وليس مع أحد مدرسيه فقط .. ربما لأنه (حدث) لم يتكون لديه احترام الكبار ولم يتعلم أدب المخاطبة بعد ؛ ولكن عندما كبر هل تعلم .. ؟!!

عندما بلغ د . نصر الثانية والخمسين من عمره ورداً على سؤال : هل هناك خلاف بينك وبين المستشار محمد صميدة عبد الصمد (مستشار كبير فى مجلس الدولة والذى رفع دعوى حسبة للتفريق بين د. نصر وزوجته لردته عن دين الإسلام) .

قال : (مين هو صميدة عبد الصمد ؟ أنا ستاذ ومفكر .. هو ليس نداً فكرياً لى وفى الحوار معه إبتذال وترخص .. أنا عايز شيخ الأزهر أتناقش معاه أمام رئيس الجمهورية !! هم (الجماعات الإسلامية) عايزين يقتلونى عاشان ياخدوا بتارهم من إعدام «سيد قطب».. مكفاهمش قتل فرج فودة (واحد من العلمانيين قتل وشهد الشيخ محمد الغزالى بأن من يقتل مرتد من عوام الناس يكون مفتئتا على السلطة فقط أى قام بعمل السلطة دون رخصة) . .. أنا عايز أتكلم فى التليفزيون للناس) وقال عن الشيخ يوسف البدرى .. (هو لا يفهم المصطلحات المكتوبة فى كتبى) وعن د . عبد الصبور شاهين والدكتور / أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق : (إنهما ضعيفين فكرياً وتدل تصرفاتهما على عجزهما .. !!) ولا تعليق .. !!

أما عن مصداقيته فهى محل نظر .. فقد ذكر خلافا للواقع أن كتابه (مفهوم النص) طبع خمس طبعات فى حين أن هذا الكتاب عندما طلبناه من الناشر للرد عليه بتاريخ ١٩٩٥/٧/٧ وجدنا طبعته الأولى مازالت متوفرة لديه ومازلنا نحتفظ بالإيصال الدال على الشراء وتاريخه والكتاب بين أيدينا يرجع تاريخ طباعته لعام ١٩٩٣ ومبلغ علمى اليقين ـ وبصفتنا دراً للنشر متخصصة ـ أن الطبعة الثانية لم تطرح حتى تاريخ كتابة هذه السطور .. وبالتالى فإن إدعاءه اختلاقا عن الحقيقة وبعيداً عن الواقع المرئى بوضوح؛ ولكن ماذا يعنينا من كذب هذا الإدعاء؟، الذى يعنينا هنا أنه يفترض أساساً معلومة كاذبة ثم يؤسس عليها حقائق ..

.. فهو لم يفترض كذباً أن كتابه طبع خمس طبعات واكتفى ؛ بل رح يؤسس على هذا (الكذب الحبريت) العارى المفضوح حقائق .

فقال : (إذا كانت الطبعة ثلاثة آلاف نسخة إذن الناتج يكون ١٥ألف نسخة وكماهو معلوم فى العالم العربى نظرا للظروف الاقتصادية الطبيعية فإن الكتاب الواحد يقرأه أكثر من ستة أفراد عن طريق الاستعارة وبحسبة بسيطه فإن الخمس طبعات يقرأها أكثر من ٧٥ألف قارىء وبالطبع فأنا لا أظهر بالتليفزيون ولست منتشراً مثل الدكتور / عبد الصبور شاهين فأنا بمعزل عن التليفزون تماماً) أ . هـ .

هذا الحساب حقيقي فخمس طباعات وكل طبعة ثلاثة آلاف تعني ١٥ ألف نسخة ولكن الذي طبع له طبعة واحدة إشتراها أقل من ثلاثة آلاف حيث يتم توزيع كتب منها لدار الكتب والوثائق القومية وكتب أخري توزع للموزعين – ذلك قهراً – فضلاً عن الكتب التي توزع طواعية كهدايا للكتاب والأصدقاء يضاف إلي ذلك الكتب التي يصيبها التلف سواء في المطابع أو المخازن أومن عمليات الطرح أو الجمع ، وهناك قراء إشتروا الكتاب وندموا علي ذلك، تلك نسبة لايمكن إنكارها فضلاً عن أنه يقرره لطلبته في الكلية.

وعلي أي حال ، فالدكتور نصر أبوزيد في أكثر من موضع في أحاديثه يؤسس فرضية غير موثقة ثم يبني عليها بنيانا مؤسساً .. ناسياً الفرضية القائلة : «ما بني علي باطل فهو باطل» فقد قال : أن هناك دولا طلبتني – بعد قضيتي تلك – كأستاذ زائر بها؛ بل وذكر حرفياً أنهم قالوا له: «مش إنت ياأستاذ نصر اللي نقول لك لجوء سياسي أنت أستاذ ذو سمعة طيبة» : «إنت رجل باحث ومفكر» .. وأنا لي إتصالات بجامعات العالم في كندا وهولندا وفرنسا وأسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية قالوا لي : لأ .. عيب أن نقول لك إنك لاجىء سياسي فاننا نري أن هذه إهانة .. إنما جامعاتنا مفتوحة لك علي مصراعيها ،، أ.هـ

هذه الفرضية .. التي ذكرها مصداقيتها ـ محل نظر ـ حيث لم يترجم أي كتاب له للغات هذه البلاد .. فضلا عن أن هذه الجامعات لها أسس تبنى عليها اختياراتها .. وليس كل من حام ـ دون أن يرد مباشرة ـ فوق سؤال : هل تنكر أنك عبد الله ؟ تتلقفه جامعات الدنيا ليعمل فيها أستاذاً زائرا ..!! فليس كل من كفر .. تتلقفه الجامعات في العالم .. !!

هذا فضلا عن أن سياق الحديث الذى ذكره لا يصلح أن يكون من جامعات أجنبية فلا أتصور أن يكون هناك فى كندا أو فرنسا أو أسبانيا من يقول له (لأ .. عيب .. إنت راجل باحث ومفكر .. لاجيء سياسى إهانة .. إنت أستاذ زائر .. جامعاتنا مفتوحة على مصراعيها) فهذا ليس أسلوب دول أو جامعات وأشك أن يكون أسلوب لجامعة مفترضة لم تفتح أبوابها بعد فى عشش الترجمان أو منطقة الحسينية أو زينهم .. أو قواوير!!

فقط، لقد كنت محقاً يانصر أن طالبت فرصتك فى التوبة وإعلانها فى التليفزيون المصرى كشأن (عادل عبد الباقى) أحد الإرهابيين التائبين .. وهذا ما ننادى به ، إن الغلو فى الدين إلى حد بوابة الإرهاب فى نهاية طرفه الإيجابى مرفوض ، وكذلك السخرية منه إلى حد بوابة الردة فى نهاية طرفه السلبى مرفوض أيضاً فكلا النقيضين بغيض ومرحبا بالتائبين من كلا الفريقين .

بسم الله الرحمن الرحيم «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً ...» آية ١٤٣ / البقره .

لسنا فى موضع مقارنة بينه وبين سواه من علماء الأمة ومفكريها وما نظن أن له كتاباً ذاعت شهرته خارج أسوار الجامعة فضلا عن إفتقاره الترجمه وإن كان الله منّ علينا بأن ترجم كتاب لنا للغة الفرنسية عن العربية (مصر بين الملك والصعاليك) إلا أننا نعترف بالفارق بيننا وبين علماء هذه الأمة .. فالشقة بينى وبينهم بعيدة والمسافة بينى وبينهم شاقة .. فما زال البون شاسعاً .. ومازلت أنهل من الأساتذة المعاصرين .. كالدكتورة عائشة عبد الرحمن والأديب / ثروت أباظه أطال الله عمرهما وغيرهما كثير ذلك لأننا نقف مكاننا .. ولا نقف مكان غيرنا .. فنحن نقدر العلماء حتى لو اختلفنا معهم فى الرأى فهناك تعبيرات هادئة مترفعة كأن نقول عن رأى من نختلف معه إن رأيه ـ محل نظر ـ أو إن ما جاء به يحتاج مراجعة أو فاتته الدقة أو الرأى غير واضح ولكن أن نخاطب أستاذاً لنا بأن نقول له «ليس كل من لبس العمامة والنظارة يعرف القراءة» أو كما قال د . نصر عن أستاذه الدكتور عبد الصبور شاهين : «أنه يتاجر بهذا الكلام» أو عن دكتور مستشار بمجلس الدولة «ليس قامة فكرية» فقد خرج بهذا الإسفاف عن جادة الصواب ؛ وإنزلق بعيداً عن الحوار الأكاديمى .. أو البحث العلمى .. إلى لغة ربما تأنف منها عامة المجتمع .. والرعاع .. السوقه؛ وليت د.نصر يقف مكانه أستاذاً للطلاب فحسب ، وليس أستاذاً للأساتذة.. ومن عجب.. أنه يدعى ـ كذبا ـ أنه يدرس لطلاب «مصر» منذ ما يقرب من ربع قرن والحقيقه أنه أمضى بالتدريس ١٥ عاماً فقط كما أسلفنا فى سيرته الذاتية (رضى الله عنه!!) ومع ذلك فقد قال : (فمن المعروف أننى أستاذ جامعة وأدرس للطلاب منذ ما يقرب من ربع قرن وأخبارى مع الطلبة فهل سمعتم أن أحداً قال مرة هذا أستاذ كافر طيلة ما يقرب من ربع قرن) تكررت مرتين منه فى سطرين وسبق حديثه بقوله من المعروف .. أى خارج النقاش ثم يؤسس على هذه الأكذوبة ما شاء له من حقائق ناسياً ومرة أخرى الفرضية القائلة (ما بنى على باطل فهو باطل) .

أرانى هنا انتهيت من الحوم والتحليق فوق كتابات د . نصر . وحان لنا أن ننقض على بعض عباراته فى كتبه للتحليل .. أهى ثمين أم غث أم جيف .. وقبل ذلك يهمنا أن نجيب على سؤال السائل لماذا لم نبدأ بهذا .. ؟ وما فائدة وجدوى الحوم والتحليق حول شخصية د . نصر وما ضرورة الخوض فى سيرته الذاتية ، وعلاقاته الأسرية ، فماذا يهم الباحث من علاقة د . نصر بأمه أو أخته ، أو أسرته أو الأعمال السابقة وما إلى ذلك من سيرة ذاتية .

والجواب .. أن كل ما كتبناه كان ضروريا بل وهاماً ولازما حيث تكبدنا الكثير لندقق هذه العلائق فى ماضيه .. ولم نهدف هتك أسراره أو التعرض لحرماته ، كما قد يظن البعض .. ولكن كان هدفا ساميا فى بحثنا للإجابة على سؤال هام .. هل يصلح د . نصر أن يكون قدوة للشباب المسلم . ؟ وهل يمكن أن نتخذه إماماً لعقيدتنا .. ؟ وهل هو قدوة فى علاقته وعلاقاته .. ؟ أو هل يمكن أن نعتبره مصلحاً اجتماعياً على غرار سلامة موسى وقاسم أمين .. !! فحن درجنا ـ وأظننا صائبين فيما درجنا عليه ـ أن نبدأ باحترام وتقدير

من نراه محترما بين أهله ، أميناً معهم ، مجاهداً من أجلهم ، متواضعا جليلا .. فرغم أن تلك الميزات ، لن تزيدنا أو تنقصنا .. فلا علاقة لنا بها .. فهذا شأنه مع ذويه .. إلا أننا نجد من يتمتع بتلك الميزات .. يأنس له مجتمعه .. ويلتف حوله ؛ ويناصره ؛ ويشد من أزره فى الملمات ؛ بل ويأتمنه على ماله وعرضه إذا غاب منه أحدهم.. ويثقون به .. وفى النهاية يولون آرائه عليهم .. ويتلمسون فى النصح عنده .. والشكوى لديه .. والإنصات له .. وإذاكان فوق كل ذلك عالماً أو حكيما أو باحثا أو قارئا ؛ عرفوا أنه لابد أنه يستخدم علمه فى رفعتهم ونهضتهم .. دون غرض أو هوى .. وإن كان غير ذلك إنصرف الناس عنه.. وناءوا بأنفسهم عن الاحتكاك به .. فكيف للناس أن تأنس له .. وتفهم أنه يود نفعهم .. وهو لم ينفع أهله والأقربين .. ففاقد الشيء لا يعطيه .. ذلك جميعه الذى دفعنا للتنطس خلف ماضيه ..

ومن عجب .. أننا بعد سعينا لمعرفة مسلكه الذي عاش به ؛ وسيرته التى اختط خطاها .. وجدناه يدلى بالكثير منها فى أحاديث صحفية هنا وهناك .. فأزال عنا الحرج فى نشر ما علمناه، فقد أذاعه .. لذلك أغفلنا ما عرفناه ولم يذعه .. نأياً منا .. وعفاف لنا .. وتخرص إحتطنا به عن الترخص .. فقد كان فيما أدلى به الكفاية فى الوصول بالتحليل لها، لما كنا واصلون له إن نحن قمنا بتحليل مالم يذعه على لسانه .. وحسبنا أنه بما أذاعه بنفسه .. أعطانا مصداقية أكثر غير واردة الإنكار ؛ أفضل مما أن أذعنا ما جمعناه حقا .. وقام هو بالإنكار له أو الإنفلات منه ؛ فقد وضع نفسه بما أذاعه بلسانه .. فى دائرة أصبح من العسير عليه أن يهرب منها أو يقترب منها فى محاولة الإنكار ..

والآن وقبل أن نسبح فى كتاباته علينا أن نلقى الضوء أولاً عن بعض المصطلحات التى أغرق كتبه بها كما يهمنا أن نعرف ببعض الفلاسفة الذين يخالفون الفلاسفة الذى نقل عنهم ونوضح أيضا يسيراً من سيرتهم الذاتية ..

ثانيا : الفلاسفة ومعالى الأمور

الفليسوف الفرنسي «ديكارت» وتأييد العلم الصحيح للاعتقاد بالله :

ولد عام ١٥٩٦م وتوفى عام ١٦٥٠ عن عمر يناهز الرابعة والخمسون . جدد قواعد الفلسفة بعد أن استقر على مذهب أرسطو .. فأقرها على قاعدة العلم المجرد من الظنون والمسميات المتفق عليها ، والتى ليس لها فى ذاتها سلطان يحلها هذا المحل الرفيع . ونهج فى تعريف الوجود والموجودات طريقاً لم يسبقه سواه ولا حتى (بيرهون) الفيلسوف اليوناني القديم «فديكارت» جعل الشك وسيلة لإدراك الحقائق بينما (بيرهون) جعل الشك غاية الفلسفة.

.. والمعروف أن ديكارت جاء بعد (بيرهون) بألفي عام .. ولم يكتف بالشك .. لكنه وصل به إلي حقيقة وجود الله .. وهذا هدف النبذة عنه .. فلا يعنينا أن ننقل مذهبه هنا.. وحتي يصل لإثبات الخالق بطريقته التي لا تخلو من طرافة.. فقد جرد نفسه من كل ما يحيط به أولاً .. ثم أخذ يبحث في نفسه عن الخالق .. واندفع في تيار شكوكه إلي نفسه في كل شيء وفجر من مجموع هذه الشكوك عيون الحقيقة فقال أن في طي هذه الشكوك كلها شيئاً واحداً لا يتناوله الشك أصلاً وهو أنا فأنا أشك إذن أنا موجود .. وأنا أفكر إذن أنا موجود .. ثم توصل لما هو أبعد من إثبات وجود نفسه فقال كيف يعقل أن أدرك بأني شاك ، وبأني أريد الوصول إلي حقيقة ، وأني لم أبلغ الكمال الذي أرمي إليه إذا لم يكن مغروزاً في طبيعتي إدرك وجود ذات أكمل من ذاتي .

ولما تأدي ديكارت إلي هذه النتيجة أراد أن يبرهن علي شعوره بوجود هذه الذات الكاملة، لم يأته من التفكير الشخصي ، ولكن أتاه من تلك الذات الخارجة عنه فقال :-

إن كلمة (الله) إن لفظت بها فإنما أعني ذاتاً لا بداية لها ولا نهاية لها ، أزلية أبدية ، ومستقلة عن كل شيء وعالمة بكل شيء ، وقادرة علي كل شيء ، و أني أنا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها ، وهذه معارف جمة كلما تأملت فيها بدقة إزددت إعتقاداً بأنني لم أستنبط الشعور بوجود الله من ذاتي وحدها ، وعليه فيجب أن أستنتج من ذلك أن لله وجوداً مستقلاً ، وان شعوري بوجود عالم غير متناه لا يمكن أن يكون أصله في ذاتي أنا ،ذلك الكائن المتناهى، بل أنه غرس في ذاتي من قبل ذات غير متناهية

وخلال فلسفته تلك وصل ديكارت إلي ثلاثة أدلة علي وجود الخالق هي :-

الأول : قال أني مع شعوري بنقص ذاتي ، أحس في الوقت ذاته بوجوب وجود ذات كاملة وأراني مضطراً للإعتقاد بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهي الله تعالي .

الثاني : قال إني لم أخلق ذات نفسي ، وإلا كنت أعطيها جميع صفات الكمال التي أدركها إذن فأنا مخلوق لذات أخري وتلك الذات يجب أن تكون حائزة علي جميع صفات الكمال ، وإلا إضطررت أن أطبق عليها الحكم الذي أجريته علي نفسي.

الثالث : قال إن عندي شعوراً بوجود ذات كاملة لا يفترق الوضوح عن علمي بأن مجموع زوايا أي مثلث يساوي زاويتين قائمتين.

إذن فالله تعالي موجود أليس هذا كله مصداقاً لقوله تعالي (وفى أنفسكم أفلا تبصرون ؟) .. لاحظ يا دكتور نصر أن ديكارت فيلسوف فرنسي لا يدين بدين الإسلام ووصل بغير علم بالآية الكريمة إلي إثباتها ؛ وقد نهج فلاسفة حكماء .. نهجاً راجعوا فيه الفلسفة عن موقفها الإلحادي .. بمراجعتهم لنواميس الطبيعة..

فقد وضع الفلاسفة نظريات منذ نحو ثلاث قرون تشير أن المادة محكومة بنواميس ثابته قديمة مثلها .. وأن هذه النواميس تكفى لإحداث الخليقة من أدنى رتبها إلى الإنسان نفسه بفضل انتظامها وترابطها .. دون حاجةلمدير يديرها ؛ ذلك فى تعريفهم للنواميس ، تلك القوى التى تربط بين أجزاء المواد .. وتتولى تطوراتها المختلفة .. وتقود حركات تدرجها إلى الكمال ، وتطبع فيها الصور المنوعة وتحدث علاقاتها المتبادلة ، فإن شذ كائن عن نظامها المقرر لسبب من الأسباب ، فلا تزال به حتى تخضعه له أو تبيده .. والمادة قديمة قدم النوميس وكذلك النواميس .

ذلك ما قاله الأقدمين بما يقرب من هذا الإفتراض ، إلاأنهم لم يبلغوا فيه إلى الحد الذى بلغه المحدثون ، ولم ينسقوه تنسيق هؤلاء له . فكان هذا الرأى من أراكين الفلسفة وركائزها حائلاًبين الناظرين وبين القول بالقدرة الإلهية .

... وقد دفع التطور العلمى..رجالا من أهل البصر إلى إعادة النظر فى هذا الإفتراض على ضوء الإكتشافات الحديثة .. فتبين لهم إنه من الوهن (الإفتراض) بحيث لا يثبت أمام النقد ، ولا يكفى فى تعليل وجود الكائنات وحفظها وفى تنويع صورها ، وتولى تطوراتها فصرحوا بأن القول بقدمها يناقض بداهة العقل، ولا يفسر غوامض الطبيعة ، وأن الإصرار على القول به صداً عن فهم أسرار الوجود ، وحائلاً دون الوصول إلى الحقيقة ، وهى الفرض الأول لجميع المحاولات الفلسفية ، وكان لهؤلاء الرجال وتبيانهم أثر الصدفة والمفاجأة فى الدوائر العلمية .. فهمت لدحضه باديء ذى بديء ، ولكنها اضطرت أخيراً لقبوله ، فكان عهداً جديداً للفلسفة تأدت به إلى إثبات القدرة الإلهية عن طريق النظر فى الحوادث الكونية ؛ ومن أنجب من كتبوا فى هذا الموضوع العلامة الفرنسى (إميل بوترو) العضو بالمجمع العلمى ؛ فقد نشر كتاب أسماه (حدوث النواميس الطبيعية) حاول فيه التوفيق بين النواميس الجزئية التى تظهر فى صغريات الحوادث الطبيعية وتقود حركتها الفردية ، وبين النواميس الكلية التى يعم حكمها هذه الحركات الفردية ، ولكنه رأى أن العالم يرينا من نواحي الوجود تغيراً وإرتقاءً وانحطاطاً مما يعنى أن النواميس تقبل التغير والتبدل سواء فى النواميس الجزئية أو الكلية ثم شرع ليقترب أكثر من نتيجة وجود القدرة الإلهية فتوسع ـ ذلك (بورتو) ـ فى التدليل على ما ذهب إليه .

فتساءل : إذا صح ما يزعمونه من أن المادة قديمة لم تحدث من عدم وأنها باقية لا تتلاشى ، وقلنا إن النواميس الطبيعية هى التى تقود هذا النظام العالمى فما الذى يفسر لنا ما نراه فى نواحي الوجود من التغير والإرتقاء والإنحطاط ، إذا كان هذا العالم مقود بنواميس طبيعية قديمة؟!! أفما كان ينبغى إذا صح ذلك ـ أن هذا النظام العالمى يكون من مبدئة إلى منتهاه على حالة واحدة ، دون أن يكون لما فيه من الموجودات قيم متفاوتة ، ودون أن يتغير من إرتقاء إلى إنحطاط ، ومن إنحطاط إلى إرتقاء؟ ألا يدل هذا على خطأ ما يزعمونه من أن العالم مقود بنواميس طبيعية ، وأن تلك النواميس قديمة لا أدراك لها ولا اختيار؟ إن الإنسان يطبع بعض النواميس الطبيعية ليحدث أعمالاً أرقى من الأعمال التى كانت موجودة .. فهو يفعل ويؤثر ،

فأين كانت تلك النواميس الطبيعية حين يعمل الإنسان هذه الأعمال ، ولمَ لمْ تعقه مرغمة له على احترام أفاعليها هى ، فكانت آثارها هى التى تبدو للعالم دون ما يريد الإنسان من آثار أخرى ؟

إن وجود الإنسان وهو كائن شاعر بذاته ، لا يمكن تفسيره بأنه أثر لفعل النواميس الطبيعية والفسيولوجية لأن وجوده وقيامه بالأعمال المتنوعة والمؤثرة ضد الطبيعة يدل على أنه هو ليس أثراً من آثارها ، ولا منفعلاً آلياً لقواها . هذا هو الري العلمي الراهن الذى لم يتفرد به (بورتو) بنزعة دينية تملكته وإنما تصدى لتأييده والكتابة فيه جمهرة من أركان العلم العصرى مثل الفيلسوف (إدوارد لوروا) والعلامة (هنرى بوانكارية) وغيرهم من الفلاسفة المعاصرين .

ولنقرأ قليلاً مما جاء فى كتاب (قيمة العلم) ص ٢٣٤ للفرنسى (هنرى بوانكارية) يقول : (العلم لا يستطيع أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، فالقول بوجود النواميس وتعليل الحوادث الطبيعية به .. ليس إلا من مخترعات العلماء أنفسهم) وقال ص٢٧٧ (إن كانت النواميس تتغير فليست بذاتها هى التى كانت فى العصر الفحمى .. كما أن لا أحد هناك يستطيع التحقق من تلك .. وعلى ذلك يصعب أن نرجع الأمور إلى قوة النواميس) وقال (ج . جوليه) أستاذ الفلسفة فى جامعة السوربون فى كتابه (من اللاشاعر بذاته إلى الشاعر بها) «النواميس التى يزعمون أنها تقود العالم المادى ليست بحاصلة علي ما كان يظنه الناس لها من وجوب الوجود ، إذ ثبت أن قيمتها نسبية ليس إلا ، وعليه فيمكن ألا توجد أجلاً محدداً ، وأن تتغير بعارض من العوارض ، وأن يبطل عملها أيضاً» .

وقال (وليم كروكس) رئيس المجمع الإنجليزى ص٣٦ من (مجموعة خطبه) إن ما نسميه ناموساً طبيعياً هو فى حقيقته وجه من وجوه الإتجاه الذى يعمل على موجبة شكل من أشكال القوة ، ونحن نستطيع أن نعلل حركات الجواهر الفردة كما نعلل حركات الأجرام السماوية ونستطيع أن نسكتشف جميع القوانين الطبيعية للحركة ، لكننا مع هذا لا نكون أقرب لما كنا عليه ، المسألة الوحيدة التى يجب حلها هى أى ضرب من ضروب الإرادة والفكر موجود خلف هذه الحركات الجوهرية ، مجبراً إياها على إتباع طريق مرسوم لها من قبل ؟ وما هى العلة العاملة التى تؤثر من وراء حجاب ؟ وأى إزدواج من الإرادة والفكر يقود الحركة الآلية الصرفه للجواهر الفردة خارجه عن نواميس الطبيعة ، بحيث يحملها على تكوين هذا العالم المادى الذى نعيش فيه :

وقال فى خطبة أخرى .. «متى امتحنا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية ، نبدأ بإدراك : إلى أى حد تنحصر هذه القوى أو كما نسميها النواميس ، فى دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم» هذا ما قاله كوكبة من علماء الغرب .. الذين لا يدينون بدين الإسلام .. أنهم يبحثون .. ليقتربوا من الإيمان .. مع تقدمهم العلمى الهائل فى كل المجالات .. وليس كحال بعض من يدعون أنهم علماء .. فى بلاد إسلامية .. ذلك الذين يبحثون .. كيف يبتعدون عن الإيمان أكثر .. مع الجهل والفاقة والمرض .. الذى ترزخ تحته غالبية الدول الإسلامية ..

ولكن يبدو أن عصور الإنحطاط يواكبها إنحطاطاً فى كل شيء .. ليس فى العلم والتقدم فقط .. بل يمتد ليشمل الدين والقيم والعقيدة .. أليس الذى نمر به اليوم ـ بحق ـ يمكن أن يطلق عليه عصر الإنحطاط الإسلامى .. وإن كان ذلك .. فهل نحاول أن نخرج منه .. أم نؤكده ونقبع فيه مع أساتذة يفخرن بأنهم قد احاطوا علما بنظرية المعرفة دون سواهم من الأساتذة الأجلاء .. أى هم فرحين ـ إن صح زعمهم ـ بأنهم عور وسط العميان .. أو عرج فى وسط الكساح .. أو ليمونة فى بلد الغثيان .. فينشرون العور .. والعرج وهم لا يعلمون أن مصر ولادة للأصحاء الذى يعرفرون الأهداف الخبيثة فى خبيء نفوس هؤلاء ..

نبذة عن إبن رشد

إبن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨م) وقد نقل اسمه إلى اللاتينية فكان «أفى روس» (Averrose) هو فيلسوف وفقيه وقاض وطبيب ولد فى قرطبة بأسبانيا وتوفى فى مراكش أما فى الغرب فإن أشهر ما يعرف به هو أنه شارح «أرسطو» فالنص اللاتينى لمؤلفات أرسطو الكاملة يحتوى عادة على شروح بن رشد ، وهى شروح مستقاة فى أغلب الأحوال من ترجمة عبرية للأصل العربى (المفقود) ولقد كتب بن رشد على كثير من مؤلفات أرسطو ثلاثة شروح مختلفة هى (الملخصات) و «الشروح المتوسطة» و«الشروح الطويلة» وفيها

يقتطف الشارح أجزاء من النص الأرسطي ويضيف إليها تعليقات توضيحية ونقدية مع الإستعانة بأقوال الشراح الكلاسيين مثل «نامسطيوس» و«الإسكندر الأفروديسي» و«الفارابي» و«ابن سينا» و«ابن باجة»؛ ويبدى «ابن رشد» في شرحه بصيرة نافذة ، وعرضه جلي موجز، وهو أكثر إلتزاماً بآراء أرسطو من «الفلاسفة» الأول (وهم المتدينون من الفلاسفة المسلمين) ، ولما لم يكن لدى «ابن رشد» كتاب «السياسة» لأرسطو ، فقد كتب شرحاً على «جمهورية أفلاطون» التي عدها الجانب العلمي الثاني الذي يكمل كتاب «الأخلاق النيقوماخية» لأرسطو ، الذي عده الجانب النظري الأول لعلم السياسة ؛ على أن تفنيده لهجوم «الغزالي» على «الفلاسفة» في كتابه «تهافت التهافت» يستحق إهتماماً خاصاً ، بالإضافة إلى ثلاث رسائل دينية فلسفية تنمو نمواً جدلياً ، وأهمها «فصل المقال» . وقد ساعدت شروحه الأرسطية على فهم «المعلم» الأول ، ونشرت نفوذه في الغرب بين اليهود والمسيحيين ، وأدت إلى قيام المدرسة الرشدية .

وتتمثل أهميته من حيث هو فيلسوف ديني في رسائله الجدلية ، وفيها جاء تصديه الجريء لهجوم الغزالي (على الفلاسفة) وفي شرحه على «جمهورية» أفلاطون ، فقد وقفت الفلسفة بعد «الغزالي» موقف الدفاع ، وأصبحت موضوعاً لهجوم متصل يشنه عليها علماء الشريعة والكلام ، ومن هنا كان الطابع الجدلي الذي يميز كثيراً من كتابات ابن رشد ؛ فلقد أخذ على عاتقه أن يوفق بين القانون الديني (الشريعة) والفلسفة بأن يقرر وحدة المقصد لكل منهما في «الفصل» [فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال] وبأن يقول في شرحه على «الجمهورية» أن كلا منهما للأخرى «رفيقة وأخت وشقيقة» . فالحقيقة واحدة لا تتجزأ ، كل ما هناك أننا نسعى إليها ونفسرها على أنحاء مختلفة ، ومن هنا كانت نظرية الحقيقة المزدوجة قد نسبت إليه خطأ ، وهي إنما تنتمي إلى الرشديين اللاتين ، ويجعل ابن رشد للفيلسوف وحدة القدرة والحق والواجب في عرض ما في الشريعة التي أوحى بها للنبي من معنى باطني ، يعرضه بالحجة البرهانية ، أما المتكلمون فيستخدمون الحجج الجدلية ويبلبلون جماهير العوام ؛ وهو يتابع أفلاطون في تمييزه فئة الصفوة قليلة العدد من الفلاسفة ، يميزها من العوام ، ويتابع «أرسطو» في التفرقة بين فئات ثلاث من الحجج ، هي (البرهانية والجدلية والخطابية أو الشعرية)، وهي حجج ينسبها إلى ثلاث فئات من المؤمنين ، هم : الفلاسفة ، وعلماء الكلام ، والعوام ؛ **فأما العوام ، فعليهم أن يسلموا بما ورد في الكتاب المنزل من قصص وأمثال ومجازات بمعانيها الظاهرة ، ولكن الكتاب المنزل يتضمن الحقيقة الكاملة وإن لم يتيسر معناه الباطن إلا للميتافيزيقيين ، وعلى الفئات الثلاث أن تسلم ببعض آيات (القرآن) بمعناها الحرفي باعتبارها حقيقة دينية تستعصى على العقل البشري لأنها منزلة من عند الله** ، وعلى هذه الأسس يرى ويسوغ إمتياز الشريعة على الناموس (القانون الدنيوي) . فهو يتفق مع ابن سينا في أن هذا القانون يعلمنا ما هو صادق من المعتقدات والمعتنقات في صورة ميسرة لكافة المؤمنين وملزمة لهم فالناموس يعنى بسعادة الصفوة وحدها ، أما الشريعة فتضمن لكل مؤمن نصيبه من السعادة ، على أن دفاع «ابن رشد» عن الشريعة باعتبارها دستوراً للدولة الإسلامية المثلى ، مصحوب بنقد مدعم بالبراهين يوجهه للدولة الإسلامية، على أساس من دساتير أفلاطون الناقصة، وهو يساير التفسير التقليدي للنبوة في مقابل نظرية الفلاسفة ، ويصر كابن سينا على ما في شخصية محمد (ﷺ) من إمتياز وتفوق باعتباره المشرع المرسل من قبل الله .

تلك نبذة مختصرة تعطي لابن رشد وجهة نظره في الإسلام؛ وإن كنت أشعر بعدم المصداقية لما ترجم عنه مرة أخرى للعربية حيث الأصل المكتوب فيه (بالعربية) فقد ولا يوجد سوى ترجمة عبرية وهي التي نقل عنها للإنجليزية ثم عادت مرة أخرى بترجمتها للعربية .. فقد لا تكون الترجمات التي نمت دقيقة فضلاً عن أنه ليس هناك دليل قاطع أنها ترجمت دون حذف أو إضافة أو تبديل وعلى ذلك تكون مصداقيتها محل شك .. ويساهم لدينا في ارتفاع درجة الشك أنها ترجمت إلى العبرية أولاً .. فهل تلقفها العبرانيين - فرحين بها - ليترجموها - تلك المؤلفات أو الآراء التي كتبت عنه ؟! .

وعلى كل .. فمازال هناك من يرى بن رشد بأنه مفكر عربي ومن يراه فيلسوف إسلامي .. وإن كانت قضية العقلانية عن بن رشد محل نقد شديد ويختلف الباحثون حول ما إذا كان يمكن تصنيف فلسفة بن رشد بكونها فلسفة عقلانية موضوعية أم أنها ترداد لفلسفة أرسطو طاليس.

نبذة عن الغزالى والفارابى وإبن سينا

سمى الفارابى ؛ بالمعلم الثانى ، والمعلم الأول هو أرسطو ، وفى ذلك يقول (بن خلدون) فى مقدمته أن أرسطو سمى بالمعلم الأول لأنه هذب وجمع ما تفرق من مباحث المنطق ومسائله فأقام بناءه متماسكا وجعله أول العلوم الحكمية وفاتحتها ، وسمى الفارابى بالمعلم الثانى لما قام به من تأليف كتاب يجمع ويهذب ما ترجم قبله من مؤلفات أرسطو خاصة؛ فمنذ أيام الفارابى أحصيت كتب أرسطو ورتبت على صورة لم تتغير فى جملتها ، وصارت تفسر وتشرح على طريقة الفارابي.. (الفارابى .. كان رجلاً يخلد إلى السكينة والهدوء، وقف حياته على التأمل الفلسفى، ثم تزيا آخر الأمر بزى المتصوفه .. ويقال إن والده كان قائداً عسكرياً ومن أصل فارسى، ولد فى «وسيج» وهى قرية صغيرة تقع فى ولاية «فاراب» من بلاد الترك، حصل علومه فى بغداد، ودرس بعضها على معلم مسيحى هو «يوحنا بن حيلان».. إرتحل من بغداد إلى حلب ومات فى دمشق فى ديسمبر عام ٩٥٠م عن ثمانين عاما)؛ وكان قد ألم فى دراسته بالأدب والرياضيات؛ وله مؤلفات فى الموسيقى، وقيل أنه كان يتحدث بكل لغات العالم؛ وكان يكتب بالعربية والتركية والفارسية .

أما (ابن سينا) فهو فيلسوف فارسى وطبيب ، ولد عام ٩٨٠م، وقد نقل اسمه إلى اللاتينية، فكان Avi-cenna ؛ وهو أكثر «الفلاسفة» أصالة، وقد أقام مذهباً فلسفياً فى الوحدانية يقترب إلى أقصى حد ممكن من تركيب يؤلف بين مبادىء الإسلام، وتعاليم أفلاطون وأرسطو، ولكى يسد ابن سينا الفجوة بين الوحى والعقل لاذ بنزعة صوفية عقلية (فى كتابه «الإشارات»)، فالصوفى المتأمل (العارف) الذى بلغ أعلى مرتبة من المعرفة يصل إلى الاتحاد العقلى مع الله عن طريق الإدراك الحدسى؛ والفلسفة العملية جزء من «ميتافيزيقا» ابن سينا، لأن بلوغ السعادة الإنسانية لا يتيسر إلا فى مجتمع؛ والنبوة والشريعة (القانون الإسلامى المنزل على النبى) لا غنى عنهما لبقاء الإنسان وسعادته ، فالنبى المشرع يأتى للبشرية بقانون إلهى يضمن لها الرفاهية فى الدنيا والسعادة فى الحياة الآخرة؛

.. وقد وحد الفارابى النبى المشرع بالملك الفيلسوف عند أفلاطون؛ أما ابن سينا، فلا يذهب هذا المذهب ، وإنما يسلم للنبى بمعرفة حدسية تلقائية، وبذلك يضعه فى مرتبة ؛أعلى من الفيلسوف، والدولة الإسلامية المثلى التى تتخذ من الشريعة المحمدية دستوراً هى (فى فلسفة ابن سينا) قسيمة «لجمهورية» أفلاطون التى بينت «للفلاسفة» ـ مع كتابه «القوانين» ـ ما للشريعة من دلالة سياسية؛ وهنا موضع أصالتهم بوصفهم فلاسفة دين يتخذون من الشريعة العليا محوراً لفلسفتهم وأساساً . ومات (ابن سينا) عام ١٠٣٧م . عن سبعة وخمسين عاماً .

أما (الغزالى) فهو أبو حامد محمد الغزالى ولد فى طوس بخراسان عام ١٠٥٩، ودرس كتب الفارابى وابن سينا ثم ألف كتابا ـ هو كتاب «مقاصد الفلاسفة» وكتاب «تهافت الفلاسفة» ولم يلبث بعد تأليفه هذا الكتاب طويلاً فى منصب التدريس ببغداد ، فإنقطع عن التدريس على رغم ما كان قد أصابه فيه من نجاح ، وإنتهى به الأمر إلى مغادرة بغداد حيث إنصرف إلى العبادة والتأليف ، وأشهر كتبه كتاب (إحياء علوم الدين) . وتنقل بين دمشق وبيت المقدس والأسكندرية ومكة والمدينة ، ثم عاد إلى وطنه حيث استأنف مهنة التدريس فى «نيسابور» ومات فى «طوس» عام ١١١١م عن أثنى وخمسين عاماً .

نبذة عن ابن باجة

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، ولد فى سرقسطة ، وكان فى أشبيلية عام ١١١٨م بعد سقوط سرقسطة ثم نراه بعد ذلك فى غرناطة ومؤلفاته شروحا للمذهب الأرسطى أقرب منها إلى أن تكون مذهبا خاصا به وأهم ما يلفت النظر فى كتاباته طريقته فى بيان تكامل العقل الإنسانى ومبلغ الإنسان فى العلم ومكانه بين الموجودات! فيذهب ابن باجه إلى أن الموجودات قسمان متحرك وغير متحرك .

والمتحرك مادى منتهاه وليست حركته نابعة من ذاته ، بل ترتد إلى قوة لا متناهية ؟ وهذه القوة موجودة من الأزل ، وهى العقل؛ لكن العقل وإن يكن هو الذى يحرك المادة إلا أنه لا يحركها مباشرة ، بل يتوسط بينهما النفس؛ أى أن المحرك المباشر للجسم هو النفس ؛ والنفس بدورها تتأثر بالعقل .

ويقيم بن باجه مذهبه فى العقل على أساس أن المبدأين الأساسيين هما «الهيولى والصورة» لكن بينما يجوز أن توجد الصورة مجردة عن الهيولى، فلا يمكن للهيولى أن توجد بغير صورة ، وإن كان قيام الصورة

مستقلة عن المادة هو الذى يجعل التغير ممكنا، لأن التغير عبارة عن حلول صورة فى المادة مكان صورة . والصور تتدرج فى تسلسل صاعد، فأدناها هو الصورة الهيولانية التى تتصل بالمادة، وأعلاها هى صورة العقل المفارق؛ والعقل الإنسانى فى تطوره وتكامله ، إنما يصعد فى هذا السلم المتدرج من أدناه إلى أعلاه؛ فيبدأ أولا بإدراك الصور الماثلة فى الأجساد المادية ، ثم يعلو إلى إدراك تصورات النفس التى هى مرحلة وسطى بين الحس والعقل ثم يعلو إلى إدراك العقل الإنسانى فى ذاته ، ثم يعلو إلى إدراك العقل الفعال الذى هو فى مرتبة تعلو على مرتبة العقل الإنسانى ثم يعلو إلى إدراك عقول الأفلاك، التى هو عقول رتبتها فوق رتبة العقل الفعال ، ثم يعلو إلى حيث يدرك العقل الأول وهو الله .

وهكذا يتم الصعود مسترشداً ـ لا بالتصوف ـ بل بالفلسفة التأملية ، أى أن العقل الإنسانى يصل إلى كماله بالمعرفة العقلية ، والنظر العقلى هو السعادة (العظمى) ولابن باجه كتاب . «تدبير المتوحد» الذى يقول فيه : إن الحياة الإنسانية التى تجىء وفقا لإملاء العقل لا تتحقق إلا إذا اعتزل الإنسان حياة المجتمع أحياناً؛ ويجوز للحكماء أن يؤلفوا من أنفسهم جماعات صغيرة أو كبيرة ليعيشوا حياتهم العقلية الرفيعة بمعزل عن شواغل العامة .. !!

(فحيح الأفعي بين التقادع والتقاعس)

الميتافيزيقا والسيموطيقا

أسرف الدكتور نصر .. فى تكرار وترداد كلمات السيموطيقا .. فى كتبه للطلاب .. دون شرح لها مما يضفى على الطلاب نوعاً من الغموض فى الفهم .. يرجعه ـ فى مقصده وهدفه الخبىء ـ أنهم يصعب عليهم فهم ما يقول لأنه عالم كبير .. فكيف يكون سهلاً بسيطاً .. حتى إذا فهموا كان فهمهم هذا غاية المرتجي ونهاية المنى .. ومبلغ المراد .. فيخروا ساجدين شاكرين لكونهم فهموا .. فلا يتجاسر أحد على مناقشته أو الاعتراض عليه أو معارضته.. وبالتالى .. يكون فهمهم هدفا فى حد ذاته.. عليهم أن يسلموا بما وصلوا إليه.. من فيض علمه الغزير .. الذى بدا لهم كذلك بإسرافه فى استخدام مصطلحات لم يبين قصده منها ولا حتى أشار إلى أهدافها أو معانيها .. وقد قال هو نفسه ذلك فى أحاديث صحافية .. بل ادعى أنه أرفع علما من أساتذته الذين علموه أو الذين عقدوا لجانهم للنظر فى شأن ترقيته من عدمها فقال عن أستاذ جليل .. هو العالم الجليل البلتاجى حسن عميد دار العلوم نصا : «إنك لو سألته عن نظرية المعرفة.. فلن يعرفها» ثم استطرد يعنى إنك لو سألته عن معنى كلمة «نظرية المعرفة» فلن تجد لها تفسيراً لديه .. أى أنه إذن يتصور ـ بما يفعل ـ أن ما يأتى به يشق فهمه على الأساتذة فما بالك بالطلاب .. فإن وصل الطلاب إلى ما يهدف إليه «من إقناعهم بهذا الأسلوب العامد أنه عالم العلماء» فعليهم إذن أن يسلموا بما يصل إليه من نتائج دون مناقشة» فما داموا سلموا له بعلمه العالمى .. فمن الأحرى أن يسلموا له بما يصل إليه من نتائج .. فإذا كانت هذه النتائج هى الشك فى الدين .. وأن القرآن الذى كان خاماً فى اللوح المحفوظ لم يعد كذلك بانتقاله من اللوح المحفوظ إلى الوحى ويمكن أن يكون الوحى لم يحفظه تماماً كما كان فى اللوح المحفوظ كما يكن أن يكون القرآن محفوظا فى اللوح المحفوظ بغير العربية .. إذن فسيطرأ عليه التحريف لترجمته من اللوح المحفوظ باللغة المجهولة المكتوبة به إلى جبريل .. ثم يطرأ عليه تحريف آخر عندما ينقله إلى محمد ﷺ ثم تحريف آخر إلى الصورة التى يفهمها محمد ﷺ .. ثم يطرأ عليه تحريف آخر فى نقل محمد ﷺ له إلى الناس.. ثم يطرأ عليه تحريف آخر إلى الصورة التى يفهمه الناس بها .. ويتكرر ذلك مرة أخرى عند جمعه من صدور الناس فى القبائل المتفرقة لكتابته فى عصر عثمان بن عفان .. فإن وصل الطلاب بالمشقة فى تقعيره فى اللغة .. إلى هدفه هذا .. سلموا بما يقول دون مناقشة أو جدال .. فهو العالم وأستاذ الأساتذة .. وهم طلاب .. فكيف سيصل مستواهم فى الفهم إلى مستواه.. لابد أنه مصيباً فيما ذهب إليه .. وتكون النتيجة إنهيار الدين فى نفوس النشء .. ولذلك نطالب بإبعاده عن حرم الجامعة.. لأنه فى الحقيقة مضطرب الأفكار والرؤى.. وهذا ما سيتضح للقارىء توا :

وبعد إيضاح ـ مقصده الخبيث ـ فى استخدام مصطلحات للطلاب، يرفض شرح معانيها ومصادرها لهم؛ لابد لنا من إيضاحها هنا .. حتى يسهل رفض ما يصل إليه فى أبحاثه ..

فالسيموطيقاً .. التى اصطدم لترددادها كثيراً فى كتبه؛ طلابه مصدرها الإنجليزى

Se'man'tics (Se! man'tiks), n. Scientific Study of the Meanings, and the de - Velopment of meanings, of Words.

وتعني علم تطور معاني الكلمات (Samantics)

وقد أشار د . نصر عن بعض تراجم رجع إليها فى الحديث عن علم تطور المعانى أو (السيمنتك) أو (السيموطيقا) كما كتبها فى كتبه؛ لبعض من كتب عنها ومنهم بيرس ، تشارلز، ساندورز .. فمن يكون (بيرس) هذا وما علاقته بالإسلام وبالمسلمين .. !! حتى ينقل عنه د . نصر .. لطلاب الجامعة.. ويجعله الهادى له فى مؤلفاته ويبحث عن كل كتاب وأى كتاب كتب عنه ويشير إليه ضمن المراجع التى رجع إليها .. فيما كتب .

(بيرس تشارلس ساندروز):

ولد عام ١٨٣٩ فى مدينة (كمبردج بولاية مساشوستس) وهو ابن بنجامين بيرس اليهودى الذى كان فى ذلك الوقت رائد أمريكا فى العلوم الرياضية، والكثير من نشأة تشارلس الأولى كان علمياً فقد حصل على الماجستير فى الرياضيات ، وفى عام ١٨٦١ كان أول من حصل على بكالوريوس العلوم فى الكيمياء من جامعة هارفرد، وإتجه إلى الفلسفة عن طريق قراءته (شيلر) ثم سيطر عليه (كانت) فيما بعد .

ولقد اتصل بيرس بمعظم زعماء الفكر الأمريكيين فى زمنه ومن بينهم (چيمس) و(رايت) و(هولمز) ولكنه لم يظفر إلا بقليل من التقدير الأكاديمى، ولم يعين قط فى أى منصب جامعى دائم، فأمضى معظم الشطر الأخير من حياته فى شبه اعتزال حتى مات فى فقر نسبى عام ١٩١٤ عن عم يناهز الخامسة والسبعين سنة . وقد نشر (بيرس) فى أثناء حياته عدداً من المقالات الفلسفية، وظل الكثير من عمله الممتاز غير منشور حتى نشر محرراً فى «مجموعة أبحاث» (Peirce CH. S.) (٨ مجلدات : ١٩٣١ ـ ١٩٥٨) .

من آراء (بيرس) وفلسفته وكتاباته نظرية المعرفة / نظرية المقولات/ قاعدة البرجماتية الشهيرة ، وقد تأثر فيما كتب (بأرسطو) و(وليم چيمس) .

وملخص ما يهدف إليه (بيرس) فى نظرياته وأفكاره وفلسفاته ـ حيث يضيق المقام ههنا بشرح أفكاره بشيء من التفصيل ولكننا نحاول فقط أن نلقي الضوء (أن جميع أنواع الفكر ليست إلا حركة تتجه من موقف مثير للشك إلى موقف اعتقادى مستقر) وقد تأثر بأفكاره (ديوى . چون) الفيلسوف الأمريكى .

ولا غرو في أن ينقل د . نصر عن بيرس أو غيره .. وليس كونه يهودياً يمنع من النقل عنه ولكن مصدر العجب أن يبدأ د.نصر بعد سن الخمسين فى الشك .. أو فى النقل عمن بدأ متشككا فهل ـ ياترى ـ سيقضى د.نصر باقى حياته متشككا ؟! أم كم سيقضى فى مرحلة النقل عن المتشككين ؟؟ ثم كم سيقضى من العمر حتى يعتنق فكرهم ؟! .. ثم كم سيقضى من السنين حتى يكتب هو فلسفته المثيرة للشك ؟! .. ثم متى سينتهى إلى موقف اعتقادى مستقر ؟! .. وكم سيلبث من السنين حتى يمر بمختلف مراحل التطور هذه عبر رحلة الشك إلى اليقين ؟!..

وأعلم أن د . نصر تخطي اليوم الخمسين عاماً من عمره .. ولا بأس من أن يفكر .. ولكنه يبدأ فى التفكير فى عام ١٩٩٥ فيما بدأه الآخرين فى عام ١٨٦٠ (عندمابدأ بيرس فلسفته) .

وقديما قالوا (**الحكيم من إتعظ بأخطاء غيره .. والأحمق من إتعظ بأخطاء نفسه**) فما بالك بمن لا يتعظ بأخطاء نفسه ، ومنهم الفأر، الذى يدخل دائما المصيدة بحثا عن قطعة الجبن .. ومن قديم .. وحتى نهاية العالم .. لن يتعلم .. لنقص فى فكره .. وذاكرته وعقله .. فلا بأس من قراءة الفلسفة حتى نهايتها .. لنبدأ نحن من حيث ينتهى من سبقونا .

لا أن نبدأ من حيث بدأو من أكثر من قرن كامل .. فنعود إلى الخلف بفكرنا مائة عام ويزيد .. ونقول إننا نتطور .. أى تطور هذا الذى يردنا مائة عام إلى الخلف ؟

بقى أن نوضح أن (البرجماتية) وقد صاغها بيرس عام ١٨٧٨ ومعناها «**تدبر الآثار ـ التى يجوز أن يكون لها نتائج فعلية على الموضوع الذى نفكر فيه**» ، وعندئذ تكون فكرتنا عن هذه الآثار هى فكرتنا عن الموضوع» ويعنى بها «أن فكرتنا عن أى شيء هى فكرتنا عن آثارة المحسوسة، فمثلا إذا قلنا عن

شيء ما أنه (صلب) فإنما «نعنى أنه لن يخدش بوساطة مواد أخرى كثيرة» وهو يقدم قاعدته فى البرجماتية على أنها أداة التمييز بين المعرفة الصحيحة والمعرفة الزائفة . **والبرجماتية أو البرجماتيكية تعنى (مشكلة المعرفة) وهى فرع من نظرية المعرفة التى تحدثنا عنها فى هذا الكتاب**؛ والتى يمكن أن تقودنا مع غيرها إلى وسائل ناجحة تستخدم فى قيادة الدهماء أو الشعوب . «راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة ـ كتاب للمؤلف بعنوان الشائعات وأثرها فى حكم الشعوب» (تحت الطبع) .

أما نظرية المقولات : فقد صاغ (بيرس) ثلاث مقولات ، مقولة الرتبة الأولى : «جيشان العقل الحر وهو يصوغ الفروض العلمية» ، مقولة الرتبة الثانية : «ذلك النوع من الوجود الذى يكمن فى مقاومتنا لشىء آخر ، فالشىء بلا معارضات لا يكون له وجود بحكم الأمر الواقع» ، مقولة الرتبة الثالثة : «الاستمرار فى الفكر» ويطلق عليها (القانون) : أو(المبادىء العامة) وقد ناقش (بيرس) فى المقولات الموجودات الثلاث (الله ـ النفس ـ الخلود) تفسيرات فلسفية .. يمكن أن تؤدى إلى شتات الفكر.. لغير المتمكن فى علمه ودينه .. أما الميتافيزيقيا .. فقد تعرضنا لها فى هذا الكتاب وهى ذلك الجزء من الفلسفة الذى يدعى أعظم الإدعاءات ، ويتعرض لأعظم الشكوك ، وبينما تجاهر بأن هدفها الوصول إلى الحقائق العميقة عن كل شىء ، يعتقد البعض أحياناً أنها لا تتمخض إلا عن لغو غامض عن لا شىء ، وليس هذا الوضع المزدوج هو أقل سمات (الميتافيزيقا) التى تتطلب تفسيراً ، وقد تحدث عنها وآمن بها ونفاها وعارضها رهط من الفلاسفة منهم (نيوتن) و(كانت ، عمانوئيل) و(كاسيرر، أرنست) و(هيوم) و(ليبنتز) و(ابن سينا) و(أفلاطون) و(فورفوريوس) ولا تجد فيلسوفا أهمل الحديث عنها إما بالقبول وإما بالمعارضة وأهم هؤلاء جميعاً (أرسطو) الذى عرفها بأنها علم الوجود عامة أو علم الوجودمن حيث هو كذلك .. أو «الجوهر» وهو ما وجد منذ البداية فهى فى تعريفة دراسة فريدة شاملة لكل ما هو جوهرى فى الوجود .

والمعرفة والتفسير جميعا أى الدراسات الجزئية للوجود جميعاً أما (ف . هـ . باردلى) هو فليسوف ميتافيزيقى إنجليزى فيعرفها على هذا النحو الذى ترجمناه كما ذكره وربما وافقنا على أن نفهم الميتافيزيقا باعتبارها **محاولة لمعرفة حقيقة الواقع فى مقابل الظاهر المحض** ، **أو دراسة المبادىء الأولى أو الحقائق النهائية** ، أو أن نفهمها على أنها المجهود الذى يبذل للإحاطة بالكون ، بل على أنه كل بطريقة ما» .

وإذا أمعنا النظر بين التعريفين تجد أن **المبادى الأولى** هنا تقابل فى تعريف أرسطو **الدراسات الجزئية** وتبقى إضافة (حقيقة الواقع) فى مقابل (الظاهر المحض) فى تعريف (ف . هـ . برادلى) هو العنصر الذى إنفرد به وحده .

وحين ننتقل إلى الميتافيزيقيين النقديين العظيمين (هيوم) و(كانت)؛ فقد أكد (كانت) قبل كل شىء على الطابع اللا تجريبى لموضوع الميتافيزيقا التقليدية ومنهجها على السواء؛ أما منهجها فكان قبلياً، أى استخدام العقل الخالص وحده وأما موضوع دراستها فهو موضوع مفارق؟ فليس من الممكن التحقق من نتائجها أو مناهجها عن طريق الخبرة، إذ تريد الوصول إلى نتائج عن أشياء تجاوز حدود الخبرة. ووفقا لمبادىء لم تقررها الخبرة . وهكذا تصبح المنازعات لا حصر لها «وميدان القتال بين تلك المنازعات التى لا حصر لها هو ما يسمى بالميتافيزيقيا» .

... وإستخلص (كانت) أن نحول نور العقل إلى العقل نفسه ، وأن نأخذ على عاتقنا مهمة الفحص النقدى للعقل الخالص لكى نحدد ما تقدر وما لا تقدر عليه؛ وواجب الميتافيزيقا الأول ـ وربما الواجب الوحيد ـ هو أن تحدد حدودها الخاصة ـ و(كانت) يردد هنا .. وإن يكن ذلك فى صورة أكثر تعيناً . ما أوصى به (هيوم) بأنه ينبغى علينا «أن نبحث جادين فى طبيعة العقل الإنسانى ، وأن نبين ـ نتيجة للتحليل الدقيق لقواه وقدرته ـ أنه ليس ملائما بحال من الأحوال لبحث تلك الموضوعات النائية المستغلقة» ووصف (هيوم) هذا البحث بأنه «تحصيل الميتافيزيقا الحقة بشىء من العناية لتحطيم الميتافيزيقا الزائفة والدخيلة» .

.. وهناك تعريفات بعيدة عن كل ما سبق؛ إذ يصف (وزدم) القضية الميتافيزيقية «بأنها نوع من الباطل المثير؛ أو من المفارقة الحادة التى تستعمل اللغة بطريقة جديدة لكى تجعلنا ننتبه إلى الاختلافات والمتشابهات التى تحجبها طرائقنا المألوفة فى الكلام» . وهناك (فتجنشتين) أيضا الذى يقارن الرأى الميتافيزيقى بابتكار

نوع جديد للأغنية .. والرؤية المشتركة بينهما - عنى (وزدم) و(فتجنشتين) - هى أنه من الصفات المميزة للميتافيزيقى أن يقترح للاستعمال - أو أن يقدم للتأمل - تحولاً فى أفكارنا، ومراجعة لمفاهيمنا ، وطريقة جديدة للنظر إلى العالم .. ذلك - ما سبق - تعريف مركز لماهية (الميتافيزيقا) التى أنكر شرحها واستعمل لفظها د . نصر أبو زيد لطلابه في كتبه .. وكان الأحرى به .. طالما لم يشرحها ، أن لا يذكرها فى مؤلفانه .. فالأمانة تقتضى أن يستخدم أحد معانيها أو أن يشرحها ويستخدمها .. تلك أمانة المعلم .. والذى بذلك فقط .. يحق فيه قول الشاعر : قم للمعلم ووفه التبجيلا : كاد المعلم أن يكون رسولا .. وبغير ذلك .. لا تكون له أمانة .. ولا إيمان .

غوص وسباحه فى أفكار وكتابات د . نصر

ينادى د . نصر فى كتاباته وأحاديثه إلى مراجعة الخطاب الدينى أى مراجعة فهم (بفتح الفاء وسكون ما بعدها) الأئمة وعلماء الإسلام للقرآن الكريم والسنة المشرفة، للتوسع واستقرار هدم التمسك بالدلالة اللفظية للنص وهو فى هدمه للخطاب الدينى يتأسى - وفقا لمفهومه - بسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقول عنه أنه فهم نص فى القرآن بمفهوم خالف من سبقوه فى فهمه .. فلماذا لا نفهم نحن أيضا بمفهوم يخالف من سبقونا .. !!

وينسى أن سيدنا عمر بن الخطاب أحد العشرة المبشرين بالجنة..!! العشرة المبشرين بالجنة هم : (أبو بكر **الصديق - عمر بن الخطاب - مريم بنت عمران - فاطمة بنت محمد - خديجة بنت خويلد - آسيه بنت مزاحم - عثمان بن عفان - على بن أبى طالب - الزبير بن العوام - حمزة بن عبد المطلب - عم الرسول وسيد الشهداء)** . وقيل هم أكثر وقيل أنهم عشرة منهم هؤلاء.. وقيل أن منهم زيد بن حارثة .. الذى بشره رسول الله بجارية حسناء فى الجنة سألها رسول الله - ﷺ - فى المعراج .. لمن أنت قالت لزيد بن حارثة، فلما رجع رسول الله بشره بها .. هؤلاء هم المبشرين العشرة بالجنة .

ولقد بحثت فيهم عن اسم سيدنا نصر .. فلم أجده .. !!

الحاصل أنه يدلل على دعواه بأن سيدنا عمر منع عن المؤلفة قلوبهم فى مفهوم السلف (رؤساء العشائر والقبائل) الصدقات فقالوا له : أتمنعنا حقا أعطانا القرآن إياه بنص الآية ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين فى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ ٦٠ / التوبة .

وكان الرسول يعطيناه وأبو بكر .. فقال عمر رضى الله عنه (ذلك عندما كان الإسلام ضعيفا) وينسى د . نصر أن عمر بن الخطاب لم يعطل نصا ولم يلغه فمع قوة الإسلام ينتفى المؤلفة قلوبهم .. ومع ضعفه يظهروا.. وحدث فعلا بعد ذلك وفى عصر عمر بن عبد العزيز أن ألف قلب بطريرك الأسكندرية فالنص لم يلغ.. ولم يعطل ولكن من كانوا مؤلفة قلوبهم فى ضعف الإسلام.. لا وجود لهم فى قوته..

ومن أسف.. أن د . نصر يستشهد بتلك الواقعة.. وهى واقعة صحيحة.. وهى كلمة حق أريد بها باطل.. ليلغى من القرآن ما شاء بدعوى الحداثة؛ فهو إن غاير ميراث الإنثى عما أنزل به القرآن فقد إلغى نصاً معلوم من الدين بالضرورة وهذه تختلف عن تلك..

وهكذا نطق د . نصربكلمة حق أريد بها باطل .. ويحضرنى فى هذا المثل مثال طريف .. ذلك الذى فى شأن امرأة محصنة؛ فى ظهيرة أحد الأيام، طلب منها زوجها الفاسق، أن تبيع قرطها الذهبى، ليشرب بثمنه خمراً بعدما نفضت يديه من المال؛ فرفضت فخشى أن يضربها فيفتضح أمره معها؛ فصبر عليها وكظم غيظه حتى آذان العصر.. وما إن سمع صوت المؤذن حتى انتفض صارخاً، على غير مألوف، أن تسرع من فورها لأداء الصلاة وما إن نظرت له ساخرة فى دهشة ، ومستنكرة هدايته التى هبت عليه على حين غفلة، حتى كان يعاجلها بالضرب والركل والصفع والسب بوحشيه لخذلانها له فى أمر قرطها الذهبى وعدم طاعتها له فى مغضبة الله ولكن صراخه الذى جهر به كان لإدعائها قلة دينها وعدم طاعتها له لأداء فروض الرحمن وما إن اجتمع الجيران والمارة حتى استنكروا من زوجته عصيانها فى طاعة زوجها لأمر الصلاة لربها..!! فهو قد أمرها بالصلاة.. تلك كلمة حق.. لكنه لا يعنيه منها ولا من أمر صلاتها مرضاة ربه.. وإنما يعنيه الهدف الخبيء فى بعيد نفسه، وذلك الباطل لأمر عصيانها عن بيع قرطها الذهبى ظهراً.. فهل

ما أثاره د . نصر من أمر المؤلفة قلوبهم وسيدنا عمر .. كلمة حق أريد بها باطل ..؟! وإن دعا الداعى أن نسير معه حتى نرى باب الدار التي هو ذاهب إليها نقول له : سر معه وحدك .. ودعنى أتوقف حتى أعرض عليك من أين يأتى بأفكاره؛ أنه يأت بها هذه المرة من (أبو هزيل العلاف ، والنظام ، والجاحظ) أما من هؤلاء ؟. فهم أئمة المعتزلة.. فماذا قالوا؟ فى ذلك الزمن السحيق الذى استقدمهم د.نصر من عالمهم البعيد بأفكارهم القديمة.. حتى يعمل مذهبهم فينا بدعوى الحداثة ومسايرة العصر.. وهم قدماء .. قدم الصحابة..؟ فأين الحداثة إذن ؟ أليس الأولى لنا أن نطبق شرع الله فى قرآنه الكريم.. أم أن فكر المعتزلة أولى..

دراسة في فكر المعتزلة

فالمعتزلة هم جماعة من المتكلمين أقاموا مذهبهم على النظر العقلى ، فهم يؤولون تعاليم الدين تأويلاً يتفق والعقل ، على خلاف أهل السنة الذين كانوا يأخذون بظاهر القرآن والحديث . ومن أهم المسائل التى دار حولها البحث ، مسألة أفعال الإنسان ، فهل هو إنسان حر فيما يفعل أو هو مجبر ؟ فكان القدرية - وهم أسلاف المعتزلة - يقولون بأن الإنسان مختار حر الإرادة وكذلك ذهب المعتزلة بالاختيار ليثبتوا أن الإنسان محاسب على أفعاله ، ولو لم يكن الإنسان خالق أفعال نفسه لما كان من العدل أن يعد مسئولاً عنها ؛ لكن الله عادل ولا يصدر عنه شر ، وذلك يقتضي أن يكون ثواب الإنسان وعقابه علي حساب عمله ؛ ولهذا قيل عن المعتزلة أنهم أهل عدل ؛ كما قيل عنهم أيضا أنهم أهل توحيد ، لأنهم أنكروا أن لله صفات زائدة على ذاته .

وكما نظر المعتزلة فى الأفعال الإنسانية ، نظروا كذلك فى حوادث الطبيعة ، فإذا كان موضوع البحث فى الحالة الأولى هو العلاقات بين الله والإنسان ، فهو فى الحالة الثانية العلاقة بين الله والطبيعة ، كما أن قدرة الله المطلقة تتقيد بالنسبة لأفعال الإنسان بعدل الله ، فكذلك تتقيد قدرته المطلقة بالنسبة لحوادث الطبيعة بحكمته .. والحكمة الإلهية لا تفعل إلا ماهو أصلح ؛ ولهذا فليس ما فى الدنيا من شر هو من فعل الله ، ولا من مراده ؛ نعم أن الله يقدر على فعل الظلم ولكنه لا يفعله - هذا فى رأى بعض الأولين من المعتزلة - أما من جاء بعد ذلك فكان من رأيهم أن الله لا يقدر على فعل شيء ينافى كماله .

.. كانت عقيدة المعتزلة فيما يتعلق بالذات الإلهية مختلفة عن عقيدة العامة ، وعن عقيدة أهل السنة ؛ وتجلى هذا الاختلاف واضحاً فى مسألة الصفات الإلهية ؛ ذلك أن بعض الناس لم يجدوا أنه مما يتنافى مع وحدانية الله المطلقة أن يوصف بصفات كثيرة - هى الأسماء الحسنى - فيضيفون إليه صفات القدرة والحياة والإرادة والكلام والسمع والبصر ؛ لكن هذه الصفات قد بدت لبعض آخر من الناس أنها تعدد ؛ لأنها إذا كانت أزلية كما أن الله أزلى ، إذن فهمى تنافى ما يجب لله من توحيد مطلق ، ومن هؤلاء فريق المعتزلة الذين قالوا عن صفات الله أنها عين ذاته؛ أى أنها ليست مضافة إلى ذاته .

ولقد تفرعت عن مشكلة الصفات ؛ مشكلة خاصة بصفة الكلام على وجه الخصوص ؛ فالكلام من صفات الله ؛ ولو أخذنا بوجهة نظر أهل السنة التى تقول إن الصفة الإلهية شيء مضاف إلى الذات الإلهية ، وأنها أزلية مثله، كان معنى ذلك أن كلام الله - القرآن - قديم ، أى أنه أزلي وغير مخلوق فى زمن بعينه من التاريخ . لكن المعتزلة يقولون إن الاعتقاد بقدم القرآن إلي جانب قدم الله شرك ؛ القرآن فى مذهبهم مخلوق وليس بأذلى قديم ؛ وقد رمى كثير من المعتزلة بتهمة أنهم بمذهبهم هذا لا يجلون القرآن حق الإجلال ، وأنهم يؤولون آياته كلما وجدوا هذه الآيات غير متفقة مع مذهبهم ؛ فالأمر عند خصوم المعتزلة - هو أمر وحى يقبل كما هو ، لا أمر عقل يفسر الوحى بما يتفق مع أحكامه . ومن أئمة المعتزلة (أبو الهذيل العلاف ، والنظام ، والجاحظ) .

ومن أسف أن الدكتور نصر .. غامض الهوية .. فلا هو من المعتزلة تماماً .. وبالقطع هو ليس من أهل السنة .. ولا هو من أهل الشيعة ، ولا هو يدين بالمذهب السلفى .. وإنما هو خليط مرتبك من قراءات متفرقة.. فليس له مذهب ثابت .. ولا أظن أن فى نيته ذلك .. !!

فهو يقول فى كتابه «نقد الخطاب الدينى ص ١٩٦» (فالقرآن كلام الله وكذلك عيسى عليه السلام ﴿رسول الله وكلمته﴾ ١٧١ / النساء .

وقد كانت البشارة لمريم ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ ٤٤ / آل عمران ، وإذا

كان القرآن قولاً ألقى إلى محمد عليه السلام ، فإن عيسى بالمثل كلمة الله ﴿ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ ١٧١ / النساء، أى أن محمداً ﷺ = مريم والوسيط فى الحالتين واحد وهو الملك جبريل الذى تمثل لمريم ﴿ بشراً سويا ﴾ ١٧ / مريم وكان يتمثل لمحمد فى صورة إعرابى ، وفى الحالتين يمكن أن يقال أن كلام الله قد تجسد فى شكل ملموس فى كلتا الديانتين : تجسد فى المسيحية فى مخلوق بشرى هو المسيح ، وتجسد فى الإسلام نصاً لغوياً فى لغة بشرية هى اللغة العربية . وفى كلتا الحالتين صار الإلهى بشريا ، أو تأنسن الإلهى ـ واللغة العربية فى الوحى الإسلامى تمثل الوسيط الذى تحقق فيه وبه التحول ، ويتمثل اللحم والدم ـ مريم ـ الوسيط الذى تحقق التحول فيه وبه فى المسيحية) .

ويقول فى نفس المصدر ص ٨٠ ،يزعم الخطاب الدينى أن النظام الذى يقوم على حاكمية البشر ـ وهى كل الأنظمة السياسية والاجتماعية القائمة ـ يؤدى إلى استعباد بعضهم للبعض الآخر ، باحتكار حق التشريع لهم ، وتنظيم حياتهم وهو الحق الذى لا يصح أن يكون إلا لله ، بوصفه سبحانه الخالق والرازق والمهيمن والمسيطر والعالم القادر الحكيم ، إن الإنسان يجب ألا يخضع للعبودية والطاعة والامتثال إلا لله ، وما سواه من البشر الذين ينازعونه السلطان والحاكمية طواغيت جاء الإسلام ليحرر البشرية من سطوتهم وسلطانهم ، ولا خلاف أن الإسلام بالفعل حرر الإنسان من سيطرة الأوهام والأساطير على عقله ، وحرر وجدانه وعقائده من كل ما يعوق حريته ، لكن الخطاب الدينى يصر على اختصار علاقة الإنسان بالله فى بعد واحد فقط هو العبودية .. فإذا كان الخطاب الدينى يستهدف بمفهوم الحاكمية القضاء على تحكم البشر واستعبادهم لبعضهم البعض فإن هذا المفهوم ينتهى على المستوى التطبيقى إلى تحكيم بشر من نوع خاص ، يزعمون لأنفسهم إحتكار حق الفهم والشرح والتفسير والتأويل وأنهم هو وحدهم الناقلون عن الله ، وإذا كانت حاكمية البشر يمكن مقاومتها والنضال ضدها وتغييرها بأساليب النضال الإنسانية المختلفة ، واستبدال أنظمة أكثر عدالة بها فإن النضال ضد حاكمية الفقهاء يوصم بالكفر والإلحاد والزندقة بوصفه تجديفا وهرطقه ضد حكم الله ويصبح المفهوم بذلك سلاحاً خطيراً يفقد البشر أية قدرة على تغيير واقعهم أوتعديله ؛ لأنه ينقل مجال الصراع من معركة بين البشر والبشر إلى معركة بين البشر والله) . أ. هـ النص المكتوب عن نصر

نصر .. *الغبي*

هونا يا ولدى .. هونا .. وهونا لمن على شاكلتك .. فالعبودية للعبيد الذين هم بتعريفهم القبلى : أولئك البشر الذين يحسنون أداء مالا يحبون من أعمال يجبرون عليها بالسخرة وفرقعة السوط » ..

وأحسب أن ذلك تم للعبيد قبل الإسلام .. وربما تم ذلك فى عصور الطغاة بعد الإسلام من حكام بغاة .. حكموا بالحديد والنار .. وهجروا الإسلام .. وعصوا ربهم .. فحلت بهم لعنة الهزائم وكراهية شعوبهم .. وغضب الله عليهم .. ولكن إن أنت استعرضت فترة حكم عمر بن عبد العزيز .. تلك الفترة التى لم يكن فيها جائع واحد .. حتى أن الزكاة إحتار فيها أصحابها .. لمن يوزعونها ؟؟ وليس هناك فقير واحد .. صدقنى يـا ولدى لقد توقفت كثيراً أمام تاريخ تلك الفترة أتأملها وأتمناها ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه .

فالشعوب المحكومة .. عبيد لله ـ فى الأغلب الأعم ـ ما فى ذلك شك .. وجميعنا يتمنى أن يكون الحكام عبيد لله .. فذلك الأهم .. فإن كانوا كذلك أخذوا بيدنا للإيمان ولن تجد طغيانا .. ولن تجد بغاة فالعيب يا ولدى ليس فى الإسلام .. العيب فى القائمين على تنفيذه .. ودعنى أتحدث معك .. هل لو هرب خائن بطائرة إلى معاقل العدو .. أيكون ذلك عيباً فى الطائرة أم فى (الطيار) .. هل نلغى حيازة الطائرة أو تصنيعها .. حتى لا يحدث ذلك .

.. فلا حاكمية للفقهاء يا ولدى .. هم لا يملكون سوى النصيحة إن طلبت منهم .. وأمامك كتب التفسير إنهل منها ما شئت .. وإنهج ما شئت من أى منهج أو مذهب .. وكلهم يا ولدى اليوم فى ذمة الله .. ابن كثير / الفخر الرازى / الألوسى البغدادى / الأمامين الجليلين / حاشية السندى / سيد قطب ، وغيرهم كثير وإن شئت انتهجت أى مذهب مالكى / شافعى / حنبلى / حنفى وغير ذلك كثير أيضا . كل ذلك أنت فيه حر يا ولدى .. لا أحد يفرض عليك حاكميته من البشر .. (فاستقم كما أمرت) .. والأمر لله .. لا آلهة .. ولا حكم لغيره ، إنك حر مالم تضر ، فمن أهل الأرض لا أحد يحاسبك إن صمت أو أفطرت إن حججت لله أم سافرت لدول أوروبا .. أقمت الصلاة أم هجرتها لا أحد يحاسبك من أهل الأرض فى ذلك .. فالله وحده يحاسبك فى الدنيا والآخرة .. وربما فى الآخرة دون الدنيا . فهذا شأنه مع عصيانك .. وما لأهل الأرض من حساب

لك إلا ما ظهر من معاصيك .. وكان به ضرر الآخرين .. فالزكاة .. قسراً إن أهملتها لأن منها إطعام الجائع والفقير وابن السبيل وغيره الذى يضار بعدم زكاتك .. وإن سرقت أحداً عوقبت .. ونتمنى أن تمر المجاعة التى يمر بها بعض المسلمين ونتمنى أن يقوى الإسلام لنقطع يدك إن أنت سرقت !! .. ما هى حاكمية الفقهاء التى ترفضها وتخشاها يا ولدى .. إن الكتاب هو الفقيه تناول أى تفسير واتخذ منه فقيها فالكتاب يا ولدى .. هو الذى لا يعاتبك إذا جفوته ولا يملك إذا أطلت الجلوس معه . ولا يأكل ولا يشرب ولا تستعد لاستقباله أو تودعه عند إنصرافك عنه .. إقرأ يا ولدى هداك الله .. لقد قلت ما قلت .. وكتبت ما كتبت .. وسافرت وعدت .. واقتربت من سلوك سلمان رشدى وابتعدت .. ولم يضرك أحداً .. يا ولدى إن لمصر قضاياها الكبيرة .. الغارقة فيها .. تحاول حلها .. وهى بما هى فيه غير عابئة بالصراصير ولا بصريرهم .. فإن اقتربت أهلاً بك .. وإن ابتعدت هداك الله .. كن كما تشاء .. لكن أسلوبك فى كتابتك - أصدقك القول - يأخذ بلب الشباب .. فهلا حولته إلى ما ينفع دينهم .. أنك تتقعر فى لغتك .. فيخيل لمن يقرأ لك أنه سقط على كنز ثمين .. ولكن - ومن أسف - ما أن يتعرف القارىء على ما تكتب حتى يشعر بأنه يجلس مع رمة عفنة تثير الغثيان .. أو كما قلت تثير فينا الجعموس كرؤيتنا للدعموص فى الطين.. فأنت تحاول البلبلة .. ولا نتيجة مجدية .. ولا هدف واضح .. ولا نظرية حققتها .. لا شيء .. يقينا إننى أشفق عليك .. فحتى كتاباتك نعم .. لا إلحاد فيها .. هكذا أرى .. ولا إيمان فيها .. ولا ردة .. لا شيء .. يا ولدى الحديث المجد له أهدافه السامقة .. والكلام الغير هادف الذى لا شيء فيه البته .. لا يكون سوى .. رغى .. وثرثرة .. فلا فائدة .. لا فائدة من كل ما كتبت فأنت مرتبك الأفكار .. فلا داعى لإرباك أولادنا معك ..

لقد كتبت غير مره .. وأكرر أن مصر بها الأزهر الشريف وبها شارع الهرم .. وعليك أن تختار .. وحتى لو لم يكن بها شارع الهرم ولا أى سبيل للعصيان وحتى لو حرمنا الأغانى والرقص وحتى لو أغلقنا كل ما يراه غيرنا مظهراً غير إسلاميا .. وأردت أن تعصى الله .. لن تعدم وسيلة .. فنحن نعلم علم اليقين أن هناك بلاداً بأسرها يسير نساؤهم بالمناقب (أى تلبس كل منهن خماراً يغطيها) .. وإن أرادت الفحشاء ارتكبتها .. وإن أراد رجل الفحشاء سافر إليها فى بلاد الفرنجة وغيرها .. فالرزيلة والفضيلة موجودتان منذ بدء الخليقة وحتى تقوم الساعة .. والفقهاء والمفسرين والعلماء .. ليس لأحد منهم سلطان عليك .. إن آراءهم فى كتبهم.. يزاد منها كل راغب فى ازدياد .. يطرح منها ما يشاء ويأخذ منها ما يشاء .. فالأعمال بالنيات .. وقد تجدنى - المؤلف - طرحت منها شيئا .. فى صلب هذا الكتاب .. وتمسكت بتلابيب شيئا آخر أرتاح إليه وأراه موافقا لتركيب المنطق والعقل .. بل وإنفردت بتفسير شأن «عذاب القبر» بأنه عذاب للروح فى قبرها عند علام الغيوب .. ولم أقتنع أن الملائكة تدخل قبور الأرض يوميا عند كل وفاة تحدث لأى إنسان .. حيث النتن والدود والبراز والعفن .. وحسبي وفقت .. فأفردت لذلك فى هذا الكتاب مساحة أراها كافية لطرح فكرى الحر .. بل وعارضت بعض أهلى فى صمتهم عن تفسير بعض آى القرآن .. وعارضت الألوسى البغدادى وأيدت الفخر الرازى بل ووضعت يدى فى (عش الدبابير) واقتربت من المحظور ولم يعارضنى أحد بسيفه .. ولن يعارضنى فالمهم إلى أى طريق تسير النوايا . فلتكفر يا نصر إن شئت .. ولكن عليك أن لا تنشر كفرك بين الناس .. والله كفيل بعذابك وحسابك ؛ لقد قالت زوجتك فى معرض دفاعها عنك [على فكرة ٩٠٪ من الشعب المصرى مخالف للشريعة!! فهل يصبحون كلهم كفرة ومرتدين ؟!..] .. وبصرف النظر عن صدق رواية زوجتك أو كذبها .. فهل لم تسأل نفسك .. لماذا أنت الذى تحاكم .. ؟ الجواب يسير يا ولدى .. لأنك تبوأت مكان الولاية على أولادنا فى الجامعة تبث فيهم فكرك .. وعصيانك ومرودك عن دين الإسلام .. ولكن أيا مما تدعيه زوجتك أنه ٩٠٪ .. لو صح .. لا يضر بتصرفه إلا نفسه .. وبسرية .. فالعصاة يخشون مخالفة الله جهراً .. حتى لا يسقط اعتبارهم بين الناس .. وإن عرفهم الناس ابتعدوا عنهم .. فنحن كل أملنا أن تبتعد عن أولادنا .. فليس لنا من سبيل أن نبعدهم نحن .. فمعنى ذلك أن يتركوا الجامعة والتعليم ؛ ولو تيسر للجميع جامعات أخرى لنقلنا أولادنا فيها بعيداً عنك .. وتركناها لك تنعق فيها وحدك .. ولكن الأيسر أن يبعدوك عن تربية النشء فى سنهم الغضة ؛ فذلك أمل نرتجيه ، ونلح عليه ونتمناه .. فلا أحد يملك محاسبة العصاه الذين لم يكتشفوا ؛ سوى الله وحده .. حتى القاتل والسارق والداعر وغيرهم من الآثمين ؛ لو لم يكتشفوا لا أحد من أهل الأرض يحاسبهم .. فعقابهم عند الله وحده .. ولكن ما رأيك فى قاطع طريق يقف فى وضح النهار شاهراً سيفه (أو سنجته أو بونيته الحديد) للغادى والرائح فى وسط أكبر

ميادين العاصمة .. هل نتركه .. لقد فعلت ذلك .. ففيم التباكى لمحاكمتك .. ألأنك تعرف سعر الشيكل الإسرائيلى .. وكم يساوى عملته .. أم لأنه أشيع عنك تنطعك على أبواب سفارات بعض الدول الأجنبية منذ ١٧ عاما مضت أم لأنك أخترت أخيراً لحضور مؤتمر بمدريد تحت رعاية شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق وبالمناسبة فلتتقبل تهنئتى لعودته لرئاسة الوزارة مرة أخرى بعد مصرع أسحق رابين على يد متطرف يهودى، لقد اندهشت من كتاباتك .. وأثار دهشتى مطالبتك بأن تتدخل الدولة لإلغاء حكم المحكمة .. أى من أجلك يطاح بالفصل بين المؤسسات التى هى قوام الدولة .. بل لقد طالبت فى كتاباتك أن يجلس معك رئيس الجمهورية وشيخ الأزهر منفردين بك لمناقشة آرائك .. ورفضت الجلوس والمناظرة مع لجان متخصصة فى هذا الشأن .. ولم أعرف وقتها من تكون ؟! حتى تطلب تلك الطلبات الاستثنائية .. إن كنت إسرائيلى يا ولدى فلتذهب إليها .. فقد سبقك إليها كثيرين .. على سالم سبقك إليها .. ولا أقصد بذلك الإقلال من شأنه فهو كاتب مسرحى .. ألف لنا مسرحية مدرسة المشاغبين .. وكتب لنا قصصاً هزيله وهزلية آخرها «حوار ضاحك مع الجن والعفاريت» يسخر فيها من الجن والعفاريت .. وكم من الكتاب كتبوا ساخرين من المشا يخ والأئمة .. ومن يعزف عنهم يعزف .. ومن يقبل عليهم يقبل .. ففى كتاباتهم جوانب كثيرة يمكنهم أن يفلتوا منها إن دعا الداعى لمحاسبتهم .. وربما لا يقصدون الإهانة .. وربما يقصدون .. ولكن قصدهم كان خبيئاً غير ظاهر فعز الحساب .. ولكنك حاولت أن تكون أكثرهم جرأة .. فناهضت الله والرسول وطالبت بمساوتك بهم .. كيف وقد أظهرت وكشفت لا يتم محاسبتك .. وإن كنت ـ المؤلف ـ أرى عبثك وإرتباكك فى أفكارك ـ إلا أنى أتساءل ـ فى حالة إلغاء الحكم ونقضه فى محكمة النقض ـ إن تم وكانت حقيقة آرائك وأفكارك كفراً قراحاً .. واتبع أفكارك أحد العامة باعتبار أنك سننت سنة حققتها المحاكم فى أعلى درجاتها وأجازتها ببراءتك من حكم الردة .. هل يدخل (العامى) هذا الجنة ـ حيث لا ذنب له .. وتدخل أنت والمحكمة والحكومة كلها معك النار باعتبارك واعتبار المحكمة ممثلة فى قضاتها والحكومة ممثلة فى ممثل الإدعاء أو النائب العام عالمين بفساد ما جاء فى كتبك من كفر صريح .. وباعتبار أن قاضيا فى الجنة وقاضيان فى النار وقد أخطأ القضاة فى حكمهم .. وما رأى إخواننا فقهاء الشريعة فيما رخصت به الدولة .. ولى الأمر المأمور بطاعته .. نهج كفرك .. مجرد تساؤل .. ؟! أى ما رأى الشريعة فيمن يتبع آرائك بعد الحكم ببراءتك أتكون الدولة مسئولة عن كفره باعتبارها هى التى برءتك؟ وهل يدخل من أتبع آرائك النار أم الحكومة فقط . ثم ما حكاية العباءات التى تقول إنها تأتيك هدايا من السعودية .. وما الداعى لإثارة هذا الموضوع فى مناقشتك فى شأن ردتك .. أتريد هدايا يا ولدى .. إن كنت صاحب فكر حقا .. كما تدعى لعزفت عن الإمتلاك ألم تقرأ شيئاً عن المهاتما غاندى .. ذلك الرجل الذى أعطى أمته الكثير ولم يملك شيئا .. وعندما أغتيل أمام منزله فى ١٩٤٨/١/٣٠ وقاموا بحصر أملاكه فلم يجدوا سوى طبقان للأكل وغطاء خشبى وثلاثة قرود خزفيه تأخذ شكل (لا أسمع / لا أرى / لا أتكلم) وجريدة صغيرة من سعف النخل ، ساعته ، كتاب صلواته ، نظارته ، مبصقته ، قاطعة للورق ، زوجان من الصنادل ، هذا كل ما كان يملكه .. يا ولدى أما ثروته الحقيقية فقد كانت فى تعاليمه السامية التى تركها للبشرية ، وكلمة غاندى تعنى تاجر التوابل (العطار) لقد كان إينشتاين صادقا حينما قال عنه (لا تكاد الأجيال المقبلة تصدق أن مثل هذا الإنسان قد عاش على أرضنا) .

هذا هو غاندى يا ولدى .. فماذا قدمت حتى تجد فى نفسك الثقة لتطالب باجتماع يضمك مع رئيس الجمهورية وشيخ الأزهر .. على استقلال .. !! رتب أفكارك المشوشة يا ولدى أولاً .. ثم أعرف ماذا تريد .. لك الهداية .. ندعوها لك .. ولنا الصبر .. وربما يطيب لى استعارة المثل المصرى العامى «أصبر على جارك السو .. حتى يرحل أو .. » لا يا ولدى لا نطلبها لك .. فهدايتك أولى .. فربما نفعت بها نفسك .. وأهلك .. فنحن دعاة هداية .. ولسنا دعاة عنف .. رغم أنك ومن وجهة نظرنا كنت فيما كتبت كاتباً غبياً ولا يليق فى وصفك القول بأنك كنت بعيداً عن الذكاء فى بعض ما كتبت .. فهذا الوصف متواضع جداً أمام بعض ما كتبته منقولاً عن غيرك .. والوصف الصريح وربما المناسب تماماً أن يقال أنك ـ نصر حامد أبو زيد ـ كنت غبياً ، فلم تكن كحال بعض الملاحدة والمستهترين بدينهم يكتب بالإشارة بحيث يفهم القارىء ما يريد من غير تصريح بشىء مع فهم ما يريد، وذلك ليعسر أن يقع تحت مسئولية قانونية ، وهى سمة من سمات الكتاب الناضجين .. ومن الكتاب الأذكياء الناضجين الأديب المصرى الذى حصل على جائزة نوبل

«نجيب محفوظ» تلك الجائزة التى لم يحصل عليها من هم أقدر منه أمثال «محمود عباس العقاد» / «توفيق الحكيم» / «ذكى طليمات» وغيرهم وحتى عميدهم «طه حسين» لم يحصل عليها وحصل عليها «نجيب محفوظ» وأحسبه فيما أظن حصل عليها عن روايته «أولاد حارتنا» فهو كغيره من الكتاب الناضجين كتب فكرته وفهمها القارىء كما أراد أن يفهمها لقارئه ثم راح ينكر على القارىء ما فهمه حتى لا يصرح بمقصده من روايته فلا يقع تحت طائلة القانون .. !! فهو لم يصرح بخطه فى كل ما كتب عما أراد وبالتالى عز علينا حسابه فلا يمكن أبداً محاسبته قانونا على ما فهمه قارئه ، أو على ما أراد هو أن يفهمه لقارئه ، وتلك سمة الكاتب الذكى وبذلك فقد عمل بنصيحة الأديب العالمى «كارلايل» عندما قال مقولته الشهيرة : «**الأديب الذى يعاقب على أدبه يستحق العقوبة**» وهكذا فهم «نجيب محفوظ» الرسالة .. ففى روايته «ثرثرة على النيل» يعنى فها عزلة المثقفين التى فرضت عليهم فى العهد الناصرى فجعلهم «نجيب محفوظ» فى عوامة فى النهر فارغين لا عمل لهم سوى «الشرب والسكر» ، ولا يربطهم بالعالم إلا هذا الممر الخشبى الضئيل «السقالة» وبذلك استطاع أن ينقد العهد الناصرى بكل عنف وفى زمن عبد الناصر دون أن يستطيع أحداً أن يحاسبه وأذكر أننى ـ المؤلف ـ قرأت له بالمصادفة وأنا فى «لوس أنجلوس» قصة قصيرة عنوانها «فنجان قهوة» وأعجبت بها أيما أعجاب فقد صورت على قصرها مشاعر الناس المرتبطة بنظم الحكم فى بلادهم فى رمزية أثيرة ، ذكية ومفهومة جداً ، رغم أنها لم تكن صرّيحة إطلاقاً ، أى صعب أن يؤاخذ نجيب عليها قانونا .. !! بل أن كتابه «أولاد حارتنا» والذى منحت له جائزة نوبل من أجله دون سواه ؛ يفهم من تطاوله على الأديان كافة يهودية كانت أو مسيحية أو إسلام ، لكنه أبداً لم يصرح بخطه وبوضوح هذا الذى يفهم ، وبالتالى فهو لم ينج بما كتبه من طائلة القانون فقط بل وحصل على ما كتب على جائزة نوبل !! فى حين أنه لو صرح بوضوح لحوكم من مؤسسات الديانات الثلاث جميعاً .. !! فلم يذكر فى روايته «الله» ولكنه رمز له وأسماه «الجبلاوى» ولم يذكر إبليس وإنما أسماه «أدريس» ولم يذكر آدم وإنما أسماه «أدهم» وراح يخلط الكتب المقدسة الثلاثة (التوراة ـ الأنجيل ـ القرآن) بل وخلط معها كثيراً من الخرافات الدينية الشائعة وخرج من كل ذلك بحوار غريب يقول فيه أن الجبلاوى ظالم ومتعسف وأن ابناه (أدهم وأدريس) وبذلك بات يفهم أن آدم الآخ الشقيق لأبليس !! وعن اعتراض أبليس على السجود لآدم يقول أن أدريس (المفهوم أنه أبليس) قال لأبيه الجبلاوى (المفهوم أنه الله) : «كيف أسجد له وأمه سوداء وأمى بيضاء» وهنا رمزية أخرى مفهومها أن «آدم» خلق من طين والطين أسود أما إبليس فخلق من نار والنار «بيضاء محمرة» وأطلق اسم «رفاعة» على المسيح عيسى بن مريم واسم قاسم على محمد ﷺ نبى الإسلام وجعله بائع «بطاطا» حينا ثم راعى غنم بعدها وأطلق على «جبريل الأمين» اسم «قنديل» وجعل جميع هؤلاء بما فيهم الجبلاوى يشربون الخمر بل قال عن «قاسم» أنه «شريب وسكير» .. !! وهكذا راح «نجيب محفوظ» فى خيال لا مسئول (فلم يسمى الأشياء بمسمياتها) يخلط الأوراق المقدسة بالحارة التى يعرفها فقال أن المسيح «رفاعة» له والد أسماه «الشافعى» وجعل المرأة الزانية التى عفاها من الرجم وقال فيها «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر» عشيقة له وأسماها «ياسمين» وجعل «قابيل» ولد «آدم» الذى أسماه فى روايته «قدرى» يهرب مع ابنة أبليس الذى أسماها «هند» بعد أن قتل شقيقه «هابيل» وأطلق على امرأة فرعون اسم «هدى» وعلى «حواء» اسم «أميمة» وعلى بنو إسرائيل «آل حمدان» وسمى فرعون «ناظر الوقف» وسمى موسى «وكيل الناظر أو الجبل» بل ووصفه بأنه «حاو» تعلم الحواة والثعابين من حموه «والد زوجته» وأطلق على أهل دين الإسلام وصف «الجرابيع» وعلى أهل الالحاد اسم «عرفة» وهكذا .. وبعد هذه الأسماء والرمزية راح يكتب ما يشاء بعدما أمن نفسه بهذه الرموز .. وأنهى روايته «أولاد حارتنا» بموت «الجبلاوى» المرموز له بالله .. وهكذا يرمز بظهور المذهب العلمانى وتفشى الشيوعية الكافرة بالله وجحود ونكران المجتمع الحديث للأنبياء والأحبار الذين اختارهم «نجيب» فى روايته إلا أن أحداً لم يحاسبه على ماكتب لأنه ببساطة يمكنه القول أنا لم أقل الله (وهو يقصده) وإنما قلت (الجبلاوى) .. ولم أقل .. ولم أقل .. ولا أحد يمكنه أن يحاسبه على مالم يقله وإن كان يقصده .. !! يفهم من كتاباته ما لم يكتبه بالحروف .. والمحاسبة دائما تتم على الحروف المكتوبة .. وليس على القصد منها .. وهنا يسهل إنكارها .. لذلك كان وبحق د . نصر حامد أبو زيد ـ فضلاعن كونه أسرف على نفسه وحمل كتاباته أفكاراً عطنة ـ كاتباً غبياً .

الباب الثالث

الرغاء .. فى الرغام

نصــر .. الشقــى

.. هذا ونجد أنه (د . نصر) برفع قامته ؛ عنوة ؛ ـ فكريا ـ لقامة الشيخ / سيد قطب .. هذا الرجل الذى ترجم كتابه «فى ظلال القرآن» إلى (٣٦) ستة وثلاثون لغة عالمية .. فيقول د . نصر ما نصه :

[همه (يقصد الإرهابيين) عايزين يقتلونى ؛ علشان ياخدوا بتأرهم فى سيد قطب] .. وينسى .. أن سيد قطب ، حكم عليه بالإعدام فى زمن جمال عبد الناصر .. وكلاهما فى ذمة الله ، فإن كان دمه فى رقبة أحد ؛ فهو عبد الناصر ؛ .. يحاسبه الله عليه ، وإن شاء غفر له . أما د . نصر .. فلا شأن له ، من بعيد أو قريب ، بدم سيد قطب الذى كان عالما جليلاً ومفكراً عالميا .. وقت أن كان د . نصر طفلا غرا فى قريته (قحافة) .. وعلى أى الأحوال فقد انقضت عادة الثأر .. من زمن (الخنساء) تلك المرأة العربية الشاعرة الشهيرة فى الجاهلية ـ والتى أسلمت وحسن إسلامها فى عهد عمر بن الخطاب .. ولم يبقى اليوم منها غير الموروث البعيد ـ كما لم يبقى من عادات الثأر غير أقواله المأثورة على لسان العوام .. تدور اليوم ـ مجازاً ـ [كالحسناء التى تختال بجمالها .. عندما تحضر (الخاطبة)، لأمها الواثقة من حسن قوام ابنتها ـ ولتعرض عليها ـ عريساً لابنتها تلك تراه أمها لا يناسب فتاتها .. فتعنف الخاطبة وهى تقول : «إن ظفر ابنتى تساوى رقبته» أو عند ما تترك الأم وحيدها مع خادمة فقيرة .. وتقول لها «إحرصى على الولد .. فلا يكفينى فيه بلدتكم كلها»] . هذا هو ما بقى من موروثات «عصر الخنساء» فلم تعد الدلالات اللفظية تعنى منطوقها اليوم ؛ وإنما أصبحت ـ مجازاً ـ أى تدل على مفاهيم أخرى ؛ فليس صحيحاً أن «ظفر» الحسناء برقبة العريس .. فهى تقص (أظافرها) كل حين بدون مقابل .. وليس صحيحاً إن أصيب الطفل أو هلك ، ستدمر الأم قرية الخادمة وتطلب الزيادة .. ولكن أصبح هناك مفاهيم عصرية لما كان يروى .. وربما نفذ فى زمن الخنساء فإن تم فى عصرها طلب الصعلوك الزواج من عزيزة قومها .. فربما قتل لتجاسره فى ذلك الزمن السحيق ..

والدكتور نصر .. يرى أن ذلك جائزاً اليوم .. كما أنه يجيزه فى كتاباته بل وبضرورة تطبيقه فى مفهوم الأئمة وعلماء الإسلام اليوم فيرى وجوب أن يكون مفهوم الخطاب الدينى لصيقا بعصر الخنساء .. وإن يختلف المفهوم اليوم للقرآن، ولا يبقى منه سوى موروثات ـ غير قابلة للتطبيق فى عالمنا المعاصر ـ فقط تبقى تلك الموروثات دون فاعلية أى يبقى القرآن بألفاظه ولا نعمل به فقط يبقى «بركية» تعلق الفتيات منه (بعض آياته فى سلاسل ذهبية جميلة تتدلى من رقبتها على نهديها أو تزان به السيارات بوضعه (الخطاب الدينى أى القرآن الكريم) فى السيارات أو على المكاتب [هو لم يقل ذلك .. ولكن بعد تجريد كثير من آيات القرآن لفاعليتها والعمل بها لن يبقى منه للناس غير ذلك] تماماً كموروثات عصر الخنساء .. هذا من وجهة سيدنا نصر .. !! وكما قلنا .. فهو مفتون برأيه المنقول من رؤى علمانية جائرة .. وبلغت فتنته بنفسه .. أن رأى أنه مساو تماماً لقامة سيد قطب .. فى التضاد الفكرى .. أى كما كان سيد قطب عظيماً فى إيمانه بالله .. فهو عظيم فى مناقضته له فقال : «عايزين يقتلونى ـ علشان ياخدوا بتأرهم من سيد قطب» .. !! ومن عجب .. أنه يطلب توقيره من المسلمين ، كما يوقرون علماءهم وأئمتهم .. بمخاطبتهم بكلمة (سيدنا) .. فهو يرى أنه البديل الأحق وأنه الأقوى .. فعليهم . استبدالهم به .. أى أن على المسلمين أن يستبدلوا إجلالهم لعلماء الإسلام ليكون إجلالهم للدكتور نصر عوضا عن علماء الإسلام .. وعلى المسلمين أن يقوموا بهذا الاستبدال .. !! .

فقد رأى أنه أحق منهم بالتوقير والاحترام .. بل وسخر من علماء الإسلام أيما سخرية ودليلنا على ذلك قوله : [أفلأن نصر أبو زيد لا يرتدى عمامة فإنه لا يكون شيخاً .. ولا يصح أن يكتب فى الإسلاميات ..

ألابد أن يكون له ذقن .. ويمسك سبحة ويحوقل ويبسمل ، ويتنحنح ويتنخم ، لكى يكون شيخاً .. لا بالطبع .. فليس من الضرورى أن ألبس عباءة فوق البدلة .. صحيح أننى لدى عباءات كثيرة .. جاءتنى هدايا .. إلـخ .. !!] .. ولا تعليق .

ومرة أخرى يفترض فرضا ـ غير يقينى ـ ويؤسس عليه نظرية .. يخرج منها بنتائج يقينية ؛ ثم يهاجم .. فعندما ذكر الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن .. فى كتابة (الكشف عن أقنعة الإرهاب) قال : (كان مسموحاً فى عصر النبوة تعدد قراءات النص الدينى (يقصد القرآن ـ المؤلف) وهى القراءات التى تتلائم مع واقع التعدد القبلى فى الجزيرة العربية ، وقد تم إلغاء التعدد لصالح القراءة القرشية) .

.. وهذا حق ألبسه باطل .. وإن كنت أرى ـ المؤلف ـ أن القرآن الكريم عندما نزل بالعربية وكانت لغة قريش ، العربية ، وانتشر بين القبائل العربية ذات اللهجات المتباينة (عربية أيضا ولكن لهجتهم مختلفة كأهل الصعيد فى مصر ينطقون القاف جيماً فمثلا إن قالوا (نقول) نطقوها (نجول) في حين أن (نجول) كلغة عربية تعنى .. نحوم ونتجول ونسير .. ولا تعنى ـ كلغة عربية (ننطق أو نتكلم أو نقول) .. ومن هنا قام عثمان بن عفان رضى الله عنه .. بإلغاء التعدد وجمع القرآن على حرف (قريش) مكتوبا .. وليس مرويا أو متلواً أو مقروءاً فقط .. ليكون (مرجع لكل العالمين .. هذا فضلاً عما سبق من أحداث معركة (اليمامة) التى اختلف فيها القراء في قراءاتهم للقرآن وأعملت سيوفهم فى أنفسهم فسقط الكثيرون من حفظة القرآن .. فكان لابد من حماية القرآن من الضياع .. وهذا ما كان .. ولكن فى رأى (أبو زيد الثانى) كما يحب أن يكنى ولا أحد يكنيه بذلك .. فلنكنيه نحن شفقة به .. !! فهو يرى فى تفسيره لهذه الوقائع .. بعد أن ألبسها ثوباً آخر .. أن سيدنا عثمان بن عفان ألغى قرءانات عدة لصالح قرآن قريش .. عصبية منه (أى أنه قضى على القرآنات الأخرى لصالح قرآن بلده وموطنه قريش .. والعصبية تعنى أنه ينتصر لأهله إن بغيا أو حقا .. وتلك جهاله .. ولكنه لم يصرح بها .. فلا داعى لمحاسبته على مالم يصرح به صراحة .. وإن كانت ضمنا) .. أما قوله بأنه كانت هناك قرآنات عدة .. فهذا معيب ومسف إن كان يقصد ذلك .. وهكذا فهم قوله كلاً من د . عبد الصبور شاهين ود . مصطفى محمود ، والشيخ محمد الغزالى ، د. بنت الشاطىء ود . سليم العوا .. مما دفع د . نصر أن يعتذر عن هذا المقصد الذى فهموه ، أو الذى يبدو من غموض عباراته .. ومصطلحاته التى أغرقها فيه .. وقصر فهمها عليه وحده .. فلم يقصد بها المصطلحات التي تفهم علميا وأكاديميا فإن يقول (الخطاب الدينى) فهى تعنى القرآن الكريم .. من سياق عباراته تفهم أنها القرآن الكريم .. ومن استخدام القدماء لها المقصود بأنها القرآن الكريم أيضا .. ولكنه عندما يجد نفسه محاصراً .. يدعى أن معناها (تفسير الأئمة للقرآن الكريم) .. وإن كان مخطئاً فى تفسير ما ساقه من مصطلحات .. فحسبنا هنا أنه أنكرها .. وبالتالى يكون قد أنكر أنه يقصد أنه كانت هناك قرءانات كثيرة .. بل أنه أقر فى حديث تال : (إنه ليس هناك قرءانات مطلقاً) .. وإنكار القصد .. إعتذار .. والاعتذار ندم .. والندم توبة .. والتوبة محلها القلب .. والله وحده المطلع على القلوب .. إن حقا .. بدل سيئاته حسنات .. وهذا ما نتمناه لدارس اجتهد .. ألم نقل أننا نتلمس له البراءة من الردة .. ولو من وجه واحد مقابل ٩٩ وجه .. إلا أنه قال (إن د . عبد الصبور شاهين كتب تقريراً وهذا التقرير نقل عنه د . مصطفى محمود ، والشيخ محمد الغزالى نقل عن د . مصطفى محمود) ولست أدرى .. من أين جاء بهذه الفرضية .. وأين ثبت معلوماته فى هذا .. ومن أى مصدر موثق تأكد من أن د . مصطفى والشيخ الغزالى لم يقرءا كتبه ..) ومن عجب أنه يستطرد بعد هذه الفرضية التى تحتاج مراجعة فيؤسس عليها نظرية .. ويخرج من هذه بنتائج .. فيقول : (ولم أكن اتصور مطلقاً أن الشيخ / محمد الغزالى يفعل هذا .. فهل يقرأ كتب نصر أبو زيد أم يقرأ مصطفى محمود) .. !! ثم يهاجم .. فيقول (يعنى لما يصل الأمر أن محمد الغزالى العالم المتخصص الفقيه يقرأ لكاتب عن آخر .. فهل هذا معقول .. يالضياع الإسلام .. عليه العوض فى الدين .. بل أنه عيب .. !!)

هذا نص من حديثه .. يثبت ما أتيناه .. من أنه لا يرى فى مرآته غير نفسه .. فلا يتواضع للعلم ولا للعلماء .. إنما يريد أن يتواضع العلم والعلماء له !! هذا فضلاً عن أنه يؤسس فرضية خاطئة .. ثم يؤسس عليها بنياناً .. من حديث لا تتأتى صحته إلا إذا كانت الفرضية المؤسسة فرضية صحيحة .. وما هى بذلك

.. ثم يهاجم ويعنف بناء على ما أسسه أساساً من فرضية ليس لها مكان سوى مخيلته هو .

.. ترى .. أيكون غروراً .. ربما .. أيكون أدباً مفقوداً .. جائز .. أيكون مرضاً عضويا .. لا أظن أم ترى أن ذلك سفسطة غوغائية بمفهوم العامة .. بأنها لجاجة لا معنى لها .. وليس بمفهوم الخاصة بنسبتها إلى مذهب (السوفسطائيون) الذين هم أساتذة أرسطو و طاليس وأفلاطون .. أيكون د . نصر غوغائى .. احتمال.. ولكنه ـ فى رأينا ـ وللأمانة حتى الآن .. يصعب علينا أن نؤكد ردته الشاقة الشروط . وإن كنت أسمح لنفسى ـ المؤلف ـ ببحث هذا الأمر بل وبالوقوف حكما بينه وبين خصومه .. فهذا السماح يرتكز على نقطتين جوهريتين .

الأولى .. مرورى الشخصى .. من زمن بعيد .. وفى عمر البلوغ بتجربة كان الهدف منها البحث لإختيار دين أدين به .. ولم يكن البحث من أجل شهرة أو مال أو ترقية .. حتى وصلت ـ وكما أوضحت فى باب فكر الإيمان فى ماضى الزمان ـ لأن أقول بحق بأنى (لو لم أكن مسلما .. لوددت أن أكون مسلما) .

الثانية .. الإطلاع الفقهى والقانونى الذى أنتمى إليه .. بل وانتهجته .. وبحثت فيه .. هذا فضلا عن دراساتى الأكاديمية المتعددة .. وحصاد السنين ..

شروط التحكيم فى الردّة :

لابد أولا أن نحدد هدف الشرح والبحث والتحليل لكتابات المذكور ، وإن كنا نعلم أن الهدف ههنا هو الحكم فى ردته من عدمها .. فلابد أن يكون فكرنا الصريح مبعثة خضوع آرائه فى أبحاثه لفكر المرتد عن دين الإسلام أم غير ذلك . ؟ فإن اتفقت وخضعت لا يكفى للحكم بردته وإنما علينا أن نستمر فى إنطباق الشروط الأخرى مثل .. هل هو معتنق لها مصمم عليها ، عامل بها ، أم أن تلك الآراء فى الأبحاث والكتب لا نغدو إلا كونها بحثا يعدو به لنيل درجة الأستاذية .. دون أن يكون فى جوهر عقيدته إنتهاجاً لنهجها .. وسلوكها سلوكا فى حياته .. ثم بعد ذلك جمعيه ؛ إذ كان يؤمن بها فى جوهر عقيدته (تلك المباحث التى قدمها) .. هل يسعى حثيثا على إيمان الآخرين بها (أى ينشرها ويؤصلها فى نفوس الناس ويحاول إقناعهم بها) أم هى سلوك مطوى على عقيدته دون دعوة إليها .. وفى النهاية هل هو مصمم عليها متمسك بها مدافع عنها .. كل ذلك وغيره كثير .. لابد أن يكون بين ناظرينا .. حتى نصل بانصاف .. إلى سلامة الحكم .. بصرف النظر حتى عن مشاعرنا الخاصة التى قد تختلف أو تتفق مع هذه الكتابات .. لنصل هل نحكم بردته ويكون حكمنا منصفاً عادلاً أم غير ذلك فلابد إذن أن نعرف أولاً من هو المرتد وما هى شروطه وشرائطه أولاً .. حتى نزن فكر وآراء وكتب وأبحاث نصر حامد أبو زيد بمعيار (المرتد) وهل تتكافىء أو تختل الكفتان .. ؟ وفيم الاختلال ومن إختل فيهما ؟ ولصالح من كان الاختلال ؟

(المرتد في المفهوم الإسلامي)

المرتد : .. «هو التارك لدينه ؛ المفارق لجماعته »

ويقول ابن تيمية من الحنفية فى (الأشباه والنظائر) : (الكفر تكذيب محمد ـ ﷺ ـ فى شىء مما جاء به من الدين بالضرورة ، ولا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بجحود ما أدخل فيه ، ويصير مرتداً بإنكار ما وجب الإقرار به ، أو ذكر الله تعالى أو كلامه بالاستخفاف ؛ والاستهزاء بالقرآن أو المسجد أو ما يعظم ، كفر ، ورد النصوص كفر) .

ومن كبار الحنفية يقول السرخص فى بيان ما جاء به من الدين بالضرورة (قد بينا أنه كان يعتمد (الوحى) فيما بينه من أحكام الشرع ، والوحى نوعان ظاهر وباطن .. وأما ما يشبه الوحى فى حق الرسول ـ ﷺ ـ فهو استنباط بالأحكام من النصوص بالرأى ؛ والاجتهاد فإنما يكون من الرسول ـ ﷺ ـ بهذا الطريق . فهو بمنزلة الثابت بالوحى لقيام الدليل على أنه يكون صوابا لا محالة) . ويؤكد الإمام أبو بكر الجصاص وهو من أكبر علماء الحنفية وأئمتهم ومن أفقه تلاميذ الإمام أبى حنيفة النعمانى فى (أحكام القرآن) وتفسيراً للآية

﴿ وما ينطبق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ فيقول : [فى هذه الآية دلالة على من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله الله ـ ﷺ ـ فهو خارج عن الإسلام ؛ سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والإمتناع عن التسليم ، لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبى ـ ﷺ ـ قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان] ، ويقول أيضا فى ذات تفسير الآية ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [يحتج به من لا يجيز أن يقول أن النبى ـ ﷺ ـ فى الحوادث من جهة اجتهاد الرأى بقوله : ﴿إن هو إلا وحى يوحى ﴾ وليس كما ظنه لأن اجتهاد الرأى إذا صدر عن الوحى جاز أن ينسب موجهيه ، وما أدى إليه أنه عن وحى أحكام القرآن ﴾ . هذا وبالرجوع إلى المذهب الحنفى . المطبق مذهبه فى المحاكم المصرية ـ نجد أن القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ، ٢٨٠ من لائحة المحاكم الشرعية والمادة الرقمية (٦) تقرر [تصدر الأحكام فى المنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية والوقف ، والتى كانت أصلاً من اختصاص المحاكم الشرعية ، طبقاً لما هو مقرر فى المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية (تصدر الأحكام طبقا للمدون من هذه اللائحة ولأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة ، ما عدا الأحوال التى ينص فيها قانون المحاكم الشرعية على قواعد خاصة فيجب فيها أن تصدر الأحكام طبقا لهذه القواعد] . (والمعنى فى كل ما سبق أى ما لم يرد فى القانون الوضعى نص عليه فى مجال الأحوال الشخصية يطبق حياله أرجح الأقوال للإمام أبى حنيفة النعمان) . ولما كانت «الحسبة» و(الردة) ليس لهما نص فى القانون الوضعى فيطبق أرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة .. ولما كانت «الحسبة» واردة فى مذهب أبى حنيفة فيلزم تطبيقها .. هذا باختصار ما ندور (فقهاء القانون والشريعة) فى التعبير عنه بأساليبنا المختلفة . وقد أفتى شيخ الأزهر فى مايو من عام ١٩٧٩ بقتل المرتد إذا أصر على ردته ولم يتب ولم يرجع إلى الإسلام متبرئاً مما فعل .. وكانت هذه الفتوى الشرعية التى صدرت من الشيخ / جاد الحق وكان يعمل وقتذاك مفتياً للديار المصرية ، قد أفتاها عندما تلقى خطابا من وزارة التربية التعليم تطلب فيه الفتوى فى أمر أحد مدرسيها الذى أعلن أنه اعتنق الديانة المسيحية وتسمى باسم جديد . [مما سبق يتأكد أن من استخف بالقرآن أو بشىء منه أو جمده أو حرفا منه أو كذب شيئا منه أو أثبت ما نفاه ، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك ، أو شك فى شىء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم باجماع ، وكذا من سخر بالشريعة أو بحكم من أحكامها ، كأن يسخر من الأمر بالمعروف ؛ والنهى عن المنكر ، أو لم يقر بالأنبياء والملائكة .. فهو كافر إتفاقاً] . (الزنديق هو أسفل درجة من المرتد الكافر .. فالزنديق هو الذى يدعو لكفره أى أنه يروج عقيدته الفاسدة ويخرجها فى الصورة الصحيحة ، فهو معروف بالإضلال ، ويجحد الحشر والصوم والصلاة ويقول المسمى بها غير المعنى المراد) .

يطالعنا تعريف المرتد (على النحو السابق ذكره) وهو إنطباق سلوك المدعى بردته ما ورد منها وخضوعه لأى عنصر من عناصرها شريطة أن يكون دينه الإسلام أساساً .. فى رأينا ـ المؤلف ـ أى من كان دينه الإسلام أساساً ورجع عن دينه إلى الكفر ، وركنها التصريح بالكفر ، إما بلفظ يقتضيه ، أو بفعل يتضمنه ؛ والمقصود هنا الإجماع لأن الكفر لا يمكن أن يلصق بالظن أو الشك ؛ فلابد أن يكون الكفر الحاصل من (المدعى بردته) مجمعا على أنه يخرجه من الملة ؛ عند كافة علماء المسلمين وأئمتهم مع اختلاف مذاهبهم الفقهية فكما أن الإسلام ثابت يقيناً ، فلا يزول اليقين إلا بيقين .

الرُّغاء في الرَّغام

وفى مناط تعريفنا بالردة والمرتد ؛ لابد أن نستعرض آراء المعارضين للحكم بالردة وبدعوى الحسبة والباعدون بآرائهم عن صحيح الأثر ؛ هؤلاء الذين تشبه آرائهم الرغاء ذلك (صوت ذوات الخف) فى الرَّغام (ذلك التراب) ؛ فلا لصوتهم أثر وحتى أثرهم الواهن يتبدد فى رغام الصحراء وتلال الكثبان التى لا صوت لها محاولين ـ بإذن من الله ـ الرد عليهم .. ذكر أحمد الحانكى ذلك الذى عبرت عنه إحدى المجلات المصرية بالمفكر وأسبقت ذلك باسمه .. كما ذكرت أنه يعمل بجامعة (مارشال) بأمريكا ؛ فى مقال كبير

نشرته له بتاريخ ١٩٩٥/٧/٣ احتوى على نقد مأفون عنيف لم يخل من الإساءة للقضاء المصرى والقضاة «بعنوان د . نصر حامد أبو زيد على شاشات الكمبيوتر الأمريكى» فقال ما ملخصه : إنه علم بخبر الحكم القضائى من خلال (كمبيوتره الشخصى) فى المنزل المرتبط بمحطة إرسال لشبكة الانترنت ولم أصدق الخبر .. و... و.... و....

[يتلاحظ أنه يزايد بما يملكه من تقنية عالية فى منزله فى محاولة لمقارنته بما فيه نحن من تخلف وصل إلى حد الحكم على فكر مفكر بأنه مرتد .. وعلى أى حال سنتعرض للحكم والرأى فيه فى أوراق تالية - المؤلف] . واستطرد يقول : وتلك سابقة تهز الثورة التكنولوچية و... و... ثم عبر عن الحكم والحدث نصا [حقا أنه زمننا الخائب] وقد ذكرت فى مقال (الكلام مازال على لسان أحمد الحانكى هذا عن نفسه) لمجلة «المجلة» التى تصدر فى لندن .. إن الإرهاب نجح فى إصدار قرار بهدم أسرة دون رضاها .. وصدر الحكم بشكل مزر .. وانتهاك فاضح لحرية الإنسان و... و... و... وخفافيش الظلام ... والقوى الظلامية ... واستمر مقاله كاملا على هذا النحو الرغائى إلا من فقرة واحدة يمكننا الرد عليها ... أما باقى المقال على طوله فقد حوى شعارات تعبيرية على نحو ما أسلفنا لا فكر فيه مثل (القاضى الذى تجرأ بقلب زائغ وبعقل ظلامى ليحقق حلم البغاة .. إلخ) .

أما الفقرة الوحيدة التى تستحق الرد فهى التى قال فيها [لم يتدخل الرسول - ﷺ - بين ابنته زينب وزوجها الذى كان كافراً ؛ ولم يفرض عليها الطلاق ؛ وهى ابنة سيد المرسلين ، بل إنه طلب من الصحابى الذى أسر زوجها ؛ عندما حارب الرسول فى إحدى المعارك ؛ طلب منه الإفراج عنه تقديراً لمشاعر إبنته المسلمة] انتهت الفقرة التى تستحق الرد لمجافاتها لكل الحقيقة .

الرد .. والردة

هذه الرواية - تحتاج مراجعة - حيث مبلغ علمنا اليقينى.. أن كل بنات الرسول ولدن جميعاً قبل النبوة وقبل المبعث وهن بترتيب ميلادهن (زينب - رقية - أم كلثوم - فاطمة) وجميعهن بنات السيدة خديجة بنت خويلد؛ و(زينب) هى أول من ولد لرسول الله - ﷺ - من البنات وتزوجت قبل المبعث من (أبو العاص ابن ربيع) وقال النبى - ﷺ - فيه (حدثنى فصدقنى ، ووعدنى فوفانى) وولدت له (عليا) و (أمامة) وتلك الأخيرة كانت تلهو صغيرة فوق ظهر رسول الله ﷺ فى سجود صلاته ، فيطيل السجود ، وقيل كان يصلى بها وهى متعلقة برقبته .. وكان رسول الله ﷺ بالمدينة ، وزينب مع زوجها (أبا العاص بن الربيع) بمكة ، فلما قامت حرب بدر الكبرى .. وكان زوج (زينب) لم يدخل الإسلام بعد . فحارب مع قومه .. وأسر ضمن خمسين أسيراً .. وقتل منهم اثنين (النضر وعقبة) وأطلق سراح «أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحى» بغير فداء عندما توسل إلى رسول الله قائلا : «لى خمس بنات فتصدق بى عليهن يا محمد» وإنى لمعطيك موثقا لا أقاتلك ولا أكثر عليك أبداً ، فقد كان شاعراً . فأمنه النبى وأرسله لأهله من غير فداء ، كما أسلفنا القول ، وكان هو وحده الأسير الذى ظفر بهذا الأمان ، على أنه ما لبث أن نكث عهده ؛ وإن عاد فقاتل بعد عام فى (أحد) فأسر وقتل ؛ وأما عن باقى الأسرى فى موقعة (بدر) فكان الفداء أربعة آلاف درهم للرجل إلى ألف ؛ إلا من لا شىء عنده فقد من عليه (محمد) ﷺ بحريته ، وإن كان لبعض المستشرقين من وقفة عند مقتل «النضر وعقبة» يتساءلون فيها «أليس فى ذلك ما يدل على ظمأ هذا الدين الجديد إلى الدم ظمأ لولاه ما قتل الرجلان ؟ على أن هذا التساؤل ما يلبث أن ينهار ويتداعى إذا نحن وازنا بين مقتل (النضر وعقبة) وبين ما يقع باسم قمع الثورات فى بلاد يحكمها الاستعمار على كره من أهلها ، إلا أننا نذكر هؤلاء المستشرقين بمجازر الحرب الكبرى ، ومجازر الثورة الفرنسية الكبرى ، بل وبمجزرة (سان بارتلمى) هذه المجزرة التى قامت باسم المسيحية ، وتعتبر بحق سبة فى تاريخ المسيحية ، تلك التى دبرت بليل وقام فيها (الكاثوليك) يذبحون (البروتستنتيين) فى باريس وفى كل فرنسا غدراً وغيلة ، فى أحط صور الغدر وأبشع صور الغيلة ، فإذا قتل اثنين من أسرى (بدر) الخمسين لأنهما كانا قاسيين على المسلمين .. على مدى

الثلاثة عشر عاماً التى احتمل فيها المسلمون صنوف الأذى بمكة .. أكان ذلك كثير فى نظر المستشرقين .

وأما عن زوج (زينب) ابنة النبى فقد أرسلت تفتدى زوجها (أبا العاص بن الربيع) وكان فيما بعثت قلادة لها ؛ كانت (خديجة أمها) أدخلتها بها على (أبى العاص) حين بنى بها : فلما رآها النبى قال (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فإفعلوا) . ولما نزل الوحى على رسول الله ﷺ بالآية ﴿ ... ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ....﴾ ـ البقرة / ٢٢١ ـ حبس زينب عنده ، ومنعها عن زوجها . وضمها إليه ، حيث أرسل «زيد بن حارثة» وصاحبا معه إلى (زينب) فى بيت زوجها (ابن ربيع) فجاء بها إلى المدينة . وما لبث زوجها (أبو العاص بن الربيع) بعد مدة إسارة أن خرج إلى الشام فى مال قريش حتى إذا كان على مقربة من المدينة لقيته (سرية) لمحمد ـ ﷺ ـ فأصابوا ما معه . فانحدر تحت الليل إلى أن دخل على (زينب) واستجارها فأجارته ، ورد المسلمون على (ابن ربيع) ماله . فانطلق به آمنا إلى مكة ، فلما رده لأصحابه من قريش قال (يا معشر قريش .. هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟) قالوا (لا .. جزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيا كريما) قال : (فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا مخافة أن تظنوا أنى أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها ، أسلمت) وعاد إلى المدينة ومثل بين يدى رسول الله وأعلن إسلامه وأشهد عليه ، فرد رسول الله ـ ﷺ ـ عليه زوجته زينب رضى الله عنها على النكاح الأول ؛ وقيل بل ردها بنكاح جديد ، وسواء كان على النكاح الأول أو بنكاح جديد ـ ففى رأينا (المؤلف) ـ أن كلاهما صحيح؛ حيث أن زوجها (أبو العاص ابن ربيع) لم يكن مرتداً حتى يلزمه بنكاح جديد ، وإنما هو لم يكن قد أسلم بعد؛ فكان على دين آبائه ، فلما ظهر الإسلام ؛ وأسلم فيما بعد فما حاجته لنكاح جديد حتى وإن كانت زوجته (زينب قد سبقته إلى الإسلام ، فهو يسلم للمرة الأولى .. ولم يكن مرتداً عن دين الإسلام وتاب أو استتاب حتى يلزمه بنكاح جديد ، وبهذا (الثبت) الذى سقناه لم يثبت أن النبى قبل باستمرار علاقة إحدى بناته بزوجها المشرك بعد نزول آية التحريم كما ذكر (الحانكى) .

وفى رأينا أن المرتد بعد الحكم النهائى عليه بالردة يلزمه (عند استتابته أو توبته) إن هو تاب ، عقد جديد للزواج سواء ممن فرقت عنه لردته ، أو للزواج بأخرى ، لأن العقد الأول الذى كان قد عقده بعقده النكاح مع زوجته المسلمة أيام كان مسلماً قد فسخ بردته .. فإذا تاب فهو قد رجع للإسلام فيلزم عقد جديد .. ذلك إذا كان الحكم القاضى بردته حكما نهائيا .

فالردة : هى الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر ، والمرتد هو المكلف الذى يرجع عن الإسلام ، بإرادته واختياره ، أما بالتصريح بالكفر ؛ أو بفعل يقتضيه ، أو بفعل يتضمنه ، فكل تلك المعانى تمثل مظاهر الردة وتفضح عن وجودها ؛ إذ من شأن المسلم أن يحتفى بدينه ، وأن يعض عليه بالنواجذ ، وأن يبتعد كلية عن كل ما يتضمن مساساً به ، لأنه أساس العصمة ؛ وسبب الاستقامة ، ومصدر الفلاح للفرد والجماعة ، فى الدنيا والآخرة ، فإذا وجد فى سلوك الإنسان واحد من الأمور التى تفضح ردته ، فإن ذلك الأمر ، يعتبر كاشفا عن زيغ عقيدة فاعله ، ومن ثم ، يكون أساساً سليما للحكم بردته ، ولا يغير من هذا المعنى أن يقال : إن أمر العقيدة بين العبد وربه ، فمتعلق أفعال القلوب ، من إيمان وكفر ، مرجعه لعلام الغيوب .. ولا يقدر أحد من البشر أن يحكم بكفر إنسان ، لأن الكفر اعتقاد محله القلب ، الذى لا يقدر أحد على إدراك كنهه أو قراءة ما فيه .

وعلى هذا فالحكم بالردة لابد أن يكون بناء على الظواهر التى تكشف عنها حياة المرتد ، ومن أفعاله وأقواله وتصرفاته . أى أن الحكم ، بناء على ظواهر أكيدة يقينية .. دامغة .. فى تصرفات المرتد .. تشكل دليلاً كاملاً ـ لا شبهة فيه ـ على إرتداده من الناحية الشرعية ، والله أعلم .

أرتباك أفكار د . نصر بين الغلط واللغط

يقول د . نصر «لم ينج القرآن من عمليات المحو والإثبات» وحين كتب تلك العبارة أكد ما رددته بعض طوائف الشيعة .. من أن الوحى (جبريل الأمين) كلف من الله جل جلاله بأن ينزل القرآن على الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. ولكن (جبريل الأمين) [لاحظ الأمين] المكلف من الله سبحانه وتعالى أخطأ الإمام على وأنزل القرآن على محمد بن عبد الله .. !! وفى هذا يتزيد غلاة الشيعة بقولهم أن القرآن الكريم

كان به «صلاة وسلاماً على عليٍّ» ولكنها حذفت من القرآن لصالح سيدنا محمد بن عبد الله .. !! كما محيت من القرآن عمداً النصوص الدالة على إمامة (على) والحقيقة أن هذا الزعم لم يقله أبداً أصحاب مذهب (الإمامية) وهم شيعة أيضا بل هم الكثرة الكاثرة فى المذهب الشيعى ، فإن موقفهم هو موقف أهل السنة من تنزيه القرآن عن المحو والإضافة ، وصدقوا قوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ / الحجر ؛ أما غلاة الشيعة فهؤلاء ما كرر د . نصر زعمهم ؛ ومع هذا فلم نسمع أن الشيعة الغلاة حاربتهم الدول التى يعيشون فيها ، أو قضى عليهم فقهاء العراق وإيران وسوريا حيث يعيش أكثرهم هناك ، أو وصفوهم بأنهم مرتدون كما لم تصدر عليهم المحاكم أحكام بالردة ؛ ولم تقام على أياً منهم دعوى حسبة .

فنحن هنا نقر بخطأ د . نصر ... بل وبأسفافه فى كثير من مواضع ما كتب .. ولكنه فى رأينا ـ المؤلف ـ لم ينحدر إلى درجة الردة ؛ رغم أنه كتب يقول فى كتابه مفهوم النص «فإذا نظرنا للإسلام من خلال منظور الثقافة تبدد ذلك الوهم الزائف الذى يفصل بين العروبة والإسلام ؛ وأخذ عليه مهاجموه قوله هذا (نقيصة منه) أنه ينكر عالمية الإسلام وأنه ليس خاصاً بالعرب وحدهم . ولكننا نرأف به ونبحث له عن وجه واحد يبعده عن تهمة الردة .. وليكن بصيص أمل من ثقب إبرة فنقول : إن القرآن الكريم ـ الفرقان .. الذى يفرق بين الحق والباطل .. وهو المعجز .. والإعجاز .. وفيه شفاء للناس .. والبحر الواسع .. ولأنه معجز وإعجاز .. فسيظل الخلق وحتى قيام الساعة ينهلون منه .. ويتعلمون منه .. ولن يشبعوا .. ولن يكفوا عن التعلم والتعليم ـ أى لن تجد ـ وأبداً ـ من يصل إلى غاية معناه الانهائى .. ولن تجد ـ أبداً ـ من يسبر أغواره حتى منتهاه .. فأنت وأنا وأى إنسان له عقل مهما عظم أو قل .. كلما قرأت فيه استزدت بجديد .. وهذا الجديد لن ينفذ .

وأدعوك أيا كانت درجة علمك وثقافتك .. وأيا كانت أعداد قراءاتك للقرآن .. وحتى لو كنت حافظا له عن ظهر قلب .. فكلما رددت آياته أضفت إلى نفسك جديدا . فى الرحة النفسية .. وفى المعنى الذى تكتشفه فى كل مرة عن سابقتها .. وفى اللغة .. فهو كتاب الله الذى نزل بلغة عربية .. ليفهمه البشر .. وهو بالقطع سر .. وسره عظيم ومن عظمة سره أن أحداً لا يستطيع أن يأتى بمثله فهو إعجاز وفى ظل كل ذلك .. أرى.. أن الباحث الدكتور / نصر حامد أبو زيد والذى تبحر فيه بعمق فاق بعلمه فيه علم العرام . رأى أنه فيه أيضا مع كل ما فيه من معان اكتشفت .. ومازالت هناك معان لم تكتشف .. سيكتشفها ـ إن شاء الله ـ أقوام لم يولدوا بعد لتستغرق حياتهم كما استغرقت المعانى التى اكتشفها الأولون والتى اكتشفناها نحن حياتهم وحياتنا .. نقـول إن د . نصـر أبوزيـد اكتشـف فيـه ما كان غامضا عليه وربما اكتشفه من قبله بمئات السنين أقـوام سبقت وسيكتشفه من بعده بعد مئات السنين أقوام لـم يولدوا بعـد وربما يكتشفوا أكثر مما اكتشفنا جميعا .. نقـول إن د . نصر اكتشف أن القرآن ليس فقط فيه كل ما سبق وإنما أيضاً هو نعمة وشرف على أهل العربيـة أن ينزل بلغتهـم .. فإذا كانـت العربيـة قبل نزول القرآن كلغة هى الأصل ولها قواعدها وفنونها من مجاز وتورية وبلاغة وجناس وطباق وكثير من آيات الإبداع فيها .. ونزل القرآن بنفس اللغة التى يفهمها العرب أصبح تشريف للغتهم .. وليس هذا فقط .. بل أصبحت العربية هى لغة القرآن .. بعدما استغرق القرآن الكريم بنزوله كل الإبداع وكل البلاغة فى كل اللغة العربية بل أصبح بنزوله هو (الإعجاز) فى البيان .. وصار المثقفون فـى اللغـة يحاولون أن يرتقوا بلغتهم بالتعلم من عربية القرآن وقواعد القرآن .. فإذا كان القـرآن نـزل للناس كافة إلا أن الهداية به لابد من أن تكون من مجيد للغة العربية وهذا تشريف آخـر اكتشفه الآن فقط وأنا اكتب حالا .. فإما أن يهدى عربى به أجنبى وإما يتعلم الأجنبى العربية للهداية به .. فهـو تشريف للعربى وللعروبة وكما لكل إبداع زوايا جمالية كثيرة تستطيع أن تصف زاويه واحدة بعينهـا بمنظور خـاص .. فمـاذا يضير إنـا نظـر الباحـث للقرآن من خلال منظور ثقافى فوجد أن العروبة والإسـلام وحـدة واحـدة وربمـا قصـد أن الإسلام وقرآنه يثرى اللغة العربية وينقيها ويجملها ويرفع مستواها .. وأن العروبة والعربية تفسر القرآن وتوضح معانيه بما أوتى أصحابها (العربية) من قدرة على التعبير لتصوير معانى الآيات فى صور جمالية رائعة .. إن كان الباحث يقصد ذلك فلا غرو ولا إثم وربما قصد بعبارته معنى آخر وأجمل مما عبرت له .. كما أنى لست مطالبا بأن أحمل عباراته فى بحثه

أكثر مما تطيق وتحتمل وأظلمه بغير داع ولا مقصد منه .. كما أنى لست مطالبا بأن أسأله .. وعلى أن أفترض حسن نيته .. وفي هذه أقص عليكم ماحدث من ابنة الإمام الشافعى حيث ألقت من شرفتها بمياه تصادف أن سقطت على أحد المارة فإبتلت ملابسه .. فنظر إليها وسألها قائلاً : أنا لست حزينا على ابتلال ملابسى الجديدة ولكنى فى طريقى للمسجد للصلاة وأريد أن أسألك (أهذه المياه طاهرة أم نجسه) ـ فأجابت : (نجستها بسؤالك .. !!) ـ أى بسؤالك ألزمتنى أن أصدقك القول بحالها أنها نجسه .. لكنك إذا لم تسأل عامداً وافترضت طهارتها وصليت .. صحت صلاتك ..

أيها السادة :ـ ماذا فى عبارات الباحث من كلمات ظاهرة تدل دلالتها اللفظية المباشرة على خروجه عن الإسلام .. ربما يكون خرج عن حدود اللياقة أو حدود الأدب .. أو حتى أخطأ .. أو لم يقصد أو أساء وأسرف على نفسه .. ولكن أن نقول إنه (إرتد) كبيرة .. وكبيرة جداً .. فالله بنصوص آياته يقول (إن الله يريد أن يتوب عليكم) أى إرادة الله أن يتوب علينا وندينه نحن ؛ ألا يكفى إنكاره أنه مرتد وتمسكه بأنه مسلم يفسر القرآن؛ ربما أخطأ فى تفسيره .. أو أسرف فيه .. أيمكن أن يكون مرتداً وهو ينكر وأنا أجزم .. !! أن المرتد من شروطه التى أسلفناها يتمسك بردته ويعلن عنها ويحارب لها .. وباحثنا ليس كذلك .

تحليل عبارة د . نصر (النـص ينتمـى إلـى ثقافـة البشـر..) نفس المصدر السابق .

تعليـق المؤلـف : لا شىء البتة فى ظاهر العبارة (النص القرآن الكريم) نزل بلغة بشرية نفهمها فلم ينزل بلغة ملائكية ولا لغة الطير .. نزل بلغة بشرية وبثقافة البشر .. ﴿عم يتساءلون﴾ أن من أسرار إعجاز القرآن أنه نزل بنفس حروف العربية الثمانية والعشرين التى يستخدمها العرب .. ورغم ذلك يعجزون أن يأتوا بمثله .. فقمة الإعجاز أن ينزل بذات الحروف التى يستخدمها العرب فى لغتهم وإبداعهم وتخصصهم ولا يقدرون ـ ولن يقدروا ـ على أن يأتوا بمثله .

(كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبى الخالد دون نظر إلى اعتبار دينى هو ما نعتقده وتعتقده معنا الأمم العربية أصلا؛ ويجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد) من نفس المصدر السابق .

تعليق المؤلف : ولعلنا نرى منظور آخر لكتاب الله (القرآن الكريم) وهو أنه يمكن لأى كائن بشرى أيا كان الاستعانة به فى تنقية لغته العربية أو تعلمها من القرآن الكريم (أى أهداف ومزايا فى إعجاز القرآن حتى لغير المسلمين ولغير المؤمنين) فهل ـ يستطيع مسلم أيا كان ـ أن يمنع غير المسلمين من شراء نسخة من القرآن الكريم .. ؟ طبعاً إستحالة ؛ إذن فأى شخص بصرف النظر عن إسلامه يستطيع أن يشترى نسخة من كتاب الله .. بل ويستطيع ـ إن شاء ـ أن يتلوه ليتعلم منه اللغة العربية أو حسن البيان أو المجاز أو التطابق أو الجناس أو التورية أو التوكيد أو ...... إلخ لأن القرآن معجز فى كل شىء لأنه فى علم المؤمنين به (كتاب الله ، المعجز ، ذو البلاغة الذى لا يدانيه أحد فى بلاغته .. الهادى .. إلخ) . فإذا تناوله شخص ما من منظور واحد (كتاب العربية الأكبر) بصرف النظر عن باقى ما فيه .. فما الخطأ الظاهر هنا للباحث عندما يؤكد أن القرآن [كتاب العربية الأكبر] أى الذى لا يوجد أكبر منه فى اللغة وهذا صحيح بل أنه يؤكد بأنه (القرآن الكريم) ليس هو كتاب اللغة فقط فيقول [دون نظر إلى اعتبار دينى هو ما نعتقده] أى أننا نبحث الآن فى عربيته التى نزل بها ولا نبحث فى قدسيته الدينية وإعجازه الدينى الذى نحن نعتقده، أى أن الباحث قرر إيمانه بالقرآن الكريم حتى وهو يناقش حلاوة اللغة العربية فيه وطلاوتها فقال : (دون النظر إلى اعتبار دينى هو ما نعتقده وتعتقده معنا الأمم العربية أصلا ويجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد) .

نفس العباراة التى أدانه بها بعض الأساتذة هى نفس العبارة التى يؤكد فيها اعتقاده فى القرآن الكريم .. بل وبه يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد أى أنه يبدأ بتلاوة منه قبل أن يأكل أو يشرب أو يسافر أو يكتب أو يمشى (كل غرض وكل مقصد) ..

(الهدف الخبيىء فى بعيد نفسه) (إن النص فى حقيقته وجوهره «منتج ثقافى» والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما ؛ وإذا كانت هذه الحقيقة بديهية ومتفقا عليها ؛ فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق على النص ؛ يعود فيطمس هذه الحقيقة البهديهية ؛ ويعكر ـ من هنا ـ إمكانيةالهم العلمى للنص) . من (مفهوم النص ـ دراسة فى علوم القرآن) المصدر السابق .

قبل أن نناقش عبارة الباحث هذه يروق لنا أن نبتعد قليلا عنها لأنها تبدو للعوام منذ الوهلة الأولى إنكاراً للوحى وإنكاراً للوح المحفوظ وإنكاراً لنزول القرآن فى ليلة القدر .. وإنكاراً لكثير من الآيات فى هذه العبارة ؛ ولكن دعونا نغوص أكثر فى محاولة لتبرئة الباحث ؛ نعم .. نحن هنا نحاول تبرئته .. ونبحث عن أى شك فى ردته ، فنحن مأمورون بذلك من الرسول وفقا لمفاهيمنا نحن للخطاب الديني .. لأن الله (يريد أن يتوب) وبنص القرآن ﴿إن الله يريد أن يتوب عليكم﴾ وعلينا أن نعمل فى إتجاه إرادة الله فنحن هنا نتلمس له النجاة وندافع عن إسلامه .. ولسنا هنا لمحاولة الإيقاع به فأى عبارة فيها بصيص من إيمان مهما كان (ميكروسكوبيا) نتعلق بها لأن أى ذرة إيمان تنجيه - فضلا عن أنه نجا فعلا بإقراره أنه (مسلم ويعتقد بواحدانية الله وبالقرآن دستوراً وبمحمد نبيا) ولكننا لا نناقش إيمانه بصفة عامة .. بل نناقش إيمانه فى كل عبارة صدرت عنه وإبتداءً سنفترض - جدلاً - أنه أخطأ فى هذه العبارة فهل أخطأ فقط أم إرتد ، أولا تؤكد عبارات أخرى سبقت أو تلت إيمانه .. **أفلا نمسك ميزانا نزن به خطاياه فى إحدى الكفتين .. وفى الأخرى عباراته الدالة على إيمانه علما بأن هذا الميزان من شأن الله وحده** .. وليس للبشر أن يزنوا به خطايا وصوابات إخوانهم فالميزان البشرى ليس كالميزان الإلهي .. لأن عملا واحداً قد أقوم به فى نهاية حياتى من شأنه أن يبدل سيئاتى كلها إلى حسنات .. ساعتها قد أكون مع الصديقين والأبرار فى درجة الفضل ﴿من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فألئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ..﴾ ٧٠ / الفرقان.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى .. دعونا نتحرر - جدليا أى بافتراض جدلى بحت .. من عبودية النص (مع العلم بأننا فى الحقيقة نقر بعبادتنا لله وبعبوديتنا الخاضعة لجلاله وعزته) ونتساءل هل نحن عبيد لله أم لمحمد أم للقرآن الكريم .. ؟! الإجابة الفورية .. أننا عبيد الله .. لا نعبد سواه بنص القرآن ومعناه ومفهومه وبالإيمان برسالة محمد - ﷺ - فنحن إذن عبيد لله ووسيلتنا فى عبادته ما أنزله على محمد - ﷺ - من قرآن كريم وفسره لنا بما تواتر عنه من الحديث النبوى الشريف وبما أفتى به فقهاء الإسلام المشهورون (أبى حنيفة النعمان - أحمد بن حنبل - أدريس الشافعي - مالك بن أنس) .. وكما نعلم أن تفسيراتهم ليست نسخة واحدة تماماً وإلا ما كان لتعددهم معنى فهناك آراء فقهية مختلفة لكل منهم عن الآخر .. ولكل منهم أسانيده فيما يقول .. فهل إذا أخذنا بالمذهب الحنفى مثلاً - ونحن فعلاً آخذون به - فهل لنا أن نرفع (دعوة حسبة) على أحمد بن حنبل وإدريس الشافعى ومالك بن أنس وهل نكفر الذين ينتهجون منهجهم فى الإيمان ؟؟ بالقطع لا هذه ولا تلك .. ولكن هناك من إختار هذا المذهب نهجاً لحياته وآخرون إتخذوا مذهباً آخر وغيرهم إتخذوا مذهباً ثالثا .. وهكذا وكلهم عبيد الواحد القهار مؤمنين ومزعنين لأمره ولكن لماذا يختار فريق ما مذهباً معينا ويختار آخرون مذهبا آخر بالقطع درسوا ثم إختاروا أى أنهم عندما درسوا فكروا وعندما فكروا واختاروا فإنما كانوا فى ذلك أحراراً فى إختيارهم .. فهم عبيد لله لكنهم فى نفس الوقت أحرار فى إختيارهم لمفهوم النص القرآنى حيث كان أمامهم أربعة مفاهيم لأربعة فقهاء .

ونستطيع أن نقول أنهم فى ذلك تحرروا من عبودية النص القرآنى اللفظى الدلالة فاختاروا مفهوماً إرتاحوا إليه وهم أحراراً . وقد يتفق جميع الفقهاء سواء الأربعة الكبار أو غيرهم على أن الله ليست له «يد» كما ورد فى الدلالة اللفظية فى النص القرآنى ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ - ١١٠ / الفتح - و﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ - ١/ الملك - ﴿يد الله مع الجماعة ﴾ ﴿بين يدى رحمته﴾ - ١٥٧ الأعراف ، ٤٨ الفرقان - ٦٣/النحل - ﴿إن الفضل بيد الله﴾ - ٢٩ الحديد ، ٧٣ آل عمران - ﴿ .. يد الله مغلولة ﴾ - ٦٤ المائدة - ﴿بيده ملكوت كل شيء﴾ - ٨٨ المؤمنون ، ٨٣ يس - ﴿بين يدى عذاب شديد ﴾- ٤٦ سبأ ، ١ / الحجرات ، ١٢ ، ١٣ المجادلة .

ويقينا الذى يتصور إن الله له «يد» مثلنا أو «عين» كقوله تعالى : ﴿ وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى﴾ - ٣٩ طه - يكون قد أخطأ وأسرف على نفسه **وعلى هذا تكون عبودية النص غير واجبه بل ومكروهه فى بعض الأحيان** .. فالباحث يعبد الله ولكنه إن عبد النص بدلالته اللفظية يكون قد أخطأ . فلابد أن يفهم بثقافته **أن اليد لله تعنى الهيمنة والسيطرة وليست اليد ذات الأصابع الخمس** .

أى أن القرآن يمكن فهمه بإنتاجنا الثقافى الموروث والمكتسب بدلالته اللفظية ، وعلى هذا يكون تعبير الباحث عن القرآن (أن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى) غير خارج عن المتبع والمألوف فى الإجماع

والقياس ؛ إن كان ما ذهبنا إليه هو مقصده ؛ وعلينا أن نحسن الظن به فهو بذلك غير مرتد .. ؛ أما إن لم يكن ما ذهبنا إليه ؛ مقصده ؛ فالله أعلم بمقصده يحاسبه عليه ؛ والله أعلم بصحة ما ذهبنا إليه من عدمه ويستطرد الباحث ؛ فيتعلق بنقطة حساسة للغاية ؛ تختص بالوحى ، جبريل الأمين عليه السلام فيقول ـ بعدما أشار وفقا لاعتقاده فى بحثه ـ «أن النص (القرآن الكريم) (منتج ثقافى)» وقد حاولنا قدر علمنا إيضاح إيمانه بالله وبالرسول وبالنص (القرآن الكريم) فى تحليلنا السابق وعلينا أن نستطرد معه على نفس طريق هدفنا فى تبرئته من تهمة (الردة) ونرجو ـ جادين فى الدعاء ـ أن يعيننا الله حيث أنه باستطراده فى عبارته السابقة ومساسه لأمر الوحى يكون قد دخل منطقة شائكة بل وخطرة أيضا .. وأرى أنه يلزم التفهم الكامل لمقاصده (الإيمانية) فيما إستطرد فيه وعلىّ ـ المؤلف ـ جهد البحث لاستخراج وجه إيمان واحد من قوله : [وإن كانت هذه حقيقة بديهية (أن القرآن منتج ثقافى بالمفهوم الذى أوضحته سابقا) فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق على النص ، يعود فيطمس هذه الحقيقة البديهية ، ويعكر ـ من هنا ـ إمكانية الفهم العلمى للنص] من (مفهوم النص) . وهنا .. دعونا .. قبل مناقشة هذه العبارة .. والتى أرى أن كثير من المفكرين والباحثين أدانوه (د. نصر أبو زيد) وغلبت إدانتهم الإنفعال والسخط البالغ على هذه العبارة .. ولكن وإن كانت (الحقيقة نبت الهدوء) فلم أرى فى كل ما أثير من سخط وضجر سوى التعبيرات الزاعقة الساخطة .. فى مجملها والاتهامات عالية الصياح بكفره وعلمانيته وردته .. وماركسيته .. و ... و ... إلخ .

فالباحث د . نصر لم يثبت عليه فى كل ما كتب أنه أنكر نزول آية واحدة فى القرآن الكريم إنكاراً ثابتا يقينياً ودعونا قبل أن ندينه أو حتى نبرئه نغوص فى لآلىء التفاسير حول ما يمس هذا الموضوع .

(ردة كاتب الوحى لرسول الله)

لما كان النبى ـ ﷺ ـ إمياً لا يعرف القراءة والكتابة فكان يحفظ القرآن الذى ينزله به الوحى عليه .. ثم يمليه على أحد صحابته أو كتابه وقد ورد فى (أعظم قصة فى التاريخ ـ سيرة محمد بن عبدالله عليه السلام) أن عدد كتاب النبى ـ ﷺ ـ ٢٥ خمسة وعشرون هم : ١ ـ أبو بكر الصديق ٢ ـ عمر بن الخطاب ٣ ـ عثمان بن عفان ٤ ـ على بن أبى طالب ٥ ـ أبىّ بن كعب ٦ ـ أبان بن سعيد ٧ ـ أرقم بن أبى الأرقم ٨ ـ ثابت بن قيس ٩ ـ حظله بن الربيع ١٠ ـ أبو رافع القبطى ١١ ـ خالد بن سعيد ١٢ ـ خالد بن الوليد ١٣ ـ الزبير بن العوام ١٤ ـ زيد بن ثابت ١٥ ـ السجل ١٦ ـ **سعيد بن أبى سرح** ١٧ ـ عامر بن فهيرة ١٨ عبد الله بن أرقم ١٩ ـ عبد الله بن زيد ٢٠ ـ عبد الله بن مسعود ٢١ ـ العلا بن الخضرمى ٢٢ ـ العلا بن عقبة ٢٣ ـ محمد بن مسلم ٢٤ ـ معاوية بن أبى سفيان ٢٥ ـ المغيرة بن شعبة . خمسة وعشرون هم كتاب الرسول ـ ﷺ ـ ويعنينا هنا رقم (١٦) فى هؤلاء حيث ثبت أنه إرتد وكفر .. ولقد توقفت كثيراً عنده فإن كان الرسول إصطفى هؤلاء من الأمة ليكتبوا له فقد آنس فيهم عمق الإيمان .. ولست أعرف كما أننى لست مطالبا أن أعرف هل كان الكاتب منهم بجوار الرسول لحظة نزول الوحى (جبريل الأمين) على رسول الله فيكتب فوراً أم أن الرسول كان يحفظ ما يوحى به إليه ثم يمليه .. وإن كنت لا أعرف من مصادر مؤكدة، إلا أننى أميل إلى تصور أن الوحى كان ينزل على محمد عليه السلام ثم ينادى أحد كتبته بعد ذلك .. فلا أتصور أن جبريل ينزل فيستمهله عليه السلام حتى ينادى أحداً من كتبته .

ولكن الواقعة التى تخص سعيد بن سرح هى أنه كان يكتب لرسول الله الآية الكريمة رقم ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من سورة المؤمنون ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فجعلنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ ، فقال سعيد بن سرح (تبارك الله أحسن الخالقين) فقال له رسول الله (اكتب ؛ هكذا نزلت ..) فارتد الرجل وكفر وقال (إذا كان محمد ينزل عليه الوحى .. فأنا أيضا ينزل علىّ الوحى ..) .

كما أننا نجد فى تفسير (الألوسى البغدادى) روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم الجزء الثامن عشر الطبعة الرابعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ص ١٦ السطر التاسع النص التالى :

[روى عن عبد الله بن سعيد بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله ـ ﷺ ـ قوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ حتى إذا بلغ عليه الصلاة والسلام ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ نطق عبد الله بقوله تعالى : ﴿تبارك الله﴾ إلخ قبل

إملائه فقال له عليه الصلاة والسلام (؛هكذا نزلت؛) فقال عبد الله : (إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبى يوحى إلى) فإرتد ولحق بمكة كافراً . ثم أسلم قبل وفاته عليه الصلاة والسلام (أى أسلم وقبل وفاة محمد - ﷺ - وحسن إسلامه وقيل مات كافراً (أى ظل سعيد كافراً حتى مات) وطعن بعضهم في صحة هذه الرواية بأن السورة مكية ؛ وإرتداده بالمدينة كما تقتضيه الرواية . وأجيب بأنه يمكن الجمع . بأن تكون الآية نازلة بمكة واستكبتها - ﷺ - إياه بالمدينة فكان ما كان أو يلتزم كون الآية مدنية لهذا الخبر؛ وقوله : أن السورة مكية باعتبار الأكثر ؛ وعلى هذا ؛ يكون اقتصار الجلال السيوطى على استثناء قوله تعالى ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم﴾ إلى قوله سبحانه ﴿مبلسون﴾ قصوراً فتذكر وتروى هذه الموافقة عن (معاذ بن جبل) أخرج ابن راهوية . وابن المنذر . وابن أبى حاتم . والطبرانى فى الأوسط . وابن مردويه عن (زيد بن ثابت) رضى الله تعالى عنه قال : [؛أملى على رسول الله - ﷺ - هذه الآية ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ إلى قوله تعالى ﴿ خلقا آخر ﴾ فقال (معاذ بن جبل) رضى الله تعالى عنه (فتبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله - ﷺ - فقال له معاذ : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : بها ختمت؛] . ورويت أيضا عن عمر رضى الله عنه ، أخرج الطبرانى . وأبو نعيم فى فضائل الصحابة . وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لما نزلت ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ إلى آخر الآية ؛ قال عمر رضى الله تعالى عنه : (فتبارك الله أحسن الخالقين) فنزلت كما قال . وأخرج ابن عساكر . وجماعة عن أنس ؛ أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يفتخر بذلك ؛ ويذكر أنها إحدى موافقاته الأربع لربه عز وجل؛ ثم إن ذلك من حسن نظم القرآن الكريم حيث تدل صدور كثير من آياته على إعجازها ؛ وقد مدحت بعض الأشعار بذلك فقيل :

قصائد أن تكن تتلى على إملاء . ٠ صدورها علمت منها قوافيها] - أ . هـ النص المنقول من تفسير (الألوسى البغدادى) .

فلا خلاف أنها ذكرت ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ قبل أن يمليها رسول الله ؛ ولكن الخلاف فى هل ذكرها الكاتب (سعد بن سرح) أم الأمير (معاذ بن جبل) أم أنه لا هذا ولا ذاك والذى ذكرها قبل إملائها كان عمر بن الخطاب رضى الله عنهم جميعاً .

وهنا لنا أن نتساءل هل يمكن أن ينزل الوحى على غير رسول الله - ﷺ - ؟نعم وبيقين النص القرآنى فالآيات التالية ترد على هذا التساؤل :

١ ـ ﴿.. فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ .

٢ ـ ﴿.. فلما آتاها نودى يا موسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى ـ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى .. ﴾ . والوحى أيضا نزل على سيدنا موسى .

٣ ـ ﴿ .. وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه .. ﴾ ٧ / القصص .. والوحى أيضا نزل على أم سيدنا موسى وكذلك ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحية إليك ﴾ أى نزل الوحى على مريم بنت عمران .

٤ ـ ﴿ .. وأوحى ربك إلى النحل .. ﴾ ٦٨ النحل . والوحى أيضا نزل على النحل .. وإذا تساءل مؤمن هل الوحى هنا بمعنى أمرها الله مباشرة أم أرسل لها من يوحى إليها بأمر ربها لا نكون قد أخطأنا، إذا تساءلنا ففى ص ١٠١ من كتاب تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربى نجد النص التالى ؛ولا نقدر أن نفهم من هذا إلا أن الله الذى خلق الكون أراد أن يديره ويبلغه كماله بوسائط خلقها وسماها ملائكة كما شاء لنا نحن فى حياتنا الدنيوية أن نتخذ وسائط فى قضاء أعمالنا ، وتوفير مصالحنا . أما أنه لماذا إتخذ سبحانه هذه الوسائط ؟ ولماذا لا يفعل ويدير مباشرة ؟ فهذا ذهول من السائل عن نفسه ، واستغراق فى طينة حسه ، كالدعموص (دودة سوداء تكون فى المياه الراكدة وتندس فى وحلها) فى حمأة ؛ يتطاول إلى درس أرقى المدنيات في العالم ، وإلى فقه أسرارها ، ودقائق إختراعاتها؛ . أى يرى هذا التفسير أنه ليس لنا أن نسأل عن كنية كيف أوحى الله للنحل فنحن مرفوع عنا عبء التفسير وإن كنت - أتصور والله أعلم - أنه ليس كفرا ولا ردة إذا نحن فكرنا فإن كنت غير مطالب بالغوص عن كنية الوحى وكيف ينزل .. إلا أن بعض المراجع أشارت أن الوحى كان ينزل لرسول الله - ﷺ - على صورة بشرية فورد بالموسوعة التاريخية ؛العرب والإسلام؛ أن ***عدد زوجات رسول الله - ﷺ - وإمائه بلغن (٤٦) زوجة وأمة*** .

منهن ١٦ زوجة هن :

١ ـ خديجة بنت خويلد ٢ ـ أسما بنت النعمان ٣ ـ زينب بنت خزيمة ٤ ـ أم شريك بنت دوران ٥ ـ خولة بنت الهزيل ٦ ـ ريحانه بنت شمعون ٧ ـ زينب بنت جحش ٨ ـ مارية بنت شمعون ٩ ـ أم حبيبة بنت أبى سفيان ١٠ ـ عائشة بنت أبى بكر ١١ ـ حفصة بنت عمر ١٢ ـ أم سلمة بنت أبى أميه ١٣ ـ سودة بنت زمعة ١٤ ـ ميمونة بنت الحرث ١٥ جويرية بنت الحرث ١٦ ـ صفية بنت حيى .

وبلغ عدد إماء رسول الله ٢١ أمة هن :

١ ـ أم عياش (ذكرها البغوى) ٢ ـ ضميرة (ذكرها ابن كثير) ٣ ـ ميمونة بنت أبى عتيب (ذكرها ابن منده) ٤ ـ ميمونة بنت سعد (ذكرها الإمام أحمد) ٥ ـ ليلى (ملاة عائشة) ٦ ـ عنقود أم صبح الحبشية ٧ ـ شيرين (أخت مارية القبطية) ٨ ـ سلمى أم رافع ٩ـ سلامة (حاضنة إبراهيم) ١٠ ـ مديسه (أكدها نعيم وابن منده) ١١ ـ أمة الله بنت رزنيه (ذكرها بن يعلى) ١٢ ـ أميمة (ذكرها بن الأثير) ١٣ بركة أم أيمن ١٤ ـ خضره (ذكرها بن منده) ١٥ جلسة (ذكرها بن الأثير) ١٦ ـ رزنيه (ذكرها بن عساكر) ١٧ ـ خولة (ذكرها ابن الأثير) ١٨ ـ رضوى (ذكرها بن الأثير) ١٩ ـ ريحانه (ذكرها بن كثير) ٢٠ زرينه بتقديم الزاى المعجمة (ذكرها بن الأثير) ٢١ ـ سمائيه (ذكرها بن الأثير) .

أما زوجاته اللاتى لم يدخل بهن فبلغ عددهن (٩)

١ ـ الجونية الكندية ٢ ـ ليلى الأوسيه ٣ ـ صفية العنبرية ٤ ـ ضباعة القشيرية ٥ ـ قتيلة الكندية ٦ ـ عمره الكلبية ٧ ـ سنا السلمية ٨ ـ شراف الكلبية ٩ ـ العالية الكلابية . واللائى قبض عنهن بلا خلاف تسعة أوى منهن أربعة . وقد أوردنا أسمائهن للتوثيق ولكن ما يعنينا منهم فى هذا المقام رقم ٨ فى الزوجات اللاتى لم يدخل بهن وهى شراف الكلبية أخت «رحية» التى كان جبريل عليه السلام يأتى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ على صورته لحسنه وجماله . هلكت قبل دخول النبى ـ ﷺ ـ عليها . أ . هـ . المنقول من الموسوعة التاريخية (العرب والإسلام) .

ومهما يكن من توثيق المصادر ، وسواء كان ينزل فى صورة بشرية ، أو بصورته الملائكية ، إلا أن الثابت وبنصوص القرآن الكريم أن الوحى لم ينزل على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وحده ، فالثابت أن الوحى نزل كذلك على غيره من الرسل ، كما أسلفنا ، كما إن من الآيات ما يفهم منه أن (الوحى) ليس بالضرورة أن يكون (جبريل الأمين) هو الذى ينزل وحيا دون سواه فالآية (١) من سورة الجن ﴿قل أوحى إلى . أنه استمع نفر من الجن﴾ نجد أن [أوحى] فى اللغة تعنى أنك تلقيت عن غيرك ما يريد أن يعلمك إياه بواسطة الإشارة أو الإيماء أو الرسالة أو الكتابة ؛ ثم غلب إستعماله فيما يلقى إلى الأنبياء من عند الله ، وفى الوحى معنى الإخفاء والسرعة ، فما يلقى وحيا ، يكون خفيا سريعاً ، ولم يوحى الله للأنبياء والرسل فقط على النحو الوارد فى كثرة من الآيات (الأنعام آيات ١٩/ ٥٠ /٩٣/ ١٠٦/ ١١٢/ ١٢١/ ١٤٥/ وفى النحل آيات أرقام ٤٣/ ٦٨/ ١٢٣ وفى طه آيات ١٣/ ٣٨/ ٤٨/ ٧٧/ ١١٤) ولكن يتضح أن الله جلت قدرته أوحى إلى الحواريين (١١١/المائدة) ﴿وإذا أوحيت إلى الحواريين﴾ ومعناها فى تفسير (الإمامين الجليلين) (أمرت) بأى صور الأمر .. فما المانع أن يكون الله تعالى أمر سعيد بن سرح بكتابة باقى الآية ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾ خاصة [وأنه الكاتب] والرسول ـ ﷺ ـ أمى لا يعرف القراءة والكتابة أى لن يتمكن من المراجعة على سعيد بن سرح بعدما يمليه .. فإن فتح الله على سعيد بن سرح بأن يلهمه الله فلا بأس ؛ فماذا فى أن يكون وحياً على الرسول بالآيات وأمراً للكاتب من صور الوحى فالأرض يوحى لها ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ حتى ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ إذن ـ والحال كذلك ـ ماذا فى أن ينزل الوحى على كاتب الرسول / سعيد بن سرح بصورة الأمر أو الخاطر أو يشرح الله صدره فيما يكتب أو يفقهه فى أمره الذى هو فيه؟! أو بعد كتابة ما يوحى به من قرآن كريم يكتب لأول مرة ، يكون هناك عمل أكثر سمواً وسموقا فى روحانيته ورهبته ؛ فالله تعالى أوحى لكثير من الرسل والمبشرين والأنبياء وبنص الآية الكريمة ﴿إنا أوحينا إليك ، كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وءاتينا داود زبورا﴾ ١٦٣ / النساء والأسباط هم أولاد يعقوب وعددهم ١٢ جميعهم أوحى إليهم ؛ فماذا فى أن يوحى إلى سعيد بن سرح كاتب الرسول أو أحد أمرائه (معاذ بن جبل) أو الصحابى الجليل (عمر بن الخطاب) رضى الله عنهم جميعاً فقد روى بسنده

وصحيحه أن (أبو ذر الغفارى) سأل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الأنبياء قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ـ قال كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام) .. ومعلوم من نص الآية ١٦٣/ النساء السابق ذكرها أن جميع هؤلاء أوحى إليهم ، (النبيين) .. فما ينزل من وحى على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ليس بالضرورة أن يكون هو بذاته الوحى الذى نزل على النبيين أو الأسباط وليس لازما أن يكون هو الذى نقصده بأنه نزل على سعيد بن سرح أو عمر بن الخطاب أو معاذ بن جبل ـ فصور الوحى متعدده قد يكون فى صورة هاتف أو خاطر أو أى صورة أخرى كما يمكن أن يوحى الأستاذ لتلميذه فى محاولة منه للوصول إلى الإجابة الصحيحة أو نحو ذلك . فهذا ما يراه ـ المؤلف ـ أنه نزل الوحى على عمر بن الخطاب أو معاذ بن جبل أو سعيد بن سرح أو أيا منهم فى صورة (خاطر) أو ربما ألهمهم أو ألهم أحدهم بباقى الآية ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وشبيه ذلك ـ فى ظنى ـ (المؤلف) بتوارد الأفكار والخواطر عند بعض الناس ، كما أنه لا يمنع ـ كما أسلفنا ـ نزول الوحى على الرسول ونزوله بصورة أخرى على غيره أيضاً .. وعندما نقول بصورة أخرى .. فنحن هنا نلتقى مع الآية الكريمة التى نفت نزول الوحى بشىء على الكفار ﴿ومن أظلم ممن إفترى على الله كذبا أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ ٩٣ / الأنعام .

ويسوق فى تفسير ذلك الشيخ / سيد قطب فى كتابه القيم فى ظلال القرآن ص ١١٤٩ قوله :

وقد ورد عن قتادة وابن عباس رضى الله عنهم ـ [كتبها كذلك الشيخ سيد قطب فى كتابه ولم يكتب (عنهما) ـ المؤلف] أن الآية نزلت فى مسيلمة الكذاب وسجاح بنت الحارث زوجته والأسود العنسى ، هم الذين تنبأوا فى حياة الرسول ـ ﷺ ـ وإدعوا أن الله أوحى إليهم] وهذه الرواية محل قناعتنا تماماً ـ المؤلف ـ ولكن الشيخ سيد قطب يستطرد فى تفسيره القيم فيقول : [أما الذى قال سأنزل مثلما أنزل الله ـ أو قال أوحى إلى كذلك ـ ففى رواية عن ابن عباس أنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكان قد أسلم وكتب الوحى لرسول الله ـ ﷺ ـ وأنه لما نزلت الآية التى فى «المؤمنون» : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ دعاه النبى ـ ﷺ ـ فأملاها عليه ؛ فلما انتهى إلى قوله : ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ عجب عبد الله فى تفصيل خلق الإنسان فقال : ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾ .. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «هكذا أنزلت علىّ»

.. فشك عبد الله حينئذ وقال : لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلى كما أوحى إليه ؛ ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال!! فإرتد عن الإسلام ولحق بالمشركين . فذلك قوله : ومن قال ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ .. (رواه الكلبى عن ابن عباس) أ . هـ من ظلال القرآن .

وهذه الرواية ـ محل نظر منا ـ المؤلف ـ لأسباب عدة نسوقها بالدخول إلى (عش الدبابير) واقتحام المحظور ببراهيننا القوية التالية :ـ

أولاً : أن روايات السلف أجمعت جميعها على صدق الحدث .. ولم تختلف رواية مما رواها الثقاة فى أن الكاتب أكمل الآية الكريمة ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ قبل أن يمليها رسول الله .. فالحادث وقع بإجماع .

ولكن الخلاف فى من يكون الكاتب ؟! بعض الثقاة قالوا أنه عمر بن الخطاب .. وبعضهم قالوا إنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح .. والبعض قال أنه (معاذ بن جبل) .. حتى أنه تواترت إلينا من الثقاة كما أسلفنا كم كان عمر بن الخطاب سعيداً فى أحاديثه لأنه أكمل الآية قبل أن تملى عليه من رسول الله ومعتبراً نفسه بذلك مباركاً من الله ؛ وعلى هذا فإن جاز أن تنزل آية لتكذيب عبد الله بن سعيد بن أبى سرح فغير متصوراً عقلاً أن تنزل آية لتكذيب عمر بن الخطاب أحد العشرة المبشرين بالجنة بإجماع .

ثانياً : أن (معاذ بن جبل) كان من أمراء الرسول وقاد معارك إسلامية أبلى فيها بلاء حسنا ولا يمكن أن تنزل فيه آية تنبؤه بعذاب الهون .

ثالثا : أن عبد الله بن سعيد ابن أبى سرح قيل إنه أسلم وحسن إسلامه ومات مسلما وإن كانت هناك روايات تقول عكس ذلك ، فإن كانت الآية تخص عبد الله بن سعيد ابن أبى سرح .. فماذا فى أمر عمر بن الخطاب .. ومعاذ بن جبل الذى نسب كل منهما فضل تتمة الآية لنفسه كما تواترت روايات الثقاة ..

أليس من الأنسب أن تكون الآية نزلت فى مسيلمة الكذاب وسجاح بنت الحارث والأسود العبسى كما فى

رواية قتادة وابن عباس . ويكون فى أمر تتمة الآية ليست إلا شرف خاطر أفاء الله به على الكاتب بنعمته فشرح صدره لتتمتها حيث غير مستبعد أن يكون من أتمها عمر بن الخطاب أو معاذ بن جبل أو عبد الله بن سعيد ابن أبى سرح وتكون رؤيتنا هى الأشد صوابا .. حيث لم يرد إلينا من المفسرين القدماء أو المحدثين تفسير عن كيف أتمها أى منهم .. فلا أحد اقترب من التحليل .. وليغفر الله اقترابنا آملين الصواب فيه .. والله أعلم .. (والله أعلم) هذه تسوقنا إلى أمر فى غاية الأهمية نوضحه فى المثال التالى .. إن الله جلت قدرته ﴿ويعلم ما فى الأرحام﴾ ٣٤/لقمان .

فكانت التفاسير السائدة إلى وقت قريب أن الله تعالى يعلم ما فى أرحام الإمهات من ذكر أو أنثى .. وفى تفسير الإمامين الجليلين أن الله وحده يعلم ما فى الأرحام أذكر أم أنثى (ص٣٤٦) وفى (روح المعانى) (الألوسى البغداى) ص١١٢ بالجزء (٢١) (أن الله يعلم بجانب علمه ذكر أو أنثى .. كل ما يتعلق عن مستقبل حياته إذ كان شقى أم سعيد) وهذا تطور فى التفسير عما أورده (الإمامين الجليلين) .. وسنجد تطوراً يجىء بعدنا كلما تقدم العلم فى شأن من شئون الحياة .. فاليوم فى ظل أجهزة (السونار) التى يمكنها تحديد نوع الجنين فى رحم أمه أهو ذكر أم أنثى .. كما البعض يتصور أن العلم توصل إلى علم الله فى هذه الجزئية .. ونحن معهم .. فهم لم يتوصلوا إلى الجزئية كلها بل توصلوا إلى فرع صغير من هذه الجزئية وهو نوع المولود .. ولا بأس فى ذلك أبداً .. ولا تناقض فى الآية فالآية تقول (يعلم ما فى الأرحام) .. ولم يقل أبداً إن أحداً سواه لن يعلم ما فى الأرحام (من النوع فقط) أكان ذكراً أم أنثى .. فهل تقدم الطب والأجهزة الطبية وقدرتها على علم نوع الجنين وهو فى رحم أمه . نفى أن الله يعلم ما فى الأرحام - حاشا لله - فالله يعلم ما فى الأرحام .. وأعطى من بعض علمه لبعض خلقه فعلموا أيضا فهو القائل جل شأنه ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ ٤/العلق و﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكه﴾ ٣١ / البقرة فقد علم الله تعالى آدم الأسماء ، وتحدى به الملائكه أن يعرفوا ما عرفه وقال جل شأنه ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ ٨٥ / الأسراء .. فمهما علم الخلائق فعلم الله أوسع .. ولم ينف الله العلم على الخلائق .. و﴿ربك أعلم﴾ ٥٥ / الأسراء .. فهناك علم وعالم وأعلم والأعلم هو الله و﴿ربى أعلم بما تعملون﴾ ١٨٨ / الشعراء و﴿هو أعلم بما يفعلون﴾ ٧٠ / الزمر .. بل أن ﴿الله أعلم﴾ وردت فى كثير من آيات القرآن الكريم ومنها ٢٥/ النساء ، ٤٥/المائدة ، ١٢٤/ الأنعام، و﴿الله أعلم﴾ من علم أهل الأرض جميعا بما فى الأرحام دون سواه من أمر هذا الجنين أيكون شريراً أم طيباً ، مؤمنا أم كافراً .. كم سيلبث فى الحياة .. عمره ، عمله ، زوجته ، أولاده .. كل شىء .. وأى شىء عن هذا الجنين يعلمه الله حتى قيام الساعة .. فماذا فى أن ينزل الوحى على الرسول ويوحى إلى غيره أيضا ، فليس معنى الإيحاء لغيره عدم نزول الوحى على سيدنا رسول الله ، فمن إعجاز القرآن الكريم أنه لمختلف الأزمنة ، يهدى .. وحتى قيام الساعة .. وكلما زدنا علما زادت رؤيتنا لمعانى القرآن وتفسيره ﴿وقل رب زدنى علما﴾ فما يجوز من تفسير فى عصر ، لا يجوز ذات التفسير لعصر آخر .. نعم هو ذاك ، ولكن أن تلغى يات من القرآن الكريم .. فذلك محال .. بل وذلك إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة .. فالتفسير المتجدد للآية هو ممكن .. بل ولازم .. وإلا أوقفنا عجلة الحياة التى خلقها الله لتدور ، ومثال آخر لآيات الله التى يمكن تفسيرها على غير لفظها الظاهر قوله تعالى : ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ ٧٢/الأسراء و﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ ١٢٤/طه و﴿قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا﴾ ١٢٥/طه .

والرأى عندى (المؤلف) أن من يفسرها بدلالتها اللفظية الظاهرة أى بأن المقصود أن من يكون فى الدنيا كفيف البصر / ضريراً / فاقداً للرؤية لعمى فى عينية يكون فى الآخرة أيضاً كذلك؛ يكون رأيه محل نظر؛ حيث أرى أن من يكون فى الدنيا أعمى البصيرة عن رسالة القرآن وعن نبوة رسول الله - حتى ولو كان مبصراً بعينيه - سيحشر يوم القيامة أعمى العين وكفيف البصر فى العذاب؛ جزاء عمى بصيرته فى الدنيا .. فإن تساءل يارب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً كان الجواب كذلك اليوم تنسى من رحمتى وتترك فى النار . كما كانت تأتيك آياتنا فتركتها ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم اليوم تنسى﴾ ١٢٥/ طه .

ومن كان أعمى عن الحق فى الدنيا فهو فى الآخرة أعمى عن طريق النجاه ؛ فلا شفيع له ؛ وهذا تفسير آخر ولا يمكن أن يكون التفسير مقصوداً به عمى البصر فى الدنيا فالعكس هو الصحيح أى من كان أعمى البصر فى الدنيا وضلحت أعماله سيكون فى الآخرة مبصراً بعينيه وقد ذهب مذهبنا كوكبة المفسرين

الأجلاء . ابن كثير / سيد قطب / النسفى الأمامين الجليلين (السيوطى) . الفخر الرازى / الألوسى البغدادى / الطبرانى/ وغيرهم فلا أحد يرى أن من كان فى الدنيا أعمى النظر يكون فى الآخرة أعمى النظر وإلا كان تفسيره محل نظر ..

فقد نزل القرآن واستمر التنزيل فترة تزيد على الثانية والعشرين سنة .. عالج فى هذه الفترة أمور الدين والدنيا ..

.. *وجل الخطأ الذى أخطأه د . نصر أبو زيد* هو أنه إصطدم فكره فى كيف يكون القرآن الذى عالج أمور الحقبة التي نزل فيها .. هو بذاته الذى يعالج أمور الحياة فى القرن الواحد والعشرين .. !!

•• وينسى أن الله جعل القرآن الكريم والسنة المشرفة تستغرق كل أمور الحياة والآخرة .. وأنه خاتم الرسالات .. وأنه أنزله فى زمنه الذى جعل فيه أحداثا كالرموز ينزل عليها القرآن فيستغرقها (بخصوص السبب) .. والله عالم بعلمه أن القرآن سيستغرق كل الحيوات منذ نزوله وحتى قيام الساعة (عموم اللفظ) .. ولذلك سنجد القرآن فيه كل كبيرة وصغيرة .. ولعل الله حفظه فى اللوح المحفوظ منذ بدء الخليقة .. ثم وهب بعض خلقه تعلم اللغة العربية ، الفضفاضة معانيها ، الواسعة بحورها .. الشاملة كلماتها .. فلما بلغ ذلك الخلق .. مبلغهم من الفصاحة ، ومكمن التمكن منها .. وسبروا أغوارها .. وارتفعت معلقاتهم وبلاغتهم وأشعارهم على جدران الكعبة .. أنزل فيهم القرآن .. ليكون الإعجاز فى اللغة إلى يوم الدين أيضاً وليكون إعجازاً فى كل شيء .

مقاصد الشريعة أهداف الوحى

الدكتور نصر يعلم وإن لم يكن يعلم ؛ علمناه أن كلمة (أف) الواردة فى القرآن الكريم ﴿ولا تقل لهما أف﴾ لها لغات عده [أفَ - أفَّ - أفُّ - أفٍّ - أفًا - أفٍ ويقال أفًّا وتُفًّا وهو إتباع له] تلك فى الامالة أو اللهجات كما أن كلمة واحدة بالعربية وربما حرف قد تعنى معان متفرقة مختلفة إذا ما تغير تشكيل الحروف مع بناء الحروف ذاتها كما هى وهذا ما استهوى المتحذلقين لثراء اللغة فقالوا (ألم ألم ألم ألم بدائة .... إن آن آن آن شفائه] وهو يعنى أن [(وجعا شمله) ؛ ويتساءل ألم أعرف كنيته وعلاجه . عندما يحين الوقت الذى ينتهى فيه الوجع يحين الشفاء من هذا الداء] والمعنى أن الشاعر استطاع أن ينشد بيتاً من الشعر كاملا إنبنى على (ألم ، آن) أى أن ثراء اللغة تشملها معان جمة .. فما بالك بالقرآن الكريم كم تشمل معانى آياته .. ألم ترى أن (Lion) كلمة واحدة بالإنجليزية تعنى بالعربية كل أسماء ملك الغابة أسد/ هزبر /ضيغم/ضرغام/ ورد / ليث/ غضنفر/ أسامة / ... إلخ والمعنى واحد وفي الآية التى بحثنا فى تفصيلها ﴿من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ ٧٢ / الإسراء .. أى من كان فى الدنيا أعمى عن ذكر الله / عن تصديق الرسالة / فهو لا يرى القرآن والرسالة المحمدية رؤى اليقين أى يشك فيها أو ينكرها ولا يراها صحيحة وإن كان يبصر بعينيه إلا أنه أعمى .. وفى مختار الصحاح (عمى) ذهاب البصر فليس ذلك المراد من رب العباد فالقصد الإلهى ﴿أعمى﴾ من باب المجاز أى أعمى البصيرة ، فى الدنيا .. فهو فى الآخرة أعمى عن النجاة فهو فى النار لا نجاة له .. فهو هنا (فى الدنيا) .. وهناك (فى الآخرة) مبصر العينين .. وهناك ليعذب .. ويرى العذاب بعينيه فيزيد عذابه .. وهذا تفسير آخر . وإن كان علينا أن لا نتوسع فى المجاز فلا بد أن يأتى المعنى من الدلالة اللفظية للنص لكننا أبداً لا نتجاوزه إلى غيره .. فلابد أن نكون حذرين .. فلا نتوسع ولا نشكك فيه أو ننكر آية منه .. أو نلغيها .. والنكران أو الإلغاء .. أى ننكر فاعليتها ومعناها ونلغى العمل بها .. فهنا مكمن الخطر .. مما قد يسوقنا إلى الكفر والعياذ بالله إن فعلنا ذلك . ومن هنا دعنى أتساءل .. ألم يخلق الله اللغة العربية بشمولها هذا فى فضفاضتها لينزل بها القرآن الكريم .. الإعجاز الشامل فى اللغة أيضا .. ليشمل كل معانى الحياة وحتى قيام الساعة .. فلو نزل بلغة أخرى محدودة المعانى لتجاوزه التاريخ .. ولذلك أرى أن الله اختار اللغة العربية لينزل بها القرآن كتاب الإسلام .. ليكون خاتم الرسالات .. لاستيعابها معان جمة ليست بأى لغة أخرى .. الله أعلم .

ومن هنا استطيع أن أجزم أن د . نصر أبو زيد أخطأ الفهم أو بنص كلمات [إن **الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق على النص ، يعود فيطمس هذه الحقيقة البديهية ، ويعكر من هنا ،**

إمكانيـة الفهـم العلمـى للنـص] . فالفهم العلمى .. لم يبلغ مداه بعد يا دكتور .. ولن يبلغ وحتى قيام الساعة أما الفهم القرآنى فإن مداه أبعد من مدى الفهم العلمى وستظل المسافة شاسعة بينهما دوما فكلما زاد التقدم العلمى زاد الفهم القرآنى .. ولعل فى مثال فهمنا الحالى للآية ﴿ويعلم ما فى الأرحام﴾ الدليل .. فعندما كان العلم قاصراً عن معرفة نوع الجنين .. كان العلم القرآنى .. يفهمه المفسرون على أن الله وحده يعرف إن كان الجنين ذكراً أم أنثى .. وعندما تقدم الفهم العلمى وأصبح يعرف نوع الجنين بأجهزة (السونار) أصبح الفهم القرآنى لنفس الآية ﴿يعلم ما فى الأرحام﴾ أى يعلم ذكورته أو أنوثته شقاؤه . أو سعادته / أعماله / طيب / خبيث/ كم عمره/ ... إلخ ..

وهذا إعجاز آخر يستوعبه آيات القرآن المحدودة الألفاظ منذ ١٤قرنا فى حين أن المعانى لذات الألفاظ تستوعب كل طاقات التقدم الهائلة التى يقضى فيها الإنسان دهوراً كاملة .. فإذا به يجد رداً على ما وصل إليه فى القرآن الكريم بذات ألفاظه المحدودة منذ ١٤ قرنا من الزمان مضت .. يا سبحان الله .

ذلك لأن مدلولات معانى القرآن تستغرق كما أوضحنا كل العصور المختلفة القادمة لأن القرآن الكريم نزل ليستغرق كل الحيوات القادمة وحتى قيام الساعة وإن كنا قاصرى الفهم .. وربما مصطدمين بكثير من السنن أو الفروض أو العبادات .. وعاجزين عن تفسيرها .. وربما لو أخضعناها للمنهج العلمى لابد أن تصطدم .. لأن المنهج العلمى الذى نحن بصدده الآن .. قد يتغير فى زمن قادم أيضاً .. ولكن الله لا يتغير وقرآنه لن يتبدل .. أفلا آمنا مزعنين لآياته .. حتى التى ثقل علينا فهمها .. فالله يعطى من علمه لمن يشاء بقدر ما يشاء لمن يشاء أيضا . وعلينا أن نخضع للآية الكريمة .. كلما ضغط علينا شيطان الفكر ﴿وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ ..

وأتصور أن د . نصر أبو زيد كان فى واحة من الراحة الدينية أكثر إبان كان يعمل فنياً فى المحلة بدبلوم الصنايع قبل أن يحصل على الثانوية العامة . فقد كان يؤمن وقتها إيمان العوام .

وربما خطؤه أنه لم يخضع تفقهه فى اللغة والدين ـ الذى فاء الله به عليه ـ لمزيد من الإيمان .. وكان عليه ، أن يؤمن ، بما لم يفهمه بعد من القرآن الكريم ، إيمان إذعان وتسليم .. وعلى كل الأحوال ، فإن الدكتور نصر .. لم ينكر الوحى وإن اصطدم به فى بحثه فأعجزه عن مواصلة تحليله وبنص كلمات [إن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق على النص، يعود فيطمس هذه الحقيقة البديهية ، ويعكر من هنا ـ إمكانية الفهم العلمى للنص] . فهنا نجد فرضية إمكانية الفهم العلمى للنص وفشله فيها لإخضاعه النصوص الإلهية للنصوص العلمية .. وكان الأجدر به أن يخضع المفهوم العلمى لمفهوم النص القرآنى وليس العكس .. وتلك سقطه من إنسان يحسب نفسه من عداد المفكرين .. فالثوابت البديهية تخضع لها النظريات التى تحتاج إثبات ، ولا يمكن أن نقفز على الأحداث .. ونفترض نتائج النظريات المادية محققة ثم نخضع لها الثوابت .. ونتيجة السعى يكون الحكم على الثوابت بأنها ليست كذلك !! فكيف يهدم الوهم الحقيقة .. !! وعلى أى الأحوال فعبارته الشائكة تلك .. وربما الخطرة فى كل ما كتب هى التى أشعلت نار الهجوم من المفكرين والباحثين ، وكل غيور على دينه وفى الجملة ومهما كان الخطأ فى عناصر البحث وتراكيبه المقلوبة .. التى انتهجها فالهدف هنا كما أوضحنا مراراً وترداداً .. أننا نبحث له عن مخرج نبرأه به .. ودعنا الآن نبحث ذلك فى عبارته تلك «إن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق على النص» أى أن إيماننا (سواء د . نصر أو نحن المسلمين) بوجود القرآن فى اللوح المحفوظ قبل نزوله على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ إيمانه هذا ، طمس وعكر عليه الفهم العلمى للقرآن.. أى أن العلم الذى تعلمه والذى هو قابل للتغير كلما فكر إنسان أرقى من الذى أتى بالعلم الأول ، هذا العلم طمسه وعكره إيمانه بوجود القرآن فى اللوح المحفوظ .. وما عليه أو علينا إن طمس أو عكر إيمانه بوجود اللوح المحفوظ .. علمه أو علم الأرض كله بما فيه البديهى منه ، فيلطمس أو يعكر ما يشاء سواء فكره أو فكر آخرين معه ، فالعلم البشرى لكل أهل الأرض منذ الخليقة وحتى قيام الساعة ، لا يتوازى مع العلم الإلهى .. بل العكس هو الصحيح أن الإيمان بالعلم الإلهى يطمس العلم والمنطق البشرى .. وليس العكس .. وعلى أى حال فتلك العبارة لا تعلى وبشكل قاطع أن د . نصر ينكر اللوح المحفوظ أو ينكر الوحى .. فقد بدأ عبارته (بأن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق....) وحسبنا هنا مع الشك فى عبارته تلك .. نركن للقاعدة القانونية التى نعمل بها فى مجالنا القضائى .. (الشك فى صالح المتهم ..) .

ثانياً : في كثير من مواضع ما كتب نجده يقر بالوحى وباللوح المحفوظ وغير منكر لهما (وما عليه إن ساق أقوالاً وآراءً لغيره ـ من أجل الحصول على الترقية فليس معنى ذلك إيمانه بما نقله عن غيره .. فناقل الكفر ليس بكافر) .

فنجده فى كتابه (مفهوم النص ـ دراسة فى علوم القرآن) وتحت عنوان تمهيد ، والذى يعنى عادة أن كل كلمة فيه هى منه ، وليست منقولة عما سواه يقول ص١٧ :ـ

١ ـ [إن مصر غاية الدين وأهدافه فى رجم الزانى وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر .. إلخ .. أمر يتجاهل مقاصد الشريعة وأهداف الوحى فى تشريع هذه الحدود] .

والمعنى : أن الوحى الذى نزل على سيدنا محمد ﷺ برسالة السماء فى القرآن الكريم له أهداف أسمى وأنبل فى مقاصد الشريعة وأهدافها من اقتصاره على مجرد تطبيق الحدود الذى ينادى به بعض «الغلاة» و«المتهوسين» دينيا؛ دون فهم عميق لرسالة الوحى .

وهـذا إقرار مـن د . نصر بالوحـى ، وإن ساق بعد ذلك أقوال علماء ثقاة فى شأن الوحى أو اللوح المحفوظ . فما عليه من سبيل ـ ولكنه هو نفسه أقر بالوحى وبرسالة السماء . وهذا ما يعنينا من أمره .. ومن أمر ما كتب .

٢ ـ وهو يلتقى معنا فى أن (الدين) مفهوم ثقافى عام يتجاوز حدود العقائد والشعائر والعبادات إن كان هدفه أن الإسلام قادر على إستغراق كل الحيوات وحتى قيام الساعة .. وإن إرتبكت خطاه وتعثرت ، واختلطت رؤاه .. فهو تارة يرى ذلك حق .. وتارة أخرى يهجم بسفور على تطبيق الشريعة .. ومن تناقضاته العجيبة والغريبة معا أننا نجده يرى أن الدين الإسلامى ليس حكراً على جماعة أو جماعات بعينها تطلق على نفسها (الجماعات الإسلامية) وإنما الدين الإسلامى لكل المسلمين وليس حكراً على جماعة بعينها .. وإن كان هذا النداء شبيه بالنداء الجميل «مصر لكل المصريين» وهذا يعنى أن الجميع لابد من تكاتفهم للعمل من أجل مصر ونهضتها ورفعتها.. فإن نادى اليوم . «الإسلام لكل المسلمين».. فلابد أن يكون القصد هو ذلك ، أى أيضا على جميع المسلمين أن يعملوا لرفعة الإسلام ونهضته ، طالما نادى بأن الإسلام ليس حكراً على طائفة تطلق على نفسها (الجماعات الإسلامية) دون سائر المسلمين فى الوطن الواحد ، وإن كان الشعار مقبولا إلا أنه يهدمه فوراً بالهجوم على الإسلام وتطبيق شريعته ، فيكون مناقضاً لنفسه ولندائه فهو يقول نصاً ص١٧ بهامشه من كتاب مفهوم النص [إن وصف فكر لنفسه بأنه (دينى) ووصف قوى معينة ـ اجتماعية أو سياسية لنفسها بصفة «دينية» أو «إسلامية» معناه نفى هاتين الصفتين عن غير هذه الجامعات أو هذه القوى .. وليس تقبل هذه «الأوصاف» واستخدامها فى وصف هذه «القوى» من جانب قوى اجتماعية أو سياسية أخرى إلا تكريساً لهذا النفى والحصر للصفتين «دينية» و«إسلامية» ، وليس هذا كله فى التحليل الأخير، سوى تعميق لمفهوم «الدين» يقصره على الشعائر والعبادات ، فى حين أن «الدين» مفهوم ثقافى عام يتجاوز حدودالعقائد والشعائر] . فى حين أنه ذات كتابه ص ١٠٤ يقول [ليست صلاة الجمعة فرض فى النص القرآنى ﴿إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ بل هى نص فى ﴿وجوب﴾ ترك البيع ..] وأنت واجد هنا .. فى موضع آخر من هذا الكتاب ـ عزيزى القارىء ـ ما حققناه ودققناه فى رأينا من أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم قادر مالم يكن إمرأة أو صبى لم يبلغ الحلم . وقال فى ذات كتابه مما يجعله متناقضا مع نفسه ص٩٩ «من كتابه نقد الخطاب الدينى» [احتمينا بالنصوص فدخل اللصوص] ولم يكتف بالنقل لهذه العبارة من قائلها بل ضمنها رأيه فقال نصا [لقد صدق] ..!! فكيف إذن .. يحمى الدين .. بهذا القول .. ويرفع شأنه ويعمل على نهضته ..؟! إن كان يعترف بالوحى فى كتاباته إلا أنه يلقى إليه ظلالاً من الغموض المعرفى فيقول ص٤٥ من مفهوم النص [إذا كان إلغاء الكهانة يؤدى إلى إلغاء الأساس الوجودى ، وكذلك الأساس المعرفى لظاهرة النبوة، فإن ذلك يؤكد أن ظاهرة «الوحى» إستندت إلى مفهوم عميق فى الثقافة، مفهوم عن إمكانية إتصال بين البشر وبين العوالم الأخرى من الملائكة والشياطين .. وإن كان «الشعر» أيضا .. كما سبقت الإشارة .. قد تم تصوره من حيث مصدره داخل إطار هذا التصور العام للوحى ، فإننا هنا نكتفى بهذه الإشارة] .. تلك هى إيحاءات مولانا الشيخ نصر أبو زيد!! الذى يريد أن يتحدث باسم الإسلام .. ويتعجب .. ولم لا .. ؟!!

الباب الرابع

قصة الغرانيق العلا

أن الدكتور نصر .. فى كل ما قال .. وإفترض أنه من المفكرين .. لم يأت بجديد .. ولم يأت بما أتى به حتى الزنادقة الأولين .. فقد قال الزنادقة الأولين .. أن رسول الله ﷺ تقول على الله كذباً فقرأ سورة النجم فى الآية ١٩ ، ٢٠ ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ وأكمل لقومه القرشيين الوثنيين والكفار يسترضيهم ، تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ، وسجد ؛ وهنا سجد الجميع معه كفاراً ومؤمنيناً هذا فى كتاب ، الطبرى ، الذى أوجعنا د . نصر بما نقل منه حتى كاد أن يفرغه من محتواه ليصبه جميعاً فى كتب تحمل إسمه (الطبرى / تاريخ الرسل والملوك) .. ولم يتناول الدكتور نصر هذا القول من هذا الكتاب منفرداً .. بل أن كل المستشرقين الذين يهمهم توجيه سهامهم للإسلام نقلوا من كتاب الطبرى .. وكثير من المفسرين أيضاً نقلوا منه (أوردة إبن سعد فى طبقاته الكبرى) ويستطرد المستشرقون فيقولون إن الكفار فرحوا به وطالبوه بنصيب من الغنائم والزكاة للآلهة !! فلم يعجب محمد قولهم .. وكفر مرة أخرى بآلهتهم وباللات والعزى .. وسبها .. ومن عجب أن بعض المفسرين يرون صحة هذه الرواية !! بل ويقولون إن الله عاتب محمداً كيف يتقول عليه فأنزل عليه ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره وإذا لإتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾ الاسراء / ٧٣ ـ ٧٥ ..

بل ونسب سير / وليم موير فى كتابه (حياة محمد) دليلاً على صحة هذه الرواية أية أخرى من سورة الحج نصها ﴿ وما أرسلنا من قبلك رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ﴾ الحج / ٥٢ ـ ٥٣ ..

بل ويحتج (موير) وصحبه من المستشرقين بصحة هذه الرواية أن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين فراراً من أذى قريش .. رجعوا بعد هذه الرواية التى أحدثت صلحا مع كفار قريش .. و ألا لماذا رجعوا ؟ فى حين أن أهم أسباب عودة المهاجرين إسلام عمر بن الخطاب وكان قد أسلم بعد هجرتهم بقليل وتبعه قوم كثير مما شد من أزر المسلمين وحتى الذين اختفوا منهم فى شعاب مكة عادوا بعد أن كانوا أشبه ، بمطاريد الجبل ، فى أيامنا هذى .. مع فارق أن هؤلاء كانوا قانتين يقيمون شعائر الله بالصلاة .. وبهذا كله أضحى الإسلام عزيزاً للدرجة التى استطاعوا جميعاً أن يقيموا صلواتهم عند الكعبة ولقد أبدى المسلمون فى الحبشة الفارين اليها رغبتهم فى العودة إلى أهليهم ليزدادوا قوة فوق قوة عند سماعهم تلك الانباء ..

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، أن تفسير الآية فى قوله ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا ﴾ تفيد أن الله ثبته فلم يفعل ، (لقد كدت) لقد أوشكت لولا أن ثبتك الله ، ولو فعل لأذاقه الله ضعف الحياة وضعف الممات هذا ما ذهبنا إليه من تفسير ، وإن كان بعض المفسرين راق لهم صدق الرواية .. ورددوا ترددادا ما ذهب اليه البعض فإن تفسيرهم لا يروق لنا حيث لا يستقيم أن يمتدح رسول الله اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بقوله (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى) ثم يستمر فى السورة ليسخر منهم ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمه ضيزى ، إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، لقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ٢١ ـ ٢٣ النجم ..

وإن كان الإمامين الجليلين فى تفسيرهما قد إتفقا معنا فيما ذهبنا إليه من تفسير لآيات سورة النجم هذه بل وذكرا نصاً [أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة] اللتين قبلها (الأخرى) صفة ذم للثالثة وهى أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله والمعنى (أخبرونى ألهذه الأصنام قدرة على شىء ما فتعبدونها دون الله القادر) ولما زعموا أن الملائكة بنات الله نزلت ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ تلك إذا قسمه ضيزى (أى قسمة جائرة) إلا أن التفسير إختلف فيما ذهبنا إليه من تفسير فى سورة الحج فأقر

أن رسول الله قال (تلك الغرانيق العلا و شفاعتهن لترتجى) عندما فسر أية ٥١ من سورة الحج فذكر تفسير الجليلين ص ٢٨٢ نصاً ..

﴿ وما أرسلنا من قبلك رسول ﴾ هـو نبى آمـر بالتبليغ ﴿ ولا نبـى ﴾ أى لم يؤمر بالتبليغ (إلا إذا تمنى) قرأ ﴿ ألقى الشيطان فى أمنيته ﴾ قراءته ماليس من القرآن مما يرضاه المرسل اليهم ؛ وقد قرأ النبى ﷺ فى سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ بالقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به (تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لترتجى) ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلى بهذه الآيات (فينسخ الله) يبطل ﴿ ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ يثبتها ﴿ والله عليم ﴾ بالقاء الشيطان ما ذكر ﴿ حكيم ﴾ فى تمكينه منه يفعل ما يشاء ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة ﴾ محنة ﴿ للذين فى قلوبهم مرض ﴾ شـك ونفـاق ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ أى المشركين عن قبول الحق ﴿ وإن الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ لفى شقاق بعيد ﴾ خلاف طويل مع النبى ﷺ والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك) ..

وهذا التفسير محل نظر منا ـ المؤلف – حيث أنه لا يستقيم مع آيات الله المحكمات عن رسول الله (ما ينطق عن الهوى) وغيرها ـ والله أعلم ..

وقد نهج د . نصر حامد أبو زيد هذا النهج فى بحثه فذكر أن رسول الله قرأ بعضا من الآيات علي نفرمن المؤمنين .. فلما شق عليهم تلاوتها فى صلاتهم عادوا اليه يستذكرونها منه .. فقال لهم رسول الله (الهوا عنها فقد نسخت) .. !! وأورد الطبرانى فى الكبير كثير من ذلك ورردده د . نصر فى كتابه مفهوم النص ، وبالنص !! ص ١٥١ .. وأخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر قال : قرأ رجلان فى سورة أقرأ هما رسول الله ﷺ ، فكان يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة يصليان ، فلم يقدرا منها على حرف ، فأصبحا غادين على رسول الله ﷺ فذكرا له ذلك فقال ؛ إنها مما نسخ فالهوا عنها ..

.. وهكذا يسير د . نصر .. بين الغريب والتغريب ويبحث فى دروب الزنادقة المستشرقين ويغفل .. ربما عن عمد ذكر ما أتى به غيره من تفاسير لم تتفق مع ما ذهب اليه أى لا يسوق الآراء التى لا تؤيد ما ذهب إليه ؛ فقط يسوق التفاسير المؤيده لما ذهب اليه فى نفس الأمر ـ وعلى ذلك يكون بحثه غير كامل ..

ولكننا سقنا مـا ذكره المستـشـرق (وليم مـوير) من أمـر الغرانيق العلا التى شـفـاعـتهن ترتجى !! مع معارضتنا ، وسقنا آراء لغيره وما زلنا ، كما نورد قول محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية فى قوله (إن ذلك من وضع الزنادق) وهذا ما نؤيده فهكذا يكتمل للبحث جوانبه .. وبغير ذلك لا يكون ..

وعن آيات سورة الإسراء ٧٣ / ٧٤ يرى تفسير الإمامين الجليلين ما نراه ـ المؤلف ـ من تفسير فيستنكر أن يكون رسول الله مال إلى المشركين فيقول فى تفسير الآية ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، وإذا لإتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ فيقول بـ ﴿ وإن ﴾ مخففة ﴿ كادوا ﴾ قاربوا ﴿ ليفتنونك ﴾ ليستنزلونك ﴿ عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره وإذا) لو فعلت ذلك يا محمد ﴿ لا تخذوك خليلا ولولا إن ثبتناك ﴾ على الحق بالعصمة ﴿ لقد كدت ﴾ قاربت ﴿ تركن ﴾ تميل ﴿ اليهم شيئاً قليلاً ﴾ ركونا لشدة إحتيالهم وإلحاحهم : وهو صريح فى أنه ﷺ لم يركن ولا قارب ﴿ إذا ﴾ لو كنت ﴿ لأذقناك ضعف ﴾ عذاب ﴿ الحياة وضعف ﴾ عذاب ﴿ الممات ﴾ أى ضعف مثل ما يعذب غيرك فى الدنيا والآخرة ﴿ ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾ مانعا منه .. وهذا التفسير يوافقنا ـ المؤلف ـ ويوافق ما ذهبنا إليه فالسياق فى التفسير هنا مختلف عن السياق فى التفسير للآية٥١ من سورة الحج بقى أن نشير إلى آراء كوكبة من العلماء والمفسرين فى تفسير الآيات ٥١/ الحج ، ٧٣ ، ٧٤ / الإسراء ، ١٨ ، ٢٠ / النجم والتى رأى بعض المستشرقين أمثال السير / وليم موير أنها تؤكد حديث (الغرانيق العلا) .. فيرى الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد) الجزء الأول فى مجمل رأيه وتفسيره لهذه الآيات أن حديث الغرانيق مدسوس ويلتقى معنا ومع ما قاله (إبن اسحاق) أن ذلك من وضع الزنادقة ؟ وقد سقنا رأى الإمامين الجليلين توأ ، وفى كتاب الألوسى البغدادى روح المعانى أورد حديث الغرانيق فى معرض تفسيره للآية (٥١ – ٥٥)

الحج وكان الأجدر به أن يورد كل ذلك فى معرض تفسيره لسورة النجم .. الحاصل أنه – الألوسى البغدادى – فى تفسير روح المعانى لآى ٥١ – ٥٥ الحج قال ص ١٧٥ من الجزء ١٧ ما نصه ..

[وقد روى أن الآية نزلت حين قرأ عليه الصلاة والسلام ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة ﴾ فألقى الشيطان فى سكتته محاكياً نغمته عليه الصلاة والسلام بحيث يسمعه من حوله (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى) فظن المشركون أنه عليه الصلاة والسلام هو المتكلم بذلك ، ففرحوا وسجدوا معه لما سجد آخر السورة .. [هذا القول ضعيف المنطق والفهم إذ كيف لرسول الله أن يسكت بين الآيات وهو يقرأها أمام أهل قريش فإذا به الشيطان يستغل لحظة السكوت هذه ويقرأ إفتراءات يسمعها كل من حول رسول الله وبصوته .. دون أن يروا فم وشفتا رسول الله تتحرك ويتصورونها آيات قرأها رسول الله ﷺ .. !فإن المفهوم أن الجميع سمع صوت الشيطان عدا رسول الله ﷺ هذا فضلا عن أن الألوسى البغدادى .. لم يسق لنا من أى مصدر أتى بهذه الرواية التى لا يمكن التعليق عليها سوى بأنها رواية مضحكة ـ المؤلف] ويستطرد الألوسى [وقيل المتكلم بذلك بعض المشركين] [أى من قال تلك القوانين العلا وأن شفاعتهن لترتجى بعض المشركين] وظن سائرهم أنه عليه الصلاة والسلام هو المتكلم به] .. [أيضا رواية ضعيفة ؛ غير منطقية ، مجهولة المصدر – المؤلف] ويستطرد الألوسى [وقيل إنه ﷺ هو الذى تكلم بذلك عامداً لكن مستفهما على سبيل الإنكار والاحتجاج على المشركين ، وجعل من القاء الشيطان لما ترتب عليه من ظن المشركين أنه مدح لآلهتهم ، ولا يمنع ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى لأن الكلام فى الصلاة كان جائزاً إذ ذاك وقيل بل كان ساهيا] غير مقبول منا ـ المؤلف ـ هذا التفسير .. فإن قلت لك فى حديث عابر فلان حكى لى أنه قفز من الدور الثانى ليذهب إلى عمله ما صدقتنى ولا صدقته .. وإنصرفت عن روايتى ولكن إن قلت لك (فلان حكى لى إنه قفز من الدور العاشر ونزل سليما دون أى خدش وذهب لعمله ، فقلت له من الدور العاشر ، يا أخى كن معقولا قل من الدور الثانى حتى نصدقك) .. وبذلك يصبح القفز من الدور الثانى أكثر تصديقاً وعقلانية .. وهكذا فالألوس البغدادى يتدرج بنا بالرواية المجهولة المصدر أو الإسناد فيقول مرة ..

[قالوا أن الشيطان قال بصوته وبنغمته وأسمع الناس أثناء صمت الرسول وسكوته] ثم يقول مرة أخرى [قالوا إن بعضا من المشركين هم الذين قالوا ذلك) .. فلا تصدق إذ كيف يكون الرسول أمامهم ويصدقوا أن الصوت الذى يأتى من الخلف أو من بعيد هو صوته ..

فإن قال (الألوسى) بعد كل ذلك .. (أن الرسول هو الذى قال) .. يكون قد هيىء القراء لتصديق هذه الفرية المزعومة .. حيث تدرج بالقارىء من المعلومة المستحيلة التصديق إلى المعلومة الأقل إستحالة حتى وصل إلى المعلومة الغير منطقية ولكنها ليست مستحيلة الحدوث ؛ فيتقبلها عقل القارىء البسيط ويصدقها ..

ألم أقل فى بداية تقديمى لهذا الكتاب ـ أن جمهور العوام ليس لهم نصيب فيه .. فوالله حتى – العوام لا ينطلى عليهم هذا القول ـ كيف تكون الرسالة فى جوهرها ضد الأصنام والرسول يزكيها ويسجد لها ويقال أن الشيطان زاغ به القول .. وهو ﷺ الذى (لا ينطق عن الهوى) ـ ونعود مرة أخرى لإستكمال تفسير روح المعانى (للألوسى) الذى تمنيت كف النقل منه هنا .. لولا أنى مضطراً لأسوق كافة الآراء حول هذه المسألة مهما كانت متعارضة مع رؤيتنا ـ المؤلف ـ يستطرد الألوسى فى تفسيره روح المعانى [فقد أخرج عبد بن حميد من طريق يونس عن ابن شهاب .قال : حدثنى أبو بكر ابن عبد الرحمن ، أن رسول الله ﷺ وهو بمكة قرأ عليهم والنجم فلما بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) قال : ﴿ إن شفاعتهن ترتجى ﴾ وسها رسول الله ، ففرح المشركون بذلك فقال ﷺ ألا أنما ذلك من الشيطان فأنزل الله تعالى ﴿ وما أرسلنا ـ حتى ـ بلغ ـ عذاب يوم عظيم ﴾ ، وقيل تكلم بذلك ناعسا] (طبعا كل من قال ذلك عن رسول الله ﷺ لا إعتقاد عندى ـ المؤلف ـ بما قال ؟ ولو تتبعنا ما ذكره الألوسى البغدادى فى تفسيره (روح المعانى) لاتضح لنا أنه يسوق لنا كل الأقوال ضعيفها وغثها وثمينها ومن الناس من إتبعوا الغث ونفخوا فيه وهجروا الثمين وقفزوا عليه ، ومنهم من أمسكوا بالثمين وأيدوه وساقوا له أسانيده ومنطقيته .. ونجد أن الألوسى البغدادى ساق كل ما قاله الفرقاء فهو أيضا الذى قال فى تكذيب هذه الرواية وفى ذات التفسير روح المعانى

ص ١٧٧ ما يلى نصه [وقد أنكر كثير من المحققين هذه القصة فقال البيهقى (هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل) - وقال القاضى عياض فى الشفاء (يكفيك فى توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولارواة ثقة بسند صحيح سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح سقيم) وفى البحر أن هذه القصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية فقال (هـذا مـن وضع الزنادقة) وصنف فى ذلك كتابا ، وذكر الشيخ (أبو منصور الماتريدى) فى كتاب (حصص الأتقياء) ، الصواب أن قوله (تلك الغرانيق العلا من جملة ايحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة) حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا فى صحة الدين ، وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية) وذكر غير واحد أنه يلزم على القول (بأن الناطق بذلك النبى ﷺ بسبب القاء الشيطان الملبس المأمور) منها تسلط الشيطان عليه (عليه الصلاة والسلام) (وهو ﷺ بالإجماع معصوم من الشيطان) ولا سيما فى مثل هذا من أمور الوحى والتبليغ والإعتقاد ..

وقد قال سبحانه ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ وقال تعالى ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ﴾ إلى غير ذلك ، ومنها زيادته ﷺ فى القرآن ما ليس منه ، مما يستحيل عليه ، عليه الصلاة والسلام لمكان العصمة ، ومنها اعتقاد النبى ﷺ ما ليس بقرآن ، أنه قرآن ، مع كونه بعيد الالتئام متناقضا ممتزج بالمدح والذم وهو خطأ شنيع لا ينبغى أن يتساهل فى نسبته اليه ﷺ ، ومنها أنه إما أن يكون عليه الصلاة والسلام عند نطقه بذلك معتقدا ما اعتقده المشركون من مدح آلهتهم بتلك الكلمات . وهو كفر فى حقه ﷺ

وإما أن يكون معتقداً معنى أخر مخالفا لما اعتقدوه ومباينا لظاهر العبارة ولم يبينه لهم مع فرحهم وادعائهم أنه مدح آلهتهم فيكون مقراً لهم على الباطل ، وحاشاه ﷺ أن يقر على ذلك، ومنها كونه ﷺ إشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه عليه الملك (يقصد جبريل - المؤلف) وهو يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام على غير بصيرة فيما يوحى اليه ، ويقتضى أيضا جواز تصور الشيطان بصورة الملك ملبساً على النبى – ولا يصح ذلك كما قال فى الشفاء لا فى أول الرسالة ولا بعدها .. والإعتماد فى ذلك دليل المعجزة ..]

وإستطرد الألوسى البغدادى فى تفسيره روح المعانى ص ١٧٨ ..

[وقال ابن العربى : تصور الشيطان فى صورة الملك ملبساً على النبى ، كتصوره فى صورة النبى ملبساً على الخلق وتسليط الله تعالى له على ذلك كتسليطه فى هذا !! فكيف يسوغ مخالب سليم استجازة ذلك ومنها التقول على الله تعالى إما عمداً أو خطأ أو سهواً . وكل ذلك محال فى حقه عليه الصلاة والسلام وقد اجتمعت الأمة على ما قاله (عياض) على عصمته ﷺ فيما كان طريقة البلاغ من الأقوال عن الأخبار بخلاف الواقع لا قصداً ولا سهواً ، ومنها الإخلال بالوثوق بالقرآن ، فلا نؤمن فيه التبديل والتغيير ، ولا يندفع كما قال (البيضاوى) بقوله تعالى ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ لأنه أيضاً يحتمل إلى غير ذلك] إنتهى المنقول من روح المعانى للألوسى البغدادى .. يتضح لنا - ههنا - أن الروايات منها الضعيف .. ومنها الحجة الدامغة .. ومنها ما يفتن بكلامه من فى قلبه زيغ .. ومنها ما يثبت بتفسيره إيمان الناس .ولكن أن يكون أسلوبى فى البحث أن أجمع من كل الرواة أضعفهم وأضم كل أقوال الضعفاء كتابا وأدعى أننى مفكر كما فعل د . نصر .. فهذا إن إنطلى على العامة .. فلا ينطلى على الصفوة فأنت واجد أنه يقول (إن صلاة الجمعة سنة وليست فرض) .. وهناك من قال ذلك قبله .. وأنت واجد من يقول : أن الرسول ﷺ قال (والغرانيق العلا) .. وهناك من قال ذلك قبله ..وأنت واجد من يقول : أن الشيطان يسكن الإبل .. وهناك من قال ذلك قبله وأنت واجد .. وأنت واجد .. وهناك من قال قبله .. وقال قبله .. وهلم جرا ..

فإذا جمعت كل الضعيف مضافا إليه ما إستخلصه الزنادقة .. والمستشرقون وكل مهجور بغير سند لكن على أى حال قيل .. وقدمت كل ذلك فى كتاب .. أتكون مفكراً .. ؟!! المفكر فى - رأى - هو من يجمع كل الآراء بكل متناقضاتها وبراهينها ويطرحها على العيان على بساط البحث .. ولا يغفل عن رأى مهما كان بغيضا منافيا لرأيه .. وبكل الأسانيد يركن إلى أقوى الآراء التى يقتنع بها عقله ويؤيدها ويسوق دلالاته لقوة ما إختار عن باقى ما تركه والمفكر الأقوى من السابق .. هو الذى يفعل ذلك ثم يخرج برأى لم يسبقه أحد اليه وأحسب أننا - المؤلف - فعلنا ذلك فى بحثنا وإستخراجنا مفهوما جديدا لم يسبقنا اليه أحد فى أمر عذاب

القبر .. وكذلك في أمر (الجزية) كما سنراه فى جانب آخر من هذا الكتاب .. وهذا شرف لنا نعتز به ونتمسك به .. ونذود عنه .. بالرأى .. والحجة ـ والمنطق .. والفكر الحر المستنير وأحسب أننا فعلنا مثل ذلك في أمر (صداق الأنثى) وتفسير (أى الفاتحة) بل وفيما سنصل اليه فى أمر من يذهجوا نهج نصر فى المستقبل .. ولنا شرف إنا أول من نادى بأن هناك إرهاب سلبى أثبتناه ، وفى إثبات أن صلاة الجمعة فرض عين لكل مسلم بلا مراء ..

ولم نتجنب المحظور .. ولم نقفز على المعانى أو الكلمات وإنما أجهدنا أنفسنا ومددنا يدنا فى عش الدبابير لنبين للناس أمور دينهم حسبة لله تعالى .. ونحن واثقون أن الله عنده خير الجزاء ..

* * * * * * *

.. وقصارى رأينا وحتى هذا الجزء من الكتاب أن د . نصر .. وإن نقل المهجور والضعيف .. فحسبنا أن نطرح كتبه .. طواعية دون أمر من إدارة أو جامعة أو جهة رسمية حكومية ـ فنحن نؤمن بحرية البحث .. وكما أن مصر العامرة بالمآذن والأزهر .. فهى أيضاً التى بها شارع الهرم بما فيه ومن فيه .. وأنت الذى تختار أيهما تسلك ؟ وإلى أى سبيل تذهب ؟ وحسبك أن تعرف أن الحلال مجاناً ويثاب عليه ؛ أما الحرام فهو باهظ التكاليف ويعاقب عليه فى الدنيا والآخرة فالصلاة مجانا والصوم مجانا والكلمة الطيبة مجانا وقراءة القرآن مجانا فإن فعلت ذلك وقرك قومك وأحترموك .. ودخلت الجنة إن شاء الله .. وعلى الجانب الآخر ، تجد الخمر باهظة التكاليف .. والحانات والملاهى مهلكة للمال والصحة وكذلك النساء العاهرات .. والسرقات فإن فعلت إياً من ذلك دخلت السجن وإحتقرك قومك وعشت ذليلاً وفى الآخرة عوقبت بالنار إن شاء الله ..

والخيار لك فالتباين فى الأشياء مباح ، وأغلى الأشياء وأهمها مجانا .. الماء والهواء .. فالكتب أيضاً .. لابد أن تكون متباينة .. فالإسلام القوى فى النفوس ـ ستكون كتبه ـ بإذن الله ـ أشبه بعصا موسى التى تحوت إلى ثعبان يلتقط ثعابين السحرة التى لوهنها يخيل اليك أنها تسعى ، فيجد المتأمل لكتابات د . نصر كم هو مشوش الرؤى .. متخبط الرأى .. مرتبك الأفكار .. فتارة ينادى بأن الإسلام ليس عبادات وشعائر فقط وإنما هو مفهوم ثقافى عام .. وتارة أخرى يجده وقد إصطدم بالثقافة والتقدم ؛ فهو (د . نصر) فى الأرجح نقل كتاباته من كتب المستشرقين وطعمها بكتابات عصاة أو زنادقة أو مفكرين ـ إن شئت القول ـ فى اللاهوت أو الأديان الأخرى .. ثم نقل ما كتبه هؤلاء عن أديانهم بغير وعى ولا تمحيص ولا إدراك ليطابقه على الدين الإسلامى !! فكان لابد أن يتخبط .. وكان لابد أن يفشل .. فالمعلوم أن للديانة اليهودية والمسيحية زنادقة خرجوا من أصل ملتهم .. (البعض يحلو له أن يسميهم فلاسفة أو مفكرين) .. وأيا كانت التسمية .. فهناك من يقول (منهم) أن المسيح (عيسى بن مريم) بشر وليس إله .. ودليل برهانهم أنه لم يثبت فى كل الأناجيل فى عهديها القديم والجديد أن ذكر المسيح بأنه الله وتفسيرهم لورود وصفه كثيراً بأنه (ابن الله) بأن ذلك من قبيل المجاز تماماً كما يقال فى الريف للرجل الكبير فى قدره ومقامه وسنه ، أبويا فلان ، وما هو (بابوه) ولكنه يقصد أنه فى مقامه ومنزلته ودرجته .. وكذا عطف الكبير على الصغير وحديه عليمه بل وندائه عليه (يا بنى) .. فليس المقصود بذلك أنه ابنه صلباً وميلاداً بل المقصود به أنه فى منزلة الابن ودرجته .. وقد رأى هذا الرأى من قديم (آريوس عام ٣١٥ م) ومن حديث الشاعر / جبران خليل جبران وكلاهما يعتنقان المسيحية ديانة وعاشا وماتا على ملتها .. وكلاهما لا يرى فى المسيح سوى بشر رسول وإن وقفت إشكالية قبره أمامهما فأعجزتهما ، لكنهما، شأن من إعتقد ما ذهبا اليه ؛ قفزا على هذه المسألة بغير جواب ؛ ومن النصارى من يرى أن الرب (الله) فى نفس كل نصرانى وروحه .. وليس المقصود بالطبع أن الله تحول إلى آلهة صغيرة داخل كل نصرانى ولكن المقصود أن القانت المترهب منهم فى عبادته ينير الله له طريق الهداية والرشاد ؛ وإن كان بعضهم يؤمن بحرفية النص وبأن الرب فعلاً داخله .. وهناك من تطرف وإعتقد أن الروح هى الرب أو هى جزء من الله ، وأن الله أو الرب هو الخير فى داخل النفس البشرية وينازعها الشيطان فى إحتلال النفس البشرية .. ويبدو هذا النزاع فى تصرفات الإنسان فإن إمتلكه الله تماماً فهو خير

تماماً وإن إمتلكه الشيطان تماما فهو شر تماماً .. وإن تنازع الله والشيطان على إمتلاك الإنسان لظهر ذلك فى أعماله التى تكون بين الخير والشر أو خيراً حيناً وشراً حيناً آخر .. وإن كانت الغلبة لله فى نفس الانسان لمالت أعماله ناحية الخير بمقدار غلبه لله للشيطان فى نفس الإنسان .. والعكس صحيح ـ هذا من قول الزنادقة فى أديان وملل أخرى .. وقد نقل د . نصر شيئاً من قولهم فى كتبه عن الإسلام ـ بغير تحرز ولا إمعان .. ولا انطباق .. فإرتبك .. وارتبكت أفكاره .. وبدا ذلك للعيان ظاهراً ولكل من تناول كتاباته فى كتبه .. ومن عجب أنه يدافع عن هذا الإرتباك حتى أنه عندما صدر عليه الحكم بالردة راح يصف المستشار رئيس المحكمة : (بأنه كتب ولم يقرأ) أى أن المستشار كان يرسم الحروف ولا يجيد القراءة ولا يفهم ما يكتب !! أنها الوقاحة القحة ..

والمتنطس فى عبارات د . نصر الواردة فيما كتب من هذا التخبط وإرتباك الأفكار يلاحظ ذلك فى قوله ص ١٨ (أن الحدود تفترض أولا وجود المجتمع المسلم الذى تحميه هذه الحدود وإذا كان المنطلق النظرى للخطاب الدينى المعاصر – على تفاوت نظرات ممثليه وخلافهم فى التفاصيل ـ أن المجتمعات المعاصرة مجتمعات (جاهلية) كان طرح مبدأ تطبيق أحكام الشريعة ، بمثابة حرث فى البحر لا جدوى منه) ..

ويفهم من هذه العبارة أنه يطلب التوقف عن المناداة بتطبيق الحدود وأن الإسلام غريب اليوم كقول رسول الله ﷺ « إن الإسلام سيعود غريبا كما بدأ غريباً » وهو يعنى أن الحدود فى الإسلام والمسلمين ؛ ولكنها لم تنزل فى بداية الدعوة والمبعث حيث كان الإسلام ضعيفاً .. فهو يقصد أن الهجمة الشرسة على المسلمين الآن فى الداخل والخارج تقتضى عدم المناداة بتطبيق الحدود فى وقت يغتال فيه الإسلام بشراسة على أيدى البغاة الطغاة فى البوسنة والداخل والخارج ؛ وفى كل مكان .. وهو رأى يبديه .. حتى تعود لنا شوكتنا كمسلمين فى سالف عهدنا أو يقضى الله أمراً كان مفعولا .. فإذا كان ذلك مقصده الذى دان له هدفه .. فإنى آراه هنا فى هذه الجزئية صائباً ..

إلا أنه وللأسف ـ يعود فيناقض هذه الفرضية .. بأن ينادى .. بإلغاء الحدود نهائيا أى الغاء ما هو معلوم من الدين بالضرورة .. ويصف المنادين بـ « التريث » حتى يقوى الإسلام « بالخبثاء » .. ويعيب عليهم أهدافهم فى تطبيق الحدود إن قوى الإسلام وتمكن من الأرض وإرتفعت رايته .. فيقول (إن حل مشكلات الواقع إذا ظل يعتمد على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدى إلى تعقيد المشكلات حتى مع التسليم بأن الخطاب يقدم حلولاً ناجعة) .. وقال أنه (يؤدى إلى إهدار حق المواطن بالنسبة لغير المسلمين) وقال إن (الخطاب الدينى « يحاول إيهامنا ») وينسى وربما لا يعرف (أن موسى قطاوى باشا) وزير يهودى مصرى .. وأن نوبار باشا رئيس وزراء مسيحى مصرى وليست هناك حقوق مواطن أكثر من ذلك ..

وإلا فماذا يريد د . نصر ؟! أن نترك الحبل على الغارب .. ونؤمن بأن أحكام القرآن تجاوزها التاريخ .. وعلينا أن نبحث عن بديل له .. أو الاكتفاء منه بالمحافظة على القرآن داخل الصالونات بدلاً من (فازة الورد) أمام الضيوف ولا نعمل به .. الحقيقة أنه لم يقل ذلك .. ويشق علينا محاسبته على ما لم يقله ولكنه لم يقل شيئاً .. فقط طلب منا البحث عن بديل غيره ولم يدلنا عليه .. !!

وفى معرض إستخفافه بالدين يبحث عن أى قول مهجور مبتور فيسوق لنا ما قاله قاضى البصره (عبيد الله ابن الحسن) بل ويدرج قوله بالخط الأسود البارز وينقله فى كتابه ص ٢٤ (مفهوم النص) عن قاضى البصره .. [« وكل ما جاء به القرآن صحيح ، ويدل على الاختلاف ، فالقول بالقدر صحيح وله أصل فى الكتاب ، والقول بالإجبار صحيح وله أصل فى الكتاب ، ومن قال بهذا فهو مصيب ومن قال بهذا فهو مصيب ، لأن الآية الواحدة – ربما دلت على وجهين مختلفين واحتملت معنيين متضادين ، وسئل يوما عن أهل القدر والإجبار فقال : كل مصيب هؤلاء قوم عظموا الله ، وهؤلاء قوم نزهوا الله . قال وكذلك القول فى الأسماء ، فكل من سمى الزانى مؤمنا فقد أصاب ، ومن سماه كافرا فقد أصاب ، ومن قال هو فاسق وليس بمؤمن فقد أصاب ، ومن سماه كافرا مشرك فقد أصاب ، لأن القرآن قد دل على هذه المعانى »] ..

ولو فهم د. نصر ما يعنيه (إبن قتيبة) فى تأويل مختلف الأحاديث .. ما نهج هذا النهج فكل ذلك صحيح فى مواضع دون مواضع .. فالزانى قبل الإسلام بعد إسلامه مؤمنا يدخل الجنة وبعد توبته ..

والزانى المحصن المعتدى على محصنة له النار والرجم والسارق فى المجاعة والجوع غير السارق وهو فى سعة من الرزق، والكافر قبل إسلامه غير الكافر بعد إسلامه وهكذا .. ولكن د . نصر يعنى أن (الدين) يستوى مع (اللا دين) .. فكله صواب .. وكله خطأ تماماً كما شن هجوما على أئمة الإسلام فى مصر .. فقال (كنا نحارب الاسرائيليين ووجدنا مشايخ تؤيد حربنا .. ثم عقدنا السلام ووجدنا مشايخ تؤيد السلام كنا رأسماليين ووجدنا مشايخ تؤيد الرأسمالية وقبلها كنا اشتراكيين ووجدنا مشايخ تؤيد الإشتراكية) .. فهو يهدف أن الإسلام فى مصر فى خدمة الحكم .. وهذا افتراء بين .. نعم إن الله أمرنا بمحاربة المعتدين أياً كانوا مسلمين أو نصارى أو يهود أو أى ملة ماذا فى ذلك ؟ كما أن للإسلام معالجاته لحال أوطان المسلمين.. وكل حاله لها ما يقابلها .. فالزكاة فرض عين فى حالات اليسار .. أما فى حالات القحط والجوع فلا زكاة .. والقرآن يفرضها وينفيها وفقا لحال المسلم وهكذا فى كل الأمور ..

هو لا يشرح أهداف الإسلام .. ولكنه يحاول أن يعتدي عليه بأن يثبت أنه يمكن أن يبيح أى شيء وكل شيء فى أى وقت ويمكن أن يحرم أى شئ وكل شيء فى أى وقت أيضا وينسى الضوابط التى فرضها الله فى كتابه لكل تصرف .. ثم يقول (أنا مفكر) .!! ويحسب أنه بذلك يكتب (روشته) للمجتمع الإسلامى .. وكأن الإسلام لن يفيء من غفلته إلا (بدوائه) وينسى أن كل الأدوية معروفة لرفعة لواء الإسلام والمسلمين وتقدمهم .. ولكن دولاً عاتية حولنا تحارب الإسلام الآن فى محاولة لتحجيم انطلاقه ولكنه للأسف ـ يستغل الضعف ليملى علينا شروطهم ؛ ولا أود أن أكرر ما لم أصدقه من قول الآخرين عنه : إن الجوع الذى قرصه صغيراً يدفعه لأن يفعل أى شيء .. سواء بتسوله على أبواب السفارة السوفيتية سابقا أو تنطعه على أعتاب الموساد الإسرائيلى ، كالقط ينتظر قطعة الجبن من الذئب ، !!

ومن السنة وحي
فالقرآن والسنة وجهان لعملة الإيمان

فى هذا البحث نثبت للدكتور / نصر أن ، السنة ، هى تفسير للآيات، كما أن منها وحى لازم الإتباع حرام ترك العمل به أو عدم إتباعه أو عدم الإيمان به

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ أية ١٧٣ البقرة ..

٢ ـ ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وإن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وإخشونى ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا فمن أضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ أية ٣ المائدة ..

٣ ـ ﴿ قل لا أجد فى ما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن أضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم ، وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما أختلط بعظم وكذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ أية ١٤٥ ، ١٤٦ الأنعام ..

٤ ـ ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به فمن أضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ﴾ آية ١١٥ النحل ..

٥ ـ ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ آية ١٤ النحل ..

* * * * * * *

الآيات من ١ – ٤ تحرم الميتة .. هذا ظاهر النص ولكن السنة استثنت ، السمك والجراد ، والتقت مع

الآيات فى الميتة خنقا والمقتولة ضربا (الموقوذة) والساقطة من علٍ فماتت (المتردية) والتى ماتت من عراك أو نطح أخرى لها (النطيحة) وما أكلها وحش الغابة إلا إذا أدركتموها وبها الروح (ذكيتم) وما ذبح على إسم هبل واللاة والعزة وأى أصنام (النصب) و (الأزلام) فمن إضطر لمجاعة (مخمصة) فأكل ما حرم غير راغب فى الإثم (غير متجانف) .. فذلك حلال عليه .. ذلك فى تفسير الجليلين (المحلى والسيوطى) ..

والميتة حرام وأحلت ميتتان ودمان بالحديث ، السمك والجراد ، والكبد والطحال فى تفسير النسفى وإختلف تفسير الإمامين الجليلين (المحلى والسيوطى) عن الإمام النسفى فى (عاد) فالأول يفسر (عاد) أى غير متجاوز لحاجته والثانى يراها غير قاطع للطريق بالعدوان على (المراح) وهى الغنم والإبل التى يسوقها الراعى فى البرارى ليطعمها من الكلأ والعشب ويطلق عليها (المراح) ويفسر الامامين السيوطى والمحلى بأن اليهود حرم عليهم الأبل والأنعام وشحوم البقر والغنم (الثروب وشحم الكلى إلا ما علق من شحم فى الامعاء أو أختلط بعظم (كالإلية) (مؤخرة الخروف) فهو حلال لهم وذلك التحريم بسبب ظلمهم .. ويفسر الإمام النسفى (أبى البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفى) فى تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل فيتعرض للقراءات السبع فى هذه الآية فيقول « إلا أن يكون ميتة » بتشديد التاء المربوطة لاحظ أنه كتب هنا (يكون) وذكر (ميتة) بتشديد التاء المربوطة أى إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة ثم كتب يقول [أو تقرأ الآية (أن تكون) مكى وشامى وحمزه (ميتة) بالضمتين للتاء المربوطة (شامى] .. فالآية ١٤٥ / من سورة الأنعام مكتوبة فى المصحف العثمانى « المتداول فى مصر» (إلا أن يكون ميتة) ولكن تفسير النسفى أجاز « وفقا للقراءات» كتابتها « إلا أن يكون» والخلاف فى كلمة (يكون) أو (تكون) والله تعالى أعلم ..

لاحظ أيضاً أن الأربع سور السابقة ورد فيها « الميتة » دون إشارة للسمك والجراد وفى السورة الخامسة ورد فيها « الميتة» دون إشارة للسمك والجراد وفى السورة الخامسة (لحما طريا) فى البحر وفسر فى تفسير السيوطى بأنه السمك .. ولم يذكر باقى المنتجات البحرية الجمبرى والسبيت والمحار والكابوريا ولم يذكر (السموك) لتشمل كل ذلك وبالرجوع إلى مختار الصحاح فى باب (س م ك) ذِكر والسمك معروف واحدته (سمكة) وجمع السمك (سماك) و (سموك) ..

فظاهر الآية « ١٤ » فى سورة النحل نجد الدلالة اللفظية معناها الظاهر على العموم (هو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً) لحما طريا عاماً دون تحديد وإن سأل سائل نجيبه ولماذا نشق على أنفسنا فالظاهر (لحماً طرياً) عاماً« فلماذا نفعل ما فعله اليهود بنبيهم عندما شقوا على أنفسهم فى أمر « البقرة » بأن طغوا فى طلب وصفها حتى شق عليهم العثور عليها وكان أهون عليهم أن يذبحوا أى بقرة .. ولكنها إرادة الله فلماذا لا تأخذ (لحما طرياً) بعموميتها .. فإن أجيب إلى سؤال السائل يكون حلالا كل الأحياء المائية بما فيها كلب البحر والدرفيل والحوت وسبع البحر والضفادع وهلم جرا ..

* * * * * * *

ونعود للحديث الشريف فى أمر ذلك .. فيقول فى تفسير الجزء الثانى / كتاب البيوع باب جلود الميتة قبل أن تدبغ : [حدثنا زهير بن حرب حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا (أبىْ) عن صالح قال حدثنى ابن شهاب ان عبيد الله بن عباس رضى الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ مر بشاة ميتة فقال هلا إستمتعتم بأهابها « بجلودها » قالوا أنها ميتة قال « **إنما حرم أكلها** »] وفى باب قتل الخنزير قال جابر [حرم النبى ﷺ بيع الخنزير] ..

وحدثنا قتيبة بن سعيد الليثى عن ابن شهاب عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ ﴿ والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ..... ﴾ الحديث ، قوله ويقتل الخنزير أى يأمر باعدامه مبالغة فى تحريم أكله وفيه بيان أنه نجس] ..

وكذلك تفسير الألوسى البغدادى للآيات موضع البحث الآن (﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير

ما أهل لغير الله ﴾ تعليل لحل ما أمرهم بأكله مما رزقهم أى أنما حرم أكل هذه الأشياء دون ما تزعمون من البحائر والسوائب ونحوها فلا ينافى تحريم غير المذكورات كالسباع والحمر الأهلية) وقيل : (الحصر على ظاهره والسباع ونحوها لم تحرم قبل، وإنما حرمت بعد وليس الحصر إلا بالنظر إلى الماضى) وقال الإمام (أنه تعالى حصر المحرمات فى الأربع فى هذه السورة وفي سورة الأنعام وهما مكيتان وحصرها فيها أيضا فى سورة «البقرة» وكذا فى «المائدة» فإنه تعالى قال فيها ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ﴾ فأباح الكل إلا ما يتلى عليهم ، فى كل السور الأربع السابق ذكرها ولما كانت سورة المائدة آخر ما نزلت بالمدينة فإن من أنكر حصر التحريم فى الأربع من سورة المائدة كان فى محل من يخشى عليه لأن هذه السور دلت على حصر المحرمات فيه

أما سورة النحل ١٤٢ فقد أحل السمك لتأكلوا منه لحماً طرياً (مازلنا مع تفسير الألوسى البغدادى) و(من) متعلق – بتأكلوا – أو حال مما بعده وهى ابتدائية ، وجوز أن تكون تبعيضية والكلام على حذف مضاف أى من حيوانه وحينئذ يجوز أن / من اللحم الطرى ، لحم السمك كما يجوز أن يراد منه السمك والطرى أى للمسارعة إلى أكله طريا حتى لا يسرع اليه الفساد وزعم بعضهم أن فى الوصف ايذانا بكمال قدرته تعالى فى خلقه عذبا طريا فى ماء مر لا يشرب وفيه شيء لا يخفى ، ولا يؤكل عندنا من حيوان البحر إلا السمك ، ويؤيده تفسير اللحم به المروى عن قتاده . وغيره ، وعن مالك . وجماعة من أهل العلم

إطلاق جميع ما فى البحر ، واستثنى بعضهم الخنزير . والكلب . والإنسان، وعن الشافعى أنه أطلق : ذلك كله ، ويوافقه ما أخرجه ابن أبى حاتم عن السدى أنه قال : هو السمك وما فى البحر من الدواب . نعم عندنا يكره أكل الطافى منه وهو الذى يموت حتف أنفه فى الماء فيطفو على وجه الماء لحديث جابر عن النبى ﷺ « ما نضب عنه الماء فكلوا وما لفظه الماء فكلوا وما طفا فلا تأكلوا » وهو مذهب جماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم .. « ما لفظه .. ليكون موته مضافا اليه .. لا ما مات فيه من غير آفة » ..

والموت الناتج عن البرد أو الحر يحرمه الإمام على ولا بأس بأكل الجريث (المارماهى) وهناك من يحلل أكله لأنه مات بسبب حادث وكان كما لو القاه الماء على اليابس ، وروى عن الإمام مالك بأن مبنى على ما يتفاهمه الناس فى عرفهم لا على الحقيقة اللغوية ولا على استعمال القرآن .. وذلك كمن حلف بأن لا يجلس على بساط فجلس على الأرض أيكون حانثا .. لقوله تعالى ﴿ جعل لكم الأرض بساطا ﴾ قال : العود اليه فى مقصده وفى نية الحلف عنده) ..

(الإسلام وسلامة مسلميه) ..

مما سبق – يتبين لنا – أن الإسلام فى سلامة مسلميه .. لابد له أن يقدس نصوص الأحاديث النبوية الشريفة .. ولا يمكن أن يكتفى المسلم بالقرآن الكريم **نهجاً فريداً** بادعاء أن بالقرآن نصوصا تشير أنه شمل وأحاط بكل شيء وما من كبيره ولا صغيره إلا أحصاها .. ويستدل هؤلاء ببعض آيات القرآن منها ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ﴾ ٤٩ الكهف و ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شيء ﴾ ٣٨ الأنعام و ﴿ أن الله أحاط بكل شئ علما ﴾ و ﴿ أنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ﴾ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم .. وأتممت عليكم نعمتى ﴾ ...... الخ

ومن هنا يرى هؤلاء أن قداسة القرآن والعمل به تكفى عن التزود بالسنة المشرفة ويرى أنه لا تثريب عليه إن هو هجر السنة والعمل بها فلديه من النصوص القرآنية العديد الذى يثبت له أن فى القرآن وحده كل شيء

والرأى عندى – المؤلف – أن ذلك ليس صحيحاً .. كما سيرد لاحقا ولتبيان رأينا وإظهاره – أن السنة المشرفة هى وحى نزل على رسول الله ﷺ لتبيان أمور ديننا فيها ما علم (بالفتحة لكل الحروف وتزاد اللام بالشدة) الله رسوله كيفية الصلاة وتوقيتاتها والوضوء وكيفية الصيام ، وباقى العبادات من تفاصيل لفرائض الحج والزكاة وغير ذلك ، وإن كان فى السنة المشرفة (ما يثاب على فعله) إلا أنه ليس بالضررة (أن يؤثم على تركه) كالنوافل وصلاة التهجد وسنن الصلوات والصيام فى غير شهر رمضان وغير ذلك .. وإن كان بعض من العلماء رأى بضرورة العمل بكل ذلك .. وهناك من رأى بالعفو من الإلزام بالعمل بها أو ببعض منها إلا أننا ههنا نختلف مع د . نصر حامد أبو زيد فى رأيه الجازم بأن صلاة الجمعة « سنه » يجوز تركها

ولا يكون فى ذلك معصية ويثاب على فعلها .. وقد ذهب فى ذلك بعض العلماء والمؤلف يختلف .. معه ومع من نقل عنهم ..

صلاة الجمعة
فرض أم سنة

يقول د . نصر حامد أبو زيد فى كتابه « مفهوم النص » ص ١٠٤ « ليست نصا فى فرض صلاة الجمعة بل هى نص فى « وجوب » « ترك البيع » ..

يعنى يا دكتور .. يا مفكر .. إذا ترك القوم البيع والشراء يوم الجمعة وجوباً « يلعبون » فإن كان الإتيان بالعمل فى البيع والشراء ونحو ذلك حرام وقت صلاة الجمعة .. فماذا يكون الحلال اللعب – النوم الوقوف انتباه بلا عمل .. سماع « الراديو » التسلية بمشاهدة مباراة أو فيلم .. إذا رتبنا ذلك يا دكتور وجميع تلك الأعمال أقل مرتبة من العمل فى البيع والشراء ونحوه .. فإذا كان البيع والشراء والعمل فى نحو ذلك واجب تركه بالنص القرآنى .. وقد اعترفت .. أى أن اتيان العمل حرام فى ذلك الوقت .. فبالقياس تكون التصرفات التى تنحدر تحت العمل بالبيع والشراء تكون أشد تحريما .. كاللعب أو التسلية أو نحوه .. ولو ترك العمل بالبيع والشراء مع ترك الصلاة .. لكان أشد إثما .. فالمعنى أن تترك أعمال البيع والشراء لتفضيل الصلاة عليهما فى يوم الجمعة .. لقد ذكرتنى بما هو مألوف عند البعض فى فهم الآية ﴿ ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ فالبعض يقول ﴿ فلا تقربوا الصلاة ﴾ ولا يكملوا الآية .. ولكنك تقع فى محظور أشدفى تفسيرك أو اختيارك ..فتجد أن السكير أبداً لا صلاة له .. ولاعقوبة عليه .. فطالما هوسكران دوماً .. فكيف يقرب الصلاة .. والآية تقول ﴿ لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ﴾ إذن فليسكر ابداً .. فلا تكن له صلاة ابداً .. أى إستخفاف بالعقول هذا أن تفسر الآية ﴿ إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ أن الغرض منها ترك البيع .. ولكن الصلاة محببة وليست مفروضة ..

فإن كان الله الذى أمر الناس بالعمل فى كثير من الآيات ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ كما أن الأمر (اعملوا) ومشتقاتها ورد فى القرآن الكريم ٣٥٨ مرة .. فلماذا إذن يحرم الله على الناس العمل عند النداء لصلاة الجمعة إلا إذا كان ذلك من أجل فريضة أغلى اثراً وأرفع درجة من العمل وهى الصلاة .. نعم لقد نقلت يا نصر من بعض كتب التفسير ما قلته ؛ ولكن كثير مما لم تلتفت إليهم رأى وجوب صلاة الجمعة .. ولكنك لم تلتفت اليهم إما القصور فى البحث ، وإما جهلا بما فسره الآخرون وأما تعمداً للتجهيل بهدف البلبلة، ألم أقل لك إنك تبحث عن الغريب المهجور .. بدون تفكير .. فكر يا رجل .. فالتفكير نعمة وهبها الله الخالق لنا لننعم بها ونستخدمها .. فليست الدماغ زينة فوق الكتفين .. هذا من الناحية البديهية لمن يطلع على الآية فى نصها القرآنى .. لابد أن يفهم .. وللمستزيد نزيده قال رسول الله ﷺ « من ترك صلاة الجمعة من غير عذر ولاضرر كتب منافقا فى ديوان لا يمحى ولا يبدل » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى ..

وقال ﷺ « رواح الجمعة واجب على كل محتلم » رواه النسائى عن حفصة وقاله المصنف فى الصغرى ؛ ومن هذين الحديثين .. نجد أن صلاة الجمعة فرض لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فإسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ٩ / الجمعة ولنا – المؤلف – تفسير سهل فى هذا مضافا لما ذكرناه تحت عنوان هذا الموضوع فى « صلاة الجمعة » فلنتأمل الآية جيدا .. فى كلمة (فاسعوا) من (فاسعوا الى ذكر الله) .. فاسعوا هذه أمر .. فليست العبارة الواردة فيها مما يمكن أن يحسب جملة خبرية .. فالكلمة تصنيفها فى اللغة أمر لا إختيار فيها مثل : قم / إشرب / أعمل / أحرث / أسعى .... الخ .. فاسعوا هذه أمر .. وليس أى أمر .. فهى أمر الهى .. هذه واحدة ..

والثانية : إن (للجمعة) سورة .. تختص بها « سورة الجمعة » ألا يشير ذلك إلى عظمة شأن ذلك اليوم.. وتكريم الله له بأن أنزل فيه « سورة خاصة بذلك اليوم » ..

الثالثة : قال رسول الله ﷺ (إن فيه ساعة إستجابة) .. والمعنى واضح أن لليوم شأنا خاصاً ..

الرابعة : قال رسول الله ﷺ « رواح الجمعة واجب على كل محتلم) أى على كل من بلغ الحلم وحفصة هذه التى سمعت رسول الله يقول ذلك هى زوجة الرسول رضى الله عنها وابنة من ؟ ابنة عمر بن الخطاب أحد المبشرين العشرة بالجنة .. ألا تصدقها يا نصر » ؟ وهى التى نزل من أجلها الوحى على رسول الله يبلغه بأمر الله بأن يكرم حفصة إكراماً لعمر بن الخطاب » ..

ويشهد بصحة فرضية صلاة الجمعة رواه الحديث ابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وأبى الجعد الضمرى وكانت له صحبة وله شاهد ؛ من حديث أبى قتادة ومن حديث أبى هريرة - فهؤلاء يرون أن صلاة الجمعة فرض واجب ..

وقد رأى جابر عند أحمد إفادة فى الترغيب والترهيب وقال المسند فى الصغرى إسناد جيد ، أبى يعلى ، ومن كلام ابن عباس عنده أيضا ومن حديث حارثة بن النعمان وهؤلاء يشهدون بصحة الحديث .. وإن صنفوه للترغيب والترهيب ، أى يرون أنه سنة مؤكده .. وقد نص على أن (الصلوات خمس) فليس منها صلاة الجمعة وبذلك تكون سنة وليست فرض وإذا كان لمن رأى أن صلاة الجمعة فرض عين لم يحار فى فرض صلاة الظهر .. فقال إن صلاة الجمعة تغنى عن فرض صلاة الظهر ..

.. والرأى عندى – المؤلف – أن صلاة الجمعة فرض عين لا مندوحة من الهروب منه لما خصها الله تعالى بالتكريم .. فخصها بسورة من كتابه الكريم.. وخص يومها بساعة تفتح فيه السماء أبوابها لإجابة رب العالمين للداعى .. وأمر الناس أمراً صريحاً بأدائها (فاسعوا) وتلك مرة فى الأسبوع .. فلا تداخل منها فى الصلوات الخمس اليومية ؛ فهى أيضاً خمس وليست ست ؛ فصلاة الجمعة ليست كل يوم حتى يمكن أن تقول لقد أصبحت الصلوات ستة فروض .. فهى خمس بل هى أقوى من صلاة الظهر فى ذلك اليوم فيمكن استبدالها بأدائها عوضا عن صلاة الظهر .. ودليل آخر يؤكد فرضيتها ذلك أن جميع الصلوات الخمس تؤدى عند الآذان بها فى المساجد صلاة جماعة فأين إذن صلاة الجماعة لفرض الظهر يوم الجمعة فى المساجد ؟ .. لا توجد .. ولكن توجد بدلا منها فى المساجد . صلاة الجمعة ولها طقوس خاصة تمييزاً لها عن غيرها من صلاة الجماعة .. فيلزم فيها الخطبة.. والخطبة لها شروط .. فهى صلاة أشد جلالاً .. وأشد نفعاً .. وأشد فرضية وإن ذهب بعض العلماء بأن المقصود بأنها سنة مؤكدة أى أنها من أوامر النبى الملزمة – وحتى لا يصطدموا بإشكالية الصلوات الخمس المفروضة .. ذهبوا مذهبهم هذا مؤكدين أنها سنة مؤكدة ومؤثم تركها ومثاب أدائها وأن تصنيفها سنة مؤكدة لا ينفى عنها فرضيتها المقدسة ووجوبها لقول الله ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ .. فإن ما ذهب اليه هؤلاء – فى رأينا – المؤلف – يكون مذهباً صحيحاً لأنهم بذلك يكونوا قد إتفقوا فى آدائها وجوبا .. وهذا ما نهدف اليه .. ونعارض فيه ما ذهب اليه الدكتور .. نصر حامد أبو زيد ..

جاء بحاشية السندى ص ١٠٨ من الجزء الأول :

[قوله .. لقوله تعالى (إذا نودى .... الخ) استدل به على الوجوب ؛ تارة بأن شرع الآذان للفرائض ، وتارة بأن إيجاب السعى إليها فرع .. وجوبها ؛ وقد يقال هذا مبنى على كون (إسعوا) للوجوب – وهو فى محل النظر – لان قوله ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ يفيد خلافه (أى خلاف الوجوب – المؤلف) لأن (خير) اسم تفضيل ، فيفيد أن السعى أولى من تركه ؛ فيقتضى حمل الأمر على الندب ، وقد يجاب بأن (ذلكم) ، إشارة إلى ترك البيع فقط [هكذا نعرف من أين أتى د . نصر بأفكاره فهو لم يخترع ولا يهزمنا أن نسوق آراء المخالفين عنا فنحن واثقون من عناصر قناعتنا فيما ذهبنا اليه – المؤلف] أو إلى السعى وترك البيع ، وقوله (خير) نظراً لأن البيع لا يخلو من نفع دنيوى إلا أن النفع الأخروى أولى وأحرى ، وهذا لا ينافى الوجوب ، فافهم (قوله وهل على الصبى شهود يوم الجمعة أو على النساء) الظاهر أنه أراد (لا .. لا .. نعم ..) كما زعم البعض] ..

وقد أيد ما ذهبنا إليه – المؤلف – المحدثون من علماء الإسلام .. ففى فقه السنة الجزء الثالث للشيخ الجليل السيد سابق ص ٢٦٣ . وتحت عنوان وجوب صلاة الجمعة ذكر ما آتيناه من أحاديث الرسول ﷺ وأضاف :–

(عن إبن مسعود رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة « لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم) رواه أحمد ومسلم. ثم أضاف أن الجمعة تجب على المسلم العاقل الحر البالغ المقيم القادر على السعي إليها الخالى من الأعذار المبيحة للتخلف (كالجهاد ونحوه المؤلف) ولا تجب صلاة الجمعة على (المرأة والصبى) متفق عليه .. المريض – المسافر – المدين المعسر الذى يخاف الحبس إذا ظهر ، والمختفى من الحاكم الظالم.

وقال وكل معذور مرخص له ترك الجماعة، كعذر المطر والوحل والبرد ونحوه فعن أبن عباس أن رسول الله ﷺ قال لمؤذنة فى يوم مطير ، إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل (حى على الصلاة) وإنما قل صلوا فى بيوتكم) ويورد الشيخ السيد سابق فى هامشه أن صلاة الظهر تسقط بصلاةالجمعة ، ويضيف عن صلاة الظهر (أنها لا تجوز إتفاقا ولأن الجمعة بدل الظهر، فهى تقوم مقامه ، والله لم يفرض علينا ست صلوات، ومن أجاز الظهر بعد الجمعة ، فإنه ليس له مستند من عقل أو نقل ، لا عن كتاب ولا عن سنه ولا أحد من الأئمة) وعن طارق بن شهاب أن النبى ﷺ قال « الجمعة واجب على كل مسلم فى جماعة » انتهى المنقول من نصوص فقه السنة .. وللمستزيد المراجعة .. حتى يسمح لنا المجال هنا لنقل مزيد من آراء العلماء والمجتهدين .. فقد بحثنا فيما كتبه الدكتور / عبد الفتاح شلبى والدكتور / سعد شلبى فى كتابهما (من القرآن الكريم) لمزيد من التدقيق.. فلم نجد شيئا ذكراه .. ولا كلمة واحدة عن صلاة الجمعة .. فى تفسيرهما لسورة الجمعة أو معانى الآيات فيها ...!!

ولكنا وجدنا تأكيدات كثيرة لما رأيناه من وجوب فعلها وتأثيم تاركها فيما جاء فى روح المعانى للألوسى البغدادى فكتب ص ١٠٢ من الجزء ٢٧ من تفسيره العريض للقرآن الكريم (فى حديث رواه أبو داود ، وقال النووى – على شرط الشيخين « الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة مملوك أو إمراة أو صبى أو مريض » وكذلك ثبتت فرضيتها بالسنة والإجماع فقد صرح بعض الحنفية بأنها آكد فرضية من الظهر ، وبإكفار جاحدها وهى فرض عين) إنتهى المنقول من روح المعانى للألوسى البغدادى. وكيف لا تكون صلاة الجمعة فرض ، وقد قال ﷺ بسنده وصحيحه (سيد الإيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله تعالى ، وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى،فيه خمس خلال « خلق الله عز وجل فيه آدم عليه السلام، وأهبط الله تعالى فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أتاه تعالى إياه،مالم يسأل حراما، وفيه تقوم الساعة،ومامن ملك مقرب ، ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر الاهن يشفقن من يوم الجمعة) « رواه احمد ابن ماجه، وقال العراقى إسناده حسن. ... وكيف لا تكون صلاة الجمعة فرض؛ وقد قال رسول الله ﷺ فى حديثه (من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجيرمن عذاب القبر، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء) . « رواه الترميذى عن عبد الله بن عمر ، وعن مثل ذلك أخرجه أبو نعيم الحافظ عن جابر.

فأى جلال ... وإمتياز ليوم الجمعة هذا ..حتى ينكر الدكتور نصر ومن حذا حذوه فرضية صلاة الجمعة .. ووجوبيتها .. وتأثيم تاركها..

فإذا كان لليهود يوم السبت يقدسون فيه عبادتهم وللنصارى يوم الأحد يعبدون فيه ربهم .. ألا يروق لك يادكتور أن يكون للمسلمين يوم (الجمعة) يصلون فيه لربهم ، ويكون ذلك فرضا.

فالرأى – عندى المؤلف – أن صلاة الجمعة .. صلاة عمود.. أى أكثر الصلوات قدسية خلال الإسبوع، يثاب فاعلها .. يؤثم تاركها .. هداك الله وإيانا سواء السبيل والله أعلم.

هذا كما أن العلماء اتفقوا جميعا على ان بالسنة المشرفة أحكاماً لا يجوز تركها وأن لم يرد لها ذكر فى القرآن الكريم .. ويؤثم تاركها .. ومن ذلك « البيعان بالخيار مالم يتفرقا» أى من حق البائع أو المشترى الرجوع عن العقد، حتى ولو إتفقا طالما مازالا فى مجلس « العقد» لم يتفرقا كل إلى حال سبيله؛ أو تفرقا بالحديث فى أمر آخر غير أمر العقد، أو خطى كل منهما ثلاث خطوات على الأقل فى اتجاه الخروج من الدار الكبيرة أو خرجا من الدار الصغيرة وفى رأى البعض « تفرقا» فى ثلاثة أيام على تحرير العقد أو الإتفاق على البيع والشراء ..

وهذا إنشاء لواجب رود فى السنة ولم يرد فى القرآن، كما أنشأت السنة النبوية محرمات كتحريم « بيع الحصاة» وكانوا قديما فى الجاهلية عندما يشترى أحدهم أرضا يدفع ثمنها للبائع ، ثم يلقى بحصاة .. وأنى وصلت ، كان هذا ما إشتراه .. !! فنهى الرسول ﷺ عن ذلك ، وبيع الغرر ، مثل بيع السمك فى الماء والطير فى الهواء وشراء ما سيخرج من شبكة الصياد قبل أن يلقى بها .. ونحوه - المؤلف) أى بيع ما يخدع به، ومعلوم أن كثيراً من الواجبات والمحرمات مأخوذة من السنة النبوية ، ومعلوم أن الواجب (فى علم الحديث) يعنى الفعل اللازم وما أحله الله هو (ما طلب الله عز وجل فعله من المكلفين طلبا لازما وهو الواجب) أو طلبا غير لازم وهو (المندوب) ، وما حرمه الله :- هو طلب الله عز وجل من المكلفين الكف عن فعله طلبا لازما وهو (المحرم) ؛ أو طلب غير لازم وهو (المكروه) وما سكت عنه الشرع فهو (عفو) ؛ أى المباح ؛ لاكراهية فيه ، ولا ندب ، ولا واجب ولا محرم وذلك جميعه بالسنة النبوية .. وبها الراجح والمرجوح.

وكذلك الحال فى القرآن الكريم . ففيه الآيات المحكمات ؛ كالحدود والمواريث ، وهى التى لا تحتاج إلى تفسير فهى أدلة يقينية قطعية تثبت الواجب والمحرم ، وبه آيات منسوخة أى التى نزلت غيرها بأفضل منها مع تركها بالقرآن الكريم ، وعلة تركها التذكرة الدائمة برحمة الله وعبرة للنظر فى تخفيف أحكامه على العباد ودليل الآيات المنسوخة قوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ ١٠٦ / البقرة و ﴿ إذا بدلنا آية مكان اية والله أعلم بما ينزل .... ﴾ ١٠١ / النحل ؛ وفى تفسير السيوطى أن هناك آيات نزلت فى القرآن ؛ ولها أحكام ،ونسخت إما بلفظها أى برفع تلاوتها أو (نمحها) من قلبك فلا ترد فى القرآن ويأت الله بخير منها مع تأخير حكمها فى اللوح المحفوظ ، وهنا هاج نفر من الناس عند نزول تلك الآية وقالوا لرسول الله ﷺ ، إنما أنت مفتر ، واتهموا ، قين ، النصرانى وكان النبى ﷺ يدخل عليه - بأنه يعلمه القرآن الكريم فنزلت الآية ، ولقد نعلم إنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ، ١٠٢ / النحل ..

أى كيف لـ ، قين ، أن يعلم الرسول القرآن وهو أعجمى (أى فى لسانه عيب نطق) والقرآن الكريم عربى مبين ..

وفى تفسير الألوسى البغدادى تواترت الأنباء عن من أتهم - من وجهة نظر الكفار القرشيين ، فى أن ، قين، هو الذى علم الرسول القرآن وشمل الأتهام (جبرا الرومى) غلام (عامر بن الخضرمى) وكان قد قرأ التوراة والأنجيل وكان رسول الله ﷺ يجلس إليه إذا آذاه أهل مكة فقالوا ما قالوا - روى عن (السندى) ؛ وروى أيضا أن من علم رسول الله ﷺ القرآن مولى (لحويطب بن عبد العزى) إسمه (عائش) أو (يعيش) وقد أسلم وحسن أسلامه - قاله الفراء ، والزجاج.

وأبا فكيهه مولى لإمرأه بمكة قيل إسمه (يسار) قاله (مقابل) (وإبن جيد) إلا أنه لم يقل كان يهوديا.

و (بلعام) أعجمى رومى غلام لبعض قريش كان يعلمه الرسول الإسلام وقد قال هو ذلك إلا أن قريش قالت ما قالت - عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل / سليمان الفارسى (أخرجه إبن جرير / وابن المنذر/ عن الضحاك) قد اسلم سلمان بالمدينة رضى الله عنه .... وقيل أن رسول الله ﷺ كان يتردد عليه رجلان يهودى ونصرانى ويعلمانه فى غار حراء شاهوا وشاه ما يقولون ؛ الحاصل أنه كما للسنة النبوية أعداء فللقرآن أعداء وكما تنشئ السنة النبوية واجبات فالقرآن ينشئ واجبات .. وبالقرآن نصوص قطعية الدلالة وهى التى تعبر بلا خلاف عن مبادىء الشريعة الإسلامية وبه أيضا نصوص ظنية الدلالة تحتمل أكثر من دلالة ولكن الدلالة التى تتفق مع النصوص قطعية الدلالة أولا تتعارض معها هى الدلالة الصحيحة ... وبالسنة أيضا أحاديث ظنية الدلالة .. ولا يملك كائن من كان أن يستبعد النصوص الظنية الدلالة من قرآن أو سنة ... ويكون عالما فقيها .. والدليل على ذلك قوله تعالى :-

، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله يغافل عما تعملون) ٨٥ البقرة ..

إن كنا دللنا فيما سبق عن أن للسنة النبوية قد اسة تابعة لقداسة القرآن - فى رأينا - ولم نغفل فيما سقناه رأى المعارضين ولا حتى رأى المشركين فما حال المؤمنين الذين يحارون فى أن هناك آيات بالقرآن الكريم

تؤكد أنه شمل كل شئ ويتذرعون بذلك فى هجرهم للسنة النبوية؛ ويتخذون من بعض الآيات المحكمة /الواجبة / القطعة الدلالة وليلا وبرهانا منها ما أسلفناه ومنها ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب بين ﴾ ٥٩/ الأنعام ﴿ وكل شئ أحصيناه كتابا ﴾ ٢٩ / النبا ﴿ أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل الكتاب مفصلا ﴾ ١١٤ / أنعام .. وهؤلاء يرون أن القرآن غنى عن السنة بهذه الآيات والإجابة فى رأينا – المؤلف – أن القرآن الكريم شمل كل شئ والإيمان به يلزم الإيمان بما أنزل فيه من آيات الإيمان بالسنة المشرفة .. فمن يكتفى بالقرآن الكريم عليه أن يلتزم بما جاء به من الآيات الكريمة القاطعة / الواجبة / القطعية الدلالة / الغير منسوخة / الآتية – ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ٨٠ النساء.

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا .... ﴾٧/ الحشر . ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾١٣/ النساء ، ١٧ الفتح . ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ ١٩ / النساء. ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ ٥٢ / النور .. ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾ ٧١ / الأحزاب . ﴿ ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ﴾ ٧١/ التوبة. ﴿ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ﴾ ٣٣ / الأحزاب .. ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ ٣٢/ آل عمران . ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ ١٣٢ / آل عمران . ﴿ وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ ٥٩ / النساء . ﴿ وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾.... ٩٢ / مائدة . ﴿ واطيعوا الله ورسوله ﴾ ١ ، ٢٠، ٤٦ الانفال . ﴿ وطيعوا الرسول .... ﴾ ٥٤ / ٥٦ / النور .. ٣٢ /محمد . ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ ١٣ / المجادلة .

﴿وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ ١٢ التغابن ﴿ إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ﴾ ١٢٦ الشعراء . ﴿ إن أجرى إلا على رب العالمين فأتقوا الله وأطيعون ﴾ ١١٠ الشعراء. ﴿ أنى لكم رسول أمين فإتقوا الله وأطيعون ﴾ ١٢٦ / الشعراء. ﴿ فإتقوا الله وأطيعون ﴾ ١٤٤/ ١٥٠ /١٦٢ / ١٧٩ الشعراء ، ٦٣ الزخرف

تلك هى الآيات على سبيل الحصر الواردة فى القرآن الكريم .. الذى لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، يلزم عباد الرحمن من المسلمين بطاعة رسول الله ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ ليكتمل الأسلام... فلو لم يكن بالسنة إكتمالاً للدين ما لزم الامر فى القرآن بأتباعها ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ٦٢ / أحزاب .... والله تعالى اعلم ...

(القرآن وما نقص منه) ..

وعلى هذا ..نجد أننا مأمورون (باتباع السنة النبوية)بنصوص الآيات القرآنية .. وعندما نقوم باتباع القرآن كاملا بما فيه من أمر اتباع السنة يكون القران حينئذ ﴿ لا يغادر كبيرة ولا صغيرة الا أحصاها) ... وكما هناك خلاف فى أن القرآن الكريم لم يكتب كاملاً فى عصر عثمان حيث تواترت الأنباء عن أن سورة الأحزاب كانت تقرأ فى زمن الرسول « ٢٠٠ » مائتى آية والمذكور منها فى القرآن اليوم ٧٣ آية.

وللتدليل على هذا الخلاف ما رواه (ابو عبيد) قال (حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع ابن عمر قال (ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله ، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر)

وقد حدثنا ابن أبى مريم عن إبن لهيطة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت (كانت سورة الأحزاب تقرأ فى زمن النبى ﷺ مائتى آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن) والثاب أن خلافاً نشأ حول القرآن ... فى حرب اليمامة ... على القراءات السبعة .. فنشبت بينهم حرب .. هذا يتمسك بما يقرأ .. ويكفر غيره من القراء ... والآخر يفعل مثله ويكفر الفريق الآخر .. فنشبت الحرب بينهم حول القرآن .. حتى خشى أبو بكر على القرآن نفسه .. بعد أن سقط كثير من حفظته قتلى فى حرب

اليمامة .. وكانت حروب الفتوحات يسقط منها كثير من الحفظة .. فكلف أبو بكر (زيد إبن ثابت) بجمعه من الصدور .. وقد عانى (زيد) الكثير لتحقيق ذلك حتى أنه قال ... (فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة براءاة » (العسب = كراء ضراب الفحل ، اللخاف (فى مختار الصحاح) اللخاف (بالكسرة) حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة) بوزن صحفة وهى من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه) والفحل = حصير يتخذ من (فحال النخل) وهو ما كان ذكوره فحلاً لإناثه ، والكراء = الممدود ، هذا ما كان من جمع القرآن ... والخلاف حوله .

٥٨٧٢٧٥ حديث مدسوس :

.. وهناك خلاف حول السنة عكس الخلاف حول القرآن ، فإن كان الخلاف حول القرآن أنه لم يدون كله ... فإن الخلاف حول السنة أنه أكثر مما روى من رسول الله ﷺ ، أى خلاف القرآن أنه حذف منه ... وخلاف السنة أنه أضيف إليها.

وللتدليل على أن السنة أضيف إليها ما روى عن رسول الله نفسه بقوله ﷺ - (من تعمد علىّ كذبا فليتبوأ مقعده من النار) كما أننا عندما نطالع « صحيح أبى عبد الله البخارى » فى أى جزء من أجزائه الأربعة نجده يستهل بالمطلع الآتى نصه :- « كتاب أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بردزيه البخارى الجعفى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين وبهامشه حاشية السندى بتمامها وتقريرات من شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام رحمهم الله تعالى ، ولد البخارى رضى الله تعالى عنه (ببخارى) يوم الجمعة أو ليلتها ثالث عشر شوال ١٩٤هـ وتوفى ليلة السبت ، ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ عن إثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما . روى عنه أنه قال :- « خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث فى ست عشر سنة ، وما وضعت فيه حديثاً إلا إغتسلت وصليت ركعتين أ. هـ. فضائله أكثر من أن تحصى ، وأوفر من عدد الرمل والحصى ، وعدد أحاديث صحيحة « سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعون » وباسقاط المكرر، أربعة آلاف ، وقيل غير ذلك ، وقد تنازع البخارى المذاهب الأربعة والصحيح أنه مجتهد أ. هـ . من شرح الشبرخيتى على الأربعين النووية ومن غيره ؛ وقد أجرينا الطبع على النسخة التى شرح عليها العلامة القسطلانى رحمه الله تعالى إلا ما ندر فليعلم » أ. هـ.

وبحسبة بسيطة نجد أن الأحاديث النبوية دخلت فى أحاديث نسبت اليه بغير حق أو ضعيفة الإسناد مجموعها ٦٠٠٠٠٠ - ٧٢٧٥ (الأحاديث الصحيحة المؤكدة بعد اسقاط المكرر) = ٥٩٢٧٢٥ (مجموع عدد الاحاديث المكررة والمنسوبة بغير حق والضعيفة الاسناد)

ولما كان عدد الأحاديث ضعيفة الإسناد والمنسوبة بغير حق يمكن إستخراجها من أحد عناصر المعادلة المعلوم وهو الأحاديث المكررة والوارد عددها بـ (٤٠٠٠) أربعة آلاف إذاً (٥٩٢٧٢٥) - ٤٠٠٠ = ٥٨٧٢٧٥ حديث منسوب للنبى ﷺ بغير حق ... حتى زمن الإمام البخارى والذى إنقضى عليه حتى اليوم (١١٦٠) سنة منذ تاريخ وفاته عام ٢٥٦هـ (١٤١٦هـ العام الحالى اليوم - ٢٥٦هـ = ١١٦٠ سنة فإن كانت الأحاديث النبوية نسب لها أحاديث مدسوسة فى زمن الرسول فالظن محتمل فى أن يكون نسب اليه أحاديث أخرى بعد وفاته ...من باب أولى ...كما أنه وبعد وفاة الإمام البخارى وعلى مدى ١١٦٠ سنة حتى اليوم ؛ يمكن أن يكون نسب إلى كتابه بعد وفاته أحاديث مدسوسة غير التى جمعها .. كما أنه ليس بأيدينا ما يزيل هذا الشك بمعنى أننا لانعرف - يقينا - كيف تداولت نسخ الكتاب « صحيح البخارى » حتى وصل إلى أيدينا اليوم ؛ كما لا نعلم عن النسخة الأصلية لصحيح البخارى شيئا .. وعلى ذلك أميل - المؤلف - لعرض أى حديث أيا كان مصدره على القرآن الكريم ..فإن وافقه فهو

من رسول الله وإن عارضه فليس عنه وإن كنت – وبصفة شخصية – أرتاح لأنه أركن إلى صحيح أبى عبد الله البخارى عن غيره ... والله أعلم ، نخلص من كل ما سبق الى تأكيد أن الدين الإسلامى مستهدف من أعدائه منذ نزوله، بل وأثناء نزوله وحتى اليوم – ومازال الدين فى النفوس والقلوب لن يتزعزع وسيظل كذلك إلى يوم الدين ..كما نخلص أن السنة النبوية مكملة للقرآن الكريم ولا يجب هجرها .

وعلى هذا فنحن مأمورون – شرعاً – بما أمر به رسول الله ﷺ وما إستحسن فعله ، لنا فيه الخيار ؟ بمعنى إن فعلناه أثابنا الله وإن لم نفعله لم نؤاخذ على تركه .. كما نخلص أيضا إلى أن القرآن (حمال أوجة) ... وبأى وجه أخذت فقد نجوت .. وفى السلف الصالح كثير من الفقهاء والمفسرين والأئمة العلماء وعلينا أن نبتغى الفضل فى أى منهم ... ؟

أمـا أن نطـرح السنة لأنـه مدخول عليها .. ونطـرح القرآن جانباً بادعاء أنـه ليس كله ونتبع الشيخ/نصر حامـد أبو زيـد ...!! فهـذا ما لا يجوز .. ولا أعتقد جوازه .. حيث فى الهدم خسران مبين ... والله أعلم .

هدم المسجد الاقصي وبناء هيكل سليمان في مكانه

•• ألا ترون أن هناك إثنى عشرة طائفة إسرائيلية تحاول هدم المسجد الأقصى لتطالب بحقها التاريخى فى إقامة هيكل سليمان مكانه .. ومن عجب أن فى إسرائيل كثيراً من الملحدين وعديمى الإيمان ؛ ولكنهم مع هذا يؤيدون حق إسرائيل الدينى فى إقامة هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى .. !!

وقد حصل فعلا – أن صدر من المحكمة الإسرئيلية حكماً قضى بحق آلاف اليهود من جماعة (أمناء الهيكل) بالإضافة إلى إثنى عشرة طائفة دينية إسرئيلية عندما تقدموا أمامها، للدخول الى حرم المسجد الأقصى، وفعلاً قاموا بدخوله وفقا لهذا الحكم يوم الأحد الموافق ١٩٩٥/٨/٦ وحجتهم أن هيكل سليمان كان مكان المسجد الأقصى ، وتم تدميره (الهيكل) فى القرن السادس قبل الميلاد وكان هذا هو التدمير الأول أما الثانى فكان عام ٧٠ بعد الميلاد ؛

وكان اليهود قبل صدور هذا الحكم قد دخلو الحرم الإبراهيمى فى مدينة الخليل.. وتم تقسيم الحرم الإبراهيمى بين اليهود والمسلمين فى نوفمبر عام ١٩٩٤ ..

كل ذلك بدعاوى دينية يتمسكون بها ولا يعارضهم فيها اللادينيون فى إسرائيل ..

فهلا إلتقينا حول ديننا بما فينا هذا الرهط من الناس الذين ضلوا عن سبيل الله ، من أجل وطننا وأمتنا حتى يهديهم الله .. أم يكون هذا الرهط من الناس أداة للفكر الإسرائيلى الذى يعمل على (إنصرافنا عن المسجد الأقصى) .. ألم أقل أن تلك الهنات من الحوادث الفردية تسعدهم سواء كان تطرفا إيجابياً إلى حد الإرهاب .. أو سلبيا إلى حد الردة والسخرية من الدين ولكن ماذا اقول ؟!!

إن (الصرصار) مهما حاولت أن يعيش معك فى الصالون فإنه دائما يهرب منك إلى البالوعة.. حيث وسطه الفاضل المعيش ، فكلما إستقدمته للصالون تجده لا يطيق ؛ فما إن تتركه حتى يفلت منك مسرعاً إلى البالوعة .. وجرب ... وأجزم أنك لن تنجح أبدا فى ذلك .. فإن كان قدرنا الفشل فى أن تعيش (الصراصير) فى الصالونات .. فهل يمكن أن تحاول (الصراصير) نفسها أن لا تكون (صراصيراً) .. ؟ !!

أم أنه لا فائدة .. !! كما إشتهرت مقولة الزعيم سعد زغلول .. « مفيش فايدة » وسنظل ننفخ فى أبواق مثقوبة فلا نفير فيها .. أو نؤذن فى مالطة حيث لا سميع هناك ؛ وعلى أى حال فعلينا نظافة البيت (مصر) منهم .. أو على أقل تقدير إفراغ جامعاتنا منهم .. حتى لا نرى (ابناءنا) .. وقد ملأ عقولهم « الصراصير» بدلاً من الفكر والعلم والثقافة .. فنحن إن أسرفنا على أنفسنا .. فى وقف آيات القرآن والسنة النبوية على مناسبات نزولها ووقتها وزمانها ـ نكون ضيعنا إسلامنا .. ، فتلك المناسبات والأزمنة والأوقات فى رأينا ـ المؤلف ـ دبرت من لدن العزيز الحكيم (رب العالمين) لتنزل عليها الآيات فتبين للناس السلوك القويم الواجب إتباعه فى هذه الأمور .. ليس هذا فحسب .. ولكن لتستغرق الحياة كلها بعد ذلك وحتى قيام

الساعة ..

فإن قمنا ـ نحن ـ اليوم بتفسير الآيات القرآنية على مناسبات نزولها فقط نكون قد فقدنا جوهر الإيمان بها ـ فليس الإيمان أن نؤمن بالقرآن ولا نعمل به .. وإنما الإيمان هو أن نؤمن بالقرآن ونتبعه ، بل إن إتباعه أعلى درجة من حفظه .. فمن المعلوم أن حفظ القرآن (فرض كفاية) أى يكفى أن يكون آحاد الناس حافظين له فى المجتمع فنرجع اليه ولا إثم على باقى الذين ليسوا حافظين له .. ولكن الإثم كل الإثم على الجميع .. إن لم يكن بينهم من يحفظه .. أما اتباعه فهو (فرض عين) أى يجب على كل المسلمين إتباعه .. ولا يكفى أن يتبعه أحدهم ، فمن يخالفه فى أمر من الأمور التى أوجبها يؤثم .. وبالتالى فاتباع القرآن فى كل عصر يفرض علينا أن يكون تفسيره لكل العصور .. وليس وقفا على مناسبة نزوله ، وليكن فى القاعدة ، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، التى يعتنقها علماء الأصول دليلاً لنا فى الفهم أى ليكن هناك مناسبة للنزول ولكن علينا أن نؤمن بحكم القرآن فيما نزل بلفظه عام على كل المسلمين ..

إستغراق في تفسير كلمتين من القرآن ..

فلا يمكننا اليوم ـ مثلاً ـ أن نفسر الفاتحة فى الآيات ﴿ غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ﴾ بأن المغضوب عليهم هم اليهود ، الضالين هم النصارى (ذلك من وجهة نظر مؤلف هذا الكتاب .. على إستقلال) .. بعكس ما جاء فى تفسير (النسفى) وتفسير (السيوطى) وكثير من المفسرين الذين كتبوا تفاسيرهم المعاصرة اليوم ، قاموا بالنقل من هذه التفاسير القديمة بغير إمعان وتمحيص؛ مكتفين بنقل السلف إلى الخلف.. وزينوا تفاسيرهم الجديدة بأسمائهم دون خوض فى محظور البحث .. والتنقيب .. فالبحث شاق .. والتنقيب مضن .. فضلاً عن أنه محال الإحالة اليه من الحال الواقع فيه .. بمعنى أنه من المستحيل أن تقنع أحدا بالتحويل من حاله الذى عايشه وتوراثه .. إلى حال جديد ينعم الله به على فكرك فتراه .. فإن كانت تفاسير السلف رأت أن المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى (من لعنه الله وغضب عليه) والنصارى هم الضالين لقوله تعالى (قد ضلوا من قبل) (فالرأى عندى – المؤلف) يختلف وفيمايلى إيضاح الأسباب لإختلافنا:-

١ – لما كان الإسلام هو الخاتم والذى استغرق ماقبله من ديانات شتى فالتفسير الذى أتجاسر بقوله هو من ضلوا عن الهداية بالاسلام هم الضالين؛ والمغضوب عليهم الذين لم يتخذوا الإسلام دينا .. أما أن أرد الآية لمناسبة نزولها أو لزمانها وتاريخها .. أو للقياس بأن الله تعالى وصف اليهود بالمغضوب عليهم مرة لقوله تعالى ﴿ من لعنه لله وغضب عليه﴾ ٦٠ / المائدة أو النصارى بالضالين لقوله تعالى ﴿ قد ضلوا من قبل﴾ ٧٧ مائدة كما جاءت فى تفسير (النسفى)

فهذا التفسير .. محل نظر .. فإن كان تفسير آية ٦٠/المائدة فى التفاسير الأعم تعنى اليهود وكذا آية ٧٧/المائدة تعنى فى تفسير (النسفى) الأسلاف الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبى ﷺ والآية موجهة لأهل الكتاب ﴿ قل ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل ﴾ فالواضح فى الآية إن الله يامرهم بأن لا يتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل﴾ فإن كانت موجهة للنصارى فيكون من ضلوا من قبل (اليهود) أو– وهذا رأينا (المؤلف)– تكون (من قبل) مطلقة فتشمل كل الضالين؛ عن الهداية بدين الإسلام وهذا ما نعتقده .. وإن خالفنا تفاسير لها تقديرنا ..

هذا فضلا عن أنه إذا إستعرضنا الآيات التى غضب فيها لله لن نجدها خاصة – على سبيل الإستقلال (باليهود) فنجد الآية .. (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه)٩٣/ النساء.

وعن إبن عباس أنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة، وغضب الله ، يشمل من يقتل مؤمنا متعمداً أيا كانت ملته أو دينه حتى إن كان دينه الإسلام .. والمعنى أن من قتل مؤمنا متعمداً .. فقد خرج بفعلته هذه

عن دين الإسلام – إذا كان أصلا – قبل هذه الكبيرة مسلما؛ فبقتله للمؤمن يكون قد خرج عن دين الإسلام وجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه .. فالمغضوب عليهم هنا كل من أتى بفعل قتل المؤمن عمداً أياً كانت ملته (وهذا فى تفسيرنا – المؤلف)

٢ـ (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم) آية ٦/ الفتح .. فمن الدلالة اللفظية للنص يبدو المعنى ..وهو توسيع الغضب ليشمل كل من ذكرتهم الآية ولم تعد قاصرة على قاتل المؤمن عمداً أو اليهود أو النصارى فشملت كل المشركين إناثا وذكورا وكل المنافقين إناثا وذكورا (المؤلف)

٣ـ من هنا نرى .. المؤلف – أن الله خص فى آيات حدد فيها صفات إناس بغضبه عليهم فإن كانوا اليهود فى الآية ٦٠ / المائدة فهم (المشركون والمنافقون) فى الآية ٦/الفتح وهم قاتلى المؤمنين عمداً فى الآية ٩٣/ النساء .. وهلم جرا.

فعندما يدعو الناس ربهم فى سورة الفاتحة أن يهديهم إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم الله بنعمة الإيمان غير المغضوب عليهم (على إطلاقها) تكون هم كل هؤلاء وغيرهم ... فلا يمكن أن يكون لله راض عن أى فعل أو عمل يخالف دين الإسلام ، فالله تعالى غاضب أيضا على المشركين والمنافقين، وقاتلى المؤمن عمداً وكل العصاة التاركين لدين الإسلام فليس اليهود فقط من يغضب لله عليهم فى تفسير آية

الغضب فيها مطلق ﴿ غير المغضوب عليهم﴾ أيا كانوا ومتى كانوا .. فقد خصص لله غضبه على فئات بعينها فى آيات أخر .. فعندما ترد فى آية مطلقه .. فالمعنى – كما يراه المؤلف – مطلق لكل من يغضب الله ويغضب عليه أياً كان ... ومتى كان (والضالين) كذلك ، ليست للنصارى على وجه الخصوص ودليلنا على ذلك سيل الآيات التى ورد فيها من (ضلوا) عن سبيل الله فى القرآن ولم يكن النصارى هم المختصين فقط بالضلالة فى كل الآيات ، وعلى سبيل المثال ﴿ ومن يبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ ١٠٨/ البقرة.. ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ ١١٦/النساء ﴿ من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ ٣٦ النساء .. وللمزيد راجع آيات فى سور ١٢ ، ١٠٥ / المائدة ؛ ٢٤ ، ٩٤ / الأنعام ؛ ٩٣ ؛ ١٥٣ / الأعراف ؛ ٣٠ ؛ ١٠٨ / يونس؛ ٢١ هود/ ٨٧ ، ١٢٥ / النحل ؛ ١٥ ، ٦٧ / الإسراء ؛ ٤١ الزمر ؛ ٤٨ فصلت ٢ ؛ ٣٠ . النجم ؛ ١ /الممتحنة. ٧ / القلم ؛ وغير ذلك كثير.

فسيجد الباحث المتعمق ... المتنطس أن (المغضوب عليهم) أو (الضالين) ليست مقصورة فى القرآن الكريم على اليهود والنصارى على وجه الخصوص ودون غيرهم .. فإن خصصها الله فى آيات ؛ فهى مخصصة ؛ وإن أطلقها الله فى آيات أخر فهى مطلقة .. هذا رأينا – المؤلف – والله أعلم .

ألم أقل .. عزيزى القارئ .. أن كتابنا هذا ليس لجمهور العوام نصيب فيه .. وإن إعتذارنا عن ذلك فى مقدمة الكتاب – فإنما كان لتصميمنا – فضح علم الخاصة أمام العامة ؛ والفضح أى الكشف .. بالتحليل .. فلا إساءة منا لأحد .. ، وكان يجب على د. نصر أن ينهج نهجنا فإن كان وصل (ولم يصل) لما وصلنا إليه .. فى بحثنا فى هذه الجزئية ؛ التى خضنا فيها داخل المحظور .. بل وهدمنا فيها رؤية أئمة أجلاء فى تفاسيرهم ؛ بالعقل والمنطق .. والقرآن . لكان كفى نفسه وكفانا معه . عبىء التنطس والسباحة . خلف ما كتب وخلف ما رد عليه غيرنا ..

•• فطالما آمنا بأن القرآن والسنة النبوية الموحى بهما؛ قد نزلا، لإستغراق كل الحيوات وحتى قيام الساعة، فمن غير المقبول ، أن نرد الآيات لتفسيرها وفقا لأسباب نزولها ووقته ومكانه .. وإلا حبسنا التفسير لذلك الزمن .. دون أن نستفيد من أن ننهل من علم لا ينفذ.

عود علي بدء

•• بعدما فرغت من هذا الجزء من الكتاب .. وكان ما زال تحت يدى .. قبل دفعه للطبع .. كنت قد تجاذبت أطراف الحديث ؛ مع صديق قديم وقف من زمن على تلاوة القرآن وتفسيره ، وعاش أخيراً ، واجداً سلاماً مع نفسه كلما قرأ تفسيراً جديداً .. كنا فى سمر بليل مع كوكبة من الأصدقاء ضمت أساتذة أجلاء كالاستاذ الدكتور / محروس أبو بكر أستاذ الخزفيات بكلية الفنون التطبيقية وفضلا عن كونه فناناً .. فى علمه ومادته إلا أنه يشغل إستاذاً زائراً فى العديد من الجامعات العالمية والدكتور / صلاح راشد الذى وجد فى أسوان سلامه مع نفسه حيث يحيا ويعيش والأستاذ / سعيد محمود .. المهتم بالاسلاميات والمهندس/حسن عبد القادر الذى فضلا عن تخصصه الأكاديمى ألا أنه حريص على حفظ القرآن الكريم وكنا جميعا نأنس بتلك الصحبة الطيبة فى منزل الصّديق محمد سمير فؤاد .. الذى يقع فى حى المنيرة العتيق بالقاهرة .. ذلك الحى الذى يضمنا جميعا .. وضم معنا المركز الثقافى الفرنسى .. وكليات جامعة فؤاد الأول العريقة المسّماه جامعة القاهرة حاليا. ..وبها نقابة الأطباء ، ومعنا كان الأستاذ / عبد الهادى مصطفي درويش والكابتن/ عاطف بدوى والأستاذ / على عبد الواحد والحاج / حسين هنيدى وغيرَهم ..

وجميعنا تجاوز سن الخمسين من زمن.. ذلك العمر الذى يعنى – فى تصورى قمة الجبل الفكرى .. ينحرف بعده إلى السفح رويدا رويداً حيث يبدأ ملك الموت فى زيادة نشاطه، وقد خطف بعضنا فعلا كالدكتور /جمال عرفه وكان نقيباً للصيادلة فى الدقهلية والعميد رفعت مرسى والأستاذ/ بدوى عبد الجليل والأستاذ / أحمد عبد اللطيف الدسوقى والإستاذ / الحسينى الباز المحامى والعزيز الأخ / عبد العزيز الشامى رحمهم الله جميعاً .. وسبحان من له الدوام .

.. والحاصل أننى بعد نهوى لهذا الجزء وكنت قد أضفيت عليه برؤيتى فى تفسير أى الفاتحة وبأن المغضوب عليهم ليسوا هم اليهود والضالين ليسوا النصارى .. على النحو الذى أوضحته قبل هذا بقليل.. وقلت لقد تفوقت فيما رأيت على كل من تفسير النسفى والسيوطى .. و(من القرآن الكريم) .. ودار حوار باسم فى جو من المودة أليف قال فيه (سمير) والذى يكنى بهذا حيث أطلق جده المرحوم (أمين) إسم محمد على كل أولاده وأعقب هذا الاسم الكريم باسماء اخرى للتميز فأسمى والده محمد فؤاد ؛ الذى نهج نفس المنهج فأسمى أولاده جميعاً محمداً وأعقبه بأسماء أخرى للتمييز فكان محمد سمير ، صاحبا هذا، ومحمد عبد الرحيم وهذا مات شهيداً فى حرب ١٩٧٣ ومحمد عبد الرحمن .. وهكذا تيمناً بالرسول الكريم محمد ﷺ .

قال (سمير) عندما سمع منى ما إنتهيت اليه فى تفسير المغضوب عليهم والضالين موجها حديثه الى : (هكذا .. تكون إقتربت من حافة هاوية نصر أبو زيد) أتفسر خلافا لما رآه الأجلاء الأئمة.. إنهم فضلا عن كونهم كذلك فقد كانوا متفرغين .. هادئين – لا شاغل يشغلهم عما يفسرون .

وقال : (المهندس حسن عبد القادر بأدبه الجم المعهود .. (وماذا يكون فى تفسيرك غير ما فسر المفسرون) ؟. وأجبتهما معا بما أوضحته قبل قليل ودار حوار طويل .. شارك فيه كل من كان معنا فى دار «سمير» وتفرق الحديث وتشعب فى جو من الحبور والسرور .. حتى إنفض المجلس .. ورأيت فى عينى الصديق سمير نظرات حسبتها عتابا رقيقا لما خالفت من رأى له ؛ وصدق حدسى .. ففى الصباح الباكر جائنى صوته عبر الهاتف يقول :– (إصح ياسيدى وإسمع ما جاء فى تفسير روح المعانى للألوسى البغدادى عن (المغضوب عليهم والضالين) مؤكداً أنهم اليهود والنصارى .. وظل يقرأ وأنا إستمع .. حتى وجدته يستطرد فى وصف من يرى كونهم يشمل غير هؤلاء فيقول عنه :– « أنه تجاسر على تفسير كتاب الله تعالى مع الجهل بأحاديث رسول الله .»

فوجدتنى أنتبه فلم يتعود على طوال صداقتنا من زمن بعيد أن يجرح أحدنا مشاعر الآخر .. بالكلمة فكيف بعد كل هذا العمر يصفنى بالجهل وفى الصباح الباكر•• ؟!

فوجدتنى أرد متوتراً : لماذا تهاجمنى ..؟ قال : لا أهاجمك ، إنما أقرأ لك.

قلت : أكان الألوسي يعرفنى .. لقد مات منذ ما يناهز مائة وخمسين عاما؛ .. ما هذا ياسمير؟!!

قال : ولماذا أهاجمك .. ؟! صدقنى إنى أقرأ لك ؟

قلت : تقرأ لى .. !! أيقول الألوسى واصفا غيره ممن فسر خلاف ما فسر : أنه جاهل .. ما كذلك يقول العلماء .. !! أنهم يتأدبون فى خلافهم .. فيقولون (إن من يرى غير ذلك يكون رأيه ، محل نظر منا ،

أو يقولون (يحتاج مراجعة) وما إلى ذلك من ألفاظ تليق بمقام الكتاب من العلماء .. فماذا يقول السوقة والرعاع ونفاية المجتمع إذن إن قال الألوسى ذلك ؛ وتقول إني أقرأ لك ؟ !! قال غاضبا :– إنى كذلك .. أما زلت نائما ؟!

قلت : لقد أفزعتنى بما تنسبه للألوسى البغدادي من قول ؛ وما أظنه يتكلم بلغة الدهماء .. فهو عالم وفقيه ؟!

قال : إذن عندما تصحو إتصل بى .. وإنتهى الحديث .. وإنتهى النوم معه فلم يغمض لى جفن وإنما نشطت من عقالي .. وتوجهت إليه فى داره على غير موعد؛ .. هناك .. قرأت ما قرأه .. وكان مما قرأت.. أن الألوسى البغدادى قال ذلك فعلاً .. وهنا لم يعد الصديق سمير هو الذى يواجهنى .. لقد أصبح الخلاف بين الألوسى البغدادى وبينى فضلاً عن خلافى مع النسفى والسيوطى وبعض أهلى من مؤلفى .. ،من القرآن الكريم، فإن كان ببعض أهلى رحمة بى فماذا يكون من أمرى أمام معتنقى فكر وتفسير النسفى والسيوطى ،

لذا وجب العود على البدء فى هذا الإستدراك ، ولنعد من جديد حيث بدأنا لنتبين بروية هادئة .. وفى بحث شاق جديد .. تفسير ، المغضوب عليهم، ، ولا الضالين ، فى سورة الفاتحة .. ومبعث المشقة جلال المفسرين وتقديرنا لهم أولئك الذين فى مواجهتنا ؛ معترفين بفضل العود للصديق (محمد سمير فؤاد) وإن كان ذلك دفعنا للتنطس بعمق جديد وراء هاتين الآيتين إلا أننا وصلنا لتأكيد ما بدأناه قبل هذا الإستدارك كما سنرى توا فيما يلي :–

يقول الإمام محمد الرازى فخر الدين إبن العلامة ضياء الدين عمر والمكنى (الفخر الرازي) فى تفسيره ، من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير ص ١٤٢ وما بعدها وتحت عنوان الفصل التاسع مانصه :.

(فى قوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ وفيه فوائد (**الفائدةالأولى**) المشهور أن المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى ﴿ من لعنه الله وغضب عليه ﴾ والضالين هم النصارى لقوله تعالى ﴿ قد ضلوا من قبل﴾ وقيل هذا ضعيف لأن منكري الصانع والمشركين أخبث دينا من اليهود والنصارى فكان الإحتراز عن دينهم أولى بل الأولى أن يحمل المغضوب عليهم على كل من أخطأ فى الأعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون على كل من أخطأ فى الاعتقاد لأن اللفظ عام والتقيد خلاف الأصل ويحتمل أن يقال المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون وذلك لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم فى خمس آيات من أول سورة البقرة ثم أتبعه بذكر الكفار وهو قوله؛ إن الذين كفروا ثم أتبعه بذكر النافقين وهو قوله ومن الناس من يقول آمنا؛ فهكذا ههنا؛ بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله أنعمت عليهم ثم أتبعه بذكر الكفار وهو قوله غير المغضوب عليهم ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله ولا الضالين ..

(**الفائدة الثانية**) . لما حكم الله عليهم بكونهم ضالين إمتنع كونهم مؤمنين والإلزام إنقلاب خبر الله الصدق كذبا وذلك محال والمفضي إلي المحال محال ..

(**الفائدة الثالثة**) : قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدل علي أن أحداً من الملائكة والأنبياء

عليهم السلام ما أقدم على عمل يخالف قول الذين أنعم الله عليهم ولا علي إعتقاد يخالف إعتقاد الذين أنعم الله عليهم لأنه لو صدر عنه ذلك لكان قد ضل عن الحق لقوله تعالي فماذا بعد الحق إلا الضلال ولو كانوا ضالين لما جاز الإقتداء بهم ولا الإهتداء بطريقهم ولكانوا خارجين عن قوله أنعمت عليهم ؛ ولما كان ذلك باطلا ، علمنا بهذه الآية عصمت الانبياء والملائكة عليهم السلام ..

(**الفائدة الرابعة**) : الغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام وأعلم أن هذا علي الله تعالي محال : لكن ههنا قاعدة كلية وهي أن جميع الأعراض النفسانية أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والغيرة والمكر والخداع والتكبر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات ومثاله (الغضب) فإن أوله غليان دم القلب وغايته ايصال الضرر إلي المغضوب عليه ؛ فلفظ الغضب في حق الله تعالي لا يحمل علي أوله الذي هو غليان دم القلب بل إلي غايته الذي هو إرادة الإضرار ، وأيضا الحياء له أول ، وهو إنكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل ، فلفظ الحياء في حق الله يحمل علي ترك الفعل لا علي إنكسار النفس وهذه قاعدة شريفة في هذا الكتاب ..

(**الفائدة الخامسة**) : قالت المعتزلة غضب الله عليهم ، يدل علي كونهم فاعلين للقبائح باختيارهم ، وإلا لكان الغضب عليهم ، ظلماً من الله تعالي .. وقال أصحابنا لما ذكر غضب الله عليهم وأتبعه بذكر كونهم الضالين ؛ دل ذلك علي أن غضب الله عليهم علة لكونهم ضالين وحينئذ تكون صفة الله تعالي مؤثرة في صفة العبد أما لو قلنا إن كونهم ضالين يوجب غضب الله عليهم ، لزم أن تكون صفة العبد مؤثرة في صفة الله تعالي وذلك محال ..

(**الفائدة السادسة**) : أول السورة تشتمل علي الحمد لله والثناء عليه والمدح له وآخرها تشتمل علي الذم للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته وذلك يدل علي أن مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الإقبال علي الله تعالي ومطلع الآفات ورأس المخافات هو الإعراض عن الله تعالي والبعد عن طاعته والإجتناب عن خدمته ..

(**الفائدة السابعة**) : دلت هذه الآية علي أن المكلفين ثلاث فرق ، أهل الطاعة وإليهم الإشارة بقوله أنعمت عليهم ، وأهل المعصية وإليهم الإشارة بقوله غير المغضوب عليهم وأهل الجهل في دين الله والكفر وإليهم الإشارة بقوله ولا الضالين ، فإن قيل لم قدم ذكر العصاة علي ذكر الكفرة ؟ قلنا لأن كل واحد يحترز عن الكفر ، أما قد لا يحترز عن الفسق ، فكان أهم لهذا السبب ..

(**الفائدة الثامنة**) : في الآية سؤال وهو أن غضب الله إنما تولد عن علمه بصدور القبيح والجناية عنه ، فهذا العلم إما أن يقال أنه قديم أو محدث ، فإن كان هذا العلم قديما ، فلم خلقه ، ولم أخرجه من العدم إلي الوجود مع علمه بأنه لا يستفيد من دخوله في الوجود إلا العذاب الدائم ، ولأن من كان غضبان على الشيء، كيف يعقل إقدامه علي إيجاده وعلي تكوينه ، وأما إن كان ذلك العلم حادثاً ، كان الباري تعالي ، محلاً للحوادث ، وأنه يلزم أن يفتقر أحداث ذلك العلم إلي سبق علم آخر ويتسلسل وهو محال .. وجوابه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ..

(**الفائدة التاسعة**) : في الآية سؤال آخر وهو أن من أنعم الله عليه إمتنع أن يكون مغضوبا عليه ، وأن يكون من الضالين ، فلماذا ذكر قوله أنعمت عليهم ، فما الفائدة في ذكر عقيبة غير المغضوب عليهم ولا الضالين .. والجواب : الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف كما قال عليه السلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، فقوله صراط الذين أنعمت عليهم بموجب الرجاء الكامل ، وحينئذ يقوي الإيمان بركنيه وطرفيه وينتهي إلي حد الكمال ..

(**الفائدة العاشرة**) : في الآية سؤال آخر ما الحكمة في أنه تعالي جعل المقبولين طائفة واحدة ، وهم

الذين أنعم الله عليهم ، والمرفوضين فريقين ، المغضوب عليهم والضالين .. والجواب : إن الذين كملت نعم الله عليهم ، هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به فهؤلاء هم المرادون بقوله أنعمت عليهم فإن إختل قيد العمل ، ، فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم كما قال تعالي ﴿ ومن يقتل مؤمنا .... ﴾ آية ﴿ إن أختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالي ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ إنتهي تفسير الفخر الرازي ..

.. وأنت واجد هنا - عزيزي القاريء - الفخر الرازي يؤيد ما أتيناه من تفسير ولكن الألوسي البغدادي يري عكس رأينا .. ولما كنا - باحثين فيهمنا أن نذكر آراء المعارضين لما نراه حتي يكتمل للبحث جوانبه .. فلسنا - وتلك نعمة نحمد الله عليها كثيراً - كحال كثير من كتاب هذا الزمان .. الذين يبرزون الآراء المؤيدة لكتاباتهم .. بل والبعض منهم الذين تنقصهم الرغبة في مواجهة معارضيهم يتلقفون رسالة تأييد لكتاباتهم ربما كتبها قريب بدافع صلة القربي وينسخون منها صوراً يوزعونها علي الكافة هنا وهناك .. وفي نفس الوقت يغضبون - أيما غضب - علي من يخالفهم الرأي وربما يهاجمونه شخصياً بعيداً عن دائرة الحوار الموضوعي وبعيداً عن مقارعتهم الحجة بالحجة فيذرونه أو ينكرون عليه جهد بحثه .. إلا أننا - المؤلف - لا نفعل بل نبرز آراء المخالفين لنا كاملة غير منقوصة .. وللقاري الكريم - أن يختار ويفاضل .. بعد هذا الإسهاب الجم .. وإن كان المخالفون لرأينا - يحتلون من نفوسنا مكانة عالية رفيعة لما أفنوا عمرهم فيه من جهد البحث والتنقيب .. ولا عليهم الهنات الصغيرة التي لم يوفقوا فيها في تفسيرهم وأبرزناها – فالكمال لله وحده - ولتتبين عزيزي القاريء - إذا لم يصادف تفسير المعارضين قناعتك .. فإن ذلك التفسير الذي إنصرفت عنه يصادف قناعة غيرك .. فما تراه غير موفقا .. يراه غيرك موفقاً .. ألم نذكر قول علي بن أبي طالب كرم الله وجه ، القرآن حمال أوجه وبأي وجه أخذت فقد نجوت ، فلا أحد يصيب الحقيقة اللانهائية فذلك الكمال لا أحد يبلغه وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

والآن نسوق من رأي المعارضين لرأينا أحد المفسرين المشار اليهم بالبنان ذلكم أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي في تفسيره لآى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فيقول : [والمراد بالمغضوب عليهم اليهود وبالضالين النصاري وقد روي ذلك أحمد في مسنده وحسنه إبن حبان في صحيحه مرفوعا إلي رسول الله ﷺ ، وأخرجه بن جرير عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقال ابن أبي حاتم : لا أعلم فيه خلافا للمفسرين **فمن زعم أن الحمل علي ذلك ضعيف** ، لأن منكري الصانع والمشركين (أي منكري الله - المؤلف) أخبث دينا من اليهود والنصاري فكان الإحتراز منهم أولي بل الأولي أن يحمل المغضوب عليهم علي كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون علي كل من أخطأ في الاعتقاد لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل .. **فقد ضل ضلالا بعيداً أن كان قد بلغه ما صح عن رسول الله ﷺ والا فقد تجاسر علي تفسير كتاب الله تعالي مع الجهل بأحاديث رسول الله ﷺ** ، وما قاله في منكري الصانع لا يعتد به لأن من لا دين له لا يعتد بذكره ، والعجب من الإمام الرازي أنه نقل هذا ، ولم يتعقبه بشيء سوي أنه زاد في الشطرنج بغلا ، فقال ويحتمل أن يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وعلله بما في أول سورة البقرة من ذكر المؤمنين ثم الكفار ثم المنافقين فقاس ما هنا علي ما هناك ؛ وهل بعد قول رسول الله ﷺ الصادق الأمين قول لقائل أو قياس لقائس : هيهات هيهات دون ذلك أهوال] إنتهي المنقول من تفسير الألوسي البغدادي ..

.. وإن جاز لنا أن ندخل تفسير (الألوسي البغدادي) [روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني] إلي غرفة النقاش والتنطس والتحليل .. لجاز لنا أن نقول : إن ما أتي به (الألوسي البغدادي) في تفسيره - محل نظر - حيث يقول أن من فسر أن (المغضوب غليهم ولا الضالين) هم غير اليهود والنصاري علي سبيل الاستقلال دون غيرهم في آي الفاتحة يكون قد ضل ضلالا بعيداً ، والنص فى تفسيره [فمن زعم ..**ويحمل الضالون علي كل من أخطأ في الاعتقاد لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل ، فقد ضل ضلالا بعيداً**] ..

.. ومن البديهي أن الألوسي البغدادي عندما ساق في نقده (للفخر الرازي) هذه العبارة ووصفة فيها بأنه قد ضل ضلالا بعيدا .. لم يكن يقصد أن يدعي عليه النصرانيه وفقا لتفسيره ..!! فضلا عن أن ذلك بعيداً عن آداب المخاطبة بين العلماء .. فقد روي أن الإمام الشافعي كان يري ضرورة في رفع اليدين في الصلاة عند الركوع والقيام منه .. لكنه لم يفعل ذلك وهو يصلي بالقرب من قبر أبي حنيفة .. الذي لم يكن يري ضرورة رفع اليدين .. فلما فرغ من الصلاة سئل لم لم ترفع يديك في الصلاة خلافا لمذهبك ؟ قال (إحتراماً للإمام) أي إحتراما لأبي حنيفة الذي لم يكن يري ضرورة لرفع اليدين مع تكبيرتي الركوع والقيام منه بينما كان الشافعي يري ذلك ويلتزم بأدائه .. وهذا يؤكد كيف كان يجل الائمة بعضهم البعض حتي مع خلاف الرأي .. وحتي بعد وفاة أحدهما .. فالآخر يزور قبره .. ويحترم فقهه حتي وهو مسجي في قبره .. وحتي وهو مختلف مع بعض هذا الفقه ..

فهل فعل ذلك الألوسي البغدادي وهو يتحدث عن زميله الفخر الرازي في تفسيره للعامة ؟ وأنت واجد هنا أن البغدادي الألوسي يقول .. أن رسول الله ﷺ وصف اليهود والنصاري بالمغضوب عليهم والضالين .. ونحن نعلم ذلك ونعلم أيضاً أن الله وصفهم كذلك في القرآن الكريم .. ولكننا نقول أن (المغضوب عليهم) و (الضالين) الواردة في آي الفاتحة بالذات تشمل كل من ابتعد عن دين الإسلام أو أسقط ركنا أمر به الله والرسول ، علي العموم ، بما في ذلك اليهود والنصاري- وقد أوضحنا ذلك بإسهاب من قبل .. فليست اليهود والنصاري حكراً علي المغضوب عليهم والضالين دون سواهم ممن أشركوا أو كفروا ..

حديث من لم يجد صدقة فليلعن اليهود

وقد ساق البغدادي الألوسي في معرض شرحه وإسهابه حديثا لرسول الله ﷺ نصه « من لم يكن عنده صدقه فليلعن اليهود » ولما كنا قد خلصنا من قبل أن هناك ٥٨٧٢٧٥ خمسمائة وسبع وثمانين الفاً ومائتين وخمس وسبعين حديثا نسبوا إلي رسول الله ما بين إسناد ضعيف ومدسوس عليه .. وقد تم ويتم هذا الدس منذ زمن رسول الله ﷺ وحتي الآن .. وأن رسول الله ﷺ توعد هؤلاء في حياته بقوله : « من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار » ..

ولماكان الله تعالي قد رخص للمسلمين بالزواج من الكتابيات (اليهوديات والنصرانيات) ولما كان الزواج مودة ورحمة .. وذلك وارد بنصوص الآيات القرآنية فلا يمكن أن ينادي الزوج زوجته .. « تعالي يا ملعونة .. إفتحي الباب يا ملعونة هيا يا ملعونة نزور أمك الملعونة .. فالملعون أبيك سأل عليك يا ملعونة عندما كنت في زيارة أخيك الملعون .. !! » وليكثر من اللعن ، فكل ذلك يثاب عليه وفقا للحديث الذي ساقه الألوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني .. فهذا الحديث مناف للمودة والرحمة التي أمر بها الله وكفلها بين الأزواج في القرآن الكريم : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ ٢١ الروم هذا من ناحية ومن ناحية أخري كيف يري الألوسي البغدادي أن « منكري الصانع » لا وزن لهم [الألوسي يقصد الصانع الله جل شأنه .. !! ومنكري الصانع يقصد بهم منكري الله تعالي أي الملاحده والكفار والمشركين] فليسوا المختصين بالمغضوب عليهم والضالين ، في حين أن القرآن الكريم خصهم بكثير من آياته .. فلم يهمل الحديث عنهم الله ورسوله ؛ فلم يكونوا ابداً لا وزن لهم في الخطاب الديني كما جاء بتفسير الألوسي البغدادي .. فكيف زعم ذلك رغم أن (المشركين والمشتق منها ورد في كتاب الله ٩٦ مرة وورد (الكافرين والمشتق منها) ٥٢٤ مرة .. فكيف يقول بأن منكري الصانع لا وزن لهم في الخطاب الديني – وهم الذين آذوا رسول الله – وناهضوا الدعوة المحمدية- في ذلك التفسير (روح المعاني) الذي ساق لنا حديثاً نبويا لم يورد لنا نصه بأن المغضوب عليهم والضالين هم اليهود والنصاري وحديث آخر ذكر نصه « من لم يكن عنده صدقه فليلعن اليهود » وبمطابقة هذا الحديث علي ظاهر الآيات

القرآنية علي النحو الذي إنتهينا منه في التو واللحظة نجد عدم مطابقته .. ويسوغ لنا ـ المولف ـ أن نكون في نهجنا للبحث في السنة النبوية المشرفة متبعين ما روي عـن رسول الله ﷺ بسنده أنه قال [إنكم ستختلفون من بعدي ، فما جاءكم عني ، فاعرضوه علي كتاب الله ، فما وافقه فمني .. وما خالفه فليس عني] وما أقره (ابن خلدون) في قوله [وإنني لا أعتقد صحة سند حديث ولا قول عالم صحابي يخالف ظاهر القرآن وإن وثقوا رجاله ، فرب راو يوثق للإغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن ولو أنتقدت الروايات من جهة فحوي متنها ، كما تنتقد من جهـة سندها ، لقضيت المتون علي كـثير من الأسانيد بالنقض ، وقد قالوا إن من علامات الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة في الشريعة أو البرهان العقلي أو للحس والعيان وسائر اليقينيات] وبأعمال هذين القولين علي حديث (من لم يكن عنده صدقه فليلعن اليهود) نستخلص عدم إنطباقه علي ما إرتضيناه فيما سبق من أسلوب البحث .. ولا يستقيم ما للزواج من مودة ورحمة حلال فيه الكتابيات ثم نلعن اليهود أو النصاري علي إطلاقهم .. نعم لابد من إعمال العقل وأنت تقرأ في شروح الشراح للقرآن أو السنة فقد روي عن علي بن أبي طالب أنه سأل رسول الله ﷺ عن سنته فقال «المعرفة رأس مالي ؛ والعقل أصل ديني ، والحب أساسي والشوق مركبي ، وذكر الله أنيسي ، والثقة كنزي ، والحزن رفيقي ، والعلم سلاحي ، والصبر ردائي والرضا غنيمتي ، والفقر فخري ، والزهد حرفتي ، واليقين قوتي ، والصدق شفيعي ، والطاعة حسبي ، والجهاد خلقي ، وقرة عيني في الصلاة » صدق رسول الله ﷺ ..

ولنا في رســول الله أسوة حسنة في اعمـال العقل (العقل أصل ديني) وإعمال المعرفة (المعرفة رأس مـالي) والثقة (الثقة كنزي) وفي العلم (العلـم سلاحي) وبكـل مـا إنتهي اليـه رسول الله ﷺ نؤمـن بـه ، ونتبعــه فيه ، ولـذلـك ننتهي ههنا إلي أن (الضـالين) هـم الذيـن ضـل سعيهم في الحـياة الدنيـا وهـم يحسبون أنهـم يحسنـون صنـعا ، هـؤلاء ضلوا الطـريـق ، فهـم في غيـهم يعمـهون : وفي ضـلالهم يترنحـون ، أيـا كـانت ديانتهم أو مـذاهبهم (والمغضـوب عليهـم) هـم الذيـن غـضب الله عليهم لأنهم يتجهـون إلي غـير الله سبحانـه وتعالـي بأفعالهم وقلوبهم أيـا كـانت ديانتـهم أو مذاهبهم : هـؤلاء وأولئك هـم (المغضـوب عليـهم والضالين) يخاطبهـم الله يـوم القيامة بقوله : ﴿ ألم أعهد اليكم يـا بنـي آدم أن لا تعبـدوا الشيطان أنه لكم عـدو مبين ، وأن أعبـدوني هـذا صراط مستـقيم ، ولقـد أضـل منـكم جبـلا كـثيراً أفلـم تكونوا تعقـلون ، هـذه جـهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ ٦٠ / ٦٤ يس ..

وعلي ما تقدم أميل لكون (المغضوب عليهم والضالين) ليسوا هم اليهود والنصاري علي وجه الاستقلال ذلك الميل الذي وهبنا الله إياه بفطرة العقل ، كما لا أميل لتفسير (روح المعاني) للألوسي البغدادي وغيره لمخالفة ما يسوقونه ـ فى تفاسيرهم ـ لفطرتنا التي فطرنا الله عليها في هذا الشأن والله أعلم ..

الناسخ والمنسوخ ..

وإن سأل سائل .. وماذا نستفيد من آية نسخ حكمها .. ولم تنسخ تلاوتها ؟ .. أي بقيت في القرآن الكريم ضمن الآيات حتي اليوم .. ؟

ونجيب أنه بالقرآن الكريم آيات مـثل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نـاجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجـواكم صدقة ...... ﴾ ١١ / المجادلة .. ولم تلبث الآية أمداً طويلاً .. فقد نسخت بعد نزولها بالآية الثالثة لها .. ولم يطبقها قبل نسخها سوي (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه ؛ فقد قدم لرسول الله صدقة بعد نزولها وعند دخوله عليه ، أما القـوم فقد كثر اللغط والغلط بينهم .. حـتي أن رهطا من الناس سخر من المسلمين بأن رسولهم يطلب الصدقات لنفسه وتساءلوا : أو ليس ربه بقادر علي أن يغنيه .. ؟! وكـادت تحدث فتنة بين المسلمين فنزلت الآية ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات .. فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ﴾ ١٢/ المجادلة ..

والآية ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ١٩٩ / الأعراف أولها وآخرها منسوخ ومنتصفها محكم ، أولها منسوخ بالزكاة وآخرها منسوخ بالأمر بالقتال ، الزركشي/البرهان في علوم القرآن جـ ٢ص٤٠/٤١ .. والآية ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ ٩/ الأحقاف .. قيل أنها نسخت بأول سورة الفتح ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... ﴾ ١ / ٢ / الفتح .. والآية (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلي الحول غير أخراج ، فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم) ٢٤٠ البقرة قيل أنها نسخت بالآية :- ﴿ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ البقرة /٢٣٤ ..

والآن يمكننا أن نرد علي السائل ماذا نستفيد من آية نسخت .. ونسخ حكمها .. ولم تنسخ تلاوتها أي ما زالت في القرآن .. رغم عدم فاعلية حكمها لنسخها بآية أخري ؟ ..

ولنأخذ هنا مثالاً واحداً حيث لا يتسع المقام لكافة الآيات المنسوخة .. ولكن نوضح علي سبيل القياس بالآية التي نسخ حكمها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير أخراج) والمعني هنا أن الأرملة التي مات عنها زوجها تبقي في منزل راحلها (زوجها المتوفي) عاماً كاملاً (متاعا إلي الحول) أي تأكل وتشرب وتلبس وبعد العام تذهب إلي دار أهلها أو تتزوج .. فلما نزلت الآية (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) أي لها أن تتزوج بعد ١٣٠ يوما تقريبا من رحيل زوجها المتوفي .. وكانت قبل ذلك تبقي عاماً كاملاً بنص الآية المنسوخة .. وعلي هذا فإن بقاء الآية التي بطل حكمها للتذكرة برحمة الله وتذكير برفع المشقة عن المؤمنات .. ولكني ـ المؤلف ـ أرفض تفسير (الشيخ نصر أبو زيد ؟!) الذي يقول فيه أن بقاء الآية المنسوخة وتركها لخيارنا في التطبيق في حالة (قد تدفع إناساً في أزمان معينة وظروف معينة للعود لتطبيق ما تم نسخه) فإن جاز ذلك ـ وفقا لرأي الشيخ نصر!! لناقض نفسه فيما يدعيه من حداثة لمنافع الناس ، فقد تجاسر علي حدود الله ورأي أن يتم تعديل الحدود بأن ترث الإنثي كالذكر في الميراث مدعيا أن ذلك هو التطور الطبيعي للإسلام .. حيث لم تكن المرأة ترث شيئاً في الجاهلية .. فإذا بالإسلام يورثها نصف ما يرثه الذكر (.. علي إستحياء .. أستغفر الله) فمع تقدم الحضارات لابد أن نستمر ـ نحن المحدثين ـ (والكلام من وجهة نظر د . نصر) في التطور ..لنكمل المسيرة الأسلامية .. !! التي بدأت بالنصف .. فلابد أن نكملها لنكمل المشوار .. !!تماماً كأن يكون هناك قائد بشري توفاه الله في منتصف طريق كفاحه مع شعبه .. فتهتف الجماهير بقيادة الشيخ / نصر .. لتكمل المشوار (مشوار الكفاح المزعوم) بالروح والدم .. ليكمل المسيرة الإسلامية إلي التقدم المنشود .. !! وينسي أو يتناسي .. أن هذا غير وارد التطبيق علي القرآن الذي أنزله الروح الأمين من رب العالمين بلا حرج.. أيقوم د . نصر وصحبه باكمال مشوار الخالق في سنته وقرآنه .. !! إستغفر الله العظيم .. ومع هذا الرأي السفيه ؛ إلا أنه (د . نصر) تناقض مع نفسه ، فيدعي أن ترك النص المنسوخ في القرآن من وجهة نظره ـ للحاجة التي قد تدفعنا اليها أحوال ـ قد تأتي في المستقبل ـ لتطبيقها في زمن ما .. حتي بانطباق هذا الرأي علي واقعة الآية محل البحث الآن ﴿ الذين يتوفون منكم... ﴾ ٢٤٠ البقرة نجد أنه (د.نصر) ينادي بأن تعود المرأة حبيسة في بيت زوجها المتوفي لمدة عام تأكل وتشرب وتخرج بعد العام صفر اليدين .. فإن أرادت الخروج قبل ذلك فلا مانع من أن توفر طعامها وشرابها قبل إنتهاء العام ولا حرج ولا ميراث لها في الحالتين !! فأي ظروف قد تدفعنا في المستقبل لنطبق هذا يا دكتور .. فالآية تم نسخها بآيات المواريث وغيرها ليصبح من حق المرأة الميراث والزواج تيسيراً من الله علي المؤمنات .. فالله تعالي ييسر .. ومولانا الإمام نصر يعسر ..!! أستغفر الله .. وهذه واحدة والثانية أنه يتناقض مع نفسه .. ففي حين يري وقف الآيات المنسوخة لوقت الحاجة لإستخدامها كشأن الأسلحة بالمخازن لحين وقت استخدامها طالما لم تحن الفرصة أو الطاريء لذلك .. فتصبح هذه الآيات (قرآن تحت الطلب .. !!) ..

وحتي لا يدعي تقولنا عليه نسوق نص مكتوبه الذي خطه في كتابه « مفهوم النص » ص ١٤ [**يمكن أن تكون - كما سبقت الإشارة - تأجيلا للحكم للظروف المؤدية اليه ، والتي قد تعود فتعود للحكم فاعليته**] .. فكيف يدعي الحداثة بالتخلص من مفهوم النص القرآني بدعوي التنوير المزيف - ثم يجرنا - ومرة أخري بعد أن جرنا سابقا لتطبيق نظرية المعرفة التي مضي علي ميلاد واضعيها (٢٠١٧ عاما) يجرنا هنا لآيات منسوخة .. بمقولة إحتمالية الحاجة لتطبيقها مستقبلا في حين أن الله رفع عنا التكليف بها في أول ظهور الإسلام رحمة منه بعباده ، وفي حياة رسوله الكريم منذ ما يزيد علي أربعة عشر قرنا من الزمان .. هذا فضلا عن أخطاء د . نصر في كتابته .. أيات القرآن الكريم التي تدل علي تواضعه اللغوي بعد ما ثبت تواضع ايمانه ..

ومرة أخري أن للقرآن قداسته .. التي أري ضرورة رفع يده العابثة عنه .. وليضع يده في (أوراق اللعب) ليلهو بها كيفما شاء ، فربما وزر من يقامر حول الموائد الخضراء أهون ضرراً من العبث بآيات الله .. والله أعلم ..

أخطاء الدكتور نصر في القرآن لغة ومعنى

سقنا في كل ما سبق خطأ د . نصر في معاني القرآن وفقا لتفسيره الحديث - من وجهة نظرنا ..

وقد راعنا أن يخطيء في كتابة القرآن في بحثه الذي قدمه للترقي والخطأ ليس بحال مما يجوز أن يكون خطأ مطبعياً .. وكان الخطأ - بحق جسيماً - وهذا ما لم يلتفت اليه أو يدركه أساتذته في بحثهم لبحثه .. والخطأ في القرآن الكريم ففي كتابه « مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن » السطر ١٥ من ص ١٣٦ كتب آية ٩ / الأحقاف كالآتي :- ﴿ قل لست بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ وصحيح الآية كالآتي :- ﴿ **قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ فكتب (**لست**) بدلا من الصحيح (**ما كنت**) وهذا الخطأ يفقده مصداقيته فيما يكتب ، كما يصعب أن يكون خطأ مطبعياً .. فضلاً عن كونه يدعي أنه دارس لعلوم القرآن .. كان عليه التيقن من مراجعة الآيات القرآنية علي إستقلال ..

.. ومن عجب .. أنه صمم علي نفس الخطأ مرة أخري في الآية القرآنية ذاتها وفي ذات الصفحة السطر ٢٦ فكتبها مرة أخري ﴿ **قل لست بدعا من الرسل** ﴾ وصحتها ﴿ **قل ما كنت بدعا من الرسل** ﴾ ومن الغريب حقا أنه وضع الآية بين علامتي التنصيص ﴿ الآية ﴾ ثم أعقبها بالإشارة اليها فكتب أسفلها أية ٩/ الأحقاف .. تأكيداً علي إصراره علي الخطأ أو علي أحسن الفروض أنه يعرف الآية هكذا كما كتبها .. فهذا مبلغ علمه عنها .. وإلا ما كان أصر علي الخطأ مرة أخري .. ومبلغ علمه هذا ، لا رغبة منه في مراجعته .. فهو يري أن ما يكتبه هو الحق والصواب .. ولا يشك فيه مطلقاً .. فهو مخطيء .. ومصر علي خطئه ومقتنع بأن ما يراه الآخرون من خطأ له .. ضعف منهم .. أو جهل بمصطلحاته بكل التبجح والصلافة والغرور ..

وثالثة الأثافي نجده يخطيء في القرآن الكريم فيكتب في ذات الكتاب بالصفحة رقم ١٤٠ وفي السطر الأخير من الصفحة الآية ٢٣٤ من سورة البقرة كالآتي :- ﴿ **يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشراً** ﴾ وهذا مرة أخري خطأ قراح .. فهو فضلا عن أنه أخطأ في كلام الله تعالي فقد أخطأ حتي في قواعد اللغة العربية التي نعلمها لأولادنا منذ نعومة أظفارهم .. فإن كانت كتاباته خفيفة الوزن دينياً - فقد أثبت بهذا الخطأ في هذه .. أنها خفيفة الوزن لغوياً أيضاً .. فلا أحد يعرف أبسط قواعد اللغة العربية ، ويتحدث عن النسوة في ضمير الغائب فيقول (إنهم) فلابد أن يقول (إنهن) (وأنفسهن) .. وهكذا ، فهو نسوة يا نصر.. أم يتصور أنه ومن منطلق الحداثة ومنطلق المساواة التي لا يعرف عنها شيئاً - لابد أن يخاطبن كالرجال

فلا يقال (أنفسهن) وإنما يقال (أنفسهم) أسوة بالرجال .. !! فالخلط عجيب فيما يراه أو يكتبه بغير تحرز أو إمعان فالآية كما أنزلها الله هي ﴿ **يتربصن بأنفسهن** ﴾ وليس كما كتبها د . نصر (**يتربصن بأنفسهم**) .. **إن الخطأ قراح لا يحتمل .. والجرم فادح لا يغتفر .. والجرح غائر لا يندمل** ..

ليس ما نكتبه هنا علي سبيل البلاغة اللغوية .. حيث فعلاً ضمت كتاباته الكثير من الأخطاء في كتابة آيات القرآن الكريم .. لدرجة تدعو إلي الغثيان .. (والقرف) فنجده أيضاً في ص ١٣٧ يقول ﴿**والمحصنات من الذين أتوا الكتاب** ﴾ ولا نعرف إمرأة محصنة أو غير محصنة أنزلت كتاباً أو قدمته أو أتت بكتاب .. فإن يكن المحصنات أتوا الكتاب أي قدموه لنا .. ولكن صحة اللغة والقرآن الذي يدعي د . نصر أنه أتم حفظه وهو في التاسعة من عمره مما يفقده المصداقية في هذا القول ، كما فقد المصداقية في كثير قبله فصحة الآية (**أوتوا**) أي جاء اليهم وليس **أتوا** كما كتبها د . نصر ﴿ والمحصنات من الذين **أوتوا** الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهن أجورهن ﴾ ٥ / المائدة وكان ينبغي أن يراجع فضيلة مولانا الأمام .. !! الذي يدعي أن جامعات العالم تتهافت عليه أن يراجع الآيات فيما يكتب .. أو يقدم كتابه لأزهري حاصل علي الابتدائية الأزهرية .. يراجعه له. بدلا من أن يسخر من الأزهريين والدرعميين .. المهم أن هذه الآية ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ قيل أنها نسخت أية ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتي يؤمن ﴾ أى بعدما كان غير مباحا للمسلمين الزواج من غير المسلمات أصبح مباحا الزواج من غير المسلمات أيضا شريطة أن تكون الزوجة كتابية أي يهودية أو نصرانية .. هذا هو النسخ فى القرآن الكريم .. ولا يفوتنى في هذا المقام أن أذكر حكاية وقعت لى في صباي المبكر ؛ فقد كان لي ، خال ، رحمه الله هو الدكتور / سعد شلبي ، عميد كلية التربية الأسبق لجامعة طنطا ، وكان لي شقيقة تكبرني - ومازالت - بيد أنها كانت شديدة الولع والالحاح للحصول علي المزيد من الفضل من والدي - رحمه الله - بعد زواجها ؛ وشكت لخالي هذا ، الذي تأثر بشكايتها تأثراً بالغا فقد كان مرهف الحس ، عطوف ، يتصدي للمشاكل بروح وثابة شبابية تخلو تماما من العقد والتقعر أو الإنفلات ؛ وعلي يديه كانت تحل المشكلات بيسر وسهولة وترحاب غريب من الطرفين المختلفين ، لكنه لم يكن قد انتبه بعد لحرفية شقيقتي تلك في سلوك الشكاية ؛ فأخذه الإنفعال كل مأخذ ، وإستطاعت أن تمس شغاف قلبه ، لا لأحقيتها في شكايتها بقدر ما لجودة عرض المشكلة التي تميزت بالحرفية الشديدة وجودة صناعتها لأحداث ما تدعيه .. وطلبني .. علي إعتقاد فيه الكثير من الصحة .. أنني رسول أبي .. وربما المتحدث باسمه .. وناقشني في الأمر .. وبكل العاطفة والإنفعال معا حدثني بأنها لم تأخذ حظها من التعليم كبقية أخوتي الذين أنهوا دراستهم جميعاً بكليات الطب .. وبذلك رأي أن لها حقا في مال أبي - حال حياته - مقابل ما لم يتم صرفه عليها كباقي أخوتي .. وبصرف النظر عن درجة إستيعابها للعلم أو التعلم ، فالحاصل أنها لم تتعلم بالقدر الكافي .. ولها حق التساوي مع أخوتها فيما حرمت منه من التعليم ، سواء كان التقصير لدرجة إستيعابها أم لغيره .. وكان معلوماً أن اقتصارها في التعليم راجع - يقيناً - لعدم قدرتها علي مواصلته لنهايته .. إلا أن خالي رأي أن ما أنفق عليها أقل مما أنفق علي غيرها .. وأجبته .. هي اليوم في كفالة زوجها .. ولها ميراثها الشرعي بعد عمر طويل لوالدي .. وربما ما لم ينفق عليها في التعليم أنفق عليها في زواجها .. قال .. [، لا يكفي .. فليكتب لها وصية .. (يقصد والدي)] قالها .. وهو في قمة إنفعاله الذي أوصلته له شقيقتي بحرفيتها في صناعة شكايتها .. حتي أني أذكر أنه - رحمه الله - كان في قمة الغضب كما لم أراه من قبل .. ولكني وبالأدب اللائق في مخاطبة الكبار .. همست قائلاً : ، **لا وصية لوارث** ، فتوقف عن إنفعاله برهة .. ثم بادرني - وفي هدوء لا علاقة له البته بطوفان إنفعاله وغضبه الهادر سائلاً : - (بتقول أية ؟) فهمهمت مطرقا ولكن بصوت مسموع هذه المرة : (لا وصية لوارث) .. وكم كان فخري به .. الذي جعلني .. أدين له بالفضل ما حييت .. عندما توقف تماماً عن الإنفعال ؛ بل وعن المناقشة .. وحتي عن الرسالة المفترض أنه يستخدمني لتوصيلها لوالدي

وقال: «صحيح .. صدقت .. ربنا يبارك فيك» .. وحتي نعرف لماذا هذا صحيح نقاد إلي قضية الناسخ والمنسوخ.. حيث يقول الزركشي في كتابه «البرهان فى علوم القرآن» جـ ٢ . ص ٢ [الآيتان إذا أوجبتا حكمين مختلفين ، وكانت إحداهما متقدمة الأخري ، فالمتأخرة ناسخة للأولي كقوله تعالي ﴿ إذا ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين ﴾ ثم قال تعالي بعد ذلك ﴿ ولأبويه لكل والد منهما السدس ﴾ وقال :- ﴿ فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾ قالوا فهذه ناسخة للأولي ، ولا يجوز أن يكون لهما الوصية والميراث] ومن هنا كان صمت الكريم خالي المرحوم ؛ وحدبه عليَّ ؛ ومباركته لي .. فلا وصية لوارث (تلك حدود الله) .. ﴿ فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ﴾ ..

نصر والانثى

وطالما ساقنا الحديث عن النساء .. فإن د . نصر يري أن تتساوي الأنثي في الميراث مع الذكر ضاربا بالآيات المحكمات في أحكام المواريث – عرض الحائط .. ويشبه نفسه في هذا .. بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في منعه الصدقات عن «المؤلفة قلوبهم» جاهلاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يعطل نص أو يلغي العمل به كل ما هناك أنه لم يجد من يطبق عليه النص ، تماماً .. كالفقراء — فإن لم يتواجد فقراء فلمن يكون نصيبهم في الصدقات أو الزكاة – وحدث فعلاً ذلك في فترات حكم (عمر بن عبد العزيز) .. وفترات من حكم (كافور الأخشيدي) في مصر ، لم يجدوا فقراء كي يوزعوا عليهم زكاة أموالهم ، وكذلك إذا لم يوجد غارمين (أي مدينين أغرقتهم الديون) فلمن يكون نصيبهم ، وكذلك «المؤلفة قلوبهم» وهؤلاء هم رؤساء العشائر- (وكان غالبيتهم من المشركين أو غير المسلمين) - وكانوا يأخذون صدقات حتي يتم تحييدهم عن محاربة الإسلام إبان ضعفه ، فإذا أصبح الأسلام قويا فلا حاجة للمسلمين بأن يدفعوا لهم ، حيث أنهم فقدوا بقوة الإسلام كونهم (مؤلفة قلوبهم) تماماً كالجزيرة الصغيرة في البحر الواسع تظهر عند إنحسار البحر في (الجزر) وتختفي عند زيادة البحر في (المد) .. فقوة الإسلام ومده وإمتداده إستغرق وجود المؤلفة قلوبهم .. كالبحر في امتداده ومده يستغرق (الجزر) ، فلا يوجد (مؤلفة قلوبهم) مع قوة الإسلام فلم يعد للإسلام بهم حاجة ، فإنتفي أن يحصل العدم علي صدقات فالمسلمون أنفسهم قلوبهم أقوي إيمانا وأكثر عزة .. فلمَ يعودوا إذن هؤلاء الذين كان بعضهم مشركين (مؤلفة قلوبهم) وبالتالي لم يعودوا حماة للإسلام أو مدافعين عنه أو حتي لم يعد الإسلام في حاجة لغضبهم أو سرورهم به .. أو حتي خدماتهم .. فلماذا يدفع لهم ؟ ومع إنتفاء كونيتهم إنتفي الحكم .. فإذا ضعف الإسلام ظهرت صفتهم وأصبحوا (مؤلفة قلوبهم) من جديد .. وقد حدث بعد زمن عمر بن الخطاب فعلاً وفي عصر عمر بن عبد العزيز فألف قلب بطريرك الأسكندرية بألف دينار ، لحاجة المسلمين ومصلحتهم وعملا بالآية والسنة .. ولكن مـا جاء به نصر أبو زيد غريب فهو يريد إلغاء نص قرآني محكم في المواريث علي إطلاقه .. !!

فالله تعالي يقول في قرآنه الكريم ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ .. ولكن د . نصر . رجل اللغة .. والأستاذ .. ومدعي التفكير .. يقول ما معناه (طالما أن الأنثي تحصل علي نصف ما يحصل عليه الرجل من الميراث .. وطالما أن ذلك أمر الله في قرآنه .. فهي تحصل علي النصف فعلاً إن هي حصلت علي الكل أي أن تحصل علي نفس نصيب الرجل .. فبحصولها علي النصف أولاً ثم زيادته إلي النصيب الكامل .. لا يكون في هذا معارضة لكتاب الله .. فالمعارضة تكون إن لم تحصل علي النصف بمعني إن حصلت علي الربع أو الثلث أو أقل من النصف .. لكنها عندما تحصل علي أكثر من النصف .. يكون تحقق أولاً حصولها علي الحد الأدني الذي أمر الله به (وهو النصف) ولا يوجد في القرآن نص يمنع من حصولها علي أكثر من النصف فالنصيب الكامل لها في الميراث يستغرق في داخله النصف .. فقد تحقق بذلك الطاعة والانصياع لأوامر الله المحكمة في القرآن .. ففي داخل الواحد الصحيح يكون النصف مستغرقا فيه .. فلا مخالفة) ..

هذا ما يعنيه د . نصر فيما كتبه .. ولكنه لم يصغ فكرته بتلك الحروف فحروفنا وعباراتنا يراها القراء واضحة المعاني سهلة .. ليستفيد منها الجميع .. وما تقعرنا الذي تعمدناه وتكلفناه في بعض الكلمات والعبارات من لغتنا في هذا الكتاب .. إلا لنثبت له أننا قـادرون ولم نعدم وسيلة .. من أن نتقعر بلغتنا .. وفي بعض عبارتنا . لنؤكد له .. أنه لم يأت بجديد .. وبصراحة واضحة لنعرفه أننا قادرون علي (كلكعته) وليس مثله الذي (يكلكعنا) فعندما ساق في كلماته (السيموطيقا) و (الميتافيزيقا) و (نظرية المعرفة) .. لم يشرح .. ولم يبسط .. ولم يوضح معانيها .. وإنما راح وفي حديث له يقول (أن الدكتور محمد البلتاجي حسن لو سألته عن نظرية المعرفة لن يعرفها يعني لو سألته عن كلمة ، نظرية المعرفة ، فلن يعرف حتي معني الكلمة) .. فهو بهذا القول قد أظهر مقصده بأنه يتصور وهما بأنه (مكلكع) وأنه (عقدة) يأتي بما لم يأت به (الأوائل) .. !! ولا يعرف – للأسف أنه لم يزل يحبو علي أول سلم من سلالم العلم والمعرفة بعد .. ومن عجب أن ما أتي به في أمر الميراث للأنثي هو مجمل الخطأ للأسف للأسباب الآتية :-

لم يقل الله تعالي البته أن (الأنثي نصف الرجل في الميراث) .. فهو علام الغيوب .. ويعلم أنه سيأتي زمان ينادي البعض بذلك .. ولو قال تعالي ذلك لصح ما ذهب اليه د . نصر في تفسيره .. ولكن الله جل شأنه قال ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ .. فأصبحت القضية محسومة .. ولو طبقنا فكر د . نصر تماماً علي هذه الآية .. لأصبح من حق الرجل أن يحصل علي حظ الأنثيين علي الأقل .. ويصبح من حق (الذكر) الحصول علي حظ أكثر من (أنثتين) .. وهذا ما لم يقله أحد من المفسرين .. ولم ننادي به .. ونرفضه لأن في ذلك إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة .. والمعني المحسوم هو أن الذكر يحصل علي ما تحصل عليه انثيين .. فلم يقل جل شأنه (الرجل يحصل علي ضعف الإنثي) فقد يفسر ذلك علي أن الرجل يحصل علي الضعف علي الأقل كحد أدني .. ويمكن أن يحصل علي أكثر من ذلك .. ففي الحصول علي الأكثر إستغراق للحصول علي الضعف .. ولكنه جلت قدرته أتي بالآية محكمة قاطعة لا تأويل فيها وواضحة وضوحاً محدداً مقياساً ومكيالاً ﴿ **للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾ فما يحصل عليه الرجل يساوي تماماً ما تحصل عليه انثيين ولم يقل الله تعالي إمرأتين فقد يفسر البعض أن البنات لا نصيب لهم ولم يقل (البنتين) فيفسر البعض أن المرأة لا نصيب لها لأنها في كنف زوج ، ولم يقل الله اياً من ذلك حتي لا يحار أحد في التفسير .. وهل الطفلة غير المرأة فيختلف الناس .. من يقول نعم - ومن يقول لا – ولكنه تعالي حسمها تماماً لسد الطريق أمام مدعي التفسير من أمثال د . نصر فقال (الأنثيين) والإنثي هي الرضيعة والطفلة والفتاة والعذراء – والمرأة .. والشيخة .. والهرمة .. فهي كلمة مطلقة لكل من لها فرج فتكون (أنثي) .. ولا حياء في الدين ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ والنص القرآني ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ ١١ / النساء .. والمعني الذي لا معني غيره .. أن يحصل الذكر (أيا كان رضيعاً .. طفلاً .. صغيراً .. كبيراً) علي حظ الأنثيين (أي ما تحصل عليه أنثيين) .. **وبذلك فلا مجال للتقعر في المعاني كما استخرج د . نصر من الآية معاني ليس لا تحتملها الآية فقط .. بل ترفضها .. فذهب إلي عكس المعني تماماً .. وإدعي أنه المعني .. أو تساءل .. وفقاً لأحاديثه .. ولماذا لا يكون المعني كذلك ؟!! أي لماذا لا يكون المعني ما ذهب إليه .. ؟!!**

هذا ما ذهبنا إليه من تفسير (المؤلف) فلنستعرض إذن تفاسير المفسرين .. يقول تفسير الإمامين الجليلين [، يوصيكم ، يأمركم الله في شأن (أولادكم) بما يذكر (للذكر) منهم (مثل حظ) نصيب (الإنثيين) إذا إجتمعا معه فله نصف المال ولهما النصف ، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن إنفرد حاز المال] ..

وفي (من القرآن الكريم) للدكتور سعد شلبي والدكتور عبد الفتاح شلبي [(يوصيكم الله في أولادكم) أي في بيان ميراثهم .. وقد أجمع العلماء علي أنه إذا كان مع الأولاد من له (فرض مسمي أعطيه) .. وكان

ما بقي من المال للذكر مثل حظ الأنثيين ، للحديث الثابت في الصحيحين بلفظ « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما أبقت الفرائض ، فلأولي رجل ذكر ، إلا إذا كان ساقطا معهم كالإخوة لأم » وقوله ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ جملة مستأنفة لبيان الوصية في الأولاد ، فلابد من تقدير ضمير يرجع اليهم .. ويوصيكم الله في أولادكم للذكر منهم مثل حظ الأنثيين .. والمراد حال إجتماع الذكور والإناث وأما حال الإنفراد فللذكر جميع الميراث وللإنثي (منفردة – المؤلف) النصف وللأنثيين (منفردتين ـ المؤلف) فصاعدا الثلثان] ..

.. وحسنا .. فعلاً في جهد البحث .. فقد أشملا .. وأفصحا .. وجمعا .. في المواريث كما لم يفعل باحث آخر من الجدد ..

وفي تفسير القرآن الجليل للإمام النسفي [يعهد الله اليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم وهذا إجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الأنثيين) أي للذكر منهم أي أولادكم . فحدث الراجع اليه لأنه مفهوم كقولهم (السمن منوان بدرهم) .. وبدا بحظ الذكر ولم يقل للإنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثي نصف حظ الذكر ، لفضله كما ضوعف حظه لذلك ، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث ، وهو السبب لورود الآية . فقيل كفي الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث ، فلا يتمادي في حظهن ، حتي يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل مايدلون به .. وأما في حال الإنفراد فالإبن يأخذ المال كله .. أما اذا كان الإنفراد للإناث فالبنتان تأخذان الثلثين .. والدليل عليه أنه أتبعه حكم الإنفراد بقوله (فإن كن نساء)]

ويقول الفخر الرازي في تفسيره [من المسائل المتعلقة بهذه الآية أن قوله (للذكر مثل حظ الإنثيين) معناه للذكر منهم ، فحذف الراجع اليه لأنه مفهوم . كقولك (السمن منوان بدرهم)] ثم أفاء علينا فضيلته بشرح واف في مسائل المواريث .. والإشكاليات وأقوال السلف .. ونماذج حية من واقع الصحابة .. عن هل يجوز أن يرث المسلم الكافر ؟.. وهل يجوز أن يرث الكافر المسلم ؟.. وتحدث عن الميراث للأناث وكيف كان وحكمة التشريع .. وميراث الحر والعبد .. وهل يتوارثان ؟.. وهل يتوارث أهل الملتين ؟ .. وميراث الأنبياء .. وما روي عن فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام .. عندما إحتجوا عليها في ميراثها بقول رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ؛ ما تركناه صدقة » واحتجاجها بعموم قول الله « الذكر مثل حظ الأنثيين » وكأنها أشارت إلي أن عموم القرآن الكريم لا يجوز تخصيصه بخبر الواحد .. ثم أن الشيعة قالوا بتقدير أن يجوز تخصيص عموم القرآن ، إلا أنه لا يجوز « ههنا » وفي الجملة أضفي علينا (الفخر الرازي) من ينابيع علمه ما لا يتسع المقام هنا لإجماله .. إلا أنه في كل ما كتب وفسر لم يخرج عن حسم مسألة ميراث الإنثي في الأمر الإلهي (للذكر مثل حظ الأنثيين) .. كما أوضحنا .. ويقول الألوسي البغدادي في (روح المعاني) في تفسير للذكر مثل حظ الأنثيين ما نصه [المراد أن يعد كل ذكر بأنثيين .. فيضعف للذكر نصيبه] كما أنه أيضا .. أضفي علي تفسيره حلولاً لمسائل المواريث في أحوالها المختلفة « بل وأشمل عما ذكرناه أو ذكره غيره من الفقهاء الأقدمين .. وحسنا فعل .. والله تعالي أعلم ..

.. ونحن لا ندعو د . نصر ولا غيره أن يتبع أيا من الفقهاء .. إتباع إذعان وتسليم .. فليختلف عن أيا منهم .. أو ـ حتي ـ عنهم جميعاً ، ولكن من خلال القرآن والسنة المشرفة .. ولكن أن يهدم آية من آيات الله أو يلوي معناها حتي يصل بها إلي ضد المعني تماماً دون سند من عقل أو شريعة أو منطق فيكون بذلك كمن يهذي بقول عجيب الخطأ محاولا بتصميم إثباته فهو بذلك كأنه يقول (أن التنفس سببه دخول القلب في تجويف المثانة) فعليه أن يعمل بصريح الآيات دون لى لمعانيها فالقرآن كما يقول الله ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ وعليه أن يتبع القرآن (قل لا إله إلا الله ثم أستقم) وكان الأجدر به رفقا بالحرائر أن يقترح من أجل صيانة حقوق المرأة ما نحن مقترحونه فيما يلي :-

إقتراح المؤلف لصيانة حقوق الأنثى

نظراً لأن الأنثي عند زواجها تشترط مهراً (صداقاً) يدفعه الزوج مقدما ومؤخراً أي مقدماً قبل الدخول بها ومؤخراً عند أقرب الأجلين (الطلاق أو الوفاة) ، ونظراً لأنه ما من أحد يقدم علي الزواج ويفكر في الطلاق .. وإلا ما كان تزوج أصلاً ، فدائماً وغالبا ما يكون المؤخر هو معظم (المهر) .. ونذر يسير منه هو (المقدم) .. وفي الأغلب يكون المقدم رمزاً فلوا إفترضنا أن مؤخر الصداق (مائة جنيه مثلاً) للمسلمة المتزوجة منذ أربعين أو خمسين سنة مضت .. فمن المعلوم أن هذا المبلغ وقت الزواج كان يمكن أن يشتري مائة جنيهاً ذهبياً أو يزيد .. فإذا مات الزوج أو طلقها بعد هذا العمر إستحقت الزوجة مؤخر صداقها البالغ مائة جنيه مصري ، هذا المبلغ بعد عشرة الأربعين أو الخمسين سنة، الذي تتقاضاه اليوم هذه المطلقة ربما يعجز عن شراء « حذاء » جديد لها في حين أن ذات المبلغ كان قادرا علي شراء مائة جنيه ذهبي كاملة وربما يتبقي منه أيضاً .. ذلك يوم زواجها .. ويوم العقد الذي عقده الزوج عليها بعقدة النكاح وكان يعلم وقتذاك أن مهر زوجته المؤخر يعادل هذه القيمة إن طلقها خلال عام من زواجه بها دفع لها المائة جنيها التي تعادل مائة جنياً ذهبياً .. وفقا للعقد الشرعي الذي ارتضاه ؛ **فهل إن طلقت بعد عشرة تدوم أربعين أو خمسين سنة تحصل علي (حذاء)** ؟؟!! في وقت راح منها بريق الشباب .. وأصبحت حطاماً ترتاع منها الأطفال ، بعدما كانت بضة غضة تتفجر حيوية وحسناً ..أيكون نصيبها بعدما تحولت من حال إلي حال (حذاء) ،، !! إن في هذا ظلماً كبيراً للمرأة التي طالت عشرتها أربعين أو خمسين عاماً..

لذلك أري ـ المؤلف ـ أن يكتب الصداق مقوماً بالذهب فإذا كان الزوج قديماً قد كتب مؤخر الصداق ما يعادل بالجنيه المصري مائة جنيه ذهباً لكان عندما طلقها اليوم مطالباً يدفع ١٠٠ × ٣٢٠ (سعر الجنيه الذهب اليوم) = ٣٢٠٠٠ إثنان وثلاثون ألفاً من الجنيهات المصرية ، وهو المبلغ العادل للسيدة التي طالت عشرتها بزوجها أربعين أو خمسين سنة .. ثم طلقها .. هذا إقتراح .. لا شبهة دينية فيه .. وينصف النساء عموماً .. دون تزيد أو إفتئات على حدود الله ، فليكن المهر (الصداق) من الآن فصاعداً مقوما بالذهب في عقد الزواج .. وليحمي هذا الرأي القانون والدستور ويلزم به المأذون عند تحرير العقد .. وكل حسب طاقته ، دون حد أقصي أو أدنى .. أي بما يعادل ربع جنيه ذهب إلي ما شاء الله .. وذلك إقتراح عملي نقترحه .. ولم يسبقنا اليه أحد .. ويصعب خدشه أو الإعتراض عليه ، إسلاميا من أي مذهب كان ، كما أنه صالح للتطبيق علي كل الطبقات فقيرة كانت أو غنية ، ويحمي المرأة في شيخوختها ويصونها في ظل الإسلام وقواعده ، وأفضل كثيراً من اللغط والغلط في كلمات الله ، ألم نقل أن لنا عقل وللدكتور نصر عقل لكننا نفكر بعقلنا وهو يهرطق بعقله .. !!

وعلي كل الأحوال فالقرآن الكريم وسنة نبيه الشريف .. عندما ترك للأنثي نصف الذكر فقد أعفاها من أي إلتزام مادي .. سواء في حياتها الزوجية .. أو كفالتها ببيت أهلها .. فالإنثي دائما في كفالة الرجال (شرعا) فإن كانت طفلة فنفقتها من مال أبيها (سواء بقيت أمها معه أم رحلت عنه) وإن كانت متزوجة فنفقتها من مال زوجها .. ولا إلتزام عليها إطلاقا .. فلا عليها سكن ولا ملبس ولا مأكل .. فلا يلزمها الشرع بأي من هذه الأمور .. فقط أن ساهمت فذلك فضل منها أي أختيارياً .. وعلي هذا فهي ترث نصف الأخ من والدها وترث من زوجها الربع إن لم تنجب أو الثمن إن أنجبت حسب الأحوال بينما الذكر يرث مثلي نصيبها من والده وينفق عليها إن كانت زوجة وعلي أولاده منها .. ومعلوم أن ما ينفقه عليها يزيد عن نصف ميراثه لأنه سيكمل الإنفاق طوال حياته من كده وكدحه وشقائه .. فتكون هي الغالبة باضافة ما ينفقه زوجها عليها علي ما ورثته من ابيها وما سترثه منه بعد موته أن كان الربع أو الثمن وفقا لما تنجبه

من أولاد أولا تنجب .. وبذلك تكون ورثت نصف ما ورثه أخيـها ثم الربـع من زوجـهـا دون أن تلتـزم بأي إنفاق وهو (الزوج أو الأب أو الأخ أو الكفيل الرجل) أنفق عليها ما ورثه كاملا ثم ما يتحصل عليه نتيجة شقائه في عمله .. ومن تكريم الإنثي في القرآن أن أوصي الله تعالي بها - ولدها وزوجها وأبيها وتكريم الأم مفضل في جـميع الأديان - بل وفـوق تكريم الأب ﴿ وأوصينا الانسان بوالديه حملتـه أمه وهنا علي وهن﴾ ١٤/لقمان ، ﴿ لا تضار والدة بولدها ﴾ ٢٣٣ / البقرة ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ﴾ و] وبالوالدين إحسانا) وردت في القرآن الكريم والذي ١١ مرة في الآيات ٨٣ / البقرة ، ٣٦ / النساء ، ١٥١ / الأنعام ، ٢٣ / الإسراء ، ١٥ / الأحقاف ، ١ / العنكبوت ، ٤١ / ابراهيم ، ١٩ / النحل ، ٢٨ / نـوح ، ١٤ / مريم ، ١٥١ / الانعام بل أن الرسول الكريم أمر بـأن يبلغ الناس أن عقوق الوالـدين من أكبر الكبائر حتي وإن خالفا حقوق الله .. ﴿ وأن جاهـداك علي أن تشرك بي مـا ليـس لك به علـم فـلا تطعهما وصـاحبهما في الـدنيا معروفا ﴾ ١٥/ لقمان ..

ومن تكريم الوالدين أن ذكرهما بعد إسمه جل علاه مباشرة ﴿ ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالين إحسانا ﴾ وإنظر كيف قـرن شكره بشكرهمـا ﴿ أن أشكر لي ولوالديك ﴾ .. وقال ﷺ « لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه » وقال « لا يدخل الجنة عـاق » وقال « الأعراف جبل بين الجنة والنار وسمي الأعراف لأنه مشرف علي الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وعيون وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلي الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد فمنعهم القتل في سبيل الله من دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة، فهم علي الأعراف حتي يقضي الله فيهم أمره » ومعلوم حديث رسول الله ﷺ للرجل الذي أتاه فسأله : من أحق الناس مني بحسن الصـحبة ؟ قال أمك .. قال ثم من ؟ قال أمك .. قال ثم من ؟ قال أمك قـال ثم من ؟ قـال أبوك وقـال ﷺ « الجنة تحت أقـدام الأمهـات » بل وأوصي بالإنـثي خيـراً وتوعـد من يرمها بالفحشاء بدخول نار جهنم حتي لو كانت خادمة « من قذف مملوكة بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة » وقال الله تعالي في كتابه الكريم ﴿ إن الذين يرمـون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ ..

وأوصي بتكريم الأنثي الزوجة فقال تعالي ﴿ فأمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ وقال ﴿ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ وقال ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً ﴾ وقال ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضي بعضكم إلي بعض ﴾ وقال ﴿ ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمـة ﴾ تلك آيات الله عـز وجل في تكريم المرأة الأم والمرأة الزوجة ذلك جـميـعه حض من الله ورسـوله للمؤمنين بل وأمره لهم بحسن معاملة الأم والزوجة بل والمرأة عموماً حتي لو كانت خـادمـة .. وفي تكريم الأنثي الابنة ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ ٣١ / الإسراء فقد كانت الجاهلية تقتل بناتها فنهي الإسلام ووعد أهليهم بالرزق وأمرهم بحسن تربيتـهن .. وقال ﴿ وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾ ٨ / التكوير .. وقد أحب رسول الله بناته - وهو القدوة - فقال ﷺ « هي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها » .. ومن هنا تملك الأنثي بوليها أو بنفسها أن تشترط علي زوجها ألا يتزوج عليها .. حيث

كان علي بن أبي طالب زوجا لإبنة رسول الله « فاطمة أم الحسن والحسين » وأراد بنى هشام بن المغيرة أن يزوجوا (عليا) إبنتهم وإستأذنوا رسول الله في ذلك فصعد رسول الله علي المنبر وقال « إن بني هشام بن المغيرة إستأذنوا في أن ينكحوا إبنتهم (علي بن أبي طالب) فلا آذن .. ثم لا آذن .. ثم لا آذن .. إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح إبنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها » هكذا قال ، ومن مظاهر تكريم الإنثي الإبنة أن جعل الله تعالي لمربيهن مكانا رفيعاً بالجنة لقول رسـول الله ﷺ « من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن ، وأطعمهن وسقاهن وكساهن من وجدته . كن له حجاباً من النار يوم القيامة » .. هذا هو تكريم الإسلام للأنثي مادياً .. ومعنوياً .. للأنثي الإبنة والزوجة .. والأم .. وحتي الخادمة والأمة العبدة فهل كرم (دين) المرأة مثلما .. كرم الإسلام المرأة .. الجواب فيما نراه في الغرب ..

فنجد الإبنة تستقل بنفسها في السادسة عشرة أي يستطيع الأب أن يطردها من بيته .. لتقيم حياتها مع من تحب .. أو تضيع فلا إلزام علي الأب ، أن يتكفلها فوق هذه السن .. ذلك القانون :. ولكننا نؤمن بالإسلام قبل القانون .. فلا أحد يفعل في مصر ذلك .. فقد طبع الدين الإسلامي بصبغته – حتي علي غير المسلمين في مصر ـ فالأب دينياً في مصر يتكفل بابنته إلي أن تتزوج أو دائماً .. وتنتقل كفالته لها بعده إلي أكبر الأشقاء أو الأعمام ..

وفي الغرب ..عند الزواج تسجل أملاك الزوج والزوجة .. وعند الطلاق ما زاد عما سجل يتقاسمه المطلقان .. وبزواج المرأة تحرم من لقب عائلتها في إسمها وتنسب لعائلة زوجها وفي الإسلام ..تظل المرأة تحمل إسم أبيها ولقب عائلتها بعد الزواج .. ككيان مستقل وليس تابعا وفي الإسلام يحرص الزوج علي زوجته ويحميها ، وحمي شرفها واجبه عليه .. وفي الغرب ليس من حق الزوج هذا حتي لو أراد أن يفعل .. ولذلك كان الزواج في الاسلام سكن ومودة ورحمة ..

يملك الزوج في الإسلام الزواج بأربع .. وتملك الزوجة في الإسلام الإعتراض علي ذلك أو تمنح الطلاق .. وتملك المرأة في الإسلام أن تكون العصمة بيدها .. ، ومما لا يعرفه الكثيرين أن ذلك لا يخل بحق الزوج في طلاقها متي شاء .. لكنه يعطيها ماله من حق دون إخلال بحقه الأصلي في ذلك.. والمعني إذا رأي أي من الطرفين فك عري الرابطة المقدسة .. فله الحق متي شاء ، في الغرب الزوج يرث زوجته منفرداً دون سواه. حتي فيما آل اليها بطريق الميراث من والديها .. في الإسلام يرث الزوجة أولادها وأبيها وأمها وزوجها ؛ للزوج ضوابط علي خروج الزوجة للعمل في الإسلام .. وخروجها في الغرب ليس بغير ضوابط فقط ولكن ليس حقا له متابعتها أو معرفة وجهتها في خروجها .. فكيف يحميها إذا أراد ؟! بل وكيف تشعر هي أنها محتمية في حماية زوجها .. أن الإسلام حفظ المرأة .. وحفظ الأسرة .. وحفظ الحقوق .. كما لم يحافظ علي أي من ذلك .. دين آخر ..

وبعد .. فالمسلمون .. يعرفون أن المرأة .. هي الأم أو الابنة .. أو الزوجة .. أو الأخت .. ولكن أيا من هذه المفاهيم بمعانيها السامية .. لا يدركها الغربيون حق الإدراك .. فالكل حر .. ولا رابط يربط وشائج أواصر العواطف بالدين والقيم بينهم ..

وبعد ذلك .. هل تقبل المرأة المسلمة .. دعوي الاتجاه لحرية المرأة الغربية .. حيث الضياع .. والأمراض.. واللامسئولية .. بل وهي تقبل المرأة المسلمة .. دعوي د . نصر أبو زيد في الإخلال بالمواريث التي فرضها الله .. ومن عجب .. أنه حينما يواجه بما كتبه .. يقول (لقد كنت أتساءل .. مجرد تساؤل) ..؟! وهل يمكن لمؤمن أن يتساءل فيقول :ـ هل يكفي أن نصلي لله فرضا أو فرضين في أول النهار وآخره بدلاً من خمسة فروض .. !! والمريب .. أنه يسوق أن آية المواريث عندما نزلت تساءل الصحابة .. كيف يمكن أن تورث الأنثي تلك التي لا تحارب ولا تركب خيلا ..؟؟ فالمعروف أن ميراث الانثي عندما تقرر في القرآن كانت المرأة قبله لا ترث شيئاً في الجاهلية قبل نزول الإسلام .. فكان للصحابة أن يتساءلوا .. ولكنها اليوم .. وبعد القرن الخامس عشر من عام الهجرة النبوية .. هل لأستاذ دراسات إسلامية .. وفي الجامعة أن يتساءل من جديد في أمر المواريث ؟؟ بل هل لمسلم يعرف قدراً يسيراً من كتاب الله أن يتساءل ؟ !! نعم إن تساؤلك لممجوج ولكنه أبداً لا يهوي بك إلي حد الردة .. ألم نقل في البداية أن كتاباته تثير فينا الغثيان (الجعموس) كرؤيتنا لدودة الأرض السوداء في الطين (الدعموص) ..

بقي أن نوضح أن الأنثي في ملة اليهود لا ميراث لها ففي ملتهم للولد الذكر الميراث كله دون الأنثي وإذا تعدد الذكور فللأكبر نصيب إثنين من أخوته ؛ ويحرم مع الأنثي من الميراث الأبوين وسائر فروع الميت ، بما في ذلك الزوج (في حالة وفاة الزوجة) أو الزوجة في (حالة وفاة الزوج) وفي المسيحية لا يوجد نظام إرث ثابت حيث الميراث يقرره رجال الدين فاختلف نظام الإرث باختلاف الطوائف المسيحية ..

ومعلوم أن الإسلام – دين الحق والعدل يعطي الأنثي في (حالات بعينها) أكثر من نصيب الذكر .. ففي حالة وفاة الزوج الذي ما زال أبوه علي قيد الحياة فإن إبنة المتوفي ترث أضعاف الأب الذكر (الذي تولي تربية إبنه المتوفي صغيرا وحتي إكتمال تعليمه ونحوه لأن الإسلام راعي إحتمالات الحياة المستقبلية التي أمام الابنة وحاجتها أكثر من الاب الي المال كما أن إبنة المتوفي ترث نصيبا أكبر من أمها مما يعني أن الإبنة أمامها مشوار طويل حتي تمام النضوج كما أن الابنة صلب المتوفي بخلاف الأم ..

وكذلك فالإبن الذكر بسبب المطالب الشرعية الملقاة علي عاتقة كمهر الأنثي ونفقة زوجته وأولاده وإعالة والديه وأقاربه إذا كانوا فقراء يرث ضعف الأنثي في الإسلام .. تلك التي يتولي الإنفاق عليها زوجها أو هذا الأخ نفسه إذا كانت بغير عائل سواه .. بخلاف الأنثي التي لا تتكبد مسئولية الإتفاق علي أي أحد حتي علي نفسها في كل حالاتها (إبنة / زوجة / مطلقة / أرملة / أخت / عمة / جدة .... الخ) ففي الإسلام لا مسئولية علي الأنثي لأي أحد حتي نفسها .. فهل في الغرب كذلك ؟! بل هل هناك أفضل من دين الإسلام ؟!

موقف الإسلام من قبط مصر

أن مصر القبطية عندما إستعادها (هرقل) عظيم الروم من (كسري) المجوسي .. فرحت فرحاً شديداً.. إلا أنه ولي عليها (المقوقس الملكاني) بطريرق الإسكندرية ونائب (هرقل) .. وكانت كنيستا أنطاكية والاسكندرية قد اتحدتا في عهد الإحتلال الفارسي وعندما خالف أهل الشام إرادة (هرقل) في توحيد المذهبين سواء منهم الملكانيون واليعاقبة .. تكفل (المقوقس) بأخذ مصر بالعسف والإضطهاد .. وسمي قبط مصر هذه الحقبة (عصر الاضطهاد الأعظم) وإستمر إضطهاد الروم لقبط مصر عشر سنين عانوا منه الأمرين .. حتي أنقذهم الفتح الإسلامي .. ولست إعرف علي وجه الدقة صحة هذا التعبير .. أنقذهم الفتح الإسلامي .. أم أنقذنا الفتح الإسلامي .. فلسنا نعرف يقينا هل تمتد جذورنا لقبط مصر .. أم جاءت تلك الجذور مع الفتح الإسلامي .. أو غيره من الفتوحات ولكن الذين هم قبط مصر لا يحارون .. فهم أشد إثباتا بأن جذورهم مصرية .. فليس من المعقول أن جذورهم جاءت مع الفتح الإسلامي .. وهم غير مسلمين ..

.. وكان رسول الله يوصي الصحابة بقبط مصر وقال « فإن لكم فيهم نسباً وصهراً »حيث أن مارية القبطية التي أهداها المقوقس لرسول الله جارية له ، فتزوجها وأنجبت منه إبنه إبراهيم ، وبهذا الحديث أصبح لقبط مصر حرمة الصهر الكريم بنبي الإسلام ، كما قررت صفة المصاهرة للمسلمين جميعاً في قبط مصر بعموم مطلق ..

هذا من قديم ، ومن حديث .. وقفت مصر كلها حكومة وشعباً وراء « بطرس غالى » فى ترشيحه سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة .. لأنه مصرى .. بصرف النظر عن ديانته المسيحية أو زواجه من يهودية . وبالرغم من أنه كان هناك مرشح مسلم هو السيد / على خان رئيس الهيئة العليا للإغاثة الدوليه إلا أن مصر وقفت كلها خلف د. غالى بل وشحذت تأييد كل الدول العربية والاسلامية لتأييد ترشيحه وقد كان ..

ومصر الحديثة هى مصر القديمة فى هذا الصدد .. لا تعرف التعصب أو التطرف أو العنصرية .. فعندما تقرر أن تكون التربية الدينية مادة أساسية فى المدارس .. قررت وبخط متواز تماماً أن تكون أيضا التربية الدينية المسيحية .. مادة أساسية أيضا .. وتم طبع وإعداد كتبهم الدراسية فى هذا المجال على نفقة وزارة التربية والتعليم أى على نفقة المواطن المصرى دافع الضرائب مسلماً كان أو مسيحياً ..

ومن قديم .. يرى النبى الكريم .. ورأيه حق .. أن الديانات كلها تخرج من مشكاة واحدة .. ولا أدل على ذلك من أنه ﷺ لما نودى من أصحابه « ياسيد البشر » رد قائلا : سيد البشر الأب الأكبر للأنبياء إبراهيم عليه السلام وفى حديث آخر « إن الأنبياء أخوة أن دينهم واحد وقيل أنه قال « نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد »

وقال « أنا أولى الناس بعيسى إبن مريم ولعله من المعروف أن القرآن الكريم يتلاقي مع الانجيل في كثير من معاني آياته فكل الأديان تخرج من مشكاة واحدة والأمثلة علي ذلك كثيرة .. فقد ذكرنا أن عمر سيدنا نوح ورد في القرآن أنه « ألفاً إلا خمسين » وورد في الأنجيل أنه « تسعمائة وخمسين سنة » فالمعني واحد في القرآن والأنجيل .. وكذلك أيضاً نجد عن خلق حواء من ضلع آدم ورد في القرآن ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ ، ﴿ يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ وفي سفر التكوين في إنجيل متي ورد النص الآتي [فأوقع الرب الإله سباتاً علي آدم فنام ، فأخذ واحدة من ضلوعه وملأ مكانها لحماً ، وبني الرب الإله الضلع الذي أخذها من آدم إمرأة وأحضرها إلي آدم] وعن إغراء حواء لآدم بالأكل من الشجرة المحرمة والذي بسببها طرد من الجنة وإنكشفت عورتيهما لعصيانهما ربهما جاء في القرآن الكريم ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ﴾ وفي الأنجيل في سفر التكوين في الإصحاح الثالث (فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون ، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها منها أيضاً فأكل .. وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله ، إختبئا لأن سوءاتهما قد ظهرت وأصبحا لا يصلحان للإقامة في الجنة] .. وعن ولدا آدم وإعتداء قابيل علي هابيل بالقتل لغيرته منه جاء في القرآن الكريم ﴿ وأتل عليهم نبأ بني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ﴾ ، ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ﴾ وجاء في الإصحاح الرابع من سفر التكوين [وعرف آدم حواء إمرأته فحبلت وولدت قابيل ثم عادت فولدت أخاه هابيل وكان هابيل راعياً للغنم ، وكان قابيل عاملاً في الأرض] ، [وقربا قربانين فقبل الله قربان هابيل] وعن محنة وسيرة سيدنا موسي جاء في القرآن ﴿ وأوحينا إلي أم موسي أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ﴾ ، ﴿ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسي أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ﴾ ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخري إذ أوحينا إلي أمك ما يوحي أن إقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له ﴾ وفي سفر الخروج [وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات وقال حينما تولدان العبرانيات ، إن كان إبناً فاقتلوه ، وإذا كان بنتا فتحيا ، ولكن القابلتين تخافتا الله ولم تفعلا] وخاطب فرعون شعبه قائلاً في الانجيل [كل إبن يولد تطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيونها] وعن أم موسي لما ولدته جاء في ذات السفر [لما رأته أنه حسن ، خبأته ثلاثة أشهر ، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد ، أخذت له سفطاً من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ، ووضعته بين الحلفا علي حافة النهر ، فنزلت إبنة فرعون إلي النهر لتغتسل فرأت السفط بين الحلفا فأرسلت أمتها وفتحته ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى فرقت له ، وقالت : هذا من أولاد العبرانيين] واتفق القرآن مع التوراة والإنجيل أن موسى رد إلى أمه لترضعه فتربى فى حضنها على أنه ولد غيرها ففى القرآن ﴿ وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وفى سفر الخروج (فقالت أخته لإبنة فرعون هل أذهب وأدعو لك إمرأة مرضعه من العبرانيات لترضع لك الولد؟ فقالت لها ابنة فرعون : إذهبى بهذا الولد وأرضعيه لى ، وأنا أعطى أجرتك ، فأخذت المرأة الولد وأرضعته ولما كبر الولد جاءت به إلى إبنة فرعون فصار لها إبنا ودعت إسمه « موسى » وقالت : إنى إنتشلته من الماء) ..

(ويتضح الخلاف هنا بين القرآن والإنجيل وإن اتفقا فى جوهر كثير من الأحداث ولكن الخلاف هنا يتضح فى من إنتشل (موسى) من النهر ؟ ففى حين يقرر القرآن أن إمرأة فرعون هى التى إلتقطت الطفل نجد أن التحريف فى الإنجيل والتوراة يزيح العثور عليه عن إمرأة فرعون وينسب العثور عليه إلى إبنة فرعون ، رغم أن التاريخ يثبت أن إمرأة فرعون كانت عقيماً) .. وبصرف النظر عن هذا التحريف .. إلا أنك تجد عزيزي القاريء .. إلتقاء للمعاني بين كثير من أيات القرآن الكريم وقرينيهم في الانجيل والتوراة .. فاقرار المسلم هو الإيمان بالكتب الثلاث إلا ما إختلف منهما عما جاء في القرآن الكريم .. فالمسلم يؤمن بما جاء في الكتب السماوية وإتفق مع القرآن الكريم وكذا يؤمن بكل ما لم يختلفا عنه أي أن شروط الإيمان الحق في الإسلام هو الإيمان بكل الكتب السماوية هكذا أمرنا الله ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ ٢٨٤/ البقرة ..

ولذلك جاز لنا أن نؤمن بأن ولدا آدم هما « هابيل وقابيل » حيث ورد إسميهما في الإصحاح الرابع في سفر التكوين .. ولم يرد إسميهما في القرآن الكريم .. لذلك جاز لنا أن نؤمن بما لا يعارض أو يخالف القرآن الكريم .. وعلي ذلك أوردت كتب التفسير إسميهما تماما كما ورد في الانجيل والتوراة .. حيث لا مخالفة في ذلك ..

ومن المعاني أيضاً بين آيات القرآن والكتب السماوية والإنجيل والتوراة حادثة قتل موسي رجلاً مصريا

يطارد رجلاً عبرانياً .. فجاء في القرآن الكريم ﴿ ودخل المدينة علي حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي من عدوه فوكزه موسي فقضي عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾ ١٤ / القصص ..

﴿ فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي إستنصره بالأمس يستصرخه قال له موسي إنك لغوي مبين ، فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسي أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد الا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصا المدينة يسعي قال يا موسي أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من الناصحين ، فخرج منها خائفا يترقب ..﴾ ١٧ / ٢٠ القصص ﴿ قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ﴾ وقال له فرعون يحاسبه ﴿ ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ﴾

وجاء في التوراة والأنجيل وتحديداً في الاصحاح الثاني من سفر الخروج « وحدث في تلك الايام لما كبر موسي أنه خرج إلي أخوته لينظر في أثقالهم فرأي رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانيا من أخوته فالتفت الى هنا وهناك ورأي أنه ليس أحد ، فقتل المصري وطمره في الرمل ، ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال من جعلك رئيسا وقاضياً علينا ؟ أمفتكر أنت لقتلى كما قتلت المصري ؟ فخاف موسي وقال حقا قد عرف الأمر ، فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسي فهرب من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر » ..

وعن زواج موسي بابنة شعيب ومساعدتها في مليء جرتها جاء في القرآن الكريم ..

﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهما إمرأتين تذودان ، قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتي يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقي لهما ثم تولي إلي الظل ، فقال رب أني لما أنزلت إلي من خير فقير ، فجاءته إحداهما تمشي علي إستحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ، قالت إحداهما يا أبت إستئجره إن خير ما إستأجرت القوي الأمين ، قال إني أريد أن أنكحك إحدي إبنتي هاتين علي أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾ ٢٢/٢٦القصص ..

وجاء في الإنجيل والتوراة تفصيل أكثر بالأسماء في حين لم يرد في القرآن أن شعيب له سبع بنات كما لم يذكر أسماء شعيب أو البنتين ولكن أهل الإسلام أعتمدوا وآمنوا بالأسماء لورودها في الانجيل والتوراة ولذلك وردت في السيرة والتفاسير فأهل الأسلام يدينون برسالات السماء جميعها فيما لا يخالف القرآن ؛ وعن ذلك جاء في سفر الخروج :

« وكان لكاهن « مدين سبع بنات ، فأتين وإستقين وملأن الجرار ليسقين غنم أبيهن ، فأتي الرعاة وطردوهن ، فنهض موسي وأنجدهن وسقي غنمهمن ، فلما آتين إلي « رعوئيل » أبيهن قال : ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم ، فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدى الرعاة وإنه إستقي لنا أيضا وسقي الغنم » ..

[ورعوئيل هو يثرون وهو شعيب « المؤلف »] وتمضي القصة فتذكر أن « موسي » تزوج « صفورة » بنت رعوئيل ومكث عنده حتي مات فرعون ، ولكن إشتدت العبودية علي بني إسرائيل في مصر ، وسمع الله أنينهم وكان لموسي ولد سماه « جرشوم » ..

وعن أمر الله للناس بالبر قبل ملاحقه الآخرين بالسخرية جاء في القرآن الكريم ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ ٤٤ / البقرة..

وجاء في الانجيل يخاطب المسيح أهل اليهودية « يا أولاد الأفاعي ترون القذاة في أعين الناس ولا ترون الخشبة في أعينكم ، وقال يخاطب حوارييه .. « طوبي للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبي للأتقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله ، طوبي لصانعي السلام طوبي للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات ، طوبي لكم إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين إفرحوا وتهللوا ، لأن أجركم عظيم في السموات ، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم » وهكذا يؤمن أهل الأسلام بالأديان كلها .. فجميعها خرج من مشكاة واحدة .. والله أعلم ..

ولكن لمتسائل أن يقول وما تفسيرك لما كان بين محمد وأصحابه وبين يهود المدينة ثم يقول وما تفسيرك للحروب الصليبية، وماقولك فيما يجرى الأن من حروب بين المسلمين والأسرائيليين ؟ والجواب : أن هذه المعارك لم تقع بين الرسل ولا بين حوارييهم ، ولكنها وقعت ما بين الصحيح من العقيدة وبين الباطل الدخيل فالرسول لم يحارب أتباع أخيه إسرائيل (يعقوب) وأخيه موسى، ولكنه حارب من ضلوا طريق إسرائيل وطريق موسى وناصبوا أخاهم محمداً العداء؛ ولو تقبلوا دعوته بقبول حسن ما وقع بينه وبينهم عداء، وحتى لو ظلوا على ضلالهم ولم يتآمروا على الداعية الجديد ، ما كان ليتعرض لهم بالسوء بدلالة أنه أعلنهم بالقاعدة العريضة ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ ثم طمأنهم على أن لا يكرههم على إعتناق دينه.

ولنأخذ مثالا : مصر القبطية .. عندما أرسل النبى الى المقوقس عظيم قبط مصر يدعوه للدخول فى دين الإسلام .. رفض المقوقس .. وكان رده رقيقا ، فعندما جاءه « حاطب بن أبى بلتعة » رضى الله عنه على رأس وفد رسول الله ﷺ يدعوه للدخول فى دين الإسلام .. طوى الرسالة فى عناية بعد أن سمع ترجمتها ووضعها فى حق من عاج وسأل « حاطب» أن يحدثه عن رسول الله .. فحدثه .. فقال « المقوقس » :-

لقد كنت أعلم أن نبياً قد بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وهناك كان مخرج الأنبياء، فأراه قد خرج من أهل العرب ، ولكن القبط لا تطاوعنى، وضن بملكه أن يفارقه ، ثم دعا كاتبه فأملى عليه رده :-

« .. أما بعد .. فقد قرأت كتابك ..وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج من الشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وكسوة ومطية لتركبها والسلام عليك » كان ذلك سنة سبع من الهجرة عقب « صلح الحديبية » مع يهود قريش ودفع المقوقس كتابه إلى « حاطب» معتذراً بما يعلم من تمسك القبط بدينهم، وموصياً إياه، بأن يكتم ما دار بينهما ، فلا يسمع القبط بمصر أو غيرها منه حرفاً واحداً.

يتلاحظ هنا كرم الوفادة فى حين أن كسرى ملك الفرس كان رده عنيفاً على «هرقل» ملك الروم عندما أرسل الأخير إليه رسالة يطلب فيها الصلح .. فرد عليه (بأنك عبد أبق .. وعاص مارق ولن أكف إلا بعد أن أحطم الصليب) وأهان رسول هرقل مما عجل بنهاية كسرى فى حرب كاسحة ماحقة حتى كان مصرعه على يد (شيرويه) كما سيتضح تباعاً.

.. حمل .. حاطب « الهدايا والجاريتين إلى رسول الله ﷺ » والجاريتين هما الشقيقتان (مارية) و (سيرين) إبنتا « شمعون » المصري القبطي ويحكى التاريخ أن (مارية) تزوجها رسول الله ﷺ وشمعون هذا غير شمعون حمو موسي بطبيعة الحال ..

ومارية هذه من قرية عتيقة من صعيد مصر، تدعى (حفن) على الضفة الشرقية للنيل بأتجاه « الأشمونيين، لأب قبطى، وأم رومية، وأمضت بها طفولتها فى حداثة سنها، فلما تفجر منها الشباب، إنتقلت مع أختها « سيرين » إلى قصر المقوقس « عظيم القبط بالاسكندرية. وظلت هناك حتي أهداها لرسول الله ﷺ مع رسالته كما أسلفنا ..

أنجب رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من « مارية» ولده الوحيد « ابراهيم » ويحكى التاريخ معلومات

غير موثقة ولا متواتره بأنه ﷺ كان له ولدين آخرين من زوجته خديجة رضى الله عنها ؛ عبد الله ؛ و ؛ القاسم ؛ ماتا صغيرين؛ وهناك من قال إنهما ولدا فى الجاهلية وماتا .. وقال غيرهم أنه لم ينجب من خديجة رضى الله عنها ذكوراً ونفوا أن يكون له ولد بأسم ؛ عبد الله؛ ومن قال ذلك قال أما القاسم فهى كنية كنى بها رسول الله ﷺ لأنه كان فى الجاهلية يقسم بين الحق والباطل .. ويستشهد القائلون بالخلاف المشهور الذى حدث بين رؤساء العشائر من قريش فى مكة على من يضع الحجر الأسود بمكانه فى الكعبة ؟ فكل قبيلة تريد أن تنال هذا الشرف الرفيع ؛ قيل أن الحجر الأسود من جبل بمكة وضع حتى يكون علامة على عدد الطواف ومن قال أنه من الجنة حملته الملائكة .. ومن قال غير ذلك ؛ فإحتكموا إلى محمد وكان إبن خمسة وثلاثين سنه ؛ قبل المبعث ؛ فقضى بينهم أن ضعوه فوق بساط كبير .. ويحمل رؤساء العشائر جميعا أطراف البساط ويمضوا به جميعاً إلى مكانه فى الكعبة .. وبذلك ينال الجميع شرف المشاركة فى حمله .. وهنا فرح الجميع بحكمته وأطلقوا عليه القاسم ومن هنا كان إسمه القاسم لأنه قسم بين الحق والباطل وحقن دماً كان على وشك أن يسيل .. وحرباً كادت أن تستعر .. وأن ذلك سبب تسميته بهذا الإسم وما كان له ولداً بأسم القاسم وروايات تقول .. بل ولدا وماتا بعد يومين .. .. وهناك من قال بل ماتا بعد سنتين .. وأختلطت الروايات من قال بل ماتا بعد سبع سنين وروايات تذكر القاسم وتنكر عبد الله وعلى أى الأحوال فقد مات ولده إبراهيم ؛ والذى لاخلاف على مولده ووفاته فى مختلف الروايات ؛ قبل أن يجاوز العامين من عمره.

وعاشت مارية بعد وفاة ولدها إبراهيم فى العام التاسع من الهجرة مع رسول الله بمنزل (حارثه بن النعمان) القريب من المسجد النبوى .. وكذلك بعد وفاة رسول الله فى العام العاشر من الهجرة .. واستمرت عزيزة حتى خلافه عمر بن الخطاب . حيث وافتها المنية ودفنت فى البقيع فى العام السادس عشر من الهجرة.

أما سيرين فقد وهبها رسول الله الى (حسان بن ثابت) أحد شعرائه الثلاث الذين تتمتهم ؛ عبد الله بن رواحه وكعب بن مالك؛ ؛ وأنجب منها (عبد الرحمن):-

وعند وفاة ؛ إبراهيم؛ قام رسول الله بمواساة (مارية) فيه فقال لها ؛ إن إبراهيم إبنى ، إنه مات فى الثدى؛ وإن له لظئرين تكملان رضاعته فى الجنة ؛ ؛ الظئر أي المرضعة ؛..

هذا هو التراحم والتواد بين الأديان، ولعل الحادثة السابقة تشير إلى كم كان رسول الله ﷺ رحيماً بمارية القبطية ، كما أنه لم تقع حرب دينية بين المسلمين واليهود، ولكنها وقعت بين هداة الى دين إسرائيل وموسى وعيسى ومحمد بين مضلين عدوانيين من الجانب الإسرائيلى لكن المستشرقين يطيب لهم أن يسموا ذلك بالحرب بين المسلمين واليهود، وأما عن الحروب الصلبيبة فإن التصور – عندى – أنها لم تكن قناعة من مسيحيى الغرب للإنتصار (للمسيح) على (دين محمد) فالثابت أن المسيحين والمسلمين كان كليهما يذكر الآخر بالإجلال والتقدير وأنهما كانا على طريق واحد لكن الذى حدث كان نتيجة لأطماع ملوك الغرب فى السيطرة على الأرض الدافئة ولأن الحرب لا بد لها من غذاء معنوى، وحافز قوى ، فزجوا بالدين لإلهاب المشاعر العقيدية فى النفوس والرءوس ، فدقت أجراس الكنائس فى مواجهة آذان المساجد ، فاندلعت الحرب ومن أسف إنها كانت حرب طويلة إستمرت تسعين عاما حتى أوائل قرننا الحالى ، وعبروا عن مشاعرهم حين وقفوا على قبر صلاح الدين وصاحوا ؛ ها نحن قد جئناك يا صلاح الدين، فالحرب الصليبية كانت أبعد ماتكون عن الدين ولكن الدين إستخدم للأثارة والأستثارة : ودفعا للتضحية.

وحتى الحروب الاسرائيلية لم تكن بهدف دينى أو معتقد فلم تكن الحروب بين (موسى) و (محمد) .. لكنه كانت بحثا عن وطن قومى لليهود المشردين في الأرض .. وفكروا فى أن يكون وطنهم فى استراليا

وفكروا أن يكون وطنهم « نيجيريا » .. والمتابع للتاريخ يعرف كم كان (هيرتزل) يفاضل بين تلك الخيارات وكانوا يتغنون وينشدون « إن للحمامة عشاً، وللثعلب وكرا ، ولكل إنسان وطناً، إلا اليهود فلهم القبور» واستمر بحثهم على هذا المقر إلى أن التقوا فى مؤتمر لندن سنة ١٩٠٥ أى منذ أقل من مائة عام حيث وقع إختيارهم على (أرض فلسطين) حيث هذا الإختيار نفسه يحقق مصلحة الإنجليز .. وتحت عباءة الدين قام «هرتزل » وخلفه بالشحن الدينى لكل يهود الإرض فإدعى حاخاماته فى رسائل لكل يهود العالم بأيهامهم «أن المشي على أرض فلسطين يكفر الخطايا لليهود » وساعده « بلفور » بالوعد الذي قطعه علي نفسه عام١٩١٧ والمشهور بـ « وعد بلفور » ..

فهل يطلق على الحملة على أرض فلسطين حملة دينية ؟ ! وهل لو إستقر رأي اليهود على إستراليا أو «نيجيريا » لقالوا بأن المشى على أرضها يكفر الخطايا ؟ أم لأن لهم مصالح هنا فضلا عن سهولة شحن الشعور الدينى ناحية أرض فلسطن لما لهم من آثار دينية فيها – يمكنهم إثارة المشاعر الدينية تجاهها .. وتجد قبولاً ، إن الأمر كله لا علاقة له بالدين .. إنما هى الأطماع والمصالح .. والدين رداء وعباءة فضفاضة يلبسه الساسة لإنجاح مطامعهم .. إننا نتعمد فى كل ما نكتب .. إلى أن نطرق مواطن يخشى كثيرون أن يتطرقوا إليها .. ومن هنا نجيب على سؤال أقنع الساسة شعوبهم الغربية بجواب خاطئ عليه زمنا طويلاً..

هل كراهيتنا لإسرائيل ومقاومتنا لها مقاومة دينية .. ؟ الجواب الواقر فى أذهان الشعوب العربية .. نعم لأنهم يهود نحن تقاتلهم .. تلك الإجابة التى دق الساسة بها على آذان شعوبهم زمنا طويلاً .. حتى وقرت فى نفوسهم جيلاً بعد جيل أننا نقاوم إسرائيل ليهوديتهم .. والحقيقة أن هذه الإجابة خالية من أى صدق على أى نحو .. فاليهود كانوا بيننا حقبا طويلة .. فى مصر وفى غيرها .. ولم نحاربهم .. بل إن البعض يعرف أن جمال عبد الناصرنفسه من أصل يمنى تمتد جذوره إلى عائلة (سلطان) اليهودى اليمنى الذى هاجر بعضها إلى إسرائيل والبعض الآخر إلى مصر حيث عاش كثيرون منها فى حارة اليهود بمصر وعاش بينهم (جمال عبد الناصرحسين خليل سلطان) الرئيس الأسبق وله صلة قربى .. (بليشع باخوم) ذلك الذى عاش معه فى « حارة اليهود» وكاد جمال أن يتزوج إبنته (نيللى) ومن المعلوم أن بأسرائيل بعض العائلات العربية التى ينتهى لقبها بـ (سلطان) فهل هم أقرباء؟! .. وهل « دأنا سلطان » أو سعيدة سلطان » تلك الفتاة التى تحولت بجراحة من ولد كان يدعى (يارون كوهين) وتشتهر بالغناء فى إسرائيل باسم « دانا أنترناشيونال » قريبة لعائلة سلطان هذه «؟٠٠ ربما ٠٠ وهل « ديڤيد سلطان» سفير إسرائيل الحالي فى مصر قريب الزعيم الخالد / جمال عبد الناصر حسين خليل سلطان مفجر ثورة ١٩٥٢ ضد الملك فاروق حفيد محمد على باشا مؤسس الحكم فى مصر أم أن ذلك مجرد تشابه أسماء؟! لا أحد يعرف «ولكن المؤكد أن شقيقة حرم بطرس غالى اليهودية تعمل بالكنيست الإسرائيلى .. والحاصل .. إن بين المسلمين واليهود نسباً وصهراً .. والمؤكد أن الحروب أو الكراهية أو المقاومة التى تمت أو تتم ليست كراهية أو حروبا دينية أنها حروب أو مقاومة للعدوان أو للرد على العدوان .. ولكن قد تلبس عباءة دينية لشحذ الهمم .. للعامة .. بدعاوى أنه جهاد مقدس يفر به العامة من واقعهم البائس المعيش إلى الجنة الموعودة .. طالما أنه جهاد ومقدس .. هكذا يقنعونهم الساسة القائمون على المصالح العليا للبلاد .

والحاصل أن الدين أيا كانت مذاهبه برئ من العدوان على أديان أخرى وخاصة فى مصر .. فلم ولن تكن هناك أرض تتسع بها السماحة بين الأديان أكثر من مصر، ذلك من قديم ومن حديث ..

فمصر تحارب المعتدين أياً كانوا بصرف النظر عن أى دين يعتنقون والقاعدة الإسلامية تنص فى آيات الله « لا عدوان إلا على الظالمين» و « لا تعتدوا أنه لا يحب المعتدين» والقاعدة الإسلامية لا تنص على محاربة الأديان وإنما تنص على محاربة الظالمين والمعتدين سواء منهم أو من غيرهم فهى إذن الذين

يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، إنها قواعد حاكمة وملزمة ، فليكن الجميع على بينه مما يدسه د. نصر لينسبه للإسلام بغير حق وليحذر من إطلاق مسميات لا أساس لها ولاسند من شريعة . وإن سأل ساءل كيف يكون الإسلام دين التسامح وقد ورد في نص آياته ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ قلت ويشاركنا ما نقوله فضيلة الشيخ / محمد الغزالي .. تدبر ياسيدي الآية الكريمة وتأمل سياقها وعبارتها بل وحروفها أولا .. ألم تجد فيها ما يجعلها معطوف على ما بعدها بالفاء .. ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ .. فمن تكن العبارة ، ومن يتولهم منكم ،(هو) منهم .. فحرف العطف (الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب .. لأنه شرح المقصود من النهي ؟! إن أي أمة تنهى عن موالاة أعدائها الذين يعلنون عليها الحرب ، وتؤمر بالمقاومة .. فالآية المذكورة لمواجهة الأستعمار سواء كان عسكريا أم ثقافيا والدليل أن في ذات السورة .

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين إتخذوا دينكم هزواً ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء وإتقوا الله إن كنتم مؤمنين. وإذا ناديتم الى الصلاة إتخذوها هزواً ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ٥٦/٥٧/ المائدة .. فهل من المعقول أن يبتسم المصلين إلى الذين يهزءون من الآذان ؛ فمن يقدم الأدب يتلقى مثله أو أربى منه .. إن من يعتبر الإنحرافات الجنسية حق الجسد كشأن مسيحيي الغرب ولم يتبعوا الوحي الإلهي في إعتبارها فواحش ومناكر أولئك الذين نظروا إلى تعدد الزوجات على أنه فكر فاسد ؛ وتخلف معيب أما الفسوق مع الخليلات والشذوذ بين الضائعات والضائعين فلا حرج فيه .. فقد إستطاعت جيوشهم أن تحتل أقطاراً إسلامية كثيرة غيرت فيها القوانين الشرعية ووضعت بديلها ما يبيح الخمر و الزنى ولا ترى في إقرارها للمفاسد أثما لذلك يقول الله (ياأهل الكتاب هل تنقمون منا ؛ إلا أننا آمنا بالله ،وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأناأكثركم فاسقون) ٥٩ / المائدة فمشكلة الغرب ومسيحيي بلاد أوربا معنا أنهم يطلبون منا نسيان تعاليمنا السماوية كما نسوا هم تعاليمهم .. !! فالله يذكر هؤلاء بما لديهم من توراة أو إنجيل ليعلموا بما جاء فيهما إن كانوا حقا أهل كتاب فيقول لهم (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل اليكم من ربكم) ٦٨/ المائدة .

.. فإذا لم تفعلوا فاتركونا نحن ننفذ ما أنزل الينا .. ولنتأمل جميعاً آيات الله التي تحض على التوادقي قوله (فلذلك فادع وإستقم كما أمرت ولا تتبع أهوائهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) ١٥/ الشورى .. فإن قام أهل الكتاب بتطبيق ما جاءهم لإختلف الأمر .. ولكنهم أبدا لا يفعلون (مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ..)

وعلى كل فمصر؛ بلد الأزهر وبلد شارع الهرم .. بها الإيمان عامر .. وبها الغي فاجر .. وعليك أن تختار.. فإن شئت كنت مؤمنا .. وإن شئت كنت فاجرا تميل إلى الدنيا .. وجازت عليك الآية (فمثله كمثل الكلب .. إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) ١٧٦/ الأعراف .. (نزلت في بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل)

لقد أزفت الساعة لنقول للمتربصين الغربيين بالاسلام ، والتي تحرض شعوبها وشعوبنا ضد الاسلام، بدعوى أنه دين الإرهاب ، إن ديننا في نصوصه القرآنية يدعو للتسامح والسماحة مع الأديان الأخرى لكنه يرفض العدوان ويأباه ، فلتطرح أمريكا مبادئ (نلسن) التي ينادي فيها المتحضرون وأنصار السلام ودعاة الحرية بالتخلص من الإسلام وليحدد د. نصر حامد أبو زيد موقعه بدقة .. هل هو مع المسلمين المسالمين.. أم هو مع نهاية التطرف السلبي الذي يحارب الإسلام. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وجعلناكم أمة وسطا﴾ لا نحارب غير المسلمين فنكون إرهابيين، والا نحارب الإسلام فنكون مرتدين.

لاجزية علي قبط مصر شرعا

وعن رسول الله ﷺ ﴿ إن لكم فى مصر نسباً وصهراً ﴾ ، رواه الطبرانى ،

فمن المعلوم أن هاجر أم إسماعيل جد العرب العدنانية يرتفع نسب النبى إليها ، وهاجر ، القبطية هدية مصر إلى إبراهيم الخليل عليه السلام؛ كحال مارية القبطية التى كانت هدية مصر إلى رسول الله ﷺ كما أشرنا والتى حفظ لها الإسلام إسمها ونسبها فى قومها ولم يتبدل إسمها بآخر إسلاميا على نحو ما يجري اليوم والحديث يعموم مطلق لا يقف على هاتين السيدتين وقال رسول الله ﷺ لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبه إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما) وقال (إن الله إصطفى كنانة من بنى إسماعيل وإصطفى قريشاً من كنانة واصطفانى من قريش) .

.. والمعلوم أنه عند الفتوح الإسلامية لمصر فى عهد (عمر بن الخطاب) قبلت مصر الإسلام عندما جاءها (عمروبن العاص) دون حرب باستثناء الأسكندرية التى فتحت عنوة . واقيمت المساجد عند دار أهل مارية بنت شمعون زوج رسول الله ﷺ وأم إبراهيم فى (حفن العتيقة) فى صعيد مصر وأعفى أهلها من الجزية إكراما للنسب الشريف وكذلك موضع بلدة (هاجر) قرب (الفرما) وسميت (أم العرب) .. وقد حاول (حفنى ناصف) شاعر مصر الكبير ، والذى شارك عام ١٩١٥ فى مؤتمر المستشرقين فى اليونان أن يبحث عن موطن (حفن) بلدة هاجر فى الذيار المصرية .. على وجه الدقة .. مما يؤكد مطالب رواد حركة اليقظة والتواصل فى فجر القرن الحالى..

أو بعد أن تمر ثمانون سنة .. ننتكس .. أتجيبنايا د. نصر .. ؟! أم تبقى مكانك .. !! فإن وضع الخراج عن كل أهل حفن إكراما لخئولة (الحسن إبن الإمام علي كرم الله وجهه) (مروى فى فتوح مصر لابن عبد الحكم) ولفظه ، وكلم الحسن بن علي، معاوية بن أبى سفيان، في أن يضع الجزية عن جميع أهل قرية أم إبراهيم ، مارية بنت شمعون ، ففعل ،ووضع الخراج عنهم فلم يكن على أحد منهم خراج) .

وبهذا القياس؛ لا بأس أن تضع – مصر – الجزية ، عن كل القبط كما تفعل فعلاً – وليس خروجاً عن الدين فى شئ فعل ذلك – بعد أن ذابت أهل ـ (حفن) وأهل (أم العرب) فى مصر كلها بمرور القرون .. ويكون الحكم وفقالذلك إسلاميا لا شبهة فيه .. ومع كل ذلك ورغمه .. لا يخجل البعض من وصم الإسلام والأصولية بالإرهاب ؛ شاهت أصولهم وشاهوا إلى يوم الدين.

.. وبعد .. فنحن فى مصر .. نتمنى جميعا .. أن يقدم لنا غير المسلمين فى البلاد التى نشكل فيها نحن المسلمين – أقليات بها – ؛ ما نقدمه فى مصر للأقليات القبطية .. أو نرجو أن تعامل الأقليات فى أى من بلاد العالم بالتكريم اللائق الذى نعامل به إخواننا القبط فى مصر أو الأقليات المتواجدة بيننا على أى نحو .

متي يجابه السيف القلم

.. يزعم رهط من كتاب هذا الزمان .. بأن الفكر والقلم لا بد أن يجابها بالفكر والقلم .. وليس بالسجن والسيف ؛ وهذا القول .. وإن كان ظاهره مقبولا .. إلا أنه لا يمكن أن يكون قاعدة بغير إستثناء .. وإلا لإضطربت ضوابط الناس .. وأختلط الحابل بالنابل .. وتاهت الرؤى .. فلابد من ضوابط .. فى الأمور .. وفى الكتابة .. وكذا فى الخطابة .. فهناك حالات لا بد فيها أن يجابه السيف القلم؛ .. فقديما .. فى عصر الملك فاروق وفى حكمة وفى زمانه .. كان هناك من يعترض سلوكه .. وينتهى الإعتراض فى الأغلب الأعم – بغير حساب .. فكثيرا ما كان يقدم ، المعيب فى الذات الملكية للمحاكمة ... ثم تنتهى بغير أدانه..

ويتبرئة ساحة المعيب ولذلك فقد كثر العائبون .. أولئك الذين وجد كل واحد منهم فى هجومه شهرة وشهوة حيث سيعلن إسمه فى الصحف .. ويكثر الجدل حوله .. ولا بأس من أن يحاكم .. وتنتهى المحاكمة إلى حكم موقف تنفيذه فى الغالب أو حبس سياسى لا تزيد مدته عن شهور قلائل .. مقابل شهرة واسعة .. يعز الحصول عليها فى سنوات طويلة .. ولكن بتكرار وإتساع رقعة الناقدين للحكم، تكون نفر ساخط نقد الأوضاع السائدة بعنف وكان نقد مهم هذا هو السبيل إلى التهاب مشاعر الجماهير وتكون من ذلك وغيره عناصر نجاح الإنقلاب على الحكم الملكى فى مصر ؛ وتلك مقدمات الثورات عموماً وإرهاصات ميلادها ، وعلى ذلك فإن القلم يمكن أن يقود الى السيف ، كما أنه (القلم) أيضا يمكن أن يقاد إلى السيف.

فإن كان الحرص والادراك أعلى فى جانب السلطة عن جانب حملة الأقلام ، فإن السلطة تستشعر هذه المقدمات (مقدمات الثوارات) من جانب بعض الأقلام .. فتجابههم بالسيف مصداقا للمثل القائل ، فلتلتهمه فى غذاء ؛ قبل أن يلتهمك فى عشاء ، ... والأمثلة على ذلك كثيرة .. وعلى هذا فالقلم إما أن يقود إلى السيف ؛ وإما أن يقاد إلي السيف .. ولنزمع فى طرح نماذج تاريخية تأكيداً لرؤيتنا.

كانت مصر واقعة تحت الإحتلال الرومانى .. وكان يحكمها ، جستنيان ، الذى حاول أن يجبر قبط مصر (قبل الفتح الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص) علي الدخول في مذهبه والخروج من مذهبهم [وكانت مصر قبطية ومذهبها القبطي ، المونوفستيين اليعاقبة ، والروم أقباط ومذهبهم ، الملكانيين] واستعرت العداوة بمصر بين الطائفتين ، الملكانيين ، والمونوفستيين اليعاقبة ، فما أتت سنة ٦٠٩ م حتي كانت أقطار مصر التي لاهم لها غير مذهبها القبطي قد إشتعلت بالثورة الجائحة بالنوازل ، مما عجل (بهرقل) أن يسقط فوكاس [ديوان حنا أسقف نقيوس والأخيرة مدينة تتبع مصر السفلي لغتها أثيوبية] وإتصل (حنا النقيوسى) أي الذي هو من (نقيوس) بزملائه في كنائس مصر، الشيوخ الذين أدركوا الأحداث والتي إنتهت بمصرع (فوكاس) علي يد (هرقل) ورحبت مصر كلها (بهرقل) حيث كان (فوكاس) مكروها لمخالفة مذهبه لمذهب مصر القبطي واكراهه لها علي إعتناق مذهبه وكابدت مصر منه الأمرين للمحافظة علي مذهبها وقبطيتها .. وهكذا توج هرقل يوم ٥ / ١٠ / ٦١٠م إمبراطوراً للدولة الرومانية ، وقد انتهز التتار في بلاد الفرس المجوس (بلاد ايران حاليا) وكان ملكها (كسري) فرصـة تـغيير السلطة بين (فوكاس) بقتله وتولي (هرقل) ؛ فغزت الشام .. ومن أسف .. أن بلاد الفرس المجوسي (التتار) إستطاعت خلال ست سنوات أن تقضي علي ملك هرقل في فلسطين والأردن ومصر بعد مقاومة عنيدة من مصر القبطية... واستمرت فتوحات التتار تقتحم آسيا الصغري وتأخذ ما في طريقها حتي فتحت (خلقيدونية) علي الساحل الأسيوي للبسفور تجاه القسطنطينية تلك التي أحتمى فيها هرقل واحتمت فيه .. وهكذا انحسر ملك (هرقل) فلم يعد له من ملكه سوي القسطنطينية تلك التي كانت عاصمة إمبراطوريته التي ضاعت وإنكسر الفتي هرقل الشاب اليافع اليانع الذي نكل نكالاً بسلفه (فوكاس) وأعمل فيه الهوان عندما قتله ؛ ويحكي أنه قرأ علي (فوكاس) إتهاماته قبل قتله والتي تشبعت بكراهية الشعب المصري القبطي له .. فكان رده علي هرقل عندما سأله (أهذا سبيل حكمك) فقال فوكاس .. (وهل أنت من يحكم خير من هذا ؟!) وكانت تلك آخر كلماته حيث عاجله هرقل بسيفه ، ويحكي التاريخ أن (هرقل) لما ألمت به هذه الخطوب ، وبلغ أمره إلي رسول الله في بداية الدعوة تألم رسول الله لإنتصار الفرس المجوس (وهم عبدة النار) علي أهل مصر القبط والروم وهم (أهل الكتاب) .. ونزلت الآية ﴿ غلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴾ ٣/١ / الروم .. وتلك معجزة من معجزات القرآن علي سيدنا محمد ﷺ حيث حدث فعلا ما تنبأت به الآية بدقة كاملة كما سنعرف حالاً .. [ولو قرأ هذا د . نصر لآمن بالقرآن إيمان تسليم وإذعان] ..

.. فقد أرسل (هرقل) رسولاً إلي كسري برجاء المصالحة فما كان من كبير عبدة النار (كسري) ملك

الفرس المجوس إلا أن تلقف الرسالة بالحرق والعدوان علي رسل (هرقل) .. والإندراء والرفض .. وشاعت الأخبار حول (هرقل) الحزين في القسطنطينية : فقالوا أنه سيفر ، بعدما أحاطت به المجاعة نتيجة لخزائنه الخاوية .. ومصر التي في قبضة الغزاه .. وندب محصول الغلال .. وجفاف البيوت من الطعام .. وفكر في نقل مقر دولته إلي قرطاجنة حتي يستعد من جديد .. ولكن بطريرك القسطنطينية (سرجيوس) أحتواه وأحتضنه ونفخ فيه روحاً وثابة للقتال .. ومازال به حتي أقسم علي المذبح الأكبر في الكنيسة الكبري [أيا صوفيا ـ أكبر كنائس العالم قاطبة وأفخمها وأعرقها بعد الفاتيكان .. وهي في أنقرة بتركيا ـ وتحولت لمسجد منذ الفتح الإسلامي بقيادة (محمد الفاتح) .. وأعيدت كنيسة مرة أخري منذ ثلاث سنوات لما لها من شأن أثري ومعماري تليد] أن يؤدي أمانة منصبه وأن يقاتل في سبيل تخليص الشعب والصليب من اعداء الصليب .. وبدأ الشعب القبطي في (القسطنطينية) يري تحولا في مليكه (هرقل) إلي الأفضل وإستعاد ثقته بنفسه من جديد ، وإلتف الشعب حوله ، وبدأ في تجهيز الجيش بأناة ورسوخ .. وحتي يتم له ذلك بعث ومرة أخري إلي كسري يطلب الصلح عساه يقبله ويوفر عليه مؤونة غموض نتائج الحرب التي يتكبد الإستعداد لها .. فأرسل هداياه الثمينة الغالية مع ثلاثة رسل إلي (خلقيدونية) فإستقبلهم (كسري) باستعلاء .. ونزع منهم الهدايا وردهم مدحورين وأرسل معهم خطاب (لهرقل) – مازال موجوداً بالمتحف حتي اليوم – بتاريخ ٢٢ / ٩ / ٦٢٧ م كتب فيه [**قل لمولاك إن دولة الروم من أرضي .. وما هو سوي عاص ثائر وعبد آبق ولا سلام بيننا حتي يترك عبادة الصليب**] .. وهنا .. **جابه السيف القلم** ، وكان لابد أن **يجابه السيف القلم فما كتبه (كسري) بقلمه .. جابهه (هرقل) بسيفه** .. فما أن وصل الخطاب إلي (هرقل) حتي إشتعلت نار الحمية في أهل الصليب من مصر وفلسطين وسوريا وغيرها وفي كل البلاد التي احتلها المجوس ، فضلاً عن المناطق التي كانت لا تزال تحت سيطرة (هرقل) في القسطنطينية ، فخرجت كتائب (هرقل) جحافل تحمل الصليب شعاراً ولواءً تواجه به أعداءه (الفرس) باصرار علي النصر يتقدمهم (هرقل) قائداً مظفراً وفارساً نبيلاً يجتاح ما يقابله من جيوش عبدة النار إجتياحاً ، وهكذا حتي كانت الموقعة الحاسمة قرب (المدائن) في فبراير عام ٦٢٨ م ، وهناك تحققت بشري الآية القرآنية الكريمة ﴿ غلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ التي نزلت علي رسول الله ﷺ وبشر بها هرقل أهل الكتاب عند هزيمتهم من كسري [لاحظ « س » في سيغلبون .. تأكيداً علي أن النصر لهم في المستقبل ودليل كاف علي نزول الآية قبل إنتصارهم] .. ففر كسري حيث تم القبض عليه ولقي مصرعه الدامي ذليلا مدحوراً علي يد (شيرويه) وأعلنت بشري النصر الذي نص عليه القرآن الكريم منذ سنوات كان فيها (هرقل) حزيناً كسيراً ، وبذلك عمت الفرحة ارجاء الإمبراطورية ، وفرحت (مصر) فرحاً شديداً يوم « عيد العنصره » .. خميس العهد في خطط المقريزي ـ الذي وافق في تلك السنة اليوم الخامس عشر من شهر مايو وسار البطل المظفر من (حمص) إلي بيت المقدس ليؤدي صلاة الشكر في موكب عجيب وسط خيل تلمع عدتها وألويه تخفق ، وفرق من كتائب جيشه ، سار (هرقل) وسطهم في خاصته حتي اقتربوا من المدينة (من سوريا إلي بيت المقدس الذي تحتله إسرائيل اليوم) وقد خرج اليه موكب من القسس والرهبان يحملون الأناجيل والشموع والمجامر حتي بلغ الباب الذهبي حيث كان في إنتظاره « البطريرك زكريا » فسلم عليه (ثم أخذ يعنفه علي فخامة ملبسه وأمره بأن يخلع رداءه الأرجواني ويطرح ما عليه من ذهب ليقترب من المواضع الطاهرة بما يليق بها من الخشوع ، وسار الإمبراطور المظفر بعد ذلك في لباس الحاج المنيب إلي ربه ، ثم كان بعد ذلك الاحتفال الأكبر المشهور باسم « إعلاء الصليب » ولا تزال زكراه إلي اليوم تحييها الكنيسات الشرقية والغربية ، كلتاهما في يوم ١٤ سبتمبر من كل عام ..

وإن كان للصديق الفاضل (الذي عرفته عن كثب شامخا في تواضعه رقيقا في إسلوبه رفيعاً في غزارة علمه) المستشار / بليغ كمال عبد المسيح رئيس النيابة العامة بمحكمة النقض حاليا رأي آخر فيما ورد عن

المقريزي بخصوص خميس العهد وعيد العنصره فيقول : إن عيد العنصرة هو ذكرى يوم تجلي السيد المسيح علي تلاميذه فى اليوم الخمسين من قيامته وحلول الروح القدس عليه ، أما خميس العهد فهو اليوم السابق ليوم الجمعة الذي تم فيه صلب السيد المسيح وقد ورد ذكر ذلك في سفر أعمال الرسل بالإنجيل .. وساق ثبتا آخر لدقة علمه الموثوق فيه من كتاب روح القدس للأب متي المسكين فقال : كلمة (العنصرة) كلمة عبرية الأصل وهي ليست آرامية ولاسريانية ، وهي تستعمل في العبرية الحديثة في ما كانت تستعمل فيه في العبرية القديمة تماماً .. وأصل الكلمة (عسار) ومنها كلمة (عساريت) التي جاءت منها كلمة العنصرة .. والكلمة عسار معناها اجتمع أو جمع حيث كانوا (اليهود ـ المؤلف) يجتمعون ويتعبدون في هذا العيد وهي تأتي أيضاً بمعني (منع) أو (امتنع) لأنه يمتنع فيه العمل لأنه يوم مقدس ..

(وعيد العنصرة) عند اليهود هو عيد الأسابيع أو عيد الحصاد أو عيد الخمسين .. وعيد الأسابيع تترجمه العبرية (هجشبعوث) حيث (هاج) أو (حاج) بمعني عيد و (شبعوت) = السبوعات أي الأسابيع .. ويسميه العلماء وبالأخص علماء التلمود (عشريت) أما عيد الحصاد فترجمته العبرية (حاج هفصير) حيث (هفصير) هو الحصاد وأطلق علي هذا العيد في ترجمته اليونانية للتوارة كلمة (بنتيكستي) أي الخمسين ..

* * * * * *

هذا في ملة اليهود .. أما في ملة النصاري والكلام ما زال لصديقي المستشار بليغ عبد المسيح فقال [والكنيسة إستعارت هذه الكلمة (العنصرة) كما هي وأطلقتها علي عيد حلول (الروح القدس) لأنه يقع في اليوم الخمسين من قيامه (الرب) فهي تسميه أيضاً بعيد (البنتيكستي) أي عيد الخمسين ..

(وعيد العنصورة) تشير في أصل إشتقاقها اللغوي إلي الجمع أو الحفل لذلك فالكنيسة محقه أيضا في جعل (العنصرة) وقفاً علي هذا العيد بالذات (بمعني أن الكنيسة قصرت استخدام كلمة (العنصرة) علي عيد حلول الروح القدس علي التلاميذ في اليوم الخمسين فقط) لأن في هذا اليوم تقدس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً ، فصار ذلك المحفل المقدس كنيسة مقدسة لم يفارقها الروح القدس منذ ذلك اليوم إلي وقتنا هذا [يتلاحظ أن تعبير كنيسة يعني جماعة المؤمنين في المفهوم المسيحي المتمسكين بدينهم المترددين علي كنائسهم في عباداتهم ـ المؤلف] ..

ومؤدي ما سلف فإن عيد العنصرة هو عيد حلول الروح القدس علي تلاميذ السيد المسيح في اليوم الخمسين من قيامته ..

ومما أوضح السيد المستشار / بليغ عبد المسيح يتضح أن ما ورد عن خطط المقريزي في هذا الشأن وكونه عيداً بمناسبة إنتصار هرقل علي كسري المجوس يكون في رأينا ـ المؤلف ـ محل نظر وبالرغم من تقديرنا ـ المؤلف ـ للجهد الشاق (والذي لا أظن أن أحداً يطيقه من عالم اليوم) الذي بذله المقريزي في تأريخه لهذه الحقبة بل وفي تأريخه عموما .. فقدم للمكتبة التاريخية مراجع فريدة هي المصدر الهام والدقيق لتاريخ هذه الحقبة وحقب غيرها من تلك الأزمان البعيدة ..

.. إلا أنني ورغم كل ذلك أحسب ـ وفقا لقراءاتي ـ المؤلف ـ أن المقريزي أخطأ فى هذه الجزئية وأصاب الحقيقة صديقي المستشار ـ بليغ عبد المسيح الذي قال أيضاً عن خميس العهد [أما مناسبة خميس العهد فهي اليوم السابق علي يوم الجمعة الذي فيه صلب السيد المسيح وفي هذا الخميس قام السيد المسيح بغسل أرجل التلاميذ (الحواريين) حتي أن القديس (بطرس) استهول أن يغسل المسيح له قدميه .. فنهره السيد المسيح وفعل ، حيث كان يلقنهم درساً عملياً في التواضع وفي هذا الخميس ثم العشاء الأخير ، ذلك الذي تجد تخليداً له في صور ، ليوناردوداڤنشي ، الرسام الإيطالي الأشهر في عصر النهضة ..]

﴿ قل يا أهل الكتاب لستم علي شيء حتي تقيموا التوارة والأنجيل وما إنزل اليكم من ربكم ﴾ ٦٨/ المائدة..

.. والتوارة والإنجيل في هذه المسألة يختلفان مع خطط المقريزي فيما آتاه و للمتنطس مراجعة إنجيل متي والعهد القديم والعهد الجديد وعلي أي حال فما سبق كان صورة من الصور التي يلزم فيها أن يجابه السيف القلم .. فقد جابه (هرقل) والقسطنطينية والقبط جميعاً بسيوفهم .. قلم « كسري » .. فإنتصر السيف بقيادة (هرقل) .. وفر القلم العفن وتابعه (كسري) حتي قبض عليه (شيرويه) وقتله في فبراير سنة ٦٢٨ م .

وهناك صور أخري كثيرة .. يمكن أن يجابه فيها السيف القلم .. بل ويكون ضرورياً وحتمياً القيام بهذه المجابهه .. ويكون عاراً إن لم يجابه فيها السيف القلم .. منها علي سبيل مثال لم يحدث في بلد الأزهر الشريف ان كتب « مارق » لحنا صاخباً يتم إقامة حفلات راقصة عليه في الشوارع وفي صالات (الديسكو) من شباب الجنسين المستهترين .. وكانت كلمات الألحان .. نصوصاً من الآيات القرآنية ..!!

قطعاً لابد أن يجابه السيف ذلك القلم .. بل لابد أن يجابه السيف - إن حدث - كل يد امتدت بالقلم لتساعد أو ترخص أو تسمح ..

.. وهذا حدث .. في أمريكا .. وإنتشر في الخمسينات .. وعلي أنغام موسيقي « الروك أندرول » تتخللها فقرات من « التوارة » .. رقص الشباب من الجنسين في شوارع نيويورك .. بل وسجلت تلك الأنغام على شرائط «كاست» وأنتشرت وذاعت حتى وصلت إلى إسرائيل نفسها .. وهى اليوم تباع في المعابد اليهودية .. وكذا في المحلات مع الأغاني والأفلام .. ويغنيها الشباب من الجنسين .. في شوارع تل أبيب .. وفي حفلات صاخبة ماجنة في كل مناطق إسرائيل ..

وفي أمريكا .. إشتاق شقيقي المهاجر إليها من زمن .. (د . نبيل العطار) للصلاة في جماعة .. في أحد المساجد .. وتناول دليلالهاتف يبحث فيه حتي وجد (MOSQE) أي مسجد .. وراح اليه في العنوان الذي وجده .. وهناك في ضاحية من ضواحي مدينة (بتسبرج) في ولاية بنسلفانيا .. وجد العنوان لحانة صاخبة .. وأسماها صاحبها كذلك .. هذا في أمريكا .. حمداً لله أنه في أمريكا ..!! وحمداً لله علي بلادنا الجميلة بمسلميها وقبطها .. ولذلك أحذر نصر أبو زيد وأنبهه بأن مصر لها تقاليدها وأعرافها؛ مصر لها جذورها وقيمها مصر لها عراقتها وشعبها؛ مصر لها بنيها الذين لا يفرطون في دينهم .. فهو لديهم أقوي من العرض بل هو العرض والشرف معاً .. ولعلنا سقنا هنا الحالات التي يواجه فيها السيف القلم .. فليعمل علي أن لا يندرج تحت هذه الحالات بأي حال .. فمصر كلها حكومة وشعباً يداً واحدة في مواجهة العدوان.. أياً كان نوعه .. سواء كان عدوانا ثقافياً أم عدوانا علي شق صفها .. أم عدوانا علي وحدتها الوطنية .. ولعلك تعلم .. وإن لم تكن تعلم علمناك بأن قبط مصر في عيوننا بل هم في عيون الإسلام منذ المبعث فإن لنا فيهم نسباً وصهراً ولنا - المؤلف - بصفة شخصية منهم نسباً وصهراً .. فزوجات أخوتي المهاجرين في أمريكا منهن النصرانيات ومنهن المسلمات .. ولتعلم يا نصر.. أننا مصر .. لسنا العراق .. ولسنا لبنان .. بل لسنا إيران ولسنا السودان .. إننا مصر ..

حقائق الغيب فى مفهوم التراكيب

من الغيبيات التي نؤمن بها في القرآن .. عذاب القبر / والجنة والنار / والحسد والجن / والملائكة / الروح / والشياطين .. وهلم جرا من كافة المرويات الغير محسوسة .. ومن الغباء بمكان .. أن يحدد كائن من كان .. كنهة هذه المرويات علي وجه إكتناه .. وليس معني عدم إدراك الأمور الغيبية أنكاراً لوجودها ..

فهناك أمور يكفينا في صحة الإيمان بها علي ظاهرها أن العقل لا يجعلها من المحالات العقلية .. وإلا كان إنكاراً لما في الدين بالضرورة .. ولعل ما نعرفه اليوم لم يكن تعرفه أقوام سبقت وكذلك ما لم نعرفه اليوم .. سيأتي من بعدنا أقوام يعرفونه معرفة إكتناه .. ولنضرب في ذلك مثلاً : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » ٥٣ / فصلت ..

.. لم يكن ـ عند نزول هذه الآية ـ بلغ العلم مبلغه من التقدم والأزدهار سواء في دراسة الأجرام والوصول إليها كما وصل العلم اليوم إلي القمر والمريخ وعرف ما فيه معرفة إكتناه بل ونقل بعض ما علي القمر بالأجهزة إلي الأرض وترك هناك أجهزة إتصالات سمعية وبصرية لدراسة الظواهر هناك .. أو سواء في دراسة الاعضاء البشرية ودقة أسباب عملها في السمع والبصر أو حتي في حساب ضربات القلب وما إلي ذلك ، وكان القرآن الذي نزل منذ أربعة عشر قرنا يعرف ، منزله ، الله تعالي ، ما وصلت اليه البشرية اليوم من تقدم .. بل وما ستصل إليها مستقبلا وحتي قيام الساعة .. فكانت الآية سنرميهم (أي في المستقبل بعد نزول القرآن) .. وها نحن نري اليوم ما قرره القرآن من زمن ، من أنفسنا ومن الآفاق ما لم يعرفه الأولين.. وسيأتي من بعدنا من يعرف ويري ما لم نعرفه نحن ـ وهكذا دواليك وحتي قيام الساعة .. حتي تظل للآية فاعليتها المستقبلية علي الدوام (سنريهم) ..

أما الروح .. فلم يصل أحد إلي معرفتها معرفة إكتناه .. كما عرفوا القمر معرفة إكتناه وذلك لأن الله تعالي قال:« ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ٨٥ الإسراء ..

ومع ما وصل إليه العلم من تخليق للأجنة بتلقيح البويضة من المرأة بالحيوان المنوي من الذكر في أوعية طبية خارج رحم المرأة وجسدها عموماً .. فهو علم قليل بالنسبة لعلم الله اللانهائي .. ومع ذلك ورغمه فسنعجز نحن ومن بعدنا علي خلق الروح أو معرفة ماهيتها علي وجه إكتناه « الروح من أمر ربي » ورغم أنها غير ملموسة إلا أنها محسوسة .. فبها تعمل كل اعضاء الجسد القلب والرئة والكبد .. وهلم جرا وبغيابها تتعطل كل أجزاء الجسد جميعه .. حتي ولو لم ينقصه أي عضو فيه ..ومن هنا علمنا بوجود الروح حسابياً دون ملامستها .. فآمنا بها وبوجودها ..

والأكوان كلها تعمل بأمر الله هكذا وصل الفلاسفة حسابيا علي وجود الله رغم عدم ملامستهم لشيء .. لذلك علينا أن نؤمن بباقي الغيبيات التي ذكرت في الدين بالضرورة ـ سواء وصلنا إلي حسابها اليوم أم سيصل أقوام بعدنا إلي ذلك .. فليس معني عجز الإنسان اليوم عن تفهم كنهة الجنة والنار أنهما غير موجودتين .. طالما غير محال علي الله عقلاً .. الذي خلق كل ما حولنا أن يخلقهما .. فهو القادر علي كل شيء .. وعلي هذا يكون إيماننا بالجن والشياطين والحسد وعذاب القبر .. وما إلي ذلك .. ونحن مرفوع عنا التكليف والبحث عن كنهة أياً من ذلك ولكن إن بحث باحث .. فلا بأس .. فهو يبحث عن الإيضاح وعن الإيمان فالبرهان من كلام الله بوجود هذه المخلوقات ومن أحاديث نبيه الصحيحة .. فإن أسرف أحد علي نفسه .. ووصف الشياطين بأنها تلك النفوس الشريرة التي تسكن في بعض الناس وتهوي فعل الشر وتعشقه وأكتفي بذلك أو أن يري أحداً أن الشياطين في بعض الإبل أو في الإبل كلها .. أو ... أو... أو .... فقد صح أو أخطأ في بحث ما هو مرفوع عنه التكليف في البحث فيه .. ولكنه ليس ممنوعا أو محرماً عليه البحث أما إذا أنكر تماما وجود الحسد أو أنكر وجود عذاب القبر .. أو أنكر تماماً ما هو معلوم من الدين بالضرورة .. أو أنكر شيئا من خلق الله أوردها في القرآن الكريم .. فقد ظلمه نفسه .. وهنا نبدأ في البحث هل الإنكار إنكار جهل أم إنكار جحود .. **فإن كان إنكار جهل علمناه .. وإن كان إنكار جحود فقد كفر ..**

فقديماً قيل الرجال أربعة رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذلك عالم فإتبعوه .. ورجل يعلم ، ولا يعلم أنه يعلم ، فذلك غافل فنبهوه .. ورجل لا يعلم ، ويعلم أنه لا يعلم ، فذلك جاهل فعلموه .. ورجل لا يعلم ، ولا يعلم أنه

لا يعلم ؛ فذلك أحمق مارق فاجتنبوه .. والأخير هذا يظن نفسه عالما فلا يعلم أنه جاهل أو هو يجحد جهله الغارق فيه .. فمن تكون يا د . نصر .. من بين هؤلاء .. ؟!!

وقد أطلنا في الإيضاح بورود الغيبيات في القرآن الكريم والسنة المشرفة ووجوب الإيمان بما جاء فيهما لإكتمال الإيمان .. ولنأخذ هنا ليكتمل البحث جوانبه مناقشة السائلين عن سؤال وحساب وعذاب القبر .. في محاولة منهم لنكران هذه الغيبيات .. وأسئلتهم التي أسرفوا فيها علي أنفسهم في محاولة إنكار ، عذاب القبر ، تتحدد في محاور محدودة هي :

- أن الله يحاسبنا يوم القيامة فمن يكون منكر ونكير حتي يحاسبانا .. فالحساب تخصص الله !؟

- كيف إن مت أعذب قبل أن تقوم القيامة وتعرض أعمالي بين يدي الله ؟

- كيف ترد لي روحي في القبر قبل أن تقوم الساعة ؟ والله تعالي يقول ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي ﴾ ..

- أيختلط علي الله معرفة الظالم من البار ؟ وإذا كان يعرف فلماذا يسأل الله الميت في القبر عما يعرف ؟!

- إن كانت الروح تصعد إلي بارئها .. فكيف يكون العذاب في القبر ؟ أيكون لجسد بغير روح لا يضيره شيه بعد ذبحه ؟

- وكيف يكون عذاب القبر لمن مات غريقا أو تفجرت أشلاؤه وتناثرت بقنبلة حربية .. أو أكلته السباع ويسخر السائل نكراناً لعذاب القبر ويستطرد .. وكيف يحاسب في القبر من قطعت جسده زوجته .. وعبأته في أكياس أكلتها القطط والكلاب .. فأين وكيف يكون عذابه في قبره ؟!

- ثم هل سيتحكم أهل الميت في توقيت حساب فقيدهم باختيار توقيت دخوله للقبر بمعرفتهم .. فقد يؤخروه ساعة أو بعض يوم أو قد يحفظوه في ثلاجة لإستقدام جثته من خارج البلاد .. أو حتي قد يحنطوه شهوراً .. فكيف سيتم حسابه أو عذابه في قبره ..

- وأخيراً كيف يسمع من في القبر ؛ وكيف التوفيق بين قول الله تعالي في كتابه العزيز ﴿ إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ ٢٣ / فاطر وقول رسول الله ﷺ ، ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون ، وذلك عندما إطلع النبي عليه الصلاة والسلام علي أهل القليب فقال : وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له (لرسول الله) : أتدعو أمواتا فقال ، ما أنتم باسمع منهم ولكن لا يجيبون ، ويخلص المشككون بعد أسئلتهم هذي لنفي عذاب القبر .. طالبين بتحد مشبوب الأجابة علي أسئلتهم..!!

(عذاب القبر حق أم كذب) ..؟!

قبل الإجابة علي هذه الأسئلة السبع .. نشرع في تفسير بعضا من آيات الله الكريم لنعرف منها أولاً .. أيوجد في القبر عذاب .. أم لا .. فإن عرفنا أجبنا .. فلا يمكن أن نجيب عن الفرع قبل أن نتأكد من الأصل .. من آيات الله الكريم ..

١ - ﴿ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلي عذاب عظيم ﴾ ١٠١ / التوبة دعنا نرفع أيدينا أولا .. حتي نسوق تفسير الأمامين الجليلين (جلال الدين محمد بن أحمد المحلي - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي) ويسمي تفسير الجلالين نسبة إلي أن كلا منهما يكني بجلال ولكني أراهما جليلين أي عظيمين فيقول تفسيرهما ص ١٦٥ (نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين) بالفضيحة أو القتل في الدنيا (وهذه مرة - المؤلف) وعذاب القبر (وهذه المرة الثانية - المؤلف) ثم يردون في الآخرة إلي عذاب عظيم ؛ هو النار ..

٢ - من القرآن الكريم - جزء (١١) فما السبيل وتفسيره للأستاذ الدكتور / عبدالفتاح إسماعيل شلبي

والأستاذ الدكتور / سعد إسماعيل شلبي ـ الناشر / دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ص ١٢ النص الثاني/ (سنعذبهم مرتين) قيل المراد بالمرتين ، عذاب الدنيا بالقتل والسبي ، وعذاب الآخرة (ثم يردون إلي عذاب عظيم) ومن قال إن العذاب في المرة الثانية هو عذاب الآخرة قال معني قوله : (ثم يردون إلي عذاب عظيم) أنهم يردون بعد عذابهم في النار كسائر الكفار إلي الدرك الأسفل منها ، أو أنهم يعذبون في النار عذاباً خاصاً بهم دون سائر الكفار ، ثم يردون بعد ذلك إلي العذاب الشامل لهم ولسائر الكفار ..

٣ ـ وتفسير الآية (من شرح الشبرخيتي والقسطلاني وحاشية السندي) فيقول ص ١٦٣ (الجزء الأول) من هامش صحيح البخاري : قوله ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ كأن المراد بذلك مرتين كل يوم غدوا وعشيا كما ذكر في عذاب آل فرعون ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ فهذا إشارة إلي عذاب القبر (ثم يردون) إشارة إلي عذاب القيامة والمراد به العذاب المستمر العظيم كيفية / لشدته ؛ وكمية / لدوامه ، فتكون هذه الآية من أدلة إثبات عذاب القبر وفيها دلالة علي أن عذاب القبر غير مستمر كعذاب القيامة بل يكون مرتين كل يوم وهذا الذي ذكرنا هو الأوفق بالتوفيق بين هذه الآية وبين آية (النار يعرضون عليها) وقوله (النار يعرضون عليها في الحديث : يعرض عليه مقعده فلابد من إعتبار القلب في أحد الموضعين والظاهر أن القلب في الآية لإفادة أنهم يجرون إلي النار حتي كأنهم يعرضون علي النار ؛ قوله (نزلت في عذاب القبر) أي في سؤاله المؤدي إلي عذابه أحيانا .. قوله (أتدعو أمواتا) أي تخاطبهم ؛ ولا يخفي أن سماع الأموات يقتضي حصول نوع من الحياة له في القبر ، وبه يصح تعلق العذاب بالميت فلذلك ذكر هذا الحديث لبيان إمكان العذاب ، وهل يعارض ذلك قوله تعالي ﴿ لا يذوقون الموت إلا الموتة الأولي ﴾ ..

يقول (أبو عثمان الحداد) لا ، كما لا يعارض ما ثبت بالنص في حياة الشهداء وقال (إبن المنير) إذا ثبت حياتهم ، لزم أن يثبت موتهم بعد هذه الحياة ليجتمع الخلق كلهم في الموت عند قوله تعالي ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ويلزم تعدد الموت ، وقد قال تعالي ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي ﴾ والجواب الواضح عندي (تعود علي حاشية السندي) أن قوله تعالي ﴿ لا يذوقون فيها الموت ﴾ أي ألم الموت فيكون الموت الذي يعقب الحياة الأخروية ، بعد الموت الأول ، لا يذاق ألمه ، ويجوز ذلك في حكم التقدير بلا إشكال أو يقال ما وضعت العرب إسم الموت إلا للمؤلم علي ما فهموه لا باعتبار كونه ضد الحياة [وما زالت كلمة الموت دارجة في أفواه المصريين بهذا المعني .. فيقال .. حر موت ـ إمتحان موت ـ بل لقد سمعنا أحد الجنود العرب الذين قدموا لمساعدتنا في حرب ١٩٧٣ يفر أمام هول قنابل العدو صارخا ، هادي جهنم ما حرب ، !! أي أن الشاق والعسير كالإمتحان أو الحر وغير ذلك يطلق عليه مجازاً موت .. وصاحبنا العربي ذهب لأبعد من الموت فبالغ بقوله (هادي جهنم) أي ما بعد الموت والحساب ـ المؤلف] فعلي هذا يخلق الله تعالي لتلك الحياة الثانية ضداً ، لا يسمي ذلك الضد موتا وإن كان ضداً للحياة جمعا بين الأدلة العقلية والنقلية واللغوية .. ثم إن ثبت الموت في الآخرة سوي موت الدنيا فليجعل ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموته الأولي ﴾ عبارة عن ذلك الموت لا عن موت الدنيا بناء علي أن الأصل في الاستثناء هو الإتصال لا الانقطاع ونجعل ضمير فيها للآخرة أو للجنة بناء علي أن الصالحين كأنهم بعد موت الدنيا في الجنة ، وحينئذ لا يظهر الإشكال أصلاً ، بل يظهر وجه الإتصال في الاستثناء ونخلص علي مؤنة حمله علي الإنقطاع فأفهمه قوله (يهود تعذب) الظاهر أنه أخبار عن أصحاب الصوت بأنهم يهود لا أخبار عن اليهود بأنهم يعذبون فالأقرب أن يعتبر يهود خبراً مبتدأ محذوف ، وأيضا يهود نكرة ، ولهذا تدخلها اللام فنقول اليهود والله أعلم .. إنتهي المنقول من حاشية (السندي) ..

المؤلف يثبت أنه لا يوجد عذاب في القبر

٤ ـ ونرد علي السائلين (المؤلف) فنقول .. لابد لنا أن نعترف ابتداء أنه لا يشق علي الله شيء ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾ .. وعن أسئلة السائل عما بدا له من خلاف بين قوله تعالي ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ وقول رسوله الكريم ، ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون ، هذا من ناحية ومن ناحية أخري قوله تعالي ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي ﴾ وقوله تعالي ﴿ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلي عذاب عظيم﴾ نحيل للتوفيق بين هذه وتلك .. ما أوضحناه في البند السابق من حاشية السندي .. ونؤكد مبسطين بما جاء في قوله تعالي ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .... ﴾ ٢٧ / ابراهيم القول الثابت تعني كلمة التوحيد : أشهد أن لا إله إلا الله (في الحياة الدنيا والآخرة) أي عندما يأتي الميت الملكان (منكر ونكير) يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فيجيبوا الاتقياء الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبي وابراهيم الخليل أبي وأنا عشت ومت علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أما الأشقياء فيتلعثموا . كما في حديث الشيخين وقوله تعالي ﴿ إذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ ٩٣ / الأنعام الخطاب لرسول الله والمعني ولو تري يا محمد إذ الظالمون الذين يدعون النبوة ويقولون أوحي الينا والذين يكذبون بآيات الله والمستهزءون بها .. ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ اليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا وهم في سكرات الموت بين الموت والحياة ﴿ أخرجوا الينا من غلالة الجسد المحبوسين فيه لنريكم اليوم عذابا مهيناً (عذاب الهون) .. وتلك إشارة أخري عن عذاب القبر .. والمفهوم منها (مفهوم المؤلف) أن القبر الذي نعرفه هو القبر الذي يدفن فيه .. وفي مختار الصحاح (القبر) واحد القبور .. فإذا كان الجسد المسجي يقبر في المقبره فإن قبر الروح عند علام الغيوب .. وتلك هي التي تحاسب .. ودليلنا علي ذلك أن ﴿ إذ الظالمون في غمرات الموت ﴾ .. والملائكة ينتظرونهم .. أخرجوا الينا ، أخرجوا أنفسكم الينا لتلقون عذاب الهون ، جزاء لما إقترفتم .. فعذاب القبر .. هو عذاب الأرواح الشريرة التي كانت تستعبد الجسد البالي الذي لا قيمة له في أفعال الشر ودليلنا علي ذلك أن الجسد لا يتألم ولا يتعذب .. فالجسد يحترق والروح التي تتألم .. والدليل أن جسد بلا روح جسد بلا ألم .. ودليل آخر أن الروح هي التي تتألم .. أنها قد تخاف الإعتراف عما إقترفته من آثام .. فتتقدم الأعضاء اليد والأرجل واللسان والعين .... الخ تشهد بالآثام .. لأنها مجرد وعاء للروح لا حس فيه .. فالحس والألم أو السعادة والنشوة للروح والنفس .. ﴿ يوم تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ ٢٤ / النور ﴿ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ ٦٥ يس فالأعضاء بدون النفس لا تذنب ؛ ولكن النفس بدون الاعضاء قد تذنب إن نظرت إلي معصية .. فالجسد لم يعص .. ولكن النفس أمارة بالسوء ، وهذا يقرب لنا أكثر عذاب القبر : والرأي لنا أنه عذاب للنفس والروح في قبورها ـ وهذا التصور ليس من خيالنا المحض فقط ـ فلابد لما نراه من إثبات وإلا هدمت نظريتنا تماما ومصدر قناعتنا لما فكرنا فيه .. جاء من تأملنا للآية الكريمة ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ﴾ ٤٦ / غافر .. والواضح في الآية الكريمة أن آل فرعون يعرضون علي النار .. وليست النار التي تعرض عليهم .. وآل فرعون وحتي تقوم الساعة أجسادهم في قبورها إندثرت ولا تمس كما أن الله تعالي قال ﴿ لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي ﴾ فالروح تعرض علي النار وليست النار ـ عقلاً ـ تعرض علي أجسادهم ومن الموروث المتوارث أننا نتلو الفاتحة علي أرواح شهدائنا أو أمواتنا أو المسلمين كافة .. في قبورهم بالأرض ولم نسمع أحداً قرأ الفاتحة علي جسد الميت .. وهذا يضيف لنا عنصر إثبات جديد أن الروح والنفس هي التي تعذب في قبورها عند علام الغيوب وكذلك ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلي ربك راضية مرضية فإدخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ ٢٧ الفجر وقد فسر الإماميين الجليلين بأن ذلك يقال لها عند الموت .. أو عند قيام القيامة .. فالخطاب للنفس وليس لغلالة الجسد ..

.. والنفس هي الروح أو هي الروح والجسد معا .. ولكنها ابداً لا تطلق علي الجسد وحده وعلي ذلك لا يمكن ـ عقلا ـ حساب الجسد أو عذاب الجسد بدون روح .. وهذا ما لم يقله أحد أو يدعيه .. وعن عذاب

الجسد والروح معا في القبر الملموس في الدنيا غير مقبول عقلا .. حيث تواترت الأحاديث علي عدم قبول دخول الملائكة للأماكن العفنة أو النجسة أو دورات المياة .. وبالتالي فلا يمكن القبول بدخولهم القبور بالأرض التي تحوي العفن مختلطا بالديدان (والرمة) والبراز والأجساد النتنة .. وما إلي ذلك .. كما أنه يحرم علينا أن ندخل بكتاب الله إلي الأماكن الغير طاهرة .. أو حتي يمسه غير المطهرين ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ٧٩ / الواقعة وفي هذا فقد كتب الأستاذ عبد الرزاق نوفل كتابه القيم (الطريق إلي الله) ساق فيه كثير من الأختراعات الحديثة وبالاسماء ساق نماذج عديدة أجريت عليها تجارب وكلها لإناس ساعة إحتضارهم ـ أي قبل وفاتهم مباشرة في العديد من المستشفيات إستمر تصويرهم (بكاميرات) خاصة مزودة بإشعة فوق البنفسجية وأخري تحت الحمراء وبهذه الآلات المعقدة اليكترونيا إستطاع أن يصور لحظات إحتضار هؤلاء حتي خروج الروح ووجد أن هناك مخروطا ضوئيا فوق وجوه هؤلاء الموتي حديثا وتباينت تلك الأقماع في الحجم والإرتفاع واللون فمنها وجد الصغير والكبير .. والأبيض والأسود وألوان متفرقة كلها كانت قاعدة المخروط فيها وجه المتوفي لحظة وفاته وقمته مرتفعة عن وجهه إما قليلا وإما كثيراً .. واختفت عقب الوفاة بلحظات .. وباستعراض تاريخ حياة هؤلاء المتوفيين وأعمالهم .. وجد أن المخروط الأبيض أو المائل للبياض كان لإناس طيبين في حياتهم .. صادقين .. أوفياء متدينين .. ووجد أعمال أصحاب الأقماع المخروطية الداكنة أو المائلة للسواد كانت أعمالاً شريرة .. وتفاوتت الأعمال ما بين الخير والشر في باقي الألوان ووفقا لدرجة مساوئهم تكون مائلة للبني والداكنة .. وكلما اقتربت أعمالهم للصلاح كانت المخاريط صفراء وفاتحة ومائلة للبياض وهكذا بالنسبة للأحجام .. واستخلص من ذلك قول الله تعالي ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ ١٠٦ آل / عمران ..

.. وأن كان هذا الكتاب قد لاقي استحسانا من جمهور العلماء .. إلا أنه قد سبب خلافاً بين أئمة الأزهر الشريف .. وعلي أي الأحوال .. وبصرف النظر عن الحوادث الموثقة بالمكان والزمان والأسماء والمستندات التي وردت فيه تؤكد كل حادث ساقه علي حدة .. فإننا ومن كتاب الله وحده وسنة نبيه يمكننا إثبات ادعاءنا .. بأن عذاب القبر للروح .. فإن كان الجسد قبره الأرض .. فالروح قبرها من أمر الله .. ولكن يميل كثير من علماء الأنثربيولوجيا .. أن الروح تحوم فوق جسد صاحبها فترة بعد الوفاة يحددها البعض بضع ساعات وآخرين ببضع يوم.. ويري غيرهم ثلاثة أيام .. أو أربعين يوماً .. وفي ذلك اختلاف .. ومع صدق هذه الروايات أو غير ذلك ..إلا أننا نتثبت بقول الله تعالي : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ١٦٩ / آل عمران ودليلنا هنا أن الشهيد نضع بأنفسنا جثمانه في قبره ، بل ونشاهد عظامه ونحن ننقلها من مقابر الشهداء في الجبهة ونسلمها لذويه بعد خمس سنين ليضموها لقبورهم في بلادهم مع ذويهم ، فالحياة إذن للروح والنفس الخاصة بهذا الجثمان الذي هو في الأرض بالضرورة.. ولم يثبت أن رفع للسماء العلا جسداً سوي جسد عيسي ابن مريم ، ..﴿ بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيماً ﴾ ١٥٨ / النساء .. فالروح والنفس إما في نعيم مقيم وحتي قيام الساعة.. وإما في عذاب مهين .. وحتي قيام الساعة وإما بين بين .. لاهي في النعيم .. ولا هي في العذاب.. وهؤلاء أهل الأعراف .. الذين منهم الذي تتساوي حسناته مع سيئاته .. وهو الذي جاهد في الله حق جهادته .. وعصي والديه بالخروج للجهاد وتركهما في حاجة اليه.. فهو لا يدخل النار لجهاده في سبيل الله ولا يدخل الجنة لعصيانه وعقوقه لوالديه .. ﴿ وعلي الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ ٤٦ / الأعراف ويقال الأعراف جبل فيه ثمر وفاكهة بين الجنة والنار ..

.. ومبلغ فهمي .. أن عذاب القبر ـ كما أفهمه ـ للنفس في قبرها وليس للجسد في قبره ودليلنا أن عذاب الآخرة أشد .. حيث تحبس النفس في الجسد مرة أخري .. وتعذب في النار بغلالة الجسد التي هي محبوسة فيه ومحدودة الحركة داخله .. فيكون عذابها أشد هولاً .. أما عذاب النفس دون الجسد (عذاب القبر) فتكون الروح أو النفس طليقة من جسد يحدها وبالتالي يكون عذابها أخف وطأة وهي طليقة في الفضاء اللانهائي

من عذابها وهي في جسد محدود .. ونمثل للتقريب للأذهان بالمثال الأسطوري الخاص بالمارد في القمقم فعذابه في قمقمه أشد من عذابه بعد خروجه من القمقم ..

أن من الناقلين لتفسير السلف للقرآن الكريم في محاولة منهم للتبسيط في كتب يكتبونها لنشرها علي الناس من يقفز فوق تفسير « عذاب القبر » فيتجاوزه ولا يلتفت إليه في الآيات التي تشير اليه .. إما حتي لا يصطدم باشكاليات عبارت الخطاب الديني الموضحة في الاسئلة السبع السابقة .. وإما لأنه لم يقتنع بأن في القبر عذاب فتجاوز العرض أو التعريض تقية منه حتي يأمن محاسبته من لدن الجبار ذو العرش المتين رب العالمين إن هو تعرض بالتعريض لهذه التفسيرات .. وأعمل فيها قلمه بالنقد والتشكيك فضلا عن خشيته ـ إن فعل ذلك من تحسب هياج مشيخه الأزهر عليه وبعضا من الذين وقر في نفوسهم صحة « عذاب القبر » .. نتيجة ميراث موروث ورثوه عن آبائهم وأجدادهم وعلموه لصغارهم بأن « عذاب القبر » داخل قبر الإنسان.. فأصبح من الصعب إثارة هذه المعتقدات الراسخة بالتشكيك فيها وفي صحة ما اعتقدوه ..

فآثروا السلامة وقفزوا عليها غير متعرضين لا لكونيتها ولا حتي تعرضوا للحديث عنها فلم ينفوها ولا هم أقروها ..

ومن أسف .. أن بعضا من الاساتذة المصريين .. آثروا عدم الحديث عن « عذاب القبر » لسبب أو الآخر في مؤلفاتهم التي تعرضوا فيها لتفسير أي القرآن الكريم .. وإن كان عدم تصديهم لهذه الإشكالية ـ بموقفهم السلبي الذي آثروا السلامة فيه .. قد دفع رهطا من أعداء الإسلام .. للخوض فيه بالانكار .. في محاولة خبيثة منهم لهدم فاعلية آيات وأحاديث شريفة .. في مقدمة منهم لمحاولة هدم أو إنكار الآيات نفسها .. وهذه مقدمة ـ لهدم أركان الإسلام .. وتلك مقدمة للإجهاز علي الإسلام كله كدين في النهاية ..

.. ومبلغ أسفي أن ممن إنتهج نهج الصمت هذا ـ حيال إشكالية عذاب القبر ـ بعضا من الاساتذة الأفاضل الذين عشت حياتي أجلهم وأحترمهم وسأظل كذلك وحسبي أن هذا التقدير الذي حفظته لهم لا مفر منه اليوم بعد تجاوزي لسن الكهولة التي أحياها .. .. ولعلي هنا ألحق بصمتهم فأتكلم .. فأنا منهم وهم مني .. فإن جاز للإبن أن يحج لأبيه الذي فاته العمر وفاتته الحياة ووافته المنية قبل أن يلحق بأداء هذه الفريضة .. فليجز للإبن أيضا .. أن يصحح صمتاً وقع فيه بعض أهله ، هذا وربما هدانا الله لما نحن فيه شفقة منه عليهم.. فإن كان حفظ القرآن (فرض كفاية) أي يكفي حفظ القرآن لواحد في الجماعة فيرفع الوزر عن باقي الجماعات فإن من الأيسر والأسهل أن يكون تفسير أي القرآن (فرض كفاية) ولعلنا هنا نكون قد رفعنا العبيء عن الراغب في إذدياد مؤنة التنطس في مسألة « عذاب القبر » بما سقناه ونسوقه غير عابئين بهجوم نتوقعه .. وبأموال قد نتكلفها .. وحسبي أن هذا الكتاب حسبة لله عز وجل ..

نذيد فنورد ما جاء للعالم الجليل سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) في تفسير الآية ﴿ ولو تري إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون ... ﴾ ٩٣. / الأنعام ص ١٤٩] مشهد حي شاخص متحرك مكروب رعيب .. مشهد الظالمين (أي المشركين) الذين يفترون علي الله الكذب ، أو يدعون أنهم أوحي اليهم إدعاء لا حقيقة له ، أو يزعمون أنهم مستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن .. مشهد هؤلاء الظالمين .. الذين لا يقاس إلي ظلمهم هذا ظلم ـ وهم في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اليهم بالعذاب ، ويطلبون أرواحهم .. والتأنيب يجبه وجوههم ، وقد تركوا كل شيء وراءهم وضل عنهم شركاؤهم ..

﴿ ومن أظلم ممن إفتري علي الله كذبا ﴾ أو قال : ﴿ أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ؟ ولو تري إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم **أخرجوا أنفسكم . اليوم تجزون عذاب الهون ، بما كنتم تقولون علي الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون ،**

وقدجئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نري معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء .. لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ ..

والمشهد الذي يرسمه السياق في جزاء هؤلاء الظالمين (أي المشركين) مشهد مفزع مرعب مكروب مرهوب .. الظالمون في غمرات الموت وسكراته ، ولفظ غمرات يلقي ظله المكروب ـ [والملائكة **يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب ، وهم يطلبون أرواحهم للخروج وهم يتابعونهم بالتأنيب**]
أنتهي الجانب المنقول من تفسير سيد قطب ..

من هنا إستخلصنا عذاب القبر .. قبر النفس الظالمة .. وليس قبر جسدها البالي .. وقبر الجسد فور خروج الروح .. وقبر النفس فور خروجها من الجسد .. فلتكن مكرمة أو مهانة ـ حتي يوم البعث ـ بفعلها وأعمالها في الدنيا .. ونكون ههنا .. وفينا السائل جوابه في أسئلته السبعة .. فلن يتحكم أهل الميت في توقيت حسابه في القبر بالتحكم في توقيت دفنه ، ولن يمنع الموت غرقا أو انفجاراً أو أكل السباع لجثة الميت من حساب القبر فالعذاب للنفس الشريرة وليس للجثة البالية .. أما من يدعي أن الحساب والعذاب تخصص الله يوم القيامة ولا شأن لمنكر ونكير .. أو غيرهما ـ فالجواب .. هنا لا يحتاج لمراجع نفحمه بها ولكن من حياتنا وواقعنا نقرب المسألة .. فأنت تقول .. بنيت قصراً .. أو أجريت عملية جراحية في حين أن الذي بني القصر البناءون .. والذي أجري الجراحة الأطباء .. ولكن هذه أو تلك تمت بارادتك ومشيئتك الحرة الطليقة من كل قيد وهكذا يكون عذاب القبر أو السؤال المؤنب الساخر الذي يتم في القبر (قبر النفس) للبحث عن من ربه .. ومن نبيه .. و ..... الخ ولنضرب المثال التالي للجواب عن لماذا هذه الاسئلة وهل لا يعرف الله تعالي أن المشرك يجحدها .. فلماذا يسألها له في قبره ؟ نجيب بالمثال التالي : فالأب ـ وهو رب البيت ـ عندما يوبخ ولده العاق أو يضربه .. لا يكون الصمت مطبق وهو يضربه إذ يقتضي الحال أن يزجره بالمئول وهو يضربه ـ فلم نري أحداً يضرب ولده ولا صوت بينهما سوي فرقعة السوط فلابد من تأنيبه لولده .. الذي لا يحر جوابا ويتلعثم ان كان مذنباً أو يطلب إمهاله حتي لا يكرر فعلته المعيبة فيقول الأب وهو يضرب ولده مثلاً جئت من مدرستك في الميعاد ويكون الولد يعاقب لأنه تأخر عن الموعد المحدد فلا يحر جوابا أو يطلب العفو عنه ويتعهد بأن لايفعل ذلك مرة أخري .. والله رب الأرباب .. ولتقريب المفهوم للناس .. يعذب المشرك وهو يسئل ؛ من ربك ؛ وكان أنكره ؛ من نبيك ؛ وكان سخر منه ؛ ما دينك ؛ وكان مرد عنه .. فلا يحر المشرك جوابا كشأن الولد في مثالنا السابق يطلب إمهاله وعودته للحياة ليؤمن بكل ذلك ويتوب فيقول ﴿ رب لولا أخرتني إلي أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ ١٠/ المنافقون أي آخر مرة .. لن أكفر مرة أخري إن أنت إمهلتني أحيا مرة أخري يا ربي .. ولكن هيهات هيهات .. فقد إنتهت حياته وإنتهت الفرصة التي كانت متاحة أمامه ولم ينتهزها فيعمل عملاً صالحا ..

.. وإذا كان هذا الحوار أو ذاك لتقريب المسألة للوجدان ؛ أما كيف يتم علي وجه الدقة .. فالعلم عند علام الغيوب .. ولكن علينا أن نؤمن (بعذاب القبر) فذلك معلوم من الدين بالضرورة أما كيف يتم ؟؟ فدقة الكيفية فى علم الخالق .. وقديما قالوا .. نصف الفطنة تغافل .. فمن الفطنة عدم الخوض فيما ليس لنا فيه علم عن كيفية الغيبيات .. إلا ما ظهر منها .. وما أمثلتنا إلا لتأكيد الإيمان بها وليس ليقين كنيتها علي حقيقة كيفيتها وللدلالة علي وجود (عذاب القبر) في قبور الأرواح عند علام الغيوب وليس في القبر الأرضي .. ونورد ماكتبه الإمام النسفي في تفسير القرآن الجليل عن الآية ﴿ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلي عذاب عظيم﴾ فقال ص ٦٧٨ عن العذاب مرتين (هما القتل وعذاب القبر ، أو الفضيحة وعذاب القبر ، أو أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم) .. ويقول الألوسي البغدادي في تفسير ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ..

[أخرج إبن أبي شيبة . وهناد . وعبد بن حميد . عن هزيل بن شرحبيل أن أرواح آل فرعون في أجواف طير أسود تغدو وتروح علي النار فذلك عرضها] .. وإن صح ذلك .. صح رأينا أن الأرواح مقبورة .. وقبرها هنا أجواف طير أسود .. وبهذا فعذاب القبر للنفس والروح وليس في القبر المعروف الذي يتحول مع السنين إلي أديم للأرض يزرع وينبت وتسير عليه الدابة .. وتقام عليه الأبنية .. المؤلف ..

ويستطرد تفسير الألوسي في الجزء ٢٣ / ٢٤ من أجزاء تفسيره العريض فيقول في طبعته الرابعة لعام ١٩٨٥ [وأخرج عبد الرازق .. وابن حاتم عن ابن مسعود نحو ذلك وهذه الطير ؛ صور تخلق لهم من صور أعمالهم ،وقيل ذاك من باب التمثيل وليس بذاك ، وذكر الوقتين ظاهر في التخصيص بمعني أنهم يعرضون علي النار صباحاً مرة ومساء مرة أخري أي فيما هو صباح ومساء بالنسبة الينا ، ويشهد له ما أخرجه إبن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان ، وغيرهما عن أبي هريرة أنه كان له صرختان في كل يوم غدوة وعشية كان يقول أول النهار (ذهب الليل وجاء النهار وعرض آل فرعون علي النار) ويقول أول الليل (ذهب النهار وجاء الليل وعرض آل فرعون علي النار) فلا يسمع أحد صوته إلا استعاذ بالله تعالي من النار ، والفصل بين الوقتين ، أما بترك العذاب أو بتعذيبهم بنوع آخر غير النهار .... وأيا ما كان ففي الآية دليل ظاهر علي بقاء النفس وعذاب البرزخ] ..

وفي الصحيحين .. وغيرهما قول رسول الله [إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة .. وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتي يبعثك الله تعالي ، ومفهوم طبعا أن الخطاب للنفس والروح وليست للجسد المسجي في قبره ..

أخرج ابن أبي حاتم . والطبراني في الأوسط .. وغيرهما أيضا أخرج . عن إبن عباس قال [قام رسول الله ﷺ يوم جمعة خطيباً فقال : قم يا فلان فأخرج فإنك منافق ، أخرج يا فلان فإنك منافق .. فأخرجهم بأسمائهم ففضحهم . ولم يكن عمر بن الخطاب شهد تلك الجمعة لحاجة كانت له ؛ فلقيهم وهم يخرجون من المسجد ؛ فاختبأ منهم إستحياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد إنصرفوا ؛ واختبأوا هم منه وظنوا أنه قد علم بأمرهم ، فدخل المسجد ، فإذا الناس لم ينصرفوا فقال رجل ، أبشر يا عمر فقد فضح الله تعالي المنافقين اليوم ، فهذا العذاب الأول ، والعذاب الثاني عذاب القبر ، رويت في تفسير (سنعذبهم مرتين) ..

وعن الحسن ، أن العذاب الأول أخذ الزكاة والثاني عذاب القبر ، وعن بن إسحق أن الأول غيظهم من أهل الإسلام والثاني عذاب القبر ..

وفي صحيح أبي عبد الله البخاري قال لرسول الله ﷺ ، إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ ٢٧ / ابراهيم ..

وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقال ، نعم عذاب القبر ، وقالت ما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلاة إلا (تعوذ من عذاب القبر) ..

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة ، ..

وعن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال ، إن العبد إذا وضع في قبره وتولي عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلي مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعا وأما المنافق والكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمضارب من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه من الثقلين ..

وعن أبي أيوب قال ، خرج رسول الله وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب في قبورها وعن إبنة خالد بن سعيد بن العاص إنها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر ؛ وعن أبي هريرة قال ، كان رسول الله ﷺ يدعو ، اللهم أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ، .. وفي كل ذلك فلا بأس من أن يكون القبر .. قبر النفس .. وليس قبر الجسد وقالوا في قوله تعالي ﴿ وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ﴾ هو عذاب القبر لأن الله ذكره عقب قوله ﴿ فذرهم حتي يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ وهذا هو اليوم الآخر من أيام الدنيا فدل علي أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر ..

وقال إبن عباس في قوله تعالي ﴿ ألهاكم التكاثر حتي زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ﴾ ما ينزل بكم من العذاب في القبر (ثم كلا سوف تعلمون) في الآخرة إذا حل بكم العذاب ، فالأول في القبر والثاني في الآخرة ،وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، كنا نشك في عذاب القبر حتي نزلت هذه السورة وقوله ﴿ ولو تري إذ يتوفي الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ ٥٠ / الانفال وقال أبو هريرة في قوله (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) المعيشة الضنك للكافر في القبر ، وأيده (أبو سعيد الخدري) و (عبد الله بن مسعود) ..

وقد صحت الأخبار عن النبي ﷺ في عذاب القبر علي الجملة ، فلا مطعن عليها ولا معارض لها .. وإن كان كل ما روي من الأثر لم ينفي أن يكون عذاب القبر ـ هو عذاب الروح في قبورها عند علام الغيوب وليس قبر الجسد الفاني .. وخلاف السلف في الشرح هو الذي في رأينا ـ محل نظر ـ أما ما جاء في القرآن الكريم وما روته الثقاة عن رسول الله فهو محل إيماننا المطلق ولا ريب .. ولم ينفي رسول الله ﷺ أن يكون عذاب القبر للأرواح في قبورها .. ولم يفهم من إجابته عمن سألوه أي نفي عن أن تكون الأرواح في قبورها عند علام الغيوب هي التي تعذب .. وليس قبر غلالة الجسد الفانية التي تتعرض للعفن والنتن والتحلل .. والله تعالي أعلم ..

وعلي هذا النحو أو غيره من الأنحاء فأننا نري ـ المؤلف ـ أن الإيمان بهذه الغيبيات من عناصر الإيمان سواء عذاب القبر أو الحسد أو الجن أو الملائكة أو الجنة أو النار أو الشياطين .. فالمهم الإيمان بوجودهم كمخلوقات خلقها الله وإن بحث باحث ما عن صورتها ـ وكيف تكون .. فذلك مرفوع عنه التكليف بذلك .. لكنه إن فعل فهو يؤكد علي عدم إنكاره لهذه المخلوقات .. فالإنكار هو الجحود بالغاء الإيمان بما أنزل الله .. ولكن أن تبسط للناس فلا بأس .. حتي وإن جانبك الصواب في تبسيطك .. فهذا لا ينفي إيمانك بهذه الغيبيات ..

ولتفسير إشكالية سماع رسول الله ﷺ للكفار وهي تعذب في قبورها وقوله (ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون) عندما سأله الناس أتخاطب الموتي ، فالمعلوم أن رسول الله ﷺ كان يسمع جبريل الأمين وحده .. فلا بأس من أن يسمع عذاب أرواح الكفار في قبورها عند علام الغيوب .. ولابأس من أن يسمع فرحة أرواح الشهداء في النعيم فهو الذي عرج صعوداً وشاهد الجنة والنار وجلس مع الأنبياء والرسل في الإسراء والمعراج .. ولا أحد غيره .. والله أعلم ..

ماذا من أمر الجن والشياطين

يقول النص ، قل أوحي إلي أنه إستمع نفر من الجن ، .. ، وجعلناها رجوما للشياطين ، .. وفي تفسير جزء تبارك أورد المفسر عبد القادر المغربي النص التالي : [إن الرجوم واحدها الرجم ، مصدر رجم ، وهو أن يتكلم المرء بالظن والتخمين ، ومنه قوله تعالي ، رجما بالغيب ، فالرجوم بمعني الظنون ، أما الشياطين ، فهم شياطين الأنس ، أعني المنجمين الذين اتخذوا من النظر فى السماء وفى نجومها والتكهن عن أمور المستقبل بما يبدو لهم من طوالعها ، صناعة ، لحمتها الرجم ، وسداها الوهم ، فالله تعالى يقول : إنه خلق النجوم فكانت زينة للسماء ، أما الشياطين من الكهان فقد أتخذوها وسائل للتنجيم وإضلال الناس . فلا بدع إذا أعدت لهم النار يصلون سعيرها . ومعنى كونه تعالى جعلها ظنونا للمنجمين ، أن ذلك كان من نتائج خلق النجوم ، وقد حصل بارادته ، لأنه تعالى شرعه ورضى به كما رضى بأن تكون النجوم زينة ومصابيح للسماء] .

(نفر من الجن) التفسير من نفس المصدر السابق

[.. إن أولئك النفر طائفة من نصارى نصيبين ، وفدوا عليه (ﷺ) كماوفد عليه نصارى «نجران» وأنهم جاءوه مجتنين مستخفين متنكرين لبعض الأسباب فلم يحبوا أن يعلن أمرهم أو يراهم أحد من الناس ، وبذلك أمكنهم أن يسمعوا قرآنه ويعقلوا دعوته . أوهم نفر من التجار والأفاقين : قصدوا سوق عكاظ وشهود موسمه ، فمروا به ﷺ وهو يصلى ، فأصغوا إليه يتلو القرآن من حيث لايشعر بهم ، فلما رجعوا إلى بلدهم أخبروا قومهم بخبره ، وعجيب أمره ، ومعجز قرآنه ، فسماهم الوحى «جنا» لهذا السبب؛ أخرج الإمام الشافعى فى مسنده ، إذا أدركتم الصلاة فى أعطاف الأبل فاخرجوا منها فصلوا ، فانها «جن خلقت من جن » ، «ألا ترونها إذا نفرت كيف تشمخ بأنفها ، وفى رواية أحمد بن حنبل ، ألاترون إلى عيونها وهيأتها إذا نفرت ،] انتهى .

وعلى ما سبق يكون التفسير هو أن الشيطان هو المنجم .. والجن هم المتخفيين؛ ألا تسمع (حتى إذا جن الليل وأرخى سدوله) أو أن الشياطين تسكن الابل . وإن كنت – مؤلف هذا الكتاب – أتفق مع القائلين بأن تفسير «الجن» هكذا؛ بأنه الأبل أو العرافين أو المتخفيين تعريف عطن إذ كيف يكون ، الجن ، هو هؤلاء أو أولئك فى حين ترد الآية الكريمة فتقول ، وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا» وعنهم أيضا قولهم ، وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ، . إلا إن التفسير – الذى أؤمن به – هو أن ، الجن ، من غيبيات الله كالملائكة والشياطين وكانت تسترق السمع قبل المبعث ولكن بعد رسالة سيدنا محمد فمن يحاول أن يسترق السمع منهم يجد له شهابا رصداً ، وأشهد أن إيماني بذلك هو إيمان إذعان والله أعلم.. ولكن ، ومن نافلة القول .. أن الفقهاء فى إختلافهم فى تفاسيرهم فى القرآن يدفعنا – والأمر كذلك – للحيطة منهم أن يتولوا أمر هذا البلد ويحكموا مصر فأتصورها ستتحول إلى مجزرة منهم لأنفسهم كل فريق يؤمن بتفسير يختلف عن فريق آخر .. سيتهمون بعضهم بعضا بالكفر .. كل من وجهة نظره ... وما أكثر المختلفين .

هل يتولى الإسلاميون الحكم ؟

ويكفى أن نحاط علماً فضلا عن إختلاف المذاهب إلى أربعة رئيسية (الحنفية نسبة إلى الإمام أبى حنيفة النعمان – والشافعية . نسبة إلى الإمام محمد بن أدريس الشافعى – والمالكية نسبة إلى الإمام مالك بن أنس – والحنبلية نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل .

إلا أن الجماعة الإسلامية تفرقت إلى فرق (السنية – الشيعة – الأباضية الدروز) والشيعة تفرقت إلى فرق (الزيدية – الاثنا عشرية – الإسماعيلية – العلوية – البهرة – البكتاشية) والعلوية خرج منها امامية (معتدلين) وعلوية غلاة فأما الغلاة فقد عبدوا عليا ورأوا فيه إبنا لله . واعتقدوا أن الرسالة أخطأته ونزلت على محمد؛ والمعتدلين قالوا كان علياً أولى بالرسالة لم يزيدوا وبين المعتدلين والغلاة فرق شتى .. منهم من

شكك فى براءة السيدة عائشة فى حديث الإفك .. ومنهم من رفض الإيمان ببرائتها وقال كان الرسول ﷺ يحارب واختفت مع فتاها أربعة أيام كاملة وشاهدوه ينيخ راحلتها فى الصحراء فى اليوم الخامس لغيابها .. ومنهم من قال مات عنها الرسول وهى ابنة التاسعة عشر ربيعا وكان هو شيخا كبيراً ـ حيث مات فى سن الثالثة والستين ـ فى محاولة للتشكيك فى شرف ابنة أبى بكر الصديق . ومنهم من يقول أن عثمان حذف من القرآن أيات نزلت لعلى .. ومنهم من قال لقد رفض (على) أن يصدق على قرآن عثمان .. لهذا السبب .. ومنهم من قال (لذلك هو قرآن عثمان !!) وليس قرآن رب العالمين..

وللإسلام مداخل : المدخل الصوفى والمدخل السلفى (الأصولى) .. فأما المدخل الصوفى فقد اهتم بتطهير الباطن ومجاهدة النفس وتحصيل المقامات واهتم بالتوبة والإخلاص والصدق والصبر والشكر والمراقبة والحساب والتقوى والورع .. وتركت الظاهر لأهل الظاهر وقالوا : « نحن عمدتنا القلب وغايتنا اللب وليس القشر» . وأما المدخل السلفى (الأصولى) ومن تفريعاته (الظاهرية) فقد طبقوا الشريعة فى صرامة .. دون جهد الفهم أو التعمق فى مقاصد الشريعة الغراء .. واهتموا بالشكليات (لحاة طويلة / جلباب قصير / حجاب المرأة .. ألخ) وهناك مذاهب وفرق ومداخل شتى إسلامية وتفريعات أكثر شتاتا منهم الوهابيون والخوارج والمرجئة والأشعرية والسنوسية والمهدية والنصوصيون والمعتزلة تلك التى من فرقها الشتى الخوارج والشيعة وأهل العدل والتوحيد والوصلية والعمرية والهزلية والنظاميه والأسورية والمعمورية والثمامية والجاحظية والحايطية والخياطية والشحمية والموسية والكعبية والجبائية والبهشمية .. وغيرهم فهؤلاء جميعاً قليل من كثير.. وكل هؤلاء مسلمون ولكن شتان بين إسلام وإسلام .

فكيف بالله عليك عزيزى القارئ .. يحكمنا أيا من هؤلاء .. وبعضهم يذهب مذاهب غريبة .. وقس على ذلك مدى التصفيات الجسدية التى ستشهدها بلادنا؛ سواء فيما بينهم للصراع على الحكم أو فيما سيحدث من جزافية التطبيق للحدود ونشهد حولنا أحوال إيران والسودان و باكستان وأفغانستان وجماعاتهم الإسلامية التى لا هم لها سوى التخريب والإرهاب وأنظر إلى سفارتنا التى دمروها فى باكستان فى ١٩ نوفمبر ١٩٩٥ أو القنصلية الأمريكية فى الرياض قبلها بأيام وغير ذلك ؛ فلننظر لسلامة الحكم فى هذه البلاد وأى بقعه فيها فتن طائفية .. أيروق لأحد أن يرى بلاده كمثل هذه البلاد .. ؟!! بل وما أكثر الجهالة فى أمر قومى بالمذاهب نفسها .. بل وما أكثر الكتب التى تعج بالخزعبلات العطنة عن كنية عذاب القبر وأساطير هى الخرافة بعينها فى كتب الرصيف ، ومن أغرب ما قرأت فى كتاب تافه لايعدو ثمنه قروش قليلة من مؤلف مغمورلا أحد يسمع عنه يقول فى كتابه : أنه كانت (مغسلة) تغسل (إمرأة توفت) إشتهر عنها فى حياتها الفحشاء والزنا .. فقالت (المغسلة) فى نفسها وهي تغسل (فرج) المرأة الميتة : (كم زنى هذا الفــرج) فما إن قالت ذلك فى نفسهاوهى تضع يدها على فرج المرأة المتوفيه حتى إلتصقت يدها بفرج (الميته) !! وحاولت نزع وإستخلاص يدها من فرجها دون جدوى وإجتمـع الناس .. فمـــن قائل (إكرام الميت دفنه) وأوصوا بقطع يد (المغسلة) ومن قائل (الحى أبقى من الميت) وأوصوا بقطع جزء من فرج المرأة الميته ولما احتار القوم إستقدمـوا (مالك) الذى علـم بالأمـر فأفتى بجلد المغسلة ثمانيـن جلدة (لرميها المحصنات) لقول الله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ﴾ . فلما كانت الجلدة الثمانين إنفلتت يد المغسلة من فرج الميته !! ولشد ما أدهشنى .. أن أحد أئمة المساجد روى ذلك فى أحد المساجد الكبيرة بحى المنيرة وقصه علىّ من سمعه وهو مصدق له !! وقال إن إمام المسجد قال ولهذا السبب قيل عن مالك (لا يفتى ومالك فى المدينة) فما أكثر الجهالة فى قومى بدينهم .. فالثابت أن الإمام مالك هو صاحب القول المشهور « من قال لا أدرى فقد أفتى) كما أن الثابت أن رسول الله ﷺ قال : «لا نميمة فى فاجر» وفى قول آخر « فاسق » كما أن رسول الله ثبت عنه أنه صعد على المنبر وفضح المنافقين بالاسم ، بأن قال أخرج يا فلان فإنك منافق فى الحادثة التى أشرنا اليها

آنفا (فى تفسير أى الفاتحة) من هذا الكتاب وهذا يثبت بدليل عملى أنه ، لانميمة فى فاسق ، فان كانت الميتة ، فاجرة ، أشتهر عنها ، الزنا ، فكيف تكون ، محصنة ، إن ، المحصنة ، هى المرأة الطاهرة .. وماهى بركات (الزانية) حتى تلتصق يد (المغسلة) (بفرجها) ..!! وكيف جلدت (المغسلة) ثمانين جلدة .. ويدها (ملتصقة) وهل جلدتها إمرأة أم جلدها رجل وتفرج على (الميتة) العارية ..!! وكيف يقضى الإمام مالك بجلدها باقامة الحد عليها وهى التى رمت الميتة بالزنا فى نفسها فقط فلم تقف على تل ولم تدع الناس وتخطب فيهم؛ فالثابت أن لا أحد يحاسب على المعاصى التى تدور فى النفس ولم تظهر إلى حيز الوجود والتنفيذ بعد . أى خزعبلات هذه .. فان وردت هذه الرواية فى روايات ألف ليلة وليلة وأساطيرها لكان أهون من أن ترد فى كتاب يقال أنه عن عذاب القبر ويفقه الناس فى دينهم .. ! للأسف هو كتاب داعر لم يتق كاتبه المغمور حق الله فى دينه .. ولم يتق الأمام الذى أعلن القصة للمصلين مؤكداً لها مؤونة التنطس والتحقق فالمعروف أن الإمام مالك إشتهر عنه ، لايفتى ومالك فى المدينة ، لحجيته وعلمه الغزير وتفقهه فى الدين وحفظه للقرآن والأحاديث أكثر مما حفظ أحد فى عصره .. ولذلك قيل (لا يفتى ومالك فى المدينة) وليس لهذه القصة التى تجعل من تلك (الزانية) والتى ماتت بعد العصر النبوى بزمن بعيد شهيدة ، وولية ، وصاحبة كرامات وأخيراً (نبية) .. !! فالمحصنات (بكسر الصاد) تعنى كل أمرأة متزوجة أما (بفتح الصاد) فهى كل أنثى عفيفة طاهرة ، ورعه ، وقد وردت الآية بفتح الصاد فى المحصنات أى أن من يجلد هو من رمى العفيفة الطاهرة .. ولكن الكتاب كتب عنها أنها اشتهرت بالزنا فهى ليست كذلك؛ ومثال آخر من حياتنا المعاصرة ؛ فقد انصرف الناس الى اللهو وعزفوا عن القراءة والإطلاع؛ فقط راحوا يتساءلون .. ماذا فعل نصر أبو زيد ؟ فيجيبهم أحد اللاهين دون أن يقرأ أو يطلع ولكن ليثبت للناس أنه واسع الثقافة والاطلاع؛ ويقول لقد قال فى كتبه ، إن القرآن تأليف الله وسيناريو وحوار جبريل وإخراج محمد ، وأشهد – المؤلف – أنه لم يقل ذلك .. كما يشهد الله أنهم يفترون الكذب .. هؤلاء الذين قالوا الكذب .. هم الذين يريدون أن يحكموا .. وهم الذين يدعون الإسلام .. وهؤلاء الذين حكموا باهدار دمه .. فو الله إن قال ذلك أو كتبه لطردته القيادة السياسية من مصر كلها ولكنى – المؤلف – أشهد وبعد الإطلاع والتمحيص والتنطس فى كل ماكتب – أن له بعض الآراء المقبولة وكثير من الآراء الخاطئة لإسرافه فيها على نفسه .. وعدم درايته الكاملة بالقرآن الكريم فالقرآن فى مجموع آياته شئ غير القرآن فى آية واحدة مبتورة من سياقها أو بضع آيات نزلت فى مناسبة، أو حكم مشدد نزل فى ضرورته ، ولا يمكن فهم الإسلام إلا من خلال القران كله بمجموع آياته وماغمض فى آية توضحه آية أخرى ، وما أجمل فى آية تفصله آية ثانية ، والتشدد فى بعض أحكام القرآن لا يجئ إلا للضرورة ، أما السياق العام فهو سياق عفو ومغفرة وسماح ويسر ، ومحمد عليه الصلاة والسلام لم نعرف عنه أنه كان مجذوباً غائباً عن الوعى فى سكرة الوجد مثل مجاذيب الطرق الصوفية وإنما عرفناه يقظاً منتبهاً حاضر الذهن ، عقله مع الناس وقلبه مع ربه ؛ يعيش الواقع ويلتحم بالدنيا ومع ذلك لا يغفل عن خالقة لحظة .. ذلك هو الصراط المستقيم ﴿ هو إجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ ﴿ إتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم﴾ ﴿قل لا إله إلا الله ثم إستقم﴾. ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ .. فالقرآن هو الباب إلى النعيم ، ولا يمكن أن يكون بابا للشقاء .. فهون عليك ياولدى نصر .. فلا يمكن أن يكون القران باباً لكل هذا الخلاف والفرقة والإنقسام .. وكان الله تعالى يعلم كل هذا التناحر الذى سيحدث بين المسلمين فى فرقهم المختلفة وتفاسيرهم المتعارضة فى مذاهبهم المعاكسة فقال تعالى عن القرآن الكريم ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ومايضل به إلا الفاسقين ﴾ البقرة ٢٦ .. فلا يمكن أن يكون القرآن باباً لكل هذا الاجرام والارهاب والقساوة .. وأيضا لا يمكن أن يكون باباً للإباحية والضياع والمرود والردود .. كما أن القرآن والإسلام لا يمكن أن يكون باباً

للخزعبلات والخرافات والإيحاءات الجنسية الرخيصة فيما يتلقفة السوقة من قصص الرصيف عن الإمام مالك والسيدة التى أشتهر عنها الزنا .. ووصفتها بذلك (المغسلة) بعد موتها فالتصقت يدها بفرجها . !! ومن عجب أن ذلك يروى فى بعض المساجد الأهلية التائهة من رقابة الأوقاف والأزهر رغم خضوع أئمتهم للأوقاف . فيروى فيها للعوام قصة أخرى عن قاتل مأجور قتل فى حياته ٩٩ رجلاً وإمرأه بالأجر وأراد التوبة فذهب لشيخ عارف بالله فقال له الشيخ : خذ (نبوتك) الذى كنت تقتل به ونم على التل فى المقابر فإن أصبح الصباح ورأيت (النبوت أخضر .. !! وزرع!! فقد قبل الله توبتك) فذهب الرجل بالليل للمقابر ليفعل ذلك فإذا به يجد رجلا يحاول أن يزنى فى إمرأة ماتت حديثا.. فاستتر المأجور ليشاهد ما يحدث.. فإذا بالزانى يحاول مع المرأة الميته فتضع يدها على فرجها (وهى ميتة) فيقطعها الزانى.. ثم يعاود المحاولة فتضع المرأة الميتة يدها الأخرى على فرجها لتمنعه فيقوم الزانى بقطعها، وبعدما أصبحت (الميتة) بغير ذراعين عاود الزانى محاولة الزنا .. فإذا بالميته تضم ساقيها فيقوم الزانى بقطعهما .. وهنا لم يطق القاتل المأجور صبراً .. وهو يشاهد كل ذلك .. فقام بقتل الزانى (وبذلك إكتمل عدد القتلى إلى مائة) واستمر حتى وجد المكان الذى وصفه له العارف بالله فنام بعد أن غرس (نبوته) بجواره.. فلما أصبح الصباح.. وجد النبوت وقد خرجت له أوراق خضراء وضربت له جذور فى الأرض .. وهنا عرف الرجل (القاتل المأجور) أن الله قبل توبته لقتله الزانى بدون أجر..!! ومن هنا سميت منطقة المقابر هذه (ترب الغفير) حيث كان القاتل المأجور أصلا يعمل خفيراً..!! أى عبث بالبسطاء هذا الذى يقال؟! وما أسوأ أن يستغل جهل العامة فيزيدهم المتعلمين جهالة ، أفبدلاً من أن يفقهونهم فى الدين ويعلمونهم يسخرون منهم؟! وأى زانٍ هذا الذى دخل المقابر (ليجر) إمرأة ماتت حديثا من قبرها ليفعل فيها الفحشاء .. وإذا سلمنا جدلاً بصحة هذا الجزء (المخرف) فهل يتصور عقلاً أن الزانى ذهب إلى المقابر ومعه سكين وبلطه وأدوات كاملة للجزارة؟!! حتى يقطع ذراعيها وساقيها إن هى إحتمت بهما أو حاولت منعه..!! وهل كان يعرف أنها ستفعل ذلك فاستعد له؟! ثم أى عقل يمكن أن يتصور معقولية هذا (التخريف الحبربت) الذى لم يطرف للزانى جفن فيه؛ عندما وجد الميته تحرك يدها وتحاول منعه ، وإن كانت الميته تحرك أعضائها فهل لم يتلوث الزانى بالدماء وهو يقطع ذراعيها وساقيها ؟! وأى شهوة هذه التى كانت أكبر من خوفه والميته تتحرك ولم يفر هاربا .. !! ولم يتدخل القاتل المأجور الذى كان يشاهد باستمتاع من وراء ستار كل هذا .. !! إلا بعد أن حاول الزانى ثم قطع ذراعها اليمنى .. وحاول .. ثم قطع ذراعها اليسرى .. وحاول .. ثم قطع ساقيها .. وهنا فقط أخذته الشهامة وتدخل (بنبوته) الذى أخضر بعد ذلك .. !! طبعا أن شاهد هذه الرواية .. الذى قصها هو القاتل المأجور نفسه الذى قتل مائة ، فالمرأة كانت ميته .. والزانى قتله، على هذا يكون هو الرواى : فهل نصدقه؟!! أم كان هذا القاتل المأجور هو «سيدنا الخضر» ..!! لقد حاولت ـ المؤلف ـ أن لا أسوق هذه الخرافات فى كتابى .. ولكنى أسفت أن وجدتها منتشرة فى قومى الذين خيمت عليهم الجهالة وإنصرفوا بآذانهم لسماع الغث الرخيص فأضطررت أمام إنتشارها أن أوضح عدم مصداقيتها .. وكم من الخرافات تسرى فى الوادى تحتاج وقفة الأئمة والدعاة .. بل والمخرجين والمسلسلات لمعالجتها .. وأحسب أن بعضنا فعل ذلك فعالج ظاهرة الدجال والمطلوب أن تعالج مثل هذه الخرافات إذ كيف للعارف بالله أن يعرف أن (نبوت الخفير) سيخضر وهل يعلم العارف بالله إن كان هو نفسه سيدخل الجنة أم لا .. حتى يقرر الأسلوب لكشف قبول توبة القاتل ..؟!!

وهناك ظواهر كثيرة تحتاج لمعالجة وتركيز بل وحرب وتثقيف (كالنعوش التى تطير بالصالحين) (وفتح المندل) و(فتح الكوتشينه) و(قراءة الفنجان) و(الشيخ المبروك الذى يزوج العوانس) و(الهدهد اليتيم) .. و(البيت المسكون) و(الملبوس بالعفريت) (والمخاوى والشكوى للأولياء) والطواف حول الأضرحة ، والتى ثبت تاريخياً أن كثير من أصحابها والمسماة بأسمائهم ليسوا مدفونين بها ومن هذه الأضرحة ضريح «سيدنا

الحسين بن على، والموجود بحى الحسين الشهير ابن بنت رسول الله فليست بالضريح جسد ولا رأس فالثابت علميا وتاريخياً أن رفاته جميعها بالعراق رغم أن هناك من يقول أن رأسه هنا وجسده هناك ومن يقول أن رفاته كلها هنا ولكن الحقيقة التاريخية أن كل الرفات هناك ورغم إعلان هذه الحقيقة فى الصحف منذ سنين عديدة إلا أن الناس مازالت تطوف وما إلى ذلك .. نعم .. نحن نعارض نصر أبو زيد وأمثاله لتطرفه فى أفكاره .. ولكننا وبنفس القدر نعارض الذين ينغمسون فى الخرافات إلى حد إستغلال الجهل والأمية التى وصلت فى مصر إلى ٨٥٪ . ومن عجب أن يضاف إليها أمية المثقفين وأمية المتعلمين .. نعم إن فى آيات القرآن ما يحض على فعل الخير وكراهية المفاسد بل وفيه آيات للترهيب من الإقدام على المعاصى وأخرى للترغيب فى فعل الخير .. فهل لأى أحد هذا الحق .. فيقص أى أحد أى قصة خرافية وأسطورية و(خزعبلاتيه) طالما هدفه الترغيب أو الترهيب .. لا علم لى أن هذا الحق مطلق لنهاية مداه فإن علم أحدكم (أنتم القراء) ان هذا الحق مطلق بغير حدود لأى أحد طالما قصده نبيلاً فى زجر العباد عن المعاصى وترغيبهم فى الإيمان مهما كان السبيل وبدون ضوابط يقص أى شيء فليبلغنى ..!! ولما كان كتابى هذا حسبة لله عز وجل .. فأجدنى أسمح لنفسى أن أوجه نداءً للقراء أن أرجعوا مرة أخرى للكتب القيمة حتى تتثقفوا وتثقفوا أولادكم .. بل وتجدوا رداً على هؤلاء النصابين مدعى المشيخة بخرافاتهم وخزعبلاتهم وقروا علمائكم واحترموهم .. ولكن لا تلثموا أيديهم .. ولا تنحنوا لغير الله .. فالدين دين الوسطيه «وكذلك جعلناكم أمة وسطا»

من ينكر الغيبيات ؟

.. ولا تقف كتابات د . نصر عن إنكار عذاب القبر .. وكثير من الغيبيات التى هى معلومة فى الدين بالضرورة .. وإنما يتجاوز ذلك .. ويحذو حذو المستشرقين بل والملاحدة اليهود حذو النعل بالنعل والفعل بالفعل .. فينكر فى مفهوم كتاباته التنزيل ؛ ويتصور أنه أتى بما مالم يأت به الأولين ؛ وينسى أنه فيما يكتب ؛ يكتب فكر (جولدتسيهر) ذلك المستشرق اليهودى والذى ألقى محاضراته التبشيرية فى بودابست عام ١٩١٢ بعنوان (محمد والإسلام) دون أدنى حرص أو تورع ؛ بل ويفضح نفسه إذ يسوق كتبه وتراجمه كمراجع له فى آخر الكتاب (وجولد تسيهر) هذا تلميذه النجيب (أبو ذويب إسرائيل ولفنسون) وهذا الأخير استاذ د . نصر أبوزيد فيما نقله عنه . ومعلوم أن (أبو ذويب إسرائيل ولفنسون) حصل على درجة الدكتوراه بتزكية عالية من جامعة القاهرة وكان موضوعها (تاريخ اليهود فى الجزيرة العربية) ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٢٩؛ فماذا قال هؤلاء .. وماذا قال الملاحدة من اليهود .. مما يعد فكراً إستطابت نفس وقلم د . نصر أبو زيد أن يكرره فى كتب لطلابنا بالجامعة .. تقول الأستاذة والمربية الفاضلة بنت الشاطى (الدكتورة / عائشة عبد الرحمن) أطال الله فى عمرها لتثرى المكتبة الإسلامية ما بقيت حيث تتسرب بمثلها العليا إلى حنايا قارئها ، فترسى فيها ما تشاء من القيم الرفيعة ، ومن معايشة الحياة بشرف وكرامة وشموخ ، وترفع عن الدنايا ، وتباعد عن الصغار تقول فى مناقشتها لرسالة دكتوراه (أبى ذويب «إسرائيل ولفنسون») فى (تاريخ اليهود فى الجزيرة العربية) قالت فى معرض تعرضها لهجرة المصطفى إلى يثرب (المدينة المنورة حاليا) نصاً :-

[احتشدت يثرب فى إنتظار المهاجر العظيم ، وبعث اليهود راصدهم يرقب مقدم النبى المهاجر ، فأخذ مكانه على مشارف يثرب ، وغير بعيد منه كان المهاجرون والأنصار من أوس وخزرج ، يخرجون كل صباح بعد الصلاة إلى ظاهر يثرب ، فلا يزالون ينتظرون حتى تغلبهم الشمس على الظلام فيعودوا إلى دورهم ، واليهودى قائم هناك فى مرصده لا يريم . وإذ هم يدخلون بيوتهم ذات يوم ؛ بعد أن لم يبق ظل ؛ صرخ اليهودى بأعلى صوته «يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء» وسرت الصرخة فى أرجاء الهجرة ، فتعالى

الهتاف من الأحياء العربية ترحيباً بالمهاجر العظيم «صرخة من بنى قيلة بأعلى الصوت ، معلنة عن وصول المصطفى إلى دار هجرته إنحرفت فى مسمع الدكتور (أبى ذويب) إلى بشرى لأسلافه يهود يثرب بوصول النبى العظيم الذى بشروا به ، ثم لا يتورع من توثيق مرجعه من أصول مصادرنا لهذه البشرى التى زلزلت الأرض تحت مستعمراتهم الناشبة شمالى الحجاز ، من يثرب إلى قريظة وخيبر، فدك وتيماء، ووادى القرى . ورج صداها حصون الأبلق والطويح والسلالم وناعم والقموص ، وعشرات غيرها من الحصون المنيعة والآطام العازلة التى «أقاموها على رءوس الجبال والقلاع ليتحصنوا بها وقت الخطر»] .

وعندما سئل زعيم يهود بنى قريظة (حيى بن أخطب) عما فى نفسه من محمد قال (عدواته ما بقيت) روت ذلك إبنته (صفية بنت حيى) بعد إسلامها . فكانت تلك الكلمة أول يوم للهجرة إيذانا بفتح مدخل خطير للإسرائيليات فى الفكر الإسلامى . ذلك بالرغم من عهد النبى بالموادعة والأمان على أموال اليهود وأنفسهم ودينهم ومماجاء بهذا العهد خاصا بأحياء يهود الناشبة فى يثرب وماحولها شمالى الحجاز؛ «بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبى عليه السلام بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب .. ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . إنهم أمة واحدة . إن المؤمنين على من بغى منهم أو إبتغى دسيسة ظلم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن المؤمنين أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم .. » «وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم » . » وان من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » «وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجبر مشرك من أهل المدينة وما حولها مالاً لقريش ولا نفساً. » وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود (بني عوف) أمة مع المؤمنين؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم - إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوقع - يهلك - إلا نفسه وأهل بيته.. وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب ، أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وإنه لا يأثم أمرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، ..

وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرمه إلا بإذن أهلها .. وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو أشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل وإلي محمد رسول الله ﷺ .. وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ، فإنهم يصالحونه وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدين .. وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا علي نفسه .. وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وأن من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة آمن ، إلا من ظلم أو أثم .. وإن الله جار لمن بر واتقي ، ومحمد رسول الله ﷺ ..

وبعد هذا العهد بالموادعة والأمان .. يخرج علينا الملاحدة منهم ومن غيرهم فيقولون أنه عهد اللصوص فهذا «بلاونت» (تشارلس بلاونت) يصف الانبياء وسدنتهم بأنهم جماعة من المحتالين والنصابين الجشعين الذين إخترعوا الجنة والنار بهدف إحكام سيطرتهم على العباد مؤكداً أن الروح فانية كالجسد ، فلا يوجد أي فرق بين الحيوان والانسان .. ولما كان (تشارلس بلاونت) هذا الانجليزى تشرب منذ نعومة أظفاره أفكار « هوبز » وكان قد ولد عام ١٦٥٤ م - ومات عام ١٦٩٣ م) ولما كان رسول الله ﷺ ولد عام ٥٧٠م وكان المبعث عام ٦١٠م تقريباً وهجرته إلى المدينة عام ٦٢٣م تقريباً .. - ووفاته عام ٦٣٣ م تقريبا فإن د . نصر قد إستغل أحاديث « هربز » وكتابات (تشارلز) والتى خصوا بها الدين المسيحى ، وقام بنقلها على الدين الاسلامى .. مستغلاً إستغراق تاريخ كتابه هوبز وتشارلس لتاريخ نزول الرسالة المحمدية فطالما قاموا بكتاباتهم هذه بعد نزول الاسلام .. فلا غرو أن تكون ضد الاسلام أيضا وإن كانوا يقصدون بها الدين المسيحى .. فما دامت الاديان كلها تنبع من مشكاة واحدة كما أوضحنا فى هذا الكتاب .. فإن الإساءة إلى أيهم إساءة لباقيهم .. وبدلا من أن يستغل د . نصر علمه في أن يحاج هولاء الملاحدة ويناظرهم راح ينقل

منهم بغير تحرز ولا إمعان .. سالكا أيسر الطرق وأسهل السبل .. فماذا قال هؤلاء .. حتي يمكننا الوقوف علي الجدول العفن الذي شرب من مياهه العكرة النكرة د . نصر .. وراح يجرعه لأولادنا رغماً فى الجامعة بصفته الاستاذ!هم التلاميذ ؛ فقط. وأولاً نلقي الضوء على (المذهب التأليهي) وإن كان التعبير يعنى عبادة الله إلا أن هذا المذهب .. كما تقول دائرة المعارف البريطانية – وبصفة عامة ؛ يؤمن أصحابه بوجود كائن أسمى أو خالق للكون يتسم بالخير والحكمة ولكنه (المذهب التأليهى وأصحابه) ينكر فى الوقت نفسه الدين المنزل أو الدين الموحى به ... وتقول دائرة المعارف البريطانية أن الدين المسيحى فى القرون الوسطى يرسم الله فى أعين التأليهيين كما لو كانت صورة (حاو) أو(ساحر) يأتى بالعجائب والمعجزات ليبهر الناظرين إليه .. فى حين تصور المفكرون فى عصر التنوير الله على أنه المهندس «الأعظم» أو عالم الرياضيات الأعظم الذى إستطاع أن يخلق آلة فى منتهى الدقة والروعة هى آلة الكون . وعظمة هذا الإلة لا تتجلى فى خرق قوانين هذه الآلة الكونية بل فى الحفاظ عليها .

وتعبير المذهب التأليهى ترجمة لكلمة Deism المشتقة من لفظة deius اللاتينية ومعناها الله .. ويزعم أصحاب هذا المذهب أن الله كف عن التدخل فى شئون الكون بمجرد أن انتهى من خلقه ؟! وتركه يسير بمقتضى مجموعة من القوانين التى لا تتبدل ولاتتغير .

وفى الكتاب الذى ألفه (س. كلارك عام ١٧٠٦م بعنوان « إيضاح وجود صفات الله) نرى هذا الباحث يميز بين أربعة أنواع فى المذهب التأليهى .

يذهب النوع الأول إلى أن الله قام بخلق العالم ثم إبتعد عنه مؤثراً ألا يتدخل فى شئونه ، ويعترف النوع الثانى بوجود عناية إلهيه وأيضاً بوجود نظام فى الكون المادى وليس بالمعنى الروحى أو الأخلاقى ، ويذهب النوع الثالث إلى وجود صفات أخلاقيه معينه فى الله ولكنه ينكر وجود العالم الاخر وأما النوع الرابع والأخير فيؤمن بحقائق الدين الطبيعى . كما يؤمن باليوم الآخر ، ولكنه يرفض فى الوقت نفسه الإيمان بالتنزيل وبالوحى وبرسالة السماء (الدين الطبيعى = ماتعارف عليه الناس من أخلاق ولكن المعجزات المنسوبة للسيد المسيح مرفوضه) وتقول دائرة المعارف البريطانية إننا نجد إرهاصات المذهب التأليهى عند أتباع الفيلسوف العربى (إبن رشد) والكاتبين الإيطاليين (بوكاتشيو) و(بترارك) وكذلك عند كتاب فرنسيين أمثال (مونتاني) و(شارون وبودين) .. وبينما كان (جون لوك) التأليهى الإنجليزى منصرف إلى كتابة رسائل القديس بولس عام ١٧٠٥) للتشكيك فى كل أرجاء العهد الجديد (الأناجيل الأربعة) إنصرف عالم لغات شرقية فى هامبورج بالمانيا يدعى (هرمان صامويل ريماروس) ١٦٩٤ – ١٧٦٨ الى البلبلة فى الإيمان بالدين المسيحى وألف (ريماروس) التأليهى هذا كتابا يقض مضاجع المسيحيين لدرجة أذهلتهم وقام بجمعه الأديب الألمانى التأليهى (لنسج) نشر فصولاً منه تحت عنوان (شذرات) عام ١٧٧٨ وتناول فيها :

(١) عبور بنى إسرائيل للبحر الأحمر وشرح أوجه إستحالة تصديق هذه القصة بأسلوب ينم عن الذكاء .

(٢) توضيح أن جميع الكتب الواردة فى العهد القديم لم تكتب بقصد الكشف عن دين منزل .

(٣) قصة البعث .

(٤) أهداف يسوع وحوارييه .. وسعى فيما كتب لرفضه للمعجزات المنسوبة للسيد المسيح وأن المسيح لم تكن فى نيته الغاء الدين اليهودى واستبداله بدين آخر بل كان مشغولا بتعليم الواقع الأخلاقى بيد أن حوارييه – عندما قتل – أعادوا صياغة رسالته على أنها دعوة لإقامة دين جديد، تلك هى الهرطقة التى كتبها الملاحدة منذ أكثر من مائتى عام .. فهل ينقل منها اليوم د. نصر .. ويخضع الإسلام لتلك المفاسد بدعوى الحداثة ؟ هل يفعل ذلك؟ الرأى لك عزيزى القارىء!! **فلن يكف الهجوم على الإسلام طالما بقيت هناك كلاب تنبح .**

كيف خرجت قضية نصرأبو زيد من الجامعة إلى الشارع السياسى والاجتماعى وما مبررات ذلك .. ؟!!

لم يكن جديداً على قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة القاهرة .. أن تنفلت بأحداثها إلى الشارع السياسي والاجتماعي .. وتستهين باستقلاليتها فى أمورها الأكاديمية .. فهذا الانخراط لم تكن سابقته الفريدة في العصر الحديث موضوع « نصر أبو زيد» - بل أن الجامعة وهذه الكلية بالذات إنفرط عقد إستقلالها منذ زمن « أنور السادات» وتحديد اً منذ عام ١٩٧٤ من أجل خاطر عيون سيدة مصر الأولى والآخيرة « جيهان» إبنة مسز « جلاديس» اليهودية الديانة المالطية الجنسية والزوجة الثانية للرئيس المؤمن محمد أنور السادات «والضرة» للحاجة « إقبال» زوجته الأولى إبنة عمدة « ميت أبو الكوم» وأم اولاده الثلاثة (رقية - راوية - كامليا) فمنذ زواج « السادات» من « جيهان» فى ١٩٤٩/٥/٢٩ وحتى عام ١٩٧٤ أى على مدى ربع قرن كامل لم تكن جيهان تملك من المؤهلات العلمية سوي دراستها الأولى من مدرسة التربية النسوية ، وفى عام ١٩٧٤ فكرت لأول مرة فى الإلتحاق بالجامعة وكانت قد بسطت نفوذها على كافة الهيئات تعليمية وغير تعليمية فى مصر وخاصة بعد أن زاحت من طريقها من أسمتهم مع زوجها بمراكز القوى فى مايو١٩٧١ وبعد حرب أكتوبر .. فخلا لها الجو وإنفردت بالسلطان .. ولكن كيف تلتحق بالجامعة .. وهى التى لم تحصل على شهادة الثانوية العامة ؟! .. لن تعدم وسيلة فقد أدت إمتحان الثانوية العامة عام ١٩٧٤ ... رغم أنها فى كل أحاديثها كانت تصر على أنها تحمل شهادة البكالوريا من قبل ، ولكنها دخلت الجامعة بطريقة مختلفة .. دخلت الجامعة بشهادة الثانوية العامة الانجليزية .. التى حصلت عليها بالمراسلة .. ولكن « عبد الحليم رمضان» المحامى يقول « إن السيدة چيهان السادات قد دخلت الجامعة بشهادة معادلة للإعدادية» وليس الثانوية العامة .. وعلى كل فقد كان واضحاً أن اللجوء إلى هذه الوسيلة هو نوع من التهرب من الحصول على المؤهل الشرعي والرسمى لذلك. فشهادة الثانوية الإنجليزية - على فرض الحصول عليها - شرعت لأبناء السفراء الأجانب الذين لا يتمكنون بحكم مواقعهم من الحصول على الشهادة الرسمية والمؤهل الشرعى، وتبدو صورة التهرب من الحصول على المؤهل الشرعى فيما أُتبع بعد ذلك - حيث أن جميع أولادها « لبنى - نهى - چيهان - جمال» قد دخلوا الجامعة عن نفس الطريق ، فبنفس الشهادة الإنجليزية دخلت چيهان الإبنة كلية الآداب مترسمة خطى أمها چيهان الكبيرة التى لم تعط إبنتها تلك سوى إسمها أما شكلها فهى أقرب لشبه والدها « أنور» .. إذن فجميع أبناء رئيس الجمهورية وزوجته دخلوا الجامعة بشهادة إنجليزية .. بينما هم فى مصر وكانوا يدرسون فى المدارس المصرية .. والمدهش أن الجامعة قررت إعتماد الشهادة الإنجليزية بعد إمتحان معادلة فى اللغة العربية .. ولكن سيدة مصر الأولى والأخيرة دخلت الجامعة .. وكلية الآداب .. وقسم اللغة العربية « هو ذات قسم الدكتور / نصر حامد أبو زيد » بدون إختبار معادلة فى اللغة العربية .. وكانت نتيجتها الأولى علي دفعتها في كل سنوات دراستها ؛ ولا يقصد المؤلف أن يثبت أن قسم اللغة العربية فى كلية الآداب كان « بظرميطاً» أو كان القائمين عليه « هلافيت » لا شخصية لهم - لاسمح الله - ولكن ما يعنينا هنا هو أن نوضح أن هذا القسم إتصل - ومن قديم - بالقيادة السياسية - بطريقة أو بأخرى .. كما أن هذا القسم إلتقي بالصحافة ونشأت علاقة بين الصحافة وقسم اللغة العربية ودليلنا أن أحدى الصحف صورت أحد إمتحانات « چيهان» تحت عنوان بساطة بالنص التالي :- [.. تركت سيارتها على الباب الخاص بالجامعة « ممنوع دخول سيارات الطلبة أثناء الإمتحان إلا لهيئة التدريس»

من باب الجامعة حتى اللجنة ٣٠٠ متر سارتها على الأقدام .. مرهقة جداً .. خائفة .. مضطربة .. تحمل مسطرة .. وقلم حبر .. وكارنيه الكلية .. ورقم الجلوس .. خلعت الساعة من معصمها ووضعتها أمامها .. مضت نصف الساعة قبل أن تمسك القلم لتبدأ الأجابة .. فنجان قهوة وكوب شاي .. والامتحان .. ثلاث ساعات] .. وبهذه البساطة المتناهية – على مافيها من فبركة صحفية – كانت « چيهان» هى الأولى فى كل سنوات دراستها الجامعية ... فى كلية الآداب / قسم اللغة العربية .. الذى تخرج فيه وعمل به د/ نصر حامد أبو زيد وكان الدكتور **حسن حنفى** إستاذاً بالكلية ولفت نظره تفوق « چيهان» فراح يحمل تساؤلاً إلى مجلس الكلية قال فيه :– [هناك سيدة مرموقة .. لها نشاط إجتماعى بارز، وهى كثيرة السفر ولا تحضر إلى الكلية ، ونحن نقدر نشاطها، ولكن أن يكون ترتيبها « الأول » باستمرار فإن ذلك يفقد الثقة فى الجامعة ..!] .. وسكت معظم الأساتذة وفهموا من يقصد وطبعاً.. منع الدكتور/ حسن حنفى من التدريس بالكلية .. ثم نقل إلى وظيفة فى وزارة الشئون البلدية والقروية .. وعندما حدث ذلك .. كان من الطبيعى أن يفهم الباقون .. فمن إقترب من السلطان كانت له الحظوة .. ومن إبتعد .. ونأى بنفسه – يبتعد وينأى عن الجامعة .. .. ترى.. هل كان د. نصر حامد أبو زيد.. عندما ألف كتبه بعد عشرون عاماً من تلك الأحداث .. يتصور أنه بهذه الكتب يقترب من السلطان بدليل أنه إستنجد بمؤسسة الرئاسة فى أحاديثه أن تعفيه من الحكم الذى قضى عليه بتفريقه عن زوجته؟! .. لا أحد يدرى .. ما فى مكنون نفسه .. لذلك كان يجب على المحكمة أن تستقدمه وتستجوبه .. هل أنت مؤمن بما كتبت ؟ أم كنت تتصور أنك بها تتزلف إلى السلطان..؟! فإن كان مؤمن بها .. فقد كفر .. وإن كان يتزلف بها أفهمناه أن القيادة السياسية .. لا يتزلف إليها بادعاء الكفر .. فضلا عن أنها لا تتدخل فى القضاء .. وكان على د. نصر حامد أبو زيد .. أن يفهم أن العصر إختلف .. ولكن كيف يفهم ..؟! .. والمدهش أن السيدة «چيهان» بررت تفوقها عندما سئلت عنه فى الصحافة الأجنبية – وليست المحلية طبعاً– قائلة [قارنوا بين واحدة ست فى سنى وتجربتى وفى كل الذى مر عليها فى حياتها ، وبين طالب فى عمر أولادى يجلس معى ، هل يعقل أن يكون إستيعابى للدروس مثل إستيعابه، ودون غرور لا بد أن يكون إستيعابى أفضل ثم أردفت تقول نصا « إستحالة أن أكون بخبرتي فى مستوى طالب لم يغادر القاهرة ولم يشاهد الدنيا– ولم يقرأ هذا العدد الكبير من الكتب التى قرأتها بحكم سنى على الأقل .. كنت متفوقة طوال دراستى ولما تخرجت الأولى كان المفروض أعين معيدة، ولكنى إخترت طريقى هذا وأنا سعيدة لأننى أجد نفسى فيه « أنا أعمل فى مجال الخدمات الإجتماعية ..؟!!»

لو كان تبريرها صحيحاً لكان النبوغ والتفوق الدراسى من نصيب « أمى» فهى أكبر منها سناً وربة بيت ممتازة .. لوكان التفوق الدراسى يرتبط بالسن الكبيرة .. مع أن الحقيقة هى العكس تماماً فالسن الصغيرة أكثر إستيعاباً من السن الكبيرة.. ذلك واقع عملى وعلمى أيضاً .. لقد إرتبط التفوق للسيدة چيهان بالنفوذ الرسمى .. وإلا فبماذا نعلل مثلا تفوق أبنتها السيدة / نهى ، إلى حد تعيينها معيدة بالجامعة ، وقد حصلت على شهادة الثانوية بنفس الطريقة .. الإنجليزية .. !! وبالنسبة للإبن « جمال» الذى تخرج متفوقاً بعد أن فصلت الجامعة الأستاذ الذى ضبطه متلبساً بالغش .. !! كما يروى الأستاذالدكتور/ عبد العظيم أنيس أن رئاسة الجمهورية قد إستدعته على عجل ذات يوم، وكان السبب أنهم يريدون إعطاء درس خصوصي فى الرياضة « لجمال السادات» لأنه سوف يدخل إمتحان الثانوية العامة؛ ورفض قائلا.. « كيف أعطى درساً فى الثانوية بينما أنا الذى وضعت إمتحان الرياضة فى الثانوية» «!!» وذهب إلى وزير التربية والتعليم « على

عبد الرازق، يقص عليه الواقعة التى حدثت له شاكيا.. «!!» ورسب جمال فى « الرياضة» ولكنه دخل الجامعة فى نفس العام بشهادة الثانوية الإنجليزية ، ولما كانت مواد الدراسة للشهادة الإنجليزية ليس بها «رياضة » فكان لابد وفقا لنظم الجامعات - أن يلتحق بكلية لا تلزمها العلوم الرياضية، وهكذا إلتحق « جمال» بكلية الطب « تنفيذا للقانون - وذراً للرماد فى العيون - ثم تم تحويله بعد ذلك إلى كلية الهندسة ..!! الذى رسب فى الرياضة .. دخل كلية الهندسة .. كلية تقوم على الرياضة .. ولم يرسب سنة واحدة فيها ..!!

وعندما أثيرت قضية چيهان السادات وإلتحاقها بالجامعة دون حصولها على المؤهل الرسمى للدراسة، أصدر الدكتور/ حسن حمدى مدير جامعة القاهرة بياناً فى ١٩٨٣/١/١٧ قال فيه [أنه تبين من واقع المستندات الرسمية أن السيدة چيهان صفوت رؤوف قد قبلت بكلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح رسمى من مكتب تنسيق القبول بالجامعات والمعاهد فى سبتمبر ١٩٧٤ بعد حصولها على شهادة « چس . سى. أى» بنسبة ٧٥٪ قسم أدبى وهى شهادة معادلة لشهادة إتمام الدراسة الثانوية وعلى أساس هذا الترشيح الرسمى من مكتب تنسيق القبول بالجامعات والمعاهد العليا قبلت بكلية الآداب فى العام الدراسى ١٩٧٥/٧٤]. وقالت جريدة الأهرام فى ١٩٨٣/١/١٨ [إذ هذه الشهادة يؤدى الطالب إمتحانها فى قصر القنصلية البريطانية بالقاهرة، وتأتى أوراق أسئلتها من لندن، ثم يعاد تصحيحها عن طريق الكمبيوتر]!!! أى أنها أدت الإمتحان فى القاهرة ونجحت فيه بنسبة ٧٥٪؛ والغريب فى الأمر .. أن أيا من الصحف لم تشر إلى نبأ هذا الإمتحان أبداً.. ولم تنشر خبراً عنه ، كما أن أحداً لم يسمع أنها قد أدت الإمتحان ...!! والأهم أنه لم يتساءل أحد : لماذا تدخل زوجة رئيس الجمهورية وأولاده جميعاً الجامعة بشهادة أجنبية .. بينما هم يعيشون فى مصر ..؟! ولم يتساءل أحد عن مدى جدية إمتحان يعقد فى بلد بواسطة سفارة دولة أخرى ، وتتقدم إليه حرم رئيس الجمهورية وأولاده فيها ..؟ وهل يمكن أن تطبق - فى مثل هذه الإمتحانات .. - عليهم قواعد الإنضباط اللازم لأداء الإمتحان بالنسبة للأشخاص العاديين؟ على الأقل من حيث إجراءات الأمن.. ولم يتساءل أحد هل أدت السيدة چيهان، وكذلك أولادها إمتحان شهادة المعادلة المنصوص عليها فى القانون فى المواد التى لم يدرسها الطالب.؟! ولم يتساءل أحد أخيراً - لماذا تفضل زوجة الرئيس العربى وأولاده الحصول على

مؤهلاتهم الدراسية من جهة أجنبية؟ وبلغة أجنبية ويؤدون إمتحاناً فى جهة أجنبية وهم يعيشون فى مصر..؟! ماچستير چيهان من كلية نصر أبو زيد على أن التحاق السيدة / چيهان بقسم اللغة العربية / كلية الآداب (والتى مازال بها بقايا منذ ذلك التاريخ حتى تاريخ مشكلة ترقية د. نصر أبو زيد منهم د. جابر عصفور) ليس كل القضية فطموحاتها كانت أكبر من مجرد الحصول على شهادة الليسانس، التى تفوقت فيها رغم حضورها أياماً معدودات كل عام مع ما يصحب من حرس، وحراسة لتوفير الأمن والأمان ..!! وتطوع

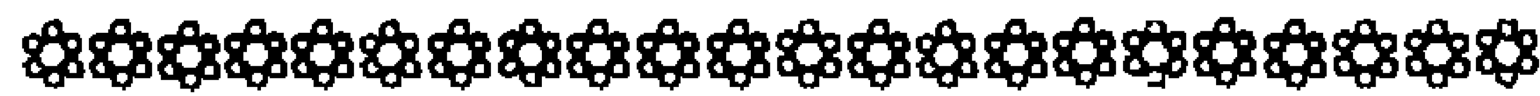
بعض الأساتذة بتسجيل المحاضرات على شرائط وإرسالها إلى منزلها حتى تسمع الدروس فى وقت فراغها لعلها تستوعب .. !! ورفض عدد من الأساتذة تسجيل محاضراتهم خصيصاً للسيدة الأولى؛ وكان جزاؤهم الإبعاد عن الجامعة.. فما إن صدرت قرارات ٥ سبتمبر ١٩٨١ حتى وجدنا ثمانية أساتذة من قسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة مبعدون ..!! أى ثمانية من أساتذة السيدة چيهان بالذات؛ وتردد يومها أن هؤلاء كانوا « جبهة الرفض» ضد كل التسهيلات التى قدمت من قسم اللغة العربية لتمرير تفوق السيدة الأولى. .. كان .. وكما ذكرنا طموح چيهان أكبر من الحصول على شهادة جامعية بتفوق أتاح لها « وفقا للقانون»!! أن تعين معيدة بالقسم .. فهى الأولى طوال سنوات الدراسة، ولا أحد يدرى سر الإصرار على هذا التعيين ..

حيث أن الجامعة تقضى لوائحها عدم تعيين معيد بها جاوز سن الأربعين .. وكانت چيهان قد تجاوزت – عند تخرجها فوق ذلك بكثير .. الحاصل أنها بدأت فى إتصالاتها لنيل درجة الماچستير تحت إشراف د. سهير القلماوى والتى يقول « حسن عزت» زوج بنت عمة چيهان كما أنه زميل « أنور» سواء فى الحياة العسكرية أو فى أيام الأشتغال بالمقاولات فى الشرقية وقد تعرف أنور السادات على چيهان عنده فى السويس– يقول فى مذكراته أن الدكتورة سهير القلماوى ترتبط بصلة القرابة بالسيدة چيهان حيث أن جدة السيدتين « هناء وصافى » بنات عمتها .. كما أن د. سهير القلماوى مشرفة على النشاط النسائى فى الحزب الوطنى الذى ترأسه چيهان .. كما أنها بعد ذلك أصبحت عضواً بمجلس الشعب، وبذل عدد من الأساتذة جهوداً فى إعداد الرسالة، وكان هناك من قام بالصياغة، ومن ترجم اللغة الإنجليزية ومن كتب ، ومن راجع رسالة السيدة جيهان عن « شيلي » أشهر الشعراء الإنجليزية فى القرن الثامن عشر، أليس هناك من يكتب لرئيس الجمهورية خطبة التى يلقيها فى المناسبات، فلماذا لا يكون لحرمه من يكتب لهارسالة الماچستير والتى كان موضوعها «شيلى فى الآدب العربى فى مصر» وقد صدرت رسالتها فى كتاب من دار المعارف أثناء إشراف أنيس منصور عليها.. وأصرت أن يكتب إسمها چيهان السادات وإن كان المتعارف عليه أن تكتب الرسائل باسم صاحبها معقبا عليه إسم الأب والجد .. ولكن تردد أن چيهان ليس لها شهادة ميلاد بها أن «صفوت» والدها و « رؤوف » جدها .. فقد أشيع أن صفوت رؤوف تبناها .. وليس والدها .. وقد قال المتشككون قولهم هذا متخذين من إصرارها (على أن يكتب إسمها چيهان السادات وليس چيهان صفوت رؤوف) دليلاً جديداً وأشيع فى فترة إعداد الرسالة أن الأساتذة الذين كانوا يترددون عليها منهم :- الدكاترة (حسين نصار/ لويس عوض / محمد عناني / جابر عصفور/ سمير سرحان/ نبيل راغب / رشاد رشدى) وهذا الأخير الذى أهدى « للسادات» فى « عيد الفن» سيف من الذهب الخالص أغلب الظن أنه أخذ من متحف الفن الإسلامى على مرأى ومسمع من الناس الذين رأوا السيف وسمعوا أنه أثرى ومن الذهب الخالص.. فكم تكون قيمته ..؟ وكان ذلك فى عهد وزير الثقافة يوسف السباعي وفى (حضوره) وفى حين هرول هؤلاء لتقديم الخدمات للسيدة الأولى والذين تقابلوا مع أنور السادات بالطبع وبينهم د . جابر عصفور الذى يدافع بملئ فيه عن كتابات د. نصر أبو زيد الحالية، فإنه كان هناك عدد آخر قد رفض التردد أو المشاركة وهم من قسم اللغة العربية أيضاً بكلية الآداب على رأسهم د. عبد المحسن بدر الذى رتبت له السيدة «چيهان» لقاء مع الرئيس بحجة أن الرئيس يحب سماع الرأى الآخر؛ وإستمع الرئيس طويلا ولم يعلق .. ولكن الدكتور وجد نفسه مبعداً عن الجامعة، وكذلك الدكتور / عبد المنعم تليمه الذى آثر بعد الإبعاد السفر للإقامة فى اليابان والتدريس فى جامعاتها .. وهو الطريق الذى إنتهجه بعده بمشوار طويل د. نصر حامد أبو زيد. وكان يرأس الجامعة فى ذلك الوقت د. صوفى أبو طالب .. وكان نائب الرئيس لشئون الدراسات العليا

د. صبحى عبد الحكيم، الذى كان عميداً لكلية الآداب أثناء دراسة الطالبة چيهان بها .. ومعلوم أن الأول رأس مجلس الشعب وأصبح صحبى عبد الحكيم وكيل المجلس .. !! ومن أجل حصول السيدة چيهان على الماچستير إجتمع مجلس جامعة القاهرة وإتخذ قراراً باعفاء الطلاب المتفوقين فى دراستهم من الدراسات التمهيدية اللازمة قبل إعداد الماچيستير، إذا وافق مجلس الكلية ؛ وقد طبق عليها هذا القرار الذى أعد خصيصاً لإعفائها من الدراسة فى السنوات التمهيدية، وهى دراسة منتظمة وهكذا قرر مجلس الكلية إعفاء الطالبة چيهان من السنوات التمهيدية وسمح لها باعداد الرسالة. .. وكان القرار قد إتخذ خصيصاً – ولأول

مرة – منذ كانت الجامعة تحمل إسم « فؤاد الأول » من أجل التعجيل بحصول السيدة الأولى والأخيرة على الماجستير؛ وكانت ليلة المناقشة مشهودة فى تاريخ مصر .. فنقلها « التليفزيون » إلى كل البيوت لمدة ساعتين كاملتين وحضرها رئيس الجمهورية / رئيس الوزراء / كبار رجال الدولة / العائلة / وإنعقدت اللجنة برئاسة د . سهير القلماوي وعضوية الدكتور ذكى العشماوى ود. مجدى وهبه.. ومما قالته د. سهير القلماوى – خروجاً على كل التقاليد العملية :ـ « أن تشريفكم ياسيادة الرئيس شرف نعتز به ، ونحب أنكم أيضاً تعتزون بجامعة القاهرة» وقال د. مجدى وهبه « إن الرسالة تستحق درجة الدكتوراه لما بذل فيها من جهد » وكان د. مجدى وهبه فضلا عن أنه عضو اللجنة تتصل زوجته الأسرئيلية بصداقة حميمة بسيدة مصر الأولى «چيهان» .. وهو الذى كان موضوعا تحت الحراسة أيام عبد الناصر، ثم عادت إليه أمواله أيام السادات، وكان يسارياً وتقدميا، وهو الوحيد الذى تزوج من إسرائيلية ، وقد إحتاج لإتمام هذاا الزواج إلى موافقة كتابية من جمال عبد الناصر الذى تعرف على القاده الإسرائيليين عام ١٩٤٨ فى « حصار الفالوجا » وعاش صباه قبل ذلك فى (الخرنفش) فى حارة اليهود وتعرف على الحسناء « نيللى بنت ليشع باخوم» وكان يقول إن أفضال «ليشع » .. كبيرة .. لذلك وافق عبد الناصر على زواج الدكتور / مجدى وهبه من إسرائيلية وقال لأن الدكتور / مجدى متحمس للثورة ولاجراءاتها ؛ رغم أن هذه الثورة إستولت منه على عمارة بشارع قصر النيل وڤيلاً بجاردن سيتى، ووضعته تحت الحراسة، وعادت اليه كل أمواله وعماراته بعد الغاء الحراسات زمن السادات. .. وقال عضو اللجنة الآخر « ذكى العشماوى » [إن الرسالة تتصف بجملة صفات علمية ، حيث كشفت عن جهد ضخم وممضن فى الاستقصاء، والإستقراء ، وفى جمع مادة متنوعة كثيرة كما خلا البحث من الحشو غير المفيد ، وإلتزم بالنصوص المطروحة] وبعد المناقشة .. كان هناك حفل عشاء فى إستراحة القناطر الخيرية حضره جميع الذين حضروا المناقشة أو أسهموا مع السيدة « چيهان» فى إعداد هذا العمل العلمى الرائد كما أطلق عليه فى ذلك الوقت ..!! هذا هو المناخ الذى رآه وتفتحت عليه عينا الشاب نصر حامد أبو زيد ، فقد تخرج فى الكلية عام ١٩٧٢ فما إن مضى عليه عامين وهو يتلمس خطاه عقب تخرجه حتى شاهد كل ذلك إعتبارً من عام ١٩٧٤ عام إلتحاق « چيهان » بكليته وبذات قسمه .. وشاهد ما يجرى ويحدث لأصحاب المبادئ والمثل العليا .. كما شاهد المناصب الرفيعة التى تقلدها من « تزلفوا» وحادوا عن المبادئ ، ونافقوا .. فهل عندما شاهد كل هذه النماذج كفر .. بالمثل والمبادي ..؟! أم أنه ناضل من أجل مبادئه وإنتقد مايحدث من إهتراء للقيم حتي نقلوه إلي وزارة الشئون الإجتماعية في سبتمبر عام ١٩٨١ أم أنه نقل إليها ليكون قريبا أكثر من السطان حيث كانت تلك الوزارة بطريقة أو بأخرى تخضع للسيدة جيهان فوزيرتها نائبة لها فى مواقع أخرى من العمل الإجتماعى ..!! حتى سافر عام ١٩٨٥ إلى اليابان حيث أستاذه هناك الذى حافظ على مبادئه الدكتور عبد المنعم تليمه الذى رفض تسجيل محاضراته وإرسالها إلى السيدة / چيهان فإستقدمته إلى زوجها الرئيس الذى سمع منه وبعد ذلك أبعد عن الجامعة فآثر بعد الإبعاد السفر للإقامة والتدريس فى جامعاتها. .. وعلى أى الأحوال .. فهذا هو المناخ الذى تخرج في (د.نصر حامد أبو زيد) فوجد نفسه فيه ... وأتصور أن المناخ كان من بعض أسباب تشكيل شخصيته وسلوكه هذا فضلاً عن أن هذا المناخ دفع بعض القائمين عليه ومنهم د. حسن حنفى ود. جابر عصفور إلى الإتصال بالصحافة ومحاولة الإتصال بالرئاسة .. حيث أنهم – فى زمن السادات لم يكونوا بحال بعيدين عن السلطة والسلطان .. ! وكان هذا السلوك هو من أهم مبررات خروج قضية نصر أبو زيد من الجامعة إلى الشارع السياسى والإجتماعي ..

القسم الثاني



* الباب الأول : تقارير العلماء المتعارضة في أبحاث وكتب د. نصر بالجامعة وخارجها .
* الباب الثاني : المحكمة .

الباب الأول

التقارير العلمية فى الجامعه
عن أبحاث وكتب د . نصر حامد أبو زيد

تقرير عن إنتاج علمى .. بقلم الأستاذ الدكتور / عبد الصبور شاهين

تقدم السيد الدكتور نصر حامد أبو زيد - الأستاذ المساعد بكلية الآداب ، بجامعة القاهرة بإنتاجه العلمى للترقية إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية ، وجاء إنتاجه فى شكلين :

الأول : الكتب ، وقدم منها كتابين :

١ - (الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) : نشر دار سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٢م .

٢ - (نقد الخطاب الدينى) : نشر دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٩٢ ميلادية .

الثانى : البحوث والمقالات :

٣ - (الكشف عن أقنعة الإرهاب) : بحثاً عن علمانية جديدة - مجلة (أدب ونقد) القاهرة - العدد ٥٥ - يونيو ١٩٩٠ م .

٤ - (ثقافة التنمية وتنمية الثقافة) : مجلة القاهرة - العدد ١١ - ١٩٩٠ .

٥ - (التراث بين الأستخدام النفعى والقراءة العلمية) : مجلة (أدب ونقد) - القاهرة - العدد ٧٩ مارس ١٩٩٢ م .

٦ - (قراءآت التراث فى كتابات أحمد صادق سعد) : ألقى فى مؤتمر وتحت النشر .

٧ - (إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى) : ألقى فى مؤتمر وتحت النشر .

٨ - (المسكوت عنه فى خطاب إبن عربى) : مجلة الهلال مايو ١٩٩٢ م .

٩ - (مفهوم النص فى العلوم الدينية) : مجلة إبداع عدد ٤ ، ٥ - ١٩٩١ م .

١٠ - (التأويل فى كتاب سيبويه) : مجلة ألف للبلاغة المقارنة - الجامعة الأمريكية العدد ٨ - ١٩٨٨م .

١١ - (الإنسان الكامل فى القرآن) (بالإنجليزية) : مجلة جامعة أوساكا للدراسات الأجنبية باليابان - العدد ٧١ سنة ١٩٨٨ م .

١٢ - (مقدمة ترجمة اليوشيدو - روح اليابان) : دائرة الشئون الثقافية العامة - بغداد ١٩٩٠م .

١٣ - (مركبة المجاز من يقودها ؟ وإلى أين ؟) : مجلة ألف عدد ١٢ - ١٩٩٢ م .

وقد لوحظ أن هذا الإنتاج لم يظهر منه فى سوق الكتب سوى الكتاب الأول عن (الإمام الشافعى) ، وأما الكتاب الثانى فما زال مشروعاً ينتظر الظهور فى السوق ، وباقى البحوث والمقالات ظهرت فى مجلات محدودة الأنتشار ، أو هى تحت النشر فى هذه المجلات أيضاً ، وهى مجلات غير محكمة غالباً .

ولعل لاختيار هذه المجلات لنشر هذه البحوث حكمة ، هى تفادى رد الفعل عند القراء ، لو ظهرت فى مجلات رائجة وإسعة الأنتشار .. وبذلك يعتبر الإنتاج إجمالاً أشبه بالأعمال السرية التى لم ينشر أكثرها فى دوريات علمية محكمة ، ولا يجرؤ الباحث على نشر أفكاره فى المجتمع الذى يرفضها ولا شك .. بل وقد يحكم عليها حكماً قاسياً كما يحكم على صاحبها؛ أما الرأى فى هذه الأعمال فهو كما يلى:

١ - الإمام الشافعى وتأسيس الإيديولوجية الوسطية :

كتيب من مائة صفحة وعشر صفحات من القطع الصغير ، ذو وزن خفيف علمياً ، والكتاب يدل على أن الباحث محتف بالشافعى ، ومضمونه تقريع له ، وتنديد بمحاولة الشافعى التلفيقية إيجاد وسيط بين العقل والنقل ، وقد إنتصر الشافعى للنقل على حساب العقل ، وإنتصر للقبلية على حساب الإسلام ، ويعود فيكرر ما قاله عن السقيفة فى بحوث أخرى سابقة ، وما جرى فيها من تدشين السيطرة القرشية على الإسلام والمسلمين ، فالتاريخ الإسلامى كله مؤامرة حاكها الخلفاء من قريش، وهو ، يتهم ، الشافعى بالمغالطة حين قال :

(لم أجد لرسول الله سنة ثابتة من جهة الأتصال خالفها الناس كلهم ، ولكن قد أجد الناس مختلفين فيها :

منهم من يقول بها ، ومنهم من يقول بخلافها ، فأما أن يكونوا مجتمعين على القول بخلافها فلم أجدها قط) ..، وهى شهادة عظيمة من إمام عظيم هو واضع علم المصطلح ، ولكن الشافعى فى مقياس الباحث ملفق ومغالط ، وكان يناضل من أجل القضاء على التعددية الفكرية والفقهية ، ويقرر الباحث أخيراً النتيجة التى تتكرر فى بحوثه دائماً : (آن أوان المراجعة والأنتقال إلى مرحلة التحرر ، لا من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا ، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان) .

لم يحدد أبو زيد مفهوم هذا التحرر ، ولا حدود هذه النصوص ذات الطابع الإيديولوجى الخاص؟ وماذا يريد للأمة بعد أن تلقى بالقرآن والسنة جانباً ؟ !

٢ ـ نقد الخطاب الدينى :

كتاب مطبوع فى مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، مصور ، وغير متداول ، والناشر دار الثقافة الجديدة ، والكتاب يقع فى مقدمة وثلاثة فصول ، ويتضمن كل فصل مجموعة من البحوث وفى المقدمة يهجم الباحث على (الغيب) بأسلوب غريب ، فيجعل العقل الغيبى غارقاً فى الخرافة والأسطورة ، مع أن الغيب أساس الإيمان . وهو أيضاً يقع فى مغالطة خطيرة حين يقرر أن (العلمانية) ليست فى جوهرها سوى التأويل الحقيقى ، والفهم العلمى للدين ، وليست ما يروج له المبطلون من أنها الإلحاد الذى يفصل الدين عن المجتمع والحياة .. يقول : (إن الخطاب الدينى يخلط عن عمد ، وبوعى ماكر خبيث بين فصل الدولة عن الكنيسة ، أى : فصل السلطة السياسية عن الدين ، وبين فصل الدين عن المجتمع والحياة) !! ولا أدرى إن كان ذلك عن جهل بمفهوم العلمانية ، أو هو يضاعف من خطورة هذا الإتجاه بتزييف المفاهيم!!

وفى الفصل الأول من الكتاب يتصدى لنقد الخطاب الدينى المعاصر بمناقشة قضية النص ، وقضية الحاكمية ، ويشتد نقده للأزهر وللدولة فى مواجهة التطرف ، وهو ينتصر بحماس شديد لرواية سلمان رشدى (آيات شيطانية) مع ما أشتهرت به من فساد وهلوسة ، وهو غالباً لم يقرأها ، ولم يعرف ما حفلت به من نتن لا أدبى ، وعفونة صادرة من أحشاء كافر مرتد ، ومع ذلك يمضى فى الخروج على معايير النقد الموضوعى ، ويتجاهل أمانة الكتابة الفكرية ، بل هو يسقطها حين يضع سلمان رشدى فى موقع مشابه لموقف الكاتب نجيب محفوظ فى (أولاد حارتنا) ، والواقع أن النغمة الحادة التى يتحدث بها المؤلف تجمع بين عناصر مختلفة تماماً .. فالأزهر والتطرف شئ واحد ، والخطاب الدينى الرسمى وغير الرسمى سواء ، والعلماء هم (كهنوت) يمثل سلطة شاملة ، ومرجعاً أخيراً فى شئون الدين والعقيدة .

وهو ينعى على الخطاب الدينى أن يرد كل شئ فى العـالم إلى علة أولى هى (الله) ، ويرى أن ذلك إحلال لـ (الله) فى الواقع ، ونفى لـ (إنسان) ، كما أنه إلغاء للقوانين الطبيعية والإجتماعية ، ويميل إلى مقولة الفكر الغربى بأن الله خلق العالم ثم تركه يدور ، كما أن صانع الساعة تركها تدور وحدها .!!

وهو يدافع بحرارة عن (الماركسية) الفكر الغارب ، ويبرئها من تهمة الإلحاد ، بل ويقول بخطأ تأويل الماركسية بالإلحاد والمادية ، ولعله يتصور أن ماركس كان مؤمناً روحى النزعة . وقد تتبع الباحث فكر سيد قطب ، حتى فيما أثبتته نصوص القرآن ، فهو يستنكر أن يوصف المخالفون للإيمان بالكفر ، وكأنه اعتراض على القرآن ذاته الذى جاء فيه بأول سورة البينة : ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة** ﴾ [البينة : ١] ، كما جاءت آيات كثيرة فى وصف المخالفين بالكفر .

وخلاصة القول : أن الباحث وضع نفسه مرصاداً لكل مقولات الخطاب الدينى ، حتى ولو كلفه ذلك إنكار البديهات ، أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة ، ولسوف يطول بنا الحديث ولن ينتهى إلى نتيجة ، كما أن الكتاب كله لم يصل إلى أية نتيجة سوى تلك النغمة النقدية المسرفة .. فهو بحق : جدلية تضرب فى جدلية ، لتخرج بجدلية ، تحمل فى أحشائها جنيناً جدلياً ، متجادلاً بذاته مع ذاته ـ إن صح التصور أو التعبير .

ليست هذه سخرية ، ولكنها النتيجة التى يخرج بها قارئ هذا الكتاب غير المنشور حتى الآن.

٣ ـ الكشف عن أقنعة الإرهاب (بحثاً عن علمانية جديدة) :

(مقال) مجلة أدب ونقد ويعلق الباحث بهذا المقال على كتاب صدر لغالى شكرى ، وهو يبدو فيه خائضاً فى أوحال السياسة والحزبية ، فهو ليس بحثاً علمياً ، ولكنه مجاملة لكاتب معروف الهويّة .. وبرغم ذلك فقد خلط مرة أخرى بتكرار ما سبق أن ذكره ويذكره دائماً فى كل مقال :

(إن إخضاع الفكر والثقافة للسلطة الدينية السياسية يمتد أيضاً إلى العمق التاريخى لمجتمعاتنا ، لكن ذلك الإخضاع يتزامن فى الحلقة العربية مع إقرار مبدأ السيادة القرشية ، بعد إعطائه بعداً دينياً) ثم يقول :

(لقد كان مسموحاً فى عصر النبوة بتعدد القراءات للنص الدينى ، وهى القراءات التى تتلاءم مع واقع التعدد القبلى واللغوى فى الجزيرة العربية ، وقد تم إلغاء ذلك التعدد لصالح القراءة القرشية ، بواسطة عثمان بن عفان) ويقول : (ومن الضرورى تأكيد أن الأساس الذى استند إليه مفهوم القرشية سواء فى بعده السلطوى الدينى ، أو فى بعده الثقافى .. أساس عصبى عرقى ، ولا أساس ثقافى حضارى) . وهذا كلام خطير لا يمكن قبوله إلا فى مجال معين من الإنتماء الإيديولوجى الذى يعمد إلى تشويه تاريخ القرآن نتيجة عدم فهم العلاقة بين القرآن والقراءات .. بل وقصداً إلى هذا التشويه ، **كأن المسلمين عرفوا فى عهد النبوة (قرآنات) كثيرة ، فوحدتها خيانة عثمان فى قرآن واحد .**

والباحث فى هذا المقال يكشف أيضاً عن خلل فى الإعتقاد .. (إذا يرى أن الإلهى إذا تجلى فى اللغة يكاد يكون بشرياً ، وأن الإلهى تجلى فى القرآن (التنزيل) كما تجلى فى المسيحية فى صورة المسيح البشر ، ابن الإنسان) . وهذا تصور غريب ومرفوض !! ففى رأيه أن هناك جدلية (الإلهى / الإنسانى) وهى صيغه من التلازم بين طرفين لكل منهما أثر فى الآخر .. وهل هنالك إهانة للعقيدة أشنع من هذا ؟ وبقية المقال نوع من الدعاية السياسية لا ترقى إلى مرتبة العلم ، والبحث العلمى .. وهو يطالب بالتوجه إلى البحث عن علمانية جديدة (لمقاومة الردة السلفية ، والإرهاب والتطرف ، وفض الإشتباك بين الدين والسلطة ، وتحرير سلطة الدولة من سطوة رجال الدين ، ومن السيطرة الثيوقراطية الموغلة فى التخلف) .

وكأنه فى الواقع يتحدث عن مجتمع تحكمه الكنيسة فى قلب العصور الوسطى ، وهو إلى جانب ذلك نوع من الدعاية السياسية التى لا تعى هدفاً علمياً بحال من الأحوال .

٤ ـ ثقافة التنمية وتنمية الثقافة:

مقالة فى مجلة القاهرة ـ ركز فيها الباحث على موضوع : (العقل العربى) وأنه محاصر بين سلطتين : سلطة النص الدينى ، وسلطة السياسة الحاكمة ، وأن ذلك لم يبدأ مع (صفين) ، التى كانت فيها الخديعة التاريخية للداهية عمرو بن العاص ، بل بدأت فى خلاف السقيفة بين المهاجرين من أهل مكة ، والأنصار من أهل المدينة ، فآل الأمر إلى سلطة قريش أى : إن أبا بكر كان يحكم بإسم القبيلة ، وكذلك باقى الخلفاء الراشدين من سلطة التآمر.

وقد ذهب إلى أن (عثمان) كان يعمل لحساب قريش حين قضى على تعددية النص التى تمثلت فى السماح بقراءته وفقاً للهجات العربية المختلفة ، فألغى كل القراءات لحساب القراءة القرشية.

وهو كذب وجهل وافتراء .. أما الكذب والجهل فلأن القراءة لم تكن باللهجة .. بل هى بالرواية ، والقراءة سنة متبعة .. وأما الإفتراء فهو القول بأن (عثمان) كان يعمل بنزعة قبلية ، استثماراً لمؤامرة السقيفة وإستمراراً لطغيان قريش . ولا ريب أن الباحث ناقل هنا عن مقالات لبعض المستشرقين من أمثال : [رجيس بلاشير] فى كتابه (مدخل إلى القرآن) ، ويوشك من يقول بأقوالهم أن يزيغ كما زاغوا ، بل إنه يقطع فى هذه الطريق أشواطاً أبعد مما قطع بلاشير . وهو يرى من جانب آخر أن كل إستبداد فى السلطة الآن إمتداد لتلك المرحلة حين سيطر التفكير الدينى .. الغيبى .. التواكلى .. التبريرى .. التواطئى .. وكل ذلك وصف للإسلام ، والجانب الغيبى عنده هو خرافة وأسطورة ، ويقول : (ولاخلاص من تلك الوضعية إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية ، وإطلاقه حراً يتجادل مع الطبيعة والواقع الإجتماعى والإنسانى ، فينتج المعرفة ، التى يصل بها إلى مزيد من التحرر ، فيصقل أدواته ، ويطور آلياته) ولسوف نرى أنه يعنى بالنصوص ما يشمل القرآن والسنة ، وهى دعوة خطيرة تكررت كثيراً فى مواضع أخرى ، يريد بها نفى

العلاقة بين العقل والنص القرآنى بخاصة ، مستخدماً المزيد من المغالطات، وتزييف المفاهيم ، مع أن النصوص الصحيحة لا تتصادم مع العقل بحال ، ثم نجده بخوض مرة أخرى فى موقف الإسلام من القبلية، فيردد أن الإسلام لم ينفها ، بل احتفظ لها بأهم خصائصها الثقافية متمثلة فى اللهجة الخاصة ، إلى درجة السماح بتعدد قراءات النص الدينى ـ القرآن ـ وفقاً للسان كل قبيلة ، وذلك ما عرف بالأحرف السبعة ، وهو رأى مردود على صاحبه ، لا يقبل منه إطلاقاً، ولأنه يمثل إساءة إلى القرآن ذاته ، عن جهل فاضح لم يكلف نفسه عناء البحث عن الحقيقة فى مظانها . ويمضى فى تجاوزاته إلى درجة أن يتهم القرآن بأنه (لم ينج من آثار عمليات المحو والإثبات تلك) ، ويبنى ذلك على إدعاء الشيعة أن القرآن محيت منه عمداً النصوص الدالة على إمامة على، ولا يكلف نفسه مرة أخرى عناء البحث عن حقيقة هذا القول الذى لم يقل به إلا الشيعة الغلاة ، فأما الإمامية فإن موقفهم هو موقف أهل السنة تماماً ، تنزيه القرآن عن المحو والإثبات .. فماذا بقى لهذا القائل من آثار المنهج السليم ؟ .

وينتهى الباحث إلى نوع من الإختلاط فيقول : (إن المسلم لا يعلم عن المسيحية إلا ما يقوله الوعاظ خطباء المساجد ، ولا يكاد المسيحى بالمثل يعلم عن الإسلام إلا ما تبثه أجهزة الإعلام ، وما يقال فى شبه سرية داخل المؤسسات المسيحية التى لا تجرؤ على المناقشة الحرة للإسلام ، وبالقدر الذى تناقش به المسيحية فى أروقة المساجد وعلى المنابر) أى : إن المسلمين يتجنون على المسيحيين ، وكأنه يبذر الحب لفتنة طائفية، وهذه فى الواقع سمادير لا يقول بها كاتب مفيق .

والمقال ملئ بالإختلاط الذى لا يقبل من باحث يزعم أنه نزيه ومحايد ، وهو يتظاهر بالموضوعية والعلم:

٥ ـ التراث بين الإستخدام النفعى والقراءة العلمية :

مجلة أدب ونقد ـ سلطة النص فى مواجهة العقل . مقال يعتمد على ما قدمه الدكتور زكى نجيب محمود من تأملات ورؤى فى كتابه (حصاد السنين) ، ولكنه يكرر ما سبق ذكره فى كتابه عن الشافعى عن الوحى والسنة ، وكيف لفق الشافعى موقفاً ينصر فيه النص على العقل ، وتعرض للعلاقة بين الدين والتراث ، كما تعرض للفكرة التى كررها دائماً من تحول الإسلام إلى مشروع قبلى نتيجة إجتماع السقيفة ، فصارت الدولة قبيلة ، ولا جديد فى هذه المقالة ، فهى ترديد لأفكار متفرقة فى سائر المقالات ، والنغمة واحدة ، والموضوع واحد ، وهو التراث وتأويله وتحديده ، وموقف الآخرين منه .

٦ ـ قراءة التراث فى كتابات أحمد صادق سعد :

وهو مقال سياسى ألقى فى ندوة عن (إشكاليات التكوين الإجتماعى ـ الفكريات الشعبية فى مصر) ـ تحت النشر .

ولما كان الموضوع حملة على الخطاب الدينى فإنه يتهم الدعوة إلى (الإقتصاد الإسلامى) بأنها دعوة إلى الخطاب الدينى الإرشادى الوعظى ، الذى يستهدف تمرير نظام إقتصادى إستغلالى قاهر يدافع عن الملكية الخاصة ، ويترك الأسعار لآليات السوق وقانون العرض والطلب ... ثم يختم : إنها الرأسمالية المستغلة الغليظة ، والتى أختفت من معاقلها الأصلية لحساب التخطيط والتوجيه والتدخل المباشر أحياناً ـ تمرر بإسم الإسلام إستناداً إلى تراثه . وفى البحث قراءة لأفكار أحمد صادق سعد وآرائه فى كتاب (الخراج) لأبى يوسف ـ الفقيه الحنفى ، الذى صار فى تقدره فقيه السلطة . والموضوع على أية حال لا أهمية له ، فالمتحدث عنه مجهول ، وهو ذو هوية خاصة تلعب دورها فى دمشق على أنقاض (التراث) .

٧ ـ إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى :

تحت النشر ـ وهو بحث يدور فى نفس المدار السابق بكل جدلياته ، غير أنه يضيف مناقشة كتاب [illegible] حديث يتحدث عن قضايا الناسخ والمنسوخ ، والتنجيم ، وإعجاز القرآن ، والتأويل العلمى ، والمحكم والمتشابه ... إلخ .. وهو يبدأ مناقشته للكتاب بمقدمة يذكر فيها قوله :

(يتم فى تأويلات الخطاب الدينى للنصوص الدينية إغفال مستوى أو أكثر من مستويات السياق التى ناقشناها فى القسم الأول ، وفى كثير من الأحيان يتم إغفال كل المستويات لحساب الحديث عن نص يفارق النصوص الإنسانية من كل وجه .. إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلى قديم للنص القرآنى فى

اللوح المحفوظ باللغة العربية ما تزال تصورات حية في ثقافتنا) . وهذا الكلام الغريب ناشئ عن المقولة التي يؤمن بها .. وهي « أن القرآن منذ نزل على محمد أصبح وجوداً بشرياً ، منفصلاً عن الوجود الإلهي » . فإعجاز القرآن بهذا المعنى أسطورة ، وكونه كلام الله أسطورة ، وانتماءه إلى المصدر الغيبي أسطورة ، فهو يتحدث بحسم عن أسطورة وجود القرآن في عالم الغيب، إنكاراً لما لا يقع تحت الحس ، وعالم الغيب لا يصلح (موضوعاً) للفكر ، بل هو موضوع للإعتقاد فقط ، فضلاً عن إستخدام كلمة (أسطورة) في وصف وجود القرآن وهو تعبير لا يليق ، إن لم يكن تجاوزاً قبيحاً .

٨ ـ محاولة قراءة المسكوت عنه في خطاب ابن عربي :

مقال في مجلة الهلال .. وهو مقال قصير يحاول إدراج القرآن في إطار محاولة ابن عربي ، باعتبار القرآن جزءا مندرجاً في كل ، ومع أنه ذكر في العنوان أنه يتحدث عن المسكوت عنه عند ابن عربي ـ فهو لم يقدم شيئاً من هذا الوعد ، وانتهى المقال كما بدأ بلا هدف سوى إستخدام بعض الكلمات التي صيغت صياغة جديدة مثل : التماهي ، والتناصّ .. وهو يرى أن « إعجاز القرآن ليس إلاّ في تغلبه على الشعر وسجع الكهان ، ولكنه ليس معجزاً في ذاته .. » وهو كلام أشبه بالإلحاد . وهو إلى جانب ذلك يدور حول الأفكار المكررة : قراءة النص ـ مضمون الخطاب ـ إشكالية القراءة ، ويكفي أن يكون ابن عربي بشطحاته محور الحديث ليقع الباحث في نفس الشطح .. يقول : (من هنا نفهم حرص ابن عربي على تأكيد أن خطابه ليس من إبداعه هو ، بل هو من مصدر إلهي مقدس ، وابن عربي مجرد مبلغ ، وهذا معناه أنه مرتد إلى الأصل والمنبع (الله / اللغة) ـ وهذا تعبير شاطح عن الذات الإلهية ، إلى جانب أنه يوشك أن يجعل ابن عربي نبياً يوحى له .

٩ ـ مفهوم النص : الدلالة اللغوية :

مقال في مجلة (إبداع) .. والهدف من هذا المقال هو الكشف عن بعض خصائص الثقافة العربية الإسلامية في جانبها التراثي التاريخي ، وهو يعالج بعض المسائل عند الإمام الشافعي وعند الزمخشري في إطار بحثه عن مفهوم كلمة (النص) . ثم يشفع هذا المقال بآخر عن (مفهوم النص : التأويل ، مفهوم الثقافة للنصوص) وهو مكمل لسابقه .. وكله كلام مستقى من عمل سابق للباحث عن (مفهوم النص) ـ تقدم به في مشروع ترقيته السابقة لأستاذ مساعد .

١٠ ـ التأويل في كتاب سيبويه :

مقال في مجلة ألف ـ الجامعة الأمريكية .. وهو يدرس طريقة سيبويه في التأويل ، وهو منهج أفادة من علم الكلام ، وقد اقتصر على مجموعة قليلة من الأمثلة ، إلا أنه يدل على فهم صاحبه لظاهرة (تنافذ) فروع الثقافة الإسلامية ، وهو مقال يحسب للباحث .

١١ ـ الإنسان الكامل في القرآن :

مقال باللغة الإنجليزية من ٢٢ صفحة .. عن بذور المفهوم الصوفي للإنسان الكامل في القرآن ، وقد أرفق الباحث بصورة المقال ملخصاً من صفحتين بالعربية ، وهو يستقى صفات الكمال الإنساني من الفهم الصوفي لقصة الخلق .. (نشاط ثقافي) .

١٢ ـ اليوشيدو (روح اليابان) :

دائرة الشئون الثقافية العامة ، بغداد .. ترجمة مع مقدمة عن اليابان ودخولها في التاريخ الحديث . (نشاط ثقافي) .

١٣ ـ مركبة المجاز ـ من يقودها ؟ وإلى أين ؟

مقال بمجلة ألف .. بحث يجمع بين إتجاهات عديدة في الفكر الإسلامي ، وهي إتجاهات تتناقض أحياناً، ولكنه يدرس (المجاز) دراسة جادة كما تصوره عبد القاهر في كتابه (أسرار البلاغه) .

غير أنه ـ بعد أن يمر بمستويات الدراسة المختلفة ـ يختم البحث ختاماً سياسياً دراميا ينتقد فيه أيضاً الخطاب الديني الذي يحاول تجاوز الإزدواجية في التصور الديني ، الناشئة عن الإزدواجية اللغوية ، فإذا هو بذلك يخدم الأوضاع السائدة في العالمين العربي والإسلامي .. يقول في النهاية :

(تتعدد أشكال النظم السياسية فى عالمنا ، بين الملكى والجمهورى ، نظام الحزب الواحد ، والتعددية الحزبية ، نظم مدنية ، وأخرى عسكرية ـ لكنها تتفق جميعاً فى طابعها التسلطى القاهر .. فى عالمنا يتوحد شخص الحاكم بالوطن ، ويستوعبه داخله ، بحيث يضحى نقد الحاكم خيانة للوطن ، ويصبح الخلاف معه مروقاً من الدين ، وهرطقة وإلحاد ـ هذا على المستوى السياسى ، أما على مستوى الفكر والثقافة فالمأساة لا تقل فداحة .. فالخطاب العربى فى مجمله يتعامل مع المجاز بوصفه حقيقة ..) .

وهكذا لم يستطع الباحث أن يتخلص من نبرته النقدية ، حتى ولو إنعدمت العلاقة بين طرفي الحديث إلى حد الغربة بينهما. ولكن البحث ذو مضمون بلاغي ، وهو يتناول قضايا عقدية خلافية قديمة بأسلوب مقبول.

الخـلاصــــه

وخلاصة القول أن الباحث يدور فى فلك مفهومين لا ثالث لهما .. هما : التراث والتأوليل ، وهما فى الواقع تخصصه الدقيق ، فإحدى رسالتيه كانت عن **الإتجاه العقلى فى التفسير (دراسة فى قضية المجاز فى القرآن عند المعتزلة)** والأخرى عن **(فلسفة التأويل : دراسة فى تأويل القرآن عند محيى الدين بن عربى)** .. وكل ما كتبه تقريباً يمتاح من روح هاتين الرسالتين .

وطابع الإنتاج قريب من علم الكلام ، والعقيدة ، مع تحكيم النظرة المادية المنكرة لحقائقهما الجاحدة لمعطياتهما ، فلم يخرج الباحث عن الإطار الذى وضع داخله رسالتيه **للماجستير والدكتوراه** ، فى العناوين أو فى الموضوعات. ولما كان مذهب الباحث مرفوضاً على مستوى القراء ، أو مستوى المتخصصين فى الثقافة الإسلامية ـ فإنه لم ينشر أعماله إلا فى مجلات محدودة الأنتشار ، وغير محكمة أحياناً ، مخافة رد الفعل الذى يتوقعه قطعاً .

والكتاب الذى قدمه مطبوعاً ، قدم إلى اللجنة فى شكل تجربة [بروفة] حصل بها على رقم إيداع فى دار الكتب ، ثم أحجم عن دفعه إلى السوق ، لما يتضمنه من مفاهيم مرفوضه على كل مستوى .

والرأى فى أعماله المقدمة :

١ ـ كتابة عن (الإمام الشافعى) خفيف الوزن علمياً ، لا يقوّم به الباحث مع ما سبق أن سجلناه من آراءمنحرفة لا تليق أن تنشر عن الإمام العظيم .

٢ ـ الأعمال من ٢ ـ ٩ تعتبر عملاً واحداً لوحدة الإتجاه ، وبصرف النظر عن محتواها .. فأما المحتوى فالرأى فيه أنه خليط من فكر وأيديولوجية ، ونقد ، وتطرف ، وجدلية .. وبذلك تاهت هوية الباحث ، فلم يظهر توجهه فى إطار مواد اللغة العربية ، أو الثقافة الإسلامية .

٣ ـ والعملان ١٠ و١٣ ـ بحثان مقبولان يحسبان له عملاً واحداً ، نظراً إلى ضآلة حجم كل منهما.

٤ ـ والعملان ١١ و ١٢ نوع من النشاط الثقافى .

وبذلك نرى أن الأعمال التى تقدم بها السيد الدكتور نصر حامد أبو زيد تحتاج إلى إعادة نظر وتنقية ، كما تحتاج إلى إضافة جديدة ، تتصل إتصالاً كاملاً بمواد الدراسة التى تدرس فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب .

فالإنتاج المقدم لا يرقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

والله ولى التوفيق ،،،

أ . د . عبد الصبـور شاهيــن

التعـليــــق:

تقرير أكاديمى تخصصى ولكن ما يستلفت نظرنا ـ المؤلف ـ هو قوله فى تقريره:ـ

كأن المسلمين عرفوا فى عهد النبوه (قرآنات كثيرة) ،فوحدتها خيانة عثمان فى قرآن واحد.

والحق أن د . عبد الصبور شاهين أسرف فى تفسير ما جاء فى كتاب د . نصر أبو زيد حيث يفيد ما كتبه نصر أبو زيد هو أنه **كانت توجد للقرآن قراءات وليس قرآنات .. وأن عثمان وحد القراءات كلها فى قراءة واحدة وليس وحد القرآنات كلها فى قرآن واحد .. كما جاء فى تقرير د . عبد الصبور شاهين . !!**

وقد تم مـوافقة اللجنة على هذا التقـرير وأرسلتـه بدورها إلى كلية الآداب فإلى قسم اللغة العربيـة حيث ضمنته كلية الآداب تقريراً إيجابياً ينقد فيه رأى اللجنة ويعترض عليه ثم أرسل النقد مع التقرير السلبى إلى إدارة الجامعة التى صدقت بدورها على تقرير اللجنة العلمية التى تطابقت مـع وجهة نظر د . عبد الصبور شاهين .. وأشاحت بوجهها عن نقد كلية الآداب فلم تلتفت إليه أو تأبه له.

وهنا تفجر الموقف على صفحات الجرائد .. ووصل الأمر إلى جامعة الأزهر الشريف التى إنتدبت **د . مصطفى الشكعة** وطالبته بتقديم تقرير عن كتب وأبحاث د . نصر حامد أبو زيد فكتب التقرير التالى: ـ

أولاً : ـ عن كتاب «مفهوم النص »

يقع الكتاب فى ثلاثمائة وتسع وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وهو من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ ضمن إصدرات ما تسميه الهيئة بـ « دراسات أدبية » ..

يشـتـمل الكتاب على مقدمـة قصيـرة وتمهيد طويل عنوانه : « الخطاب الدينى والمنهج العلمى » وثلاثة أبواب ..

ولقد إشتمل الباب الأول ـ وعنوانه : « **النص فى الثقافة** » ـ على خمسة فصول تحمل العناوين الآتية على التوالى : مفهوم الوحى ، إتصال البشر بالجن ، الوحى بالقرآن ، القرآن والكتاب ، الرسالة والبلاغ ..

واشتمل الباب الثانى بدوره ـ وعنوانه : « **آليات النص** » ـ على خمسة فصول تحمل العناوين الآتية طبقاً لترتيب ذكرها : الإعجاز ، المناسبة بين الآيات والسور ، الغموض والوضوح، العام والخاص ، التفسير والتأويل.

ولقد إشتمل كل فصل من فصول البابين الأول والثانى على عدة موضوعات جانبية ، عرض لها الباحث بالإيجاز حيناً ، وبالإسهاب حيناً آخر .

وأما الباب الثالث والأخير فإن عنوانه هو : « **تحويل مفهوم النص ووظيفته** » ، ولم يقسمه الباحث إلى فصول ، بل جعله باباً واحداً ، وإن كان قد حمل عديداً من العناوين الجانبية الداخلية مثل : علوم القشر والصدف ، علوم اللباب (الطبقة العليا) ، علوم اللباب (الطبقة السفلى) ، مكانة الفقهاء والمتكلمين ، وغيرها من العناوين التى هى مستمدة من كتاب : «جواهر القرآن» للإمام الغزالى ، **وليس للباحث من جهد فى هذا الباب سوى التعليق على النصوص التى إختارها من الكتاب ، وعددها أربعة وخمسون ، تتراوح بين التوسط والطول مع عدة إشارات إلى كتاب : «إحياء علوم الدين» لنفس المؤلف ، وإشارة أو إشارتين إلى إبن عربى فى كتابه : «الفتوح المكية»** .

أما ونحن نستعرض منهج الكتاب ، وموضوعاته فقد يكون مناسباً أن نشير إشارة سريعة إلى عدم إلتفات الباحث إلى المراجع الأساسية التى كانت ـ فيما لو استعان بها ـ ستضفى المزيد من القيمة على بحثه ، وتجنبه الكثير من المزالق التى وجد نفسه منساقاً إليها بشدة وإصرار حيناً ، وبهوادة وما يشبه العفوية حيناً آخر .

فعلى سبيل المثال وجدنا الباحث فى الفصل الأول من الباب الأول ـ **مفهوم الوحى** ـ يعتمد على فكره الخاص فى تحليل ما نقله عن كل من الزركشى فى البرهان ، والسيوطى فى الإتقان .. بغير إستشارة أو رجوع إلى المصادر الأساسية التى كتبها كبار علماء الأمة من هذا الموضوع ، ولو قد فعل لتحاشى الكثير من السقطات التى تردى فيها مما سوف نعرض لبعضها بعد قليل ، والحكم نفسه ينسحب على بقية فصول الباب من حيث كون الباحث يقتصر على كتابى : البرهان ، والإتقان، لكل من الزركشى والسيوطى، أو على كليهما، ثم يعمل فكره الخاص فى إستخلاص مايريد أن ينتهى إليه من أحكام بدون الإستعانة بفكر علماء الأمة الذين أثروا مكتبة القرآن الكريم بمؤلفاتهم النفيسة ..

وما نذكره هنا من إشارات من حيث تقصير الباحث فى الإستعانة بالمراجع المتخصصة حين كتابته فصول الباب الأول، نعود فنكرره حيال الفصول الخمسة التى تضمنها الباب الثانى.

وقبل أن ننطلق فى ضرب الأمثلة الخاطئة التى تورط الباحث فى الوقوع فيها يجمل بنا أن نشير إلى مصطلحات محددة إستعملها الباحث على مسرى صفحات كتابه، وأن نعرف بها طبقاً لمفهوم الباحث لها، والتى منها:

« النــــص » :

ويعنى الباحث به القرآن الكريم ، فإذا ما ورد لفظ النص فى موقع ما من مواقع الكتاب فإن ذلك يعنى على الفور «القرآن الكريم» .. اللهم إلا إذا أشار الباحث إلى غير ذلك ، ونبّه إليه .

« الأيــديــولــوجيـــة »

وقد أوردت لها المراجع ثلاثة تعريفات هى :

(١) وضع النظريات بطريقة حالمة أو غير عملية .

(٢) مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية .

(٣) النظريات والأهداف المتكاملة التى تشكل برنامجاً سياسياً إجتماعياً .

وعلى أساس هذه التعريفات فإنه يحسن القول بأن أيا من هذه « التعريفات » لا ينطبق فى كثير أو قليل على الإسلام .. أى أنه ليس أيديولوجية .. لأن الأيديولوجيات من وضع البشر ، وأما الإسلام فهو رسالة إلهية وضعها الخالق ، وضمنها برامج وأحكاماً لا يتأتى لبشر أن يضعها أو يبتدع مثالاً لها ، وهذه البرامج والأحكام تهيئ للمخلوقين سعادة الدنيا ، وتضمن لهم نعيم الآخرة .

« الثقــافـــــة » :

وهى لفظ عربى قديم .. يقول صاحب القاموس : ثَقِفَ ككَرِمَ وفَرِحَ ثَقفاً وثِقَافاً وثُقُوفةً ، صار حاذقاً فطناً خفيفاً ، فهو ثَقْف كحبر ، وثقف ككتف ، وخلّ ثقِّيف ، وثقّيف حامض جداً ، وأمرَ ثقاف كسحاب : فطنه ، وككتاب : الخصام ، والجلاد وما تسوّىَ بِه الرماح » .

ويقول صاحب الصحاح : ثقف الرجل ثَقْفاً وثقافة .. أى صار حاذقاً خفيفاً ، فهو ثَقْف مثال ضَخْمَ ، ومنه المثاقفة ، والثقاف ما تسوى به الرماح ، وتثقيفها تسويتها ، وثقفته ثقفاً مثال : بلغته بلغاً أى صادقته ، وثقيف أبو قبيلة من هو ازن ، والنسب إليه ثقفى .

وقال ابن الأعرابى : خل ثقّيف بالتشديد ، أى حامض جداً ، مثال قولك : بصل حرّيف . هذه معان لمادة ثقف ، ولكنها لا تستعمل فى عصرنا ، وهناك فى المصطلحات المعاصرة لفظ الثقافة ، ومنها الرجل المثقف ، وتعنى سعة المعرفة ، والأخذ بأطراف من الآداب والفنون ، ومنها رجل مثقف ، وهو من توافرت له هذه الصفات التى ذكرناها ، وهذه المادة المعاصرة بدورها ليست المصطلح الذى يقصده الباحث حتى يذكر مصطلح : « ثقافة » .. وإنما **المصطلح الذى يعنيه الباحث بلفظ ثقافة** هو طبقاً لتعريف العالم الإجتماعى (ديفيدسيلز) : « هو ذلك العقد الذى يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات الإجتماعية وكل المقومات الأخرى التى يكسبها الإنسان بوصفه عضواً فى المجتمع » .

ومن ثم فإنه كلما وقع بصرنا على لفظ أو مصطلح ثقافة فى هذا البحث الذى بين أيدينا - مفهوم النص - فإن معناه هو كل ذلك الذى ذكره عالم الإجتماع (ديفيد سيلز) ..

هذا وليس من المبالغة فى شئ أن نقرر أن فصلاً واحداً من فصول الكتاب على كثرتها لا يكاد يخلو من خطأ جسيم ، أو إنحراف من محجة الدين ، بل إن الصفحة الواحدة من الكتاب كثيراً ماتحوى عدداً من التجاوزات التى لا تسمى أخطاء من باب التسامح ، وإنما هى فى حقيقتها إنحراف عن الجادة ، وزيغ عن سلامة العقيدة ، وتتمثل هذه الإنحرافات فى الكلام عن القرآن الكريم - النص - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهى من الكثرة بحيث يصعب إستقصاؤها ، ومن التجاوزات ما هو متصل بالعقيدة نفسها وبالإسلام نفسه وللباحث فى كتابه هذا تجاوزات فى الحديث عن الصحابة مع طعن فى التابعين ، بل إنه لا يكاد يذكر أهل السنة إلا بسوء ، وذلك فى العديد من المواضع .

وأخطاء الباحث كثيرة فى التاريخ ، والمعلومات العامة ، وفى مفهومه للوحى ، وفى تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم ..

وفى عناد وتشدد يعارض الباحث تطبيق الشريعة الإسلامية ، ولا يرى من الشريعة إلا تطبيق الحدود ، كما أن الفكر الماركسى يستولى على منهجه بشدة وإلحاح حتى إن آخر تعليقاته فى آخر صفحة من صفحات الكتاب كانت ماركسية صريحة . وإذا كان حصر تجاوزات فكر الباحث واستقصاء إنحرافات فكره من

الصعوبة بمكان ، فإن ذكر نماذج منها يغنى عن إحصائها ..

القــرآن نـــص لغـــوي :

إن قصارى ما توصل إليه الباحث عن مفهوم القرآن أنه **نص لغوى** ، وهو بسبب ذلك « كتاب العربية الأكبر ، وأثرها الأدبى الخالد دون نظر إلى إعتبار دينى هو ما نعتقده - والضمير يعود على الباحث - وتعتقده معنا الأمم العربية أصلاً ... ويجب أن يسبق كل غرض ، ويتقدم كل مقصد » [ص ١٢] .

هذا هو رأى الباحث فى القرآن الكريم وعقيدته فيه ، أما كون القرآن الكريم كتاب الله الذى أرسل به رسوله محمداً ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً، فذلك أمر لا يدخل فى إهتمام الباحث ، وإذا حدث شئ من ذلك ، فللناس من أصحاب المقاصد وذوى الأغراض : « بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبى أن يعمد الواحد منهم إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء ، ويقتبس منه ما يريد ، ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو إعتقاد أو أخلاق » [ص ١٣] .

ويلح الباحث إلحاحاً غير كريم على تجريد الكتاب العزيز من قدسيته ، وصرف المسلمين عنه حين يرى أن دراسته من الجانب الأدبى - دون غيره - « هى الكفيلة بتحقيق وعى نتجاوز به موقف التوجيه الأيديولوجى السائد فى ثقافتنا وفكرنا » ..

أما فساد هذا الكلام بمقياس العقيدة ، بل بمقياس الفهم المجرد للقرآن الكريم مما لا يجمل بباحث جامعى أن يقْدِم عليه وينشره على الناس ، لما فيه من تصغير لشأن القرآن ، وتفريغه من محتواه الأسمى ككتاب للعقيدةَ الإسلامية .. حدد جوهرها ، وختم محتواها ، واشتمل على أحكامها ، وأحتضن شرحها .

القــــرآن منتــج ثقــافــي :

يقرر الباحث أن « النص » - أى القرآن الكريم - منتج ثقافى ؛ بفتح التاء فى منتج .. وذلك حين يقول على وجه من التأكيد والتثبيت : « إن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى ، والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على عشرين عاماً ، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها ، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ، ويعكر - ومن هنا - إمكانية الفهم العلمى للنص » [ص ٢٧] .

ونحن إذا راجعنا تعريف « الثقافة » الذى أوردناه فى صدر هذا التقرير ، تبين فى وضوح أن مصطلح « منتج ثقافى » يوازى مفهوم « منتج بشرى » ، وتلك جرأة شديدة وغير محسوبة العواقب ، وأن يقلل من خطورة هذا الإتهام للقرآن الكريم بالبشرية المحاولة التبريرية التى قال بها ، وهى أنه تشكل فى خلال أكثر من عشرين عاماً - يقصد بذلك سنوات النزول - والباحث لكى يبدى تبريراً خاطئاً حول الدفاع عن المصطلح الخاطئ الذى سحبه على القرآن الكريم يوقع نفسه فى خطأ أشد تجريحاً للقرآن الكريم ، بإنكار سابقة وجوده فى اللوح المحفوظ ، وهى الحقيقة التى يقررها القرآن الكريم ، أو بالأحرى يؤكدها منزل القرآن - سبحانه وتعالى - فى قوله جل وعلا : **﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر★ وما أدراك ما ليلة القدر★ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾** [القدر١-٣].

ثم يستدرك الباحث ليصف النص بالألوهية ، ولكنه لا يلبث أن ينقض ما ذهب إليه ، ويعود لنفيه والعودة إلى القول بأن : « القرآن ينتمى إلى ثقافة البشر » [ص ٢٧] .

ومن البديهات التى كان ينبغى للباحث أن يلتفت إليها ، ويجنب نفسه الإصرار عليها هو أنه من المستحيل أن يكون القرآن إلهى المصدر ، وفى الوقت نفسه ينتمى إلى ثقافة البشر .

وإنه لمما يدعو إلى الأسى أن يصر الباحث على بشرية القرآن إصراراً غير محمود ، حين يعود للمرة الثالثة يكرر القول ببديهية كون القرآن منتجاً ثقافياً ، « ومن تحليل هذه الحقائق - ليس ثمة حقائق - يمكن أن نصل إلى فهم علمى لظاهرة النص .. إن القول بأن النص منتج ثقافى يكون فى هذه الحالة قضية بديهية لاتحتاج إلى إثبات » [ص ٢٨] ، وتنظر أيضاً [ص٢٩] . ومن الوضوح بمكان أن تحديد طبيعة النص بأنه (منتج ثقافى) إبعاد له عن طبيعته الإلهية ، وتنحية له عن صفته القدسية ، وطعن فى صدق منزله ، وإستهتار بقيمه .

القرآن تجاوب مع الواقع وإستجابة له :

هذا كلام يحمل من الآراء والمفاهيم مما يجعل المسلم الصادق الإيمان شديد الغضب ، بل شديد التميز غضباً ، ونحن لم نتصرف فى عبارة الباحث بأكثر من أننا وضعنا لفظ القرآن مكان لفظ النص ، ومن ثم فإن الجملة التى أوردها الباحث هى : « لكن النص فى تجاوبه مع الواقع وإستجابته له إستجاب له من خلال المتلقى الأول » [صفحة ٧٤] ، ومعنى هذا الكلام بشئ من التبسيط هو أن القرآن الكريم إستجاب للواقع من خلال محمد ﷺ ، وهو أمر فى غاية الغرابة ، بل هى عبارة فى طرف من التهور ، إذ كيف يستجيب القرآن للواقع من خلال محمد ﷺ ، والمفروض أن واقع الحياة هو الذى يستجيب للقرآن ، وليس العكس ، فإذا حدث العكس بمعنى أن القرآن إستجاب للواقع من خلال محمد ﷺ كان محمد ـ على الرغم من الصيغة الملتفة التى عمد الباحث إلى صياغتها ـ هو صانع القرآن ومؤلفه ، أو صاحب مشاركة فى نظمه ، وإذا كان مفهومنا لكلام الباحث صحيحاً ـ وليس ثمة ما يدعو إلى غير ذلك ـ كان ما يعنيه الباحث هو أن القرآن من عند محمد ﷺ برغم تسميته له بالمتلقى الأول .

هذا وإن الذى يستطرد فى قراءة الفقرة التى وضعت هذه العبارات الموحية بكثير من الإنحراف ، سوف يقع على تصورات أخرى رسمها الباحث لشخصية محمد ﷺ فى مجتمعه .

القرآن هو الذي أطلق علي نفسه اسم القرآن :

الأمر المعروف ،المسلم به هو أن الباحث هو الذى أطلق على القرآن الكريم مسمى « النص » بل إنه جعل هذا الأسم فى عنوان هذا الكتاب الذى تكتب عنه هذه المفاهيم : « مفهوم النص : دراسة فى علوم القرآن » .

إن الباحث فى مسيرته البحثية لا يرى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى سمى القرآن قرآناً مع وفرة الآيات وكثرتها :ـ **﴿ إنه لقرآن كريم ﴾** [الواقعة : ٧٧] . **﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ... ﴾** [يوسف : ٢] . **﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ... ﴾** [طه : ١١٤] . **﴿ وقرآناً فرقناه ... ﴾** [الإسراء : ١٠٦] . **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾** [الحجر : ٩] .

إنها آيات كثيرة كانت ولا تزال تحت نظر الباحث وهو ـ بغير ما أدنى شك ـ عالم بها ، فما هذا الذى دفع به إلى صوغ هذا المعنى على هذا النحو فى هذه الكلمات .. فضلاً عن محتوياتها الأخرى... يقول الباحث :

«إن النص فى إطلاقه هذا الأسم على نفسه ينتسب إلى الثقافة التى تشكل من خلالها ، ولكنه فى نفس الوقت يفرض تميزه عنها باختيار هذا الأسم غير المألوف تماماً من حيث صيغته وبنائه» [صفحة ٦٠] .

إن أى مسلم لا يخطر بباله ، ولا يتصور أن القرآن هو الذى أختار لنفسه أسم القرآن ، والمتفق عليه عند جمهرة المسلمين ، بل البديهية هو أن الله سبحانه هو الذى أنزل القرآن ، وأطلق عليه هذه التسمية طبقاً لمقاطع الآيات التى أوردناها قبل سطور .. وهنا يتساءل أى قارئ لم ضمنه الباحث كتابه ؟ ما الذى حدا به إلى ركوب هذا المركب الصعب بتقديم القرآن الكريم ـ النص ـ على أنه هو الذى أطلق الأسم على نفسه ، ونأى بنفسه عن أن يذكر أن الله سبحانه ـ منزل القرآن ـ هو الذى أطلق التسمية على كتابه ، وليس الكتاب أو القرآن أو النص هو الذى أطلق هذه التسمية على نفسه .. الحقيقة التى لا شك فيها أن عبارة الباحث فى حديثه عن النص فى هذا المقام بالصيغة التى تناولها به توحى بكثير من المعانى التى لو تم الإفصاح عنها لكانت فى غير صالح الجانب الإعتقادى للباحث .

كذلك يبرز تساؤل آخر نابع من نفس صيغة البحث التى أوردنا ذكرها قبل سطور وهو : ماهى الثقافة التى ينتسب إليها النص ، وتشكل من خلالها ؟ والتساؤل هذا نابع من عبارة الباحث [ص ٦٠] : « إن النص فى إطلاقه هذا الأسم على نفسه ينتسب إلى الثقافة التى تشكل منها » . ونحن حين نترجم هذا الكلام بوضع لفظ القرآن مكان النص ، يكون كلام الباحث على النحو الآتى : « إن القرآن فى إطلاقه هذا الأسم ـ يعنى القرآن ـ على نفسه ينتسب إلى الثقافة التى تشكل منها » فأى ثقافة تلك التى تشكل منها القرآن ـ وقد مر بنا فى صدر البحث تعريف مصطلح الثقافة ـ ؟؟ إن إجابة هذا السؤال لا تعلى ـ أراد الباحث أو لم يرد ـ إلا أن النص من صنع محمد ﷺ ، وقد إستمد مادته من بيئته التى تشكل من خلالها ، وهكذا مرة أخرى يهز

الباحث قدسية القرآن ، ويجرده من طبيعته السماوية ، وينزل به إلى بيئة أرضية ، وهو أمر فى طرف من الخطورة والبعد عن الطبيعة الإلهية للكتاب العزيز .

وعلى نفس النسق الفكرى الذى سار عليه الباحث من عزل إرتباط النص أو القرآن عن الخالق الأعظم ، ما ذكره عن الشعر ، والقرآن ، والرسول .. إن الباحث يقول ما نصه « وإذا حرص القرآن على نفى صفة الشعر عن نفسه ، وعلى نفى صفة الشاعرية عن محمد ﷺ قد أدت إلى تحريم الشعر أو كراهيته .. لقد أراد النص أن يدفع عن نفسه صفة الشعر لأسباب ترتبط بتصور العرب لماهية الشعر من حيث المصدر والوظيفة» [صفحة ١٥٨] .

هكذا تعبير الباحث عن عزل صلة القرآن بمنزل القرآن ، وهو يكرر العبارات نفسها فيما تلا من سطور وصفحات .

إن القرآن الكريم لم ينف عن نفسه صفة الشعر ، كما أن القرآن الكريم لم ينف عن محمد ﷺ صفة الشاعر ، وإنما الذى نفى ذلك عن الرسول ﷺ هو منزل القرآن وليس القرآن ، وذلك فى قوله تعالى : **﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾** [يس : ٦٩] ، وفي قوله تعالى : **﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾** [الحاقة : ٤١] ، ولم يرد فى القرآن الكريم فى شأن نفى الشعر عن الرسول ﷺ غير آية يس ، كما أنه لم يرد فى نفى الشعر عن القرآن الكريم غير آيتى يس والحاقة ، والذى تولى نفى الشعر عن الرسول ﷺ هوالله سبحانه بنون المتكلم : **﴿وما علّمناه الشعر﴾** ..

إنه من غير المقبول منطقاً أن ينفى القرآن عن نفسه شيئاً ، كما أن مثل هذه العبارات يرفضها السلوك الإيمانى ، وفى مسرى المشاعر الإيمانية بل المعالم الإيمانية .. لا يقول مسلم بأن القرآن نفى الشعر عن محمد ﷺ أو عن نفسه ، وإنما الذى يقوله المؤمن هو أن الله قد نفى الشعر عن القرآن وصفة الشاعر عن محمد ﷺ .. لأن الله هو منزل القرآن .

العرب الجاهليون أقرب فهماً لطبيعة النص :

هذا القول رأى للباحث سجله فى صفحة ١٥٩ من كتابه إذ يقول :

« ولقد كان العرب الجاهليون فيما يبدو أقرب فهماً لطبيعة النص - يعنى القرآن الكريم - ولوظيفته وغايته من كثير من رجال الدين المعاصرين الذين يجزئون النص فقد كانت الحرب التى شنها العرب ضد النص - القرآن - فى حقيقتها حرباً ضد الواقع الجديد الذى خلقه النص فى بنائه اللغوى أولاً » [صفحة ١٥٩] .

إن المعنى الذى يفهمه أى قارئ لكلام الباحث هو أن كفار قريش ما جمعوا جموعهم ، ولا جندوا صناديدهم ، ولا عبأوا جيوشهم إلا لخوفهم من بلاغة القرآن ، وأما تعاليم القرآن بعبادة الله وتوحيده ، والإيمان برسالة الإسلام ، وترك عبادة الأوثان ، ونبذ التعامل بالربا ، والكف عن وأد البنات ، والإغراق فى الإنحلال ، وإقتراف الآثام ، فهى أمور ثانوية طبقاً لحرفية رأى الباحث.!!

إن الباحث والأمر كذلك .. لم يفهم حقيقة القرآن وجوهره ، أو هو يلوى عنق الحقيقة ، ويذهب بها مذاهب بعيدة كل البعد عن مقصد القرآن ووظائفه .

إن الأمر ليس بهذه الصورة الخاطئة ، فقد كانت الحرب التى شنها العرب الوثنيون ضد «النص» بسبب الدين الجديد الذى أقضت تعاليمه مضاجعهم ، والعقيدة السماوية الجديدة الداعية إلى الإيمان بالله ، وتوحيد ذاته ، وإشاعة العدل بين الناس ، وإنكار لعبادة الأصنام ، والإيمان بالبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب.. إن هذه الأهداف القرآنية هى الأساس من الرسالة التى يحمل تعاليمها ويبلغها عن طريق الصادق المصدوق صاحب الرسالة ونبى الإسلام محمد ﷺ .

هذا ولم يفت الباحث أن يعرض بعلماء المسلمين المعاصرين الذين يطلق عليهم إسم : « رجال الدين » ، وكان ينبغى ألا يفوته أنه ليس فى الإسلام رجال دين .. فذلك من مراسم المسيحية واليهودية والأديان الوضعية .. أما الإسلام فإن القائمين على شئون التعريف به والدعوة إليه هم علماء الدين ، الذين ناصبهم الباحث العداء .. فلا تكاد تمر مناسبة لذكرهم إلا خلع عليهم من الأوصاف مالا يليق أن يصدر عن باحث فى علوم القرآن ، وهو ما سوف نعرض له فيما يستقبل من صفحات هذا « التقويم » .

حضارة النص أم حضارة التأويل ؟!

النص فى مفهوم الباحث هو القرآن الكريم ، وأما التأويل فهو مصطلح يدخل تحت مفهوم التفسير والشرح والإستنتاج ، ومن ثم فإن هناك فرقاً كبيراً بين القرآن بقدسيته ، وبين التأويل .. لأن التأويل موضع إتهام فى بعض الأحيان ، ولكن الباحث تضطرب الموازين فى يديه حين يقرر أنه إذا كانت الحضارة الإسلامية حضارة النص فهى أيضاً حضارة التأويل .. وهو كلام مضطرب ، ومن ثم فإنه من المستحسن عرض كلامه بنصه إذ يقول : « إذا صح إفتراضنا فى مفتتح هذه الدراسة أن الحضارة العربية الإسلامية هى حضارة النص يصح أيضاً أن نقول حضارة التأويل .. وذلك أن التأويل هو الوجه الآخر للنص .. وإذا كان مصطلح [التأويل] فى الفكر الدينى الرسمى قد تحول إلى مصطلح [مكروه] لحساب مصطلح التفسير فإن وراء مثل هذا التحويل محاولة مصادرة كل إتجاهات الفكر الدينى المعارضة سواء على مستوى التراث أو على مستوى الجدل الراهن فى الثقافة » [صفحة ٢٤٧] .

الواقع أن مثل هذا الفكر يدخل فى باب الإثارة أكثر منه صلة بالعلم والمنهجية ، وهو من قبيل تعكير الجو الفكرى الإسلامى .. فليس فى الإسلام ثمة فكر دينى مؤيد وفكر دينى معارض .. الفكر الإسلامى نسق ينبع من معين واحد هو الكتاب والسنة ، ومن يخرج عن هذا الإطار فقد عزل نفسه عن الإسلام ، وإذا كان ثمة إختلاف ففى الفروع .

غير أن الفهم الغريب الذى ساقه الباحث فى فقرته السابقة هو الذى يدين إتجاهه الفكرى حيال القرآن الكريم .. إنه لا يقرر أن الحضارة الإسلامية هى حضارة القرآن .. ولكنه يفترض ذلك ويسوق إفتراضه الغريب بشروط معيبة علماً ومنطقاً وذلك فى قوله :

« إذا صح إفتراضنا أن الحضارة العربية الإسلامية هى حضارة النص - يعنى القرآن - فإنه يصح أن يقال : إنها حضارة التأويل » .

وهو تعليل مريض أدانه القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله ...** ﴾ [آل عمران : ٧] .

هو قرآن - نص - واحد لا خلاف على أحكامه التى هى جوهر الدين وحدوده .

ملحوظة للمؤلف : -

للأسف كتب د. عبد الصبور شاهين فى كتابه كلمة «مرض» فى الآيه محل الكلمة الصحيحة «زيغ» وهناك بيت شعر نصه يقول:

إن كنت تعلم فتلك مصيبة   وإن كنت لا تعلم فالمصيبة أعظم

فان يخطئ أحدالدهماء فى كتابة القرآن.. نعنفه ونعلمه ولكن ان يصدر الخطأ من العلماء.. الذين هم يحكمون على أبحاث د. نصر بجواز ترقيته بها أم تأجيلها.. فهذا مالا يغتفر.. حيث يلجأ الدهماء وعوام الناس إلى هؤلاء ليفقهونهم فى دينهم.. فان يكتب د. مصطفى الشكعه «فأما الذين فى قلوبهم **مرض**» وصحتها كما وردت بالقرآن الكريم (فأما الذين فى قلوبهم **زيغ**) فى معرض كتابته لتقريره الذى كلفه به الأزهر الشريف لإبداء الرأى فى أبحاث وكتب د. نصر.

ثم ينقل تقريره فى كتاب يطلقه على العامه الدكتور/ عبد الصبور شاهين الرجل الذى يزعق إسبوعيا فى الناس فى جامع عمرو بن العاص بميدان الفسطاط ليهديهم لدينهم الرجل الذى ألف تاريخ القرآن.. الرجل الذى يحتل كرسى الأستاذية.. الرجل الذى يقول: (أنا العربية والعربية أنا).. الرجل الذى جمع لجنة الترقى إلى تقريره الذى كتبه.. ويفوت عليه هذا الخطأ فى القرآن الكريم.. فيكتب الآيه فى كتاب نشره بأسم «قصة أبو زيد وإنحسار العلمانية فى جامعة القاهرة» بالصفحة رقم ٧٣ ويحيطها بعلامتى تنصيص الآيه ويضفى عليها البنط الأسود فى الكتابه ويزيلها بكلمة [آل عمران : ٧] وتكون كلمة فى الآية خاطئة!! ليس كما وردت فى القرآن الكريم!! كما أنها ليس مما يقال عنها أنها يمكن أن تكون خطأ مطبعياً!! فيكتب كلمة «مرض» وصحتها كما وردت بالقرآن «زيغ» فى معرض نقله لتقرير د. مصطفى الشكعة عن أبحاث د. نصر أبو زيد!!

فإن كان د. عبد الصبور.. يعلم الخطأ ونقله كما كتبه د. مصطفى الشكعه دون أن يصححه.. فتلك مصيبة!! وإن كان نقل الخطأ ولا يعلم أنه خطأ.. فتلك مصيبة أعظم!!

ترى ماذا تنتظر على أيدى هؤلاء الخطاه من مستقبل لأبنائنا فى جامعاتنا المصريه؟! إن الخطأ ليس من حافظ لبعض آيات القرآن إستأجرته على قبر أبى ليتلو ماتيسر رحمه له..!! إن الخطأ من علماء تبوؤا الصدارة فى المجتمع..علماء أجلاء نأتنس لهم ونحترمهم.. لقد هان علينا د. نصر أبو زيد عندما أخطأ فى كتابة آيات القرآن غير مرة.. ولكن أن يخطئ العلماء.. الذين نحبهم ونحترمهم.. فكيف يهونوا؟! لذلك أرى أنه من المناسب أن لا يمر هذا الخطأ بغير عقاب ولا أقل من أن يجمع كتابه من السوق ليصحح منه الخطأ الذى أقترفه فى كتابة القرآن فقد ورد الخطأ فى كتاب المفروض أنه تمت مراجعته من المؤلف د. عبد الصبور شاهين.. والمفروض أنه كتبه قبل ذلك بخط يده.. فهل كتب بخط يده (زيغ) ولكن ولده الذى جمع له كلماته على الكمبيوتر كتبها «مرض»..!! وإن كان المعنى فى التفسير واحد.. فهل يجوز أن نحرف القرآن الكريم.. رحماه ياعلمائنا.. رحماه ياسند الدين من خطاياكم..!! والآن نعود ومرة أخرى إلى باقى تقرير د. الشكعة

إنتهت ملحوظة أحمد أمين العطار «المؤلف»

الإسلام ليس له مفهوم موضوعي محدد!!

هكذا يقرر الباحث أن الإسلام ليس له مفهوم موضوعى محدد ، ومن ثم كان هدفه الثانى من هذه الدراسة هو محاولة تحديد هذا المفهوم .. وتلك هى عباراته بألفاظها :

« إذا كان النص القرآنى هو نص الإسلام فإن الهدف الثانى لهذه الدراسة يتمثل فى محاولة تحديد مفهوم موضوعى للإسلام .. مفهوم يتجاوز الطروح الأيديولوجية من القوى الإجتماعية والسياسية المختلفة فى الواقع العربى والإسلامى » [صفحة ٢٢] .

إن أشد الناس عداوة للإسلام لم يتجاسروا على النيل من الإسلام بقدر مانال منه الباحث فى عباراته تلك.. إن الإسلام لم يتحدد له مفهوم موضوعى منذ جاء محمد ﷺ بالرسالة إلى يومنا هذا، فجاء الباحث الدكتور نصر حامد أبو زيد ليجهد نفسه : « فى محاولة تحديد مفهوم موضوعى للإسلام » !!

إن مثل هذه الأفكار الهازلة لا ينبغى الوقوف أمامها ، لأن الفاحص يقف أمام فكرة مستقيمة أو خاطئة ولكنها قابلة للمناقشة ، ولكن فكرة الباحث فى محاولة تحديد مفهوم موضوعى للإسلام ليست من ذلك فى شئ ..

الإسلام دين عربي!!

هكذا يقرر الباحث فى صفحة ٢٦ من كتابه ، ثم ينطلق إلى مدى آخر من آفاق تفكيره الخاص ليقول :

« بل هو - يعنى الإسلام - أهم مكونات العروبة وأساسها الحضارى والثقافى » [الصفحة نفسها] .

مما لا شك فيه - فيما لو كان الباحث يعنى ما يقول - أن ثقافة الباحث الإسلامية تحتاج إلى تنمية وقراءة طويلة ، لأن الإسلام لا يختص بجنس ولا إنحاز لفريق ، وإنما هو دين كل من أعتنقه.. عربياً كان أو أعجمياً ، أبيض أو أسود ، ذكر كان أو أنثى .. وليس كون محمد ﷺ عربياً ، وأن القرآن عربى أن يكون الإسلام ديناً عربياً ، والباحث لابد أن يعرف أن أشد الناس عداء للإسلام هم : « العروبيون » ، وعليه أن يقرأ مبادئ حزب البعث العربى ، وأن يتابع تطبيقاته ، وأن يفعل الشئ ذاته مع حركة القوميين العرب ، وما هو موقفهم من الإسلام الذى ينكرونه كل الإنكار .. الإسلام ليس دين العرب كما ذهب الباحث ، ولكنه دين الله إلى الناس كافة فى كل زمان وفى كل مكان .

معارضة الباحث تطبيق أحكام الإسلام ويصف علوم القرآن بأنها تراث رجعى يقول الباحث ما نصه :

« وإذا كان ذلك التحدى الحضارى الذى واجه أمتنا منذ سبعة قرون هو الذى حدد للعلماء طرائقهم فى التأليف والتصنيف ، فجمعوا كل ما كان له علاقة بالنص - يعنى القرآن - من قريب أو من بعيد تحت عنوان (علوم القرآن) فإن التحدى الذى يواجهنا اليوم يفرض علينا سلوك طريق آخر » [صفحه ١٦] .

ويستطرد البـاحث قائلاً : « وإذا كـان علمـاء الماضى قد إستـجابوا للتحـدى الذى كان مطروحاً عليـهم إستجابة حققت إلى حد ما (الحفاظ) على التراث من الضيـاع ؛ فإن التراث الذى حفظوه لنا هو التراث الرجعى » [صفحة ١٦] .

ويشئ قليل من تأمل كلام الباحث .. يتبين أن المقصود بالتراث الرجعى الذى حفظوه هو علوم القرآن ..

ويمضى الباحث فى نفس الصفحة قائلاً : « يذهب البعض مثلاً إلى أن خلاصنا الحقيقى يتمثل فى العودة إلى الإسلام بتطبيق أحكامه وتحكيمه فى حياتنا كلها الإقتصادية والإجتماعية والسياسية إنتهاء إلى أصغر التفاصيل فى حياة الفرد والجماعة ، وأصحاب هذا الإتجاه وإن كانوا اليوم أعلى صوتاً لا يكادون يقدمون لنا مفاهيم كلية أو تصورات للتغيير الإقتصادى والإجتماعى والسياسى ، وإنهم لا يتجاوزون الإستشهاد بما حققه المسلمون من تقدم وحضارة ، ويفسرون هذا التقدم بمجرد إتباع المسلمين للنصوص ـ يعنى نصوص القرآن والسنة ـ وتحكيمها فى حياتهم » [صفحة ١٦] .

الأمـر العـجـيب أن البـاحث وهو يسـتنكر مطل تطبيق أحكام الشريعـة ، يورد من خـلال إسـتنكاره الرد على ما أثاره ، ويثبت الإجـابة النـاجعـة وهى أن المسلمين حين طبـقـوا الشريعة أصابوا علماً وافراً ، وإقتصاداً ناجحاً ، ومجتمعاً سليماً ، ولا شك فى أن البـاحث لا يعلم أن أغنيـاء المسلمين فى فترات من حكم عمر ابن عبد العزيز وكافور الإخشيدى فى مصر لم يجدوا فقراء كى يوزعوا عليهم زكاة أموالهم ..

وفى غيبة كاملة للوعى يستطرد الباحث ناعياً على الأحزاب السياسية كلها فى مصر تبنى مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية قائلاً : « ومن المؤسف أن تتبنى كل أحزابنا السياسية هذا المطلب ـ يعنى تحقيق تطبيق الشريعة ـ رغم إفتراض إختلاف المنطلقات النظرية لكل حزب من هذه الأحزاب » [صفحة ١٨] .

ويمضى الباحث فى حملته الشديدة على الشريعة والتراث فيما يشبه هذيان المحموم قائلاً : «وإذا كان الحل السلفى فى حقيقته وجوهره يتنكر دون أن يدرى لمقاصد الوحى وأهداف الشريعة حين يفصل (النص) عن الواقع وذلك بالمطالبة بتطبيق (نص) مطلق على (واقع) مطلق ، فإن بلورة مفهوم النص قد يزيل جوانب بعض هذا التعتيم ، وقد يكشف القناع عن حقيقة الوجه (الرجعى) لهذا الفكر وإمتداداته فى التراث وحقيقة عدم إنفصاله عن تيار ثقافة الطبقة المسيطرة » [صفحة ١٨] .

وفى مجال حمى حديث الباحث عن الرجعية والرجعيين يذكر أن كلاً من طه حسين والعقاد بدأ حياته مجدداً على مستوى الفكر واللغة والأدب ، ثم إنتهى كل منهما محافظاً رجعياً .. [صفحة ٢٠] .

وبذلك يكون مفـهوم المحافظة والرجعية مقابلاً للإيمان ، ويكون مفـهوم التـجديد مقابلاً للإنحراف والزندقة ، ذلك أن سقطات طه حسين وجموح العقاد فى شباب كل منهما كان هذا الفريق من الناس يعتبرهما مجددين ، فلما إنهما إنتهيا إلى الإيمان والكتابة البناءة فى الفكر الإسلامى حسبا رجعيين .

مـاركسيـة الفكـر والمنهـج :

إن الفكر الماركسى يتجلى فى أكثر صفحـات الكتاب ، وإن نهج الباحث فى عرض أفكاره وفى إصدار أحكامه نابع من فكر ماركسى ملك على الباحث كل جوارحه ، وطريقة تناوله لقضاياه .. سواء أكانت خاصة بموضوعات الكتاب أو عامة متصلة بالمجتمع العام والحركة فيه ، وهو يكثر من الدعوى إلى تأليب أفراد المجتمع وجماعاته ، ويسرف فى ذلك إسرافاً شديداً مردداً الشعارات التى كانت الماركسية ترفعها ، وتحض على تبنيها من مثل ما يعبر عنه «بتعارض المصالح بين المستغلين وبين الطبقات الكادحة» [صفحة ٢٧١] ، أو ما يدّعيه من دور الفقيه «وتحوله من رعاية مصالح الأمة إلى تبرير سلوك الحكام ورعاية مصالح الطبقات المستغلة المسيطرة وضرورة إعادة النظر فى مفهوم الإجماع ، فلا يكون إجماع أهل الحل والعقد هو الإجماع الذى يعمل به» [صفحة ٢٧٢] .

ويتضح الفكر الماركسى فى الممارسة الأكاديمية للباحث بشكل صارخ فى تخطئته للغزالى حين يعرض له نصاً مقتطفاً من «إحياء علوم الدين» ، وضمنه قوله تعالى : **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ...﴾** [الزخرف : ٣٢] إن الباحث يعلق على

النص والآية حرفياً بقوله:

«إن المفهوم الطبقى واضح هنا فى إستخدام لفظ (التسخير)، فالعمـال مسخرون فى خدمـة الملوك لإقامة ملك الدنيا، وأهل الدنيا مسخرون لخدمـة أهل الآخرة لكى يستقيم لهم سلوك الطريق».

ويستطرد الباحث قائلاً فى نطاق من السخرية: «وفى هذا المفهوم يبدو حرص الغزالى على المحافظة على النسق الإجتماعى القائم مادام هو النسق الوحيد القادر على ضمان الخلاص لأهل الآخرة، ولذلك أيضاً نفهم حرصه على الجمع بين نظامين من العقائد وبين طريقين للتأويل» [صفحة ٣٢٥].

ولا يكتفى الباحث بهذا القدر من التعريض بالآية القرآنية وبآراء الغزالى المستمدة منها، بل يعود ليعرّض بالإمام الجليل فى هامش الصفحة من أسفلها قائلاً مانصه: «والتشابه واضح بين مفاهيم الغزالى ومفاهيم الخطاب الدينى الرسمى المعاصر». وفى نطاق تأكيد ماركسية الفكر لدى الباحث ماذكره تعليقاً على فقرة مقتطفة من كتاب «جواهر القرآن» للغزالى.. يقول الباحث مانصه: «إن مالقيه فكر الغزالى من ذيوع وقابلية فى الأجيال التالية له حتى صار نسقه الفكرى مهيمناً على الخطاب الدينى المسيطر هيمنة شبه تامة، أمر يحتاج إلى التحليل والتفسير، ويكفينا هنا أن نقول: إن جانباً من هذا الذيوع - لفكر الغزالى بطبيعة الحال - يمكن تفسيره بثنائية النسق الفكرى الذى يطرحه الغزالى، حيث قدم للعامة وسيلة الخلاص بسلوك طريق الآخرة، وقدم للطبقات المسيطرة من حكام وسلاطين أيديولوجية النسق الأشعرى بكل ماينتظم فى هذا النسق من تبريرية وتلفيقية.. لم يكن من الممكن لنسق الغزالى أن يهيمن ويسيطر إلا والواقع الإجتماعى والسياسى للعالم الإسلامى يعانى التفسخ الداخلى بين طبقات الأمة - وهو تفسخ لم يحسمه صراع حقيقى إجتماعى (يعنى حمامات الدم طبقاً للسلوك الماركسى) أو فكرى - لكن هذا التفسخ قد زامنه سيطرة المستعمر وتحالفه مع قوى الإستغلال الداخلية فى الأوطان الإسلامية، فى ظل هذه الأزمة المركبة مازال فكر الغزالى يقدم الغذاء والدواء، بتبرير الواقع، وتأجيل الحل والخلاص إلى مابعد الموت» [صفحة ٣٣٧,٣٣٧].

وقد دلل هؤلاء المفسرون على ماذهبوا إليه من تفسير الوسواس بالشيطان، بقوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿**فوسوس لهما الشيطان...**﴾ [الأعراف: ٢٠]، وبقوله تعالى فى سورة طه: ﴿**فوسوس إليه الشيطان...**﴾[طه: ١٢٠].

وإن العارفين بعلوم القرآن ومقاصده يعرفون أن الجن لم يرد - ألبته - فى القرآن الكريم على أنه الوسواس، وأنه يوسوس، وإنما الوسوسة مقصورة على الشيطان بإستثناء ماجاء عن وسوسة النفس فى الآية الكريمة من سورة ق: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد..**﴾ [ق:١٦].

ومن الأخطاء التى لا يليق بالباحث أن يقع فيها ذكره أتباع دين إبراهيم عليه السلام بأنهم الأحناف، وهو خطأ واضح لأن الأحناف هم أتباع مذهب الإمام أبى حنيفة، وأما أتباع دين إبراهيم - والمسلمون أيضاً - فهم الحنفاء أى أتباع الحنيفية وهى دين إبراهيم، والمفرد حنيف على وزن أمير.. وإذا حاول الباحث أو غيره أن يعزو ذلك إلى خطأ مطبعى فإن ذلك يكون خطأ ثانياً لأن اللفظ قد تكرر ذكره على صورته الخاطئة فى أكثر من صفحة من صفحات الكتاب مثل صفحتى ٦٩، ٧٤ على سبيل المثال.

ومن أخطاء الباحث أيضاً أن يصدر أحكاماً من منطلق معلومات خاطئة شائعة، مثال ذلك ماذكر به كافوراً الإخشيدى من سوء، وضربه مثلاً للحاكم السئ لقطر إسلامى [صفحة ٢٠] وإن دل مثل هذا الرأى على شئ فإنما يدل على أن الباحث يفتقد عنصر تمحيص الأخبار وتدقيقها .. فلقد كان كافور برغم سواد وجهه ونشأته على الرق - لأنه خطف صغيراً - واحداً من أصلح حكام المسلمين، كان صالحاً فى شخصه وسلوكه وعلمه، وصالحاً فى حكمه حتى إن أغنياء المصريين فى أيامه لم يجدوا طرقاً لمصارف زكاتهم بسبب حسن الأحوال الإقتصادية لعامة المصريين.

ومن الأخطاء المنهجية التى وقع فيها الباحث محاولاته إخضاع أسلوب القرآن الكريم لمعايير نقدية أوربية

علمانية معاصرة ، والقرآن الكريم طبقاً لما هو معلوم منزه عن أن يخضع لمعايير نقدية جاءت بها بربارا جونسون Barbara Jonson ، أوبيترنسلروث Peter Neslroth، [صفحة ٢٠٥,٢٠٠].. بل إن العلماء المسلمين جعلوا القرآن الكريم معلماً لهم فى معايير البلاغه والأسلوب مثلما هو معلم لهم فى شئون الدنيا والآخرة . وفيما يلى الرأى الأخير:

(الـرأي الأخـيـر)

فى إستعراض سريع للأخطاء التى وقع فيها الباحث الدكتور نصر حامد أبو زيد فى الكتاب موضوع التقويم نجد أنها تجاوزت مسمى الأخطاء إلى شئ أخطر من ذلك وهو الإنحراف بالقرآن الكريم عن مقصده وسوء تناول دراسته، ونسبة أمور فاسدة علماً وإعتقاداً إليه.. من أهمها:

أولاً: فساد الفكر الذى قام عليه الكتاب فى تناوله لدراسة القرآن الكريم موضوعاً ومنهجاً، وإسباغ صفة (بشرية) عليه.. مما يوحى بأن محمداً ﷺ ، ذو مشاركة فى «إنتاجه» وأن القرآن تجاوب مع الواقع وإستجاب له مما يومئ بإيجاءات خبيثة، وأن القرآن هو الذى أطلق على نفسه أسم القرآن، وأنه - أى القرآن - هو الذى نفى عن نفسه صفة الشعر، كما نفى الصفة نفسها عن محمدﷺ، وأن العرب الجاهليين أقرب فهماً لطبيعة النص من «رجال الدين» المعاصرين، وأن الحضارة العربية الإسلامية حضارة تأويل، وأن الإسلام ليس له مفهوم موضوعى محدد، وأنه فى الوقت نفسه دين عربى، وأن علوم القرآن الكريم تراث رجعى، كما أتضح أن الباحث ماركسى الفكر والمنهج، وأن فى معلوماته العامة كثيراً من النقص والقصور مما أدى به إلى الوقوع فى أخطاء كثيرة على مسرى صفحات كتابه..

ثانياً: من أشد إنحرافات البحث خطراً هو ما قرره الباحث من أن الأحكام التى إنتهى إليها فى هذه الدراسة - وهى من التصادم مع بديهيات الإسلام بمقدار كبير - تعد طبقاً لمنطوق كلمات الباحث «ثمرة لتفاعل خصب مع طلاب قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة.. سواء فى الجامعة الأم.. أو فى فرع الخرطوم بالسودان.. وقد أتيح لى - والكلام للباحث - من خلال المشاركة فى تدريس مادتى القرآن والحديث أن أقوم مع الطلاب بإختيار مجموعة من الفروض تدور كلها حول القرآن من جوانبه المختلفة، وكان النهج الذى سرنا عليه هو قراءة ما كتبه القدماء فى الموضوع أولاً، ثم مناقشة آرائهم من خلال منظور معاصر ثانياً» [صفحة ٥٠]. هكذا يكون الباحث قد أشرك الطلاب - راغمين - على مسايرته فى فكره، وعلى وجه الترجيح أيضاً فى إعتناق آرائه التى بدت تجاوزاتها وإنحرافاتها فيما هو مفصل على صفحات هذا التقرير.. ولم يقف الأمر به عند تغرير الطلاب المصريين فى آداب القاهرة وحدهم، وإنما تعداهم إلى الطلاب السودانيين فى فرع الجامعة بالخرطوم. ومن البداهة بمكان أن يلتزم الطلاب بإستيعاب هذه الآراء المنحرفة التى ضمنها الكتاب لأنها عرضة لأن تكون موضوعات للأسئلة التى يتحتم على الطالب أن يجيب عليها فى إمتحانات نهاية العام الدراسى، ومن ثم فإن الطالب الذى لا يلتزم بالإجابة عليها طبقاً لما هو مسطور فى صفحات الكتاب، وطبقاً لفكر الباحث - وهو عضو هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة - يكون محكوماً عليه بالرسوب فى تلك المادة، **وبذلك تكون جامعة القاهرة قد أسهمت بدراية كاملة فى تخريج طلاب من الجنسين التحقوا بها وعقيدتهم سليمة، وتخرجوا فيها على عقيدة دينية غير سوية!!. لـذلـك فـإننا نرى:**

أولاً: منع تداول هذا الكتاب لما يؤدى إليه من فساد مؤكد فى عقيدة القراء بصفة عامة، وطلاب جامعة القاهرة بصفة خاصة..

ثانياً: الحفاظ على عقيدة الطلاب وتجنيبهم تلقى الدروس على هذا الأستاذ بالسعى إلى إبعاده عن أى محيط ثقافى شبابى، وفى مقدمة ذلك الجامعات والمعاهد العلمية..

والله تعالى ولى التوفيق،،،

دكتـور / مصطفـي الشكعـة

التعليـــق:-

وفى رأينا - المؤلف - أن ماورد فى هذا التقرير يتصف بالعلم الغزير والدقه فى البحث، وإن كان الدكتور

مصطفى الشكعه قد إلتزم الدقة العلمية الفائقه وبأسلوب علمى رفيع فإنه وإن إلتقى معنا فى أن هناك «آراء عطنه» للدكتور نصر «بنص كلماتنا - المؤلف -» إلا أنه عبر عنها بقوله بتجنيب الطلاب تلقى الدروس على هذا الأستاذ» ولكنى أختلف معه فى رأيه المطالب بمنع تداول الكتاب.. ومنع التداول يعنى «حرق الكتاب» وهذا ماأختلف معه.. فمصادرة الكتب حتى لو كانت كتب فى البوزيه أو أى من الكتابات عموماً أرانى أعارضها - المؤلف» كما أختلف معه فى تفسير معنى الأيدلوجيه التى يقصدها د. نصر فلماذا لا يكون قصده بها (فن البحث فى الأفكار والتصورات) وهذا المعنى هو الأدق فى إستخدام د. نصر لكتاباته كما أنه أيضاً التفسير العلمى الذى أراه-أشد التصاقا؛ وعلى كل الأحوال فالدكتور/ عبد الصبور شاهين أو الدكتور/ مصطفى الشكعة لم يصدر من أى منهما على كتابات د. نصر أبو زيد أنه بها (مرتد) وهذا فى حد ذاته إلتقاء معنا فى وجهة نظرنا التى عبرنا عنها بقولنا «قد يكون أخطأ أو أسرف على نفسه أو كانت له آراء عطنه ولكنه يصعب أن يوصم (بالردة) فالردة هي الموت سواء بسواء». وضجت الصحف وصخبت مابين مؤيد ومعارض لكتبه وكتاباته.. وثرت الصحف بآراء موضوعية.. وأكاديمية علميه حيناً وأخرى هازلة أو خطابية وفى بعض الأحيان فكاهية. ويروق لنا أن نسرد بعضاً منها.

أولاً: الآراء الرافضة للدكتور نصر حامد أبو زيد وكتبه.

تحت عنوان «قصة أبو زيد» كتب «حاتم هلال» بتاريخ ١٩٩٣/٥/٩ فى مجلة حريتى يقول: الحملة الضارية التى تشنها الصحف والمجلات - إياها - ضد قرار جامعة القاهرة بعدم الموافقة على ترقية الدكتور نصر حامد أبو زيد لدرجة أستاذ لأن نتاجه العلمى لا يرقى إلى المستوى الجدير بالأستاذية .. لا تتوقف.. ولا يعلم إلا الله متى تتوقف !!

فى يوم واحد.. وبلغة واحدة إنطلقت مظاهرة إعلامية صاخبة ومنظمة فرضت نفسها على الإعلام المصرى.. وأقام «العلمانيون» - كعادتخهم دائماً - «مناحة» للبكاء على حرية الفكر وحرية البحث العلمى.. بل وصل بهم الأمر إلى إتهام الأساتذة المتخصصين بالإرهاب، وبتصديره من أحد قلاع الفكر الحصينة.. جامعة القاهرة.

واضح جداً أن محاولاتهم كان القصد منها إستعداء وإستنفار الرأى العام حين خرجوا بالقضية إلى الشارع فى محاولة يائسة لتحكيم الجماهير على إنتاج أستاذ جامعى بالصلاحية أو عدم الصلاحية، دون أن تملك هذه الجماهير الأدوات التى تحكم بها على مؤلفات أكاديمية بالحق أو الباطل!!.. إنها إذن «غاغة» لإثبات الوجود.. بعد الإفلاس والسقوط على المستوى الأيديولوجى والعلمى أيضاً.

وحرصاً منا على الحقيقة - التى هى ضالة المؤمن - والتى هى هدفنا ذهبنا إلى الطرف الأساسى فى القضية.. الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بكلية دار العلوم، وأحد أعضاء اللجنة الثلاثية المشرفة على ترقية الباحث، وصاحب التقرير الذى رفض نتاج نصر أبو زيد، وهذا التقرير وافقت عليه اللجنة العلمية ومجلس الجامعة. فى منزله بشارع الهرم إستقبلنا د. شاهين مرحباً بالنقاش ومبدياً إستعداده للإجابة عن كل الأسئلة ومواجهة كل الإتهامات التى أثارها أصحاب هذه الحملة.

★ سألت د. عبد الصبور شاهين : نريد أن نبدأ الحكاية من البداية كيف نشأت المشكلة ؟!

★ لا أدرى.. لقد فوجئت بها وقد أصبحت قضية شاغلة للرأى العام لا فى مصر وحدها، بل فى كل مكان تبلغه الصحافة المصرية حتى إننى علمت أن هناك رد فعل عنيفاً جداً ضد القائمين على هذه الحملة.. والكثيرون يعتبرونها عدواناً على الإسلام وعلى أساسياته ومصادره.. لقد كان ممكناً أن تكون القضية بسيطة جداً لا تعدو أن تكون قضية إنسان حاول فضلّ فأخطأ.. ومن حقه أن يحاول مرة أخرى ليعود إلى الصواب والهداية فيصيب النجاح، وهذه القضية مثل واضح غير سابق الإعداد.. فما كنا نتصور أن مثل هذه «الغاغة» سوف تحدث، وأن رد فعلها سوف يكون هذه الضجيج البشع.. إنما كانت المواقف كلها طبيعة جداً.. لجنة

شكلت بكل بساطة كما تشكل مئات اللجان.. ويقرأ الأساتذة الفاحصون الإنتاج ثم يحكمون عليه كما يحكم القضاة بكل نزاهة وضمير القاضي دون إعتبار لأي شئ إلا تحقيق العدالة، وأن يصل الحق إلى مستحقه. المهم شكلت اللجنة وكان من بين أعضائها الأستاذ الدكتور شوقى ضيف وهو أستاذ الأساتذة وزميل آخر هو الأستاذ الدكتور عونى عبد الرؤوف.. ويبدو أن الذين أثاروا الضجة - وهم لا يعرفون شيئاً فى هذه المادة ولا فى هذا التخصص - كان يعنيهم دائماً أن يقودوا الأمور ويوجهوها فى خط معين .. فلما توقعوا أن الدكتور شوقى ضيف لن يكون معهم إضطروه - وهذا إعتقادى - إلى الأعتذار، فأعتذر الرجل وأختير بديلاً له الدكتور محمود مكى وكان التقرير الذى قدم فعلاً وهو تقرير الدكتور عونى أول التقارير ثم تأخر تقرير الدكتور محمود مكى بحكم أنه كلف بقراءة الإنتاج فى وقت متأخر.. وكان تقريرى قد أعد فعلاً فقدمته يوم أجتمعت اللجنة وقدم الدكتور مكى تقريره فأكتملت التقارير وقرأت تقريرى كاملاً وقرأ كل من الزميلين تقريره كاملاً وبدأت اللجنة تناقش بكل موضوعية ولم يكن منا أحد يحمل فى نفسه شيئاً إلا مسئولية الأمانة عما نؤدى بحكم كوننا علماء فى هذا الأختصاص، وحين إستقر رأى اللجنة على إعتماد تقريرى الذى قرر عدم الترقية لم يكن هذا غريباً.

تقاليـد اللجـان العلميـة

★★ لكن تقرير كل من د. مكى ود. عونى كان إيجابياً؟!

★ نعم كان التقريران إيجابيين.. لكن من تقاليد اللجان العلمية أن كل التقارير تنتهى بمجرد إعتماد التقرير الجماعى، ووقعت اللجنة على التقرير الجماعى.. ومن بين الموقعين الزميلان الكريمان د. عونى عبد الرؤوف والدكتور مكى وتوقيعهما يعنى أنهما إقتنعا بتقريرى الذى أصبح جماعياً، وأنهما متنازلان عن تقريريهما.. هذا هو الأصل وهذه هى القاعدة.. عندما نوقع.. فمعنى ذلك أننا نتبنى التقرير.

★★ وما الذى حدث بعد ذلك؟

★ الذى حدث أن الأمور سارت فى شكلها الطبيعى حيث أرسل التقرير إلى الكلية ثم أرسل إلى مجلس الجامعة بصورة طبيعية جداً.. ومن حق مجلس الكلية أن يرسل مذكرة بما يراه من ملاحظات.. لكن ليس من حق القسم المختص (قسم اللغة العربية) ولا من حق مجلس الكلية أن يكتب تقريراً علمياً أبداً.. وإنما يمكن أن يكتب ملاحظات.. هذه الملاحظات تكون موضع الإعتبار إذا كانت ملاحظات حق.. أما إذا رأى «مجلس الجامعة» ألا يأخذ بها فمن حقه.

★★ لكن د. جابر عصفور رئيس قسم اللغة العربية كتب تقريراً.. بماذا تفسر ذلك؟!

★ هذا نوع من الحماس القبلى.. هى قبيلة تمثل مجموعة من قيم التعاون والتضامن الجاهلى العصبى الذى لا علاقة له بالثقافة ولا بالفكر، ولا علاقة له بحرية الرأى وحرية الكلمة.. وإنما له علاقة فقط بالعصبية القبلية.. ورئيس قسم اللغة العربية الذى كتب هذا التقرير لا يعرف شيئاً إطلاقاً فى هذا التخصص.. وزعم أنه قرأ الإنتاج وهو لا يعرف حرفاً فى هذا الإنتاج، وليس من حقه أن يكتب شيئاً من هذا القبيل.. ثم إن بقية أعضاء القسم ليسوا متخصصين بفحص الإنتاج.. وأعضاء مجلس الكلية منهم المتخصصون فى علم النفس والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والإنجليزى والفرنساوى ولا علاقة لهم.. فإذن التقرير المختص هو التقرير المعتمد وحده.. أما بقية ما يحدث فهو شئ غريب وخارج عن الأصول القانونية والأكاديمية.. نعم هو رئيس قسم اللغة العربية ولم يقرأ حرفاً فى حياته فى الثقافة الإسلامية، ولا يستطيع حتى وإن كان قرأ أن يكون حكماً فى الموضوع.. فمن العجيب أن يتصدى رجل متخصص فى النقد الحديث والقصة والمسرحية والشعر لقراءة بحوث العقيدة والتفسير وعلم الكلام.. بالطبع هذا يعتبر نوعاً من الإستهانة بمفهوم التخصص.

فكــــر معــــاد

★★ إذن ماذا كانوا يريدون بالضبط؟

★ أن يتم إعتماد هذا النوع من الفكر المعادى للإسلام.. إعتماده فى الجامعة، وترقية إنسان محترف فى هذا الفكر الشمولى، أو الماركسى؛ بمقتضى لجنة علمية.. وعندما لم يتحقق هذا.. تصور الأستاذ ومن معه

أنهم يستطيعون أن يخوضوا معركة غوغائية، وأن يشككوا فى التقرير، ويضعوا مجلس الجامعة أمام هذه الغارة الغوغائية التى لا تحمل إلا معنى الفوضى.. لأنها أولاً تشكك فى قيم التخصص، وتتجرأ على الحق، وعلى كل مايتصل بالعقيدة، وتستهين به، وترى أن مسائل العقيدة لا قيمة لها.. وهذا بالطبع أمر خطير جداً.. عندما ينفق دافع الضرائب فى مصر على أساتذة يهينون عقيدته، أو يستهينون بها ولايريدون أن يحترموا لها فكراً ولا قيمة.. فالذى حدث أن الجامعة وفيها رجال كبار لم يخضعوا لمثل هذه الأساليب الغوغائية.

ومن المعلوم أن هناك أساتذة في قسم اللغة العربية رفضوا حضور إجتماع القسم.. وهناك آخرون رفضوا التوقيع على تقرير القسم.. وهناك أساتذة توقيعاتهم خطأ وهم الذين وقعوا فى اللجنة العلمية.

★★ لقد جعلوا القضية.. قضية شخصية وخصومة بينك وبين هذا الباحث.. فما تعليقك على ذلك؟

★ إنهم يتصورون أن الرأى العام سيصدقهم فيما يزعمون، والواقع أن الرأى العام يعرف كل واحد ودوره فى الحياة المصرية وربما كان الباحث موضع عطفي، ولذلك فقد إعتمدت له بحثين صغيرين ذكرت أنهما بمثابة عمل واحد يمكن أن يكمل بأعمال أخرى إذا حاول التقدم مرة أخرى، والباحث هو إبنى وتلميذى وأتمنى أن يكتب بصورة أكثر إلتزاماً بالحقيقة العلمية، وهو قادر على أن يفعل الكثير لولا أن حظه هذه المرة لم يكن مواتياً.

★★ وماذا عما جاء فى التقرير مما يخص عقائدية الباحث؟

★ لم يحدث فى التقرير أننى تعرضت لعقائدية الباحث.. ولكنى ذكرت أن مثل هذا الكلام يستقى من مصادر معينة أعرفها، وأشرت إلى مصدر من مصادر الباحث وهو مصدر إستشراقى، وأشرت إلى أن طابع هذا الكلام يمكن أن يكون زيفاً، أو أن يكون كذباً، أو أن يكون باطلاً، أما الباحث فلا يعنينى.. **نحن لا نفحص باحثاً وإنما نفحص بحثاً**.. أما أن أتعرض لدين الباحث فهذا أمره إلى الله سبحانه وتعالى ولا شأن لى به.

خروج علي ادب الإسلام

★★ وما تعليقكم علي ما قيل من أنكم إتهمتم الباحث بالكفر؟!

★ لا.. أنا قلت الكلام خطأ.. الكلام جهل.. الكلام إفتراء.. لكن لم أقل: إن فلاناً هذا كافر أو خارج عن العقيدة.. لأن هذا يعتبر خروجاً على أدب الإسلام، والرسول ﷺ يقول في حديث صحيح رواه البخاري: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما».. فأنا لا أورط نفسي في مثل هذا الذي يمكن أن أحاسب عليه بين يدي الله تبارك وتعالي.

التجـارة الثقـافيـة

★★ البعض يرى أنك تعرضت بالإساءة لشخصيات بعينها فى التقرير مثل وصفك الدكتور غالى شكرى بأنه «معروف الهوية» فعلى أى أساس جاء هذا الحكم؟

★ أولاً التعرض فى نقد البحوث العلمية إنما يأتى من قبيل إختيار الموضوع، والحديث حين يخرج عن البحث العلمى والتقاليد العلمية إلى مستوى المداهنة والمجاملة، ومحاولة التقرب إلى إتجاه معين وإطراء شخصية معينة.. فهذا ليس من قبيل البحث العلمى.. إنما هو من قبيل التجارة الثقافية.. فأنا لم أقل أكثر من أن فلاناً معروف الهوية.. فهل غالى شكرى معروف الهوية أم مجهول الهوية.. هو معروف الهوية قطعاً، وأنا قد أعرف أن لديه مؤهلاً حصل عليه بطريقة معينة، وأعرف أنه لم يستطع أن يستمر فى الدراسة، وأعرف أشياء كثيرة فى هذا الموضوع خصوصاً من صديقي المستشرق «جاك بيرك» أعرف أنه كان تلميذاً له، وأن إعتبارات معينة زكت غالى عند جاك بيرك.. ثمة أمور كثيرة تجاوزت حدوداً ولوائح كثيرة.. ولسنا فى صدد هذا.. فأنا أقول: إنه معروف الهوية وهذا شئ طبيعى جداً.. وعندما أقول: إن رجلاً مثل السورى أحمد صادق سعد لم أعرفه، وحين أسأل أى مثقف فى مصر فيما عدا بعض الماركسيين هل يعرفون أحمد صادق سعد؟!.. ليست هناك إساءة فى الحقيقة، ولكنه نوع من التصيد.. ثم ما قيمة هذا فى ترقية إنسان أو عدم ترقيته.

★★ لماذا وافقت اللجنة على تقريركم من بين تقارير اللجنة العلمية ؟

★ لأنه الحق.. ولأنه الأكثر موضوعية.. ولأنه الأقرب إلى الروح العلمية.

★★ وصفت إنتاج الباحث نصر أبو زيد بأنه كذب وجهل فاضح.. البعض يرى أن هذه أوصاف غير علمية وإنفعالية فما ردكم ؟

★ هذا هو الحق.. نحن نصف الأشياء بأوصافها ونسميها بأسمائها، وقد قبلت اللجنة العلمية هذه الأوصاف وقبلها مجلس الجامعة، وهى أوصاف مذكورة بإزاء أقوال ونصوص ينطبق عليها فعلاً ما وصفت به. وبصراحة هؤلاء لا يعرفون العلم ولا يعرفون شيئاً من قواعد البحث العلمى.

★★ لماذا لم يرفع نصر أبو زيد قضية يتظلم فيها بإعتبار أن هذه ليست أول حادثة ويترك للقضاء الإدارى كلمته ؟

★ كان أمامه أن يتظلم وأمامه كل شئ.. لكن هؤلاء الذين يشيرون عليه أعتقد أنهم إستثمروه لصالحهم.. وللأسف صرفوه عن طريق الجادة وعن محاولة أن يتدارك الموضوع من الناحية العلمية.. وأنا أتمنى أن يلتفت إلى مصلحته إن شاء الله، وأن يكتب الحق والصواب، وأسأل الله عز وجل أن يوفقه فى مرحلته القادمة إن شاء الله.

★★ هذه «الهجمة الشرسة» و «الضجة الصاخبة» التى يثيرها العلمانيون.. ماذا يريدون من ورائها بالتحديد ؟!

★ هؤلاء الماركسيون الأمريكيون.. فهم ماركسيون أمريكان حقاً.. لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا أصحاب فكر حر.. هم تبع دائماً لكل من يدفع أو لكل من يكون ذا أسهم أغلى.. هم تبع أثمان الأسهم فى بورصة الفكر هم يتابعون دائماً الخط البيانى ويراقبونه، فهم الآن شيوعيون أمريكان بعد أن كانوا شيوعيين روساً.. والله أعلم ماذا سيكونون بعد غد عندما تهزم الرأسمالية أخشى أن يصبحوا شيوعيين إسلاميين، لأن البديل الوحيد للعالم الرأسمالى الآن هو الإسلام!!!

هم فى الحقيقة عندما وجدوا أن القضية خاسرة تماماً على مستوى القانون، والعدالة المطلقة، والنزاهة التى تمثلها الجامعة رأو أن المسألة بهذا لم تعد تفيدهم من ناحية إعتماد الفكر، فأرادوا أن يستثمروها من ناحية إثبات الوجود.. لأن الساحة أعدمتهم وسحقتهم وإنتهوا تماماً.. من الذى سيقرأ لفلان أو فلان من كتاب الأهرام.. وهناك مجلة يصدرها واحد منهم توزع مائة نسخة، وبقية الآلاف الثلاثة تظل راكدة لا توزع، وتعود إلى المخازن..مجلة إسمها: «القاهرة»، من الذى يقرأ مثل هذا الفكر الآن أو يتابع أصحابه؟! إنه لم يعد لديهم ما يقولونه إلا أن يتفرغوا لحرب الإسلام ، والتشنيع على رموز الإسلام ومحاربة رجال الدعوة، أو حتى ضرب الجامعة فى أهم قيمها، وهى قيم حراسة الفكر، وحراسة حرية الفكر، وإقامة صرح العلم الحقيقى، والتقدم الحضارى فى البلد.. هم يريدونها كسباً على المستوى الغوغائى طالما خسروها على المستوى العلمى والأكاديمى الصحيح.. وأنا أعتقد أنهم خسروا كثيراً.. فقد أهاجوا رجل الشارع وحرضوه عليهم.

هـؤلاء هـم الإرهـابيـون

★★ الشيوعيون يقولون : إن هناك فى موازاة الإرهاب المستتر بالدين.. إرهاباً آخر داخل جدران الجامعة.. هو إمتداد للإرهاب الأصلى.. فما تعليقكم ؟

★ نحن نعلم أن ضغوطاً كثيرة مورست على أعضاء اللجنة من ناحية.. وعلى كثير من الأساتذة فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب وفى مجلس الكلية.. نعلم أن هناك ضغوطاً مارسها من يدينون ومن يحملون رسالة الإرهاب فعلاً وهم هؤلاء الذين يلصقون تهمة الإرهاب بغيرهم، وأساتذة الجامعة بخير،والبحث العلمى وحريته بخير، وجامعة القاهرة هى حارسة حرية الرأى فعلاً. وبموقفها هذا تؤكد أصالتها وأنها لا تتبع غوغائية هؤلاء «الغجر» الذين لا يحترمون قيمه ولا يهتدون سبيلاً.

محـاكـم التفتيـش

★ ★ يقولون: إن الجامعة التى كانت قلعة حصينة للفكر الحر تقع الآن تحت ضغوط تستهدف تحويلها إلى إحدى محاكم التفتيش.. فما ردكم ؟!

★ جامعة القاهرة.. هى مفخرة مصر فى العالم، ومحكمة التفتيش أقامها الشيوعيون لأعدائهم فى كل مكان، فى كل دولة حكموا فيها .. الشيوعيون هم الذين أقاموا محاكم التفتيش.. هم الذين قتلوا الملايين.. فالنظام الشيوعى فى موسكو لم يقم إلا على جثث أربعين مليوناً.. منهم «ثلاثون مليوناً» من مسلمى شبه جزيرة القرم الذين ذهبوا وماتوا فى طريقهم إلى سيبيريا.. هؤلاء هم الذين علموا العالم الحديث معنى إحراق الإنسان.. معنى إزهاق روحه..معنى قتل الحرية.. معنى مصادرة حرية الشعوب والإستيلاء على ملكيات الشعوب وتحويلها إلى مليارات فى الخارج.

★ ★ ما هو موقف رئيس الجامعة من هذه القضية ؟

★ هو موقف العالم المسئول، وقد قرر وتثبت من كل حرف قلته بالرجوع إلى علماء آخرين.. كتبوا له من التقارير عما دفع إليهم من إنتاج الباحث.. تقارير أشد وطأة مما كتبت.. وظهرت أنى كنت رحيماً جداً بالابن الآبق نصر أبو زيد.

★★★★

وهكذا إستمرت المقالات ولم تتوقف، فكتب **الأستاذ محمد عامر** فى جريدة الحقيقة بتاريخ ١٩٩٣/٤/١٠ وتحت عنوان (**وهذى الضجة الأعلامية الكبرى علام..؟!!**) المقال التالى:ـ

رباه.. قامت الدنيا ولم تقعد!! هل إنهار الهرم الأكبر.. تساقطت أحجاره والعياذ بالله؟! هل توقف نهر النيل عن الفيضان.. لا قدر الله ؟! لماذا إذن زلزلت الأرض زلزالها فى مصر؟!

قالوا إن أستاذاً مساعداً بكلية آداب القاهرة رفضت اللجنة العلمية ترقيته إلى أستاذ، وذيلت تقريرها بهذه العبارة:!! «نرى أن الأعمال التى تقدم بها تحتاج إلى إعادة نظر وتنقية، كما تحتاج إلى إضافة جديدة تتصل إتصالاً كاملاً بمواد الدراسة التى تدرس فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب.. فالإنتاج المقدم لا يرقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة»..

إذن!! لِمَ كل هذه الضجة؟! إن عشرات غيره قد رفضت أبحاثهم للترقية فى المرة الأولى وتقدموا فى التالية وتمت ترقيتهم..ولم يملأوا الدنيا جلبة وصراخاً وعويلاً، فللجنة قداستها.. فهى أشبه بمحكمة القضاء العالى.. فهل رأينا من يجرؤ أن يعترض على قضاء قضت به المحكمة أو حتى يناقشه ويتناوله بالحديث؟!

إن هذه اللجنة العلمية المكونة من عشرين عضواً من كبار الأساتذة فى جميع التخصصات التى تهتم بها أقسام اللغة العربية على مستوى دولتنا هى الموكل إليها وحدها ترقية أعضاء هيئات تدريس الجامعات ولقد رفضت ترقية عشرات غيره.. فلماذا هذا الأستاذ المساعد وحده.. الذى قامت له الدنيا؟!!

إن بلدنا مصر ينوء كاهله بالمشكلات، ويعج بالقضايا الحيوية.. فلماذا أختيرت مشكلة هذا الأستاذ المساعد ليثيروها وليملأوا الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بسببها، ويحاولوا أن يشغلوا بها الرأى العام فى مصر، وكأنها قضية القضايا؟!.. وكأن مشاكلنا الأقتصادية والإجتماعية والسياسية قد إنتهت ولم يعد مايشغلنا فى مصر إلا هذه الطامة الكبرى.. وهى أن اللجنة العلمية تجرأت ورفضت ترقية هذا الأستاذ المساعد!!

وقد ظن الرفاق بكتاباتهم ضد هذه اللجنة الموقرة أنهم سيرهبونها، وسيدخلون الرعب إلى قلب الجامعة.. ولقد أحسن الأستاذ الدكتور مأمون سلامة صنعاً عندما تجاهل صراخهم، وأصدر أوامره بألا يشترك أحد من أساتذة الجامعة فى هذه المهاترات، فللجامعة تقاليدها، وللجنة قداستها.. فاستشاط الرفاق ومن سار على دربهم غيظاً.. فكيف لاتثمر هوجتهم بأن يجروا الجامعة إلى أن ترد ثم يرد عليها.. وهكذا يحولونها إلى قضية كبرى.. ولذلك صدرت صحيفتهم يوم الأربعاء الماضى وقد إمتلأت هجوماً على اللجنة العلمية، ونعتوها بأقذع الألفاظ، وتناولوا شخص الدكتور عبد الصبور شاهين بالتجريح والتشهير، فأحد مقالاتهم جاء بعنوان «جامعة القاهرة والتقارير العلمية الوهمية» ويداخل المقال: «.. لقد قام التقرير الذى كشف عن فضيحة

جامعية على أساس من أدوات التعتيم الجماهيرية التى يستخدمها العوام من الناس وليس العلماء..» وإنتهى إلى ما يلى:-

«ليت جامعة القاهرة تستر هذه الفضيحة، وتعمل على أن تجرى الأمور فى صدق وإخلاص، وفى ممارسة الحياة العلمية الجامعية فى إطار من المناهج الفكرية والأساليب العلمية، وليس فى ردود الأفعال الجماهيرية، وفى إطار المسلمات الشعبية والعامية.. ثم ينشرون صفحة كاملة فى نفس الصحيفة يهاجمون فيها الجامعة، ويزعمون أنها تحولت من منارة للعلم إلى إدارة للموظفين...».

على رسلكم أيها الرفاق.. فمهما شحذتم من سيوف، وشرعتم من رماح، وسددتم من سهام.. لن ترهبوا الجامعة.. وبم يوصف ماتكتبون؟! أليس هو الإرهاب بعينه.. مع أنكم تزعمون أنكم تحاربون الإرهاب؟ فأى دور بعد أن إفتقدتم أى دور تلعبون؟ فيا أيها الرفاق الإرهابيون.. إذا كنتم تنشدون الحق والعدل.. لماذا لم تدافعوا عن ترقية عشرات من طالبى الترقية أمثال دكتوركم المتهم.. ولست فى حل من ذكر أسماء عشرات الدكاترة أمامى.. ولكنى سأذكر دكتوراً واحداً قد يكون ذكره حجراً نلقم به أفواهكم الفاغرة.. تقدم إلى هذه اللجنة **الأستاذ المساعد عبد الرحمن شاهين بقسم النحو بكلية دار العلوم بإنتاجه، فلم تجز اللجنة ترقيته وهو أخو العالم الجليل الذى أقمتم عليه الدنيا، وإستنفرتم الصحافة المحلية والعالمية لتشويه سمعته لمجرد أنه لم يمنح رجلاً يهمكم أمره لأنكم مع غيركم تعدونه ليكون خليفة لزعيم العلمانيين**.. ولكن الله لم يبلغكم ماتسعون إليه، ورد كيدكم إلى نحوركم.

ثم متى كانت الصحافة أو الإعلام حكماً أو طرفاً فى التقارير الجامعية؟!! فالتقارير الجامعية ليست مباراة كرة قدم أيها الرفاق.. حنانيكم.. فلستم أنتم ولا من يشابهونكم الذين تعلمون أساليب البحث العلمى.. وإلا لأختلط الحابل بالنابل وطالبنا نحن الصحفيين أن نقعد مقاعدهم ولأقتحموا هم أماكننا فى الصحف، وأصبحت «زيطة» إن إستاذاً جامعياً قال أمامى ساخراً: «إن أستاذهم المساعد هذا قد أخطأ.. فلو أنه تقدم بهذه الأبحاث الإلحادية إلى جامعة سوفيتية قبل أن تنهار الشيوعية ربما كانوا يجيزون ترقيته.. وإن كنت أشك فى ذلك، فقد كانوا سيفكرون ألف مرة ومرة قبل أن يمنحوه الترقية». وأضاف أستاذ آخر: «إن دكتورهم هذا قد ذهب إلى أمريكا وإستحضر من هناك ماكتبه المستشرقون عن الإمام الشافعى وماكتبوه عن المعتزلة، ثم سافر مرة أخرى إلى اليابان وظل هناك أربع سنوات يدرس اللغة العربية فى جامعاتها.. **ولقد أعد خلال هذه السنوات إعداداً جيداً للقيام بدور أشبه بالدور الذى قام به الدكتور الشيخ بجامعة الأزهر من تشكيك فى السنة المطهرة تحت دعوى حرية البحث العلمى.. وأسرع الأزهر فطهر الجامعة الأزهرية منه، فأنطلق يكتب فى صحيفة معارضة يغمز ويلمز فى الإسلام فى مقالاته المشبوهة تحت عنوان «قال الراوى».. وهو عنوان خبيث فهو يقصد راوى الحديث الشريف.. وهذا الوجه الجديد الأستاذ المساعد الذى ملأوا رأسه بأفكار غريبة.. يطعن فى كل شئ.. أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة.. فكذب القرآن، وإتهم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بالتحايل والتحيز إلى قبيلته قريش وهو يمشى فى ذلك خلف المستشرق.. «رجيس بلاشير» فى كتابه (مدخل إلى القرآن)** وكان عليه أن يناقشه ويبين خطأه بدلاً من الجرى خلفه، وقد ظهر ذلك جلياً فى بحثه (تنمية الثقافة وثقافة التنمية).. كما وصف المراحل الأولى من الإسلام بأن التفكير فيها كان تفكيراً دينياً غيبياً تواكلياً تواطئياً.. ويدخل الغيب فى دائرة الخرافة والأسطورة.. ويقرر هو المسلم أن القرآن الكريم تعرض للمحو والإثبات، ويبنى هذا على ماتدعيه بعض طوائف الشيعة من أن القرآن محيت منه عمداً النصوص الدالة على إمامة علىّ.. ولا يكلف نفسه مشقة التدقيق فى هذا الزعم.. والحقيقة أنه لم يقل بهذا الزعم إلا الشيعة الغلاة.. وأما «الإمامية» وهم الكثرة الكاثرة فإن موقفهم هو موقف أهل السنة من تنزيه القرآن عن المحو والإثبات تصديقاً لقوله تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [الحجر: ٩]». وأنهى الأستاذ الجامعى حديثه قائلاً:

«أرأيتم لماذا هاج الرفاق وماجوا يناصرون هذا الأستاذ المساعد ويهاجمون اللجنة العلمية الموقرة؟ أقول إن الرأى العام فى مصر يعجب لماذا إنبرى الشيوعيون والعلمانيون يدافعون عن هذا الرجل بالذات؟!! ولو عرف

السبب لبطل العجب.. فلو حصل هذا الأستاذ المساعد على الترقية لكانت فرصتهم أن يشيعوا أن الجامعة العريقة.. جامعة القاهرة.. قد أعترفت بفكرهم الملحد اللاديني، وخُتمته بخاتم النسر، وبات سهلاً لهم ولأمثالهم أن ينادوا بمصر العلمانية.. فلا هي إسلامية ولا نصرانية ولا يهودية.. وهو مايعارضه شعب مصر الذي يرفض هذا المنحى، ويرفض مايفعلونه في صعيد مصر بدعوى إحياء الحضارة الفرعونية حيث يبنون نقط الشرطة والمرور ونقط الإسعاف على الطرق السريعة على هيئة معابد فرعونية، عند أوبرج الفيوم، وفي دهشور، وفي كوم أوشيم.. لماذا؟ يريدون ضرب الحضارة والعمارة الإسلامية؟!! فيا أيها العلمانيون.. لن تفلحوا.. فالإسلام في مصر باقٍ رغم أنوفكم، ولو هدمتم كل مبانيها الإسلامية وحولتموها إلى فرعونية.. فهل تستطيعون هدم آلاف المآذن!! موتوا بغيظكم، ولن أقول إلا كما قال شوقي من قبل:

إلام الخلف بينكمـــوا إلامـــا . . وهذي الضجـة الكبـري عـلامـا

وفـيم يكيـد بعـضكمـوا لبـعض . . وتبـدون العـداوة والخـصـامـا

ولما لم يحصل دكتورهم هذا على الترقية إنتهزوا هذه الفرصة، وأقاموا الدنيا حول هذه الواقعة، ونقلت عنهم الإذاعات الأجنبية ووكالات الأنباء.. لماذا كل هذا؟ ليثيروا هوجة إعلامية حول هذا الوجه الجديد الذي يريدون تقديمه للناس ليكون بديلاً عن زعيم العلمانيين الذي فقدته ساحتهم.

وكما أنطلق الرفاق والعلمانيون يسددون السهام إلى الجامعة تباكياً منهم على حرية الفكر يريدون إرهاب الجامعة.. إنبرى لهم الكاتب جمال بدوي ساخراً من أسلوبهم وأنهى مقاله بقوله: «العبوا غيرها» وكتب بعده بيوم واحد الدكتور مصطفى محمود في الأهرام وفند دعاواهم وأنهى مقاله بقوله: «صاحبنا الذي إتهم الصحابة وأنكر إعجاز القرآن؛ وحيا سلمان رشدي وصفق لكارل ماركس.. قرأنا له على العين والرأس ولم ننكر حقه في التفكير ولا حريته في أن يختار الرأي الذي يستريح إليه، لم ننكر عليه إلا النيشان والدرجة.. أصبح مطلوبه أن نذعن وأن نضرب لسيادته سلاماً وإلا أصبحنا إرهابيين.. وحينئذ إختلفنا، وحق لنا أن نختلف.. فمن منا أذنب ومن منا يرهب الآخر».

وعرضت جريدة الشعب (الثلاثاء) القضية في تقرير وافٍ أعده الصحفي شعبان عبد الحي ووعد بإكمال النشر في عدد الجمعة التالي بعرض تقرير أعده د. محمد البلتاجي أستاذ الشريعة الإسلامية بالجامعة وعميد دار العلوم.. يبدو أن الرفاق أرادوا أن يوسعوا الدائرة، فخرجوا من دائرة التقرير العلمي للجنة الترقية إلى الطعن في شخص الدكتور عبد الصبور شاهين، فكتبوا أنه كان مستشاراً لشركات الريان ورسموا له كاريكاتيراً ليسخروا منه.. فعندما نشرت الصحف إختياره مستشاراً لشركات الريان كذب هذا الخبر في اليوم التالي للنشر وقال عندئذ: إنه مجرد مودع أختير ليكون عضو مجلس إدارة، وقدأعتذر عن هذه العضوية، ولدى مجلس الشورى وثيقة رسمية بهذا الأعتذار.. **ولقد ذكر لي عندما قامت المجلة «إياها» بالهجوم على شخصه وليس على تقريره بأنه شاهد مندوب هذه المجلة، وهو يتسلم من أحمد توفيق الريان عقداً لطباعة كتب التراث بـ٢ مليون جنيه دفع منها نقداً مليوناً ونصف مليون.. مليون جنيه.. كانت هذه المجلة تكتب الصفحات تلو الصفحات في التنويه عن هذه الشركات والإعلان عنها وعن صاحبها ومن له بها صلة.**

فيا أيها الرفاق إن ضجتكم مجرد زوبعة في فنجان وكل تباكيكم على حرية الفكر والرأي سيذهب أدراج الرياح، وأنا أناشد زملائي من الكتاب الذين يغارون على الجامعة وتقاليدها أن يتوقفوا عن الرد على هؤلاء العلمانيين حتى نضيع عليهم فرصتهم في تلميع الوجه الجديد الذي يريدونه خليفة لزعيم العلمانيين.. فما كان للجامعة أن تتأثر بهذه «الهوجة» حتى لو تحولت إلى عاصفة.. فلنكف عن الحديث في هذه القضية ولنتركهم يتحدثون، وفي غيهم يعمهون..

فيا أيها الزملاء إن هذا الرجل مدعوم من الخارج ومن الداخل - هدانا الله وإياه - ورده عن غيه وشرح صدره للبحث العلمي الدقيق بعيداً عن زيغ المستشرقين الضالين المضلين.

ولقد ذكر أحد الأساتذة أن بشائر تنصيبه زعيماً للعلمانيين في مصر قد ظهرت.. فقد كافأته الجامعة

الأمريكية بأن خصصت له محاضرة عامة بها تحت عنوان «حرية الفكر» يحضرها الدكاترة والأساتذة بالجامعة.. ألم أقل لكم أيها الزملاء: إن الرجل مدعوم.. مدعوم!!

★★★★

وكتبت جريدة المسلمون بتاريخ ١٩٩٣/٤/٣٠ للأستاذ (**بكر بصفر**) وتحت عنوان (**فى قضية نصر حامد أبو زيد/ الإعتماد على غلاة العلمانية رهان المفلسين**) المقال التالى:-

لست أدرى إلى متى سيطول إنتظارنا ويمتد صبرنا حتى يتدارك العقلاء فى أرض الكنانة عربة الثقافة التى أخذت فلول اليسار والماركسية فى دفعها إلى التنكر لكل أصيل فى التاريخ والواقع المصرى، والإقبال والتعلق بكل فكر أو أسلوب غريب شاذ.

لقد تفاقم التمكين لأولئك الشاذين فكراً وسلوكاً حتى غدا المشهد الثقافى أشبه مايكون «بالكاريكاتير» مجتمع مسلم عربى أصيل تمثله منابر ثقافية غريبة عليه.

أنظر فى: مجلات وزارة الثقافة، والهيئة العامة للكتاب.. أنظر فى «إبداع» و «فصول» و «أدب ونقد» و«القاهرة» وبقية الملاحق الأدبية فى الصحف القومية فلا أجد على رأس كل واحدة منها إلا أحد أولئك، فأتحسر وأسأل متألماً: إلى هؤلاء تنتهى تلك الشجرة الطيبة؟ أهذه نهاية الثقافة والفكر فى مصر الحبيبة التى أهدت الأمة أفذاذ العلماء والمفكرين والأدباء؟

أشكو إلى عقلاء أرض الكنانة ما بلغة المتسلطون على منابر الثقافة فى حربهم على الأصالة ورموزه، مما لا يستطيع أن يسكت عليه من ليس فى قلبه أكثر من مثقال حبة من إيمان.. فكيف بأصحاب الغيرة والحمية على بيضة الإسلام التى كاد منحرفو اليسار والعلمانية أن يستبيحوها على رؤوس الأشهاد، لم أقرأ خصومة أو هجوماً مقذعاً من تلك التى يشنها غلاة العلمانية على رمز من رموز الأصالة الإسلامية العربية فى مصر إلا وذكرت حديث الصادق المصدوق ﷺ: «**أية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا اؤتمن خان**» .وهاكم صوراً من تلك الخصال:

قبل فترة كتب أحد المتأدبين وإسمه «علاء صادق» قصة فجة ركيكة يحتج من خلالها على إقامة الحدود فى الإسلام ويبين «لا إنسانيتها» كما أوحى له خياله وقلبه، فرد عليه الشيخ محمد الغزالى دون أن يذكر إسمه.

فأقام الماركسيون والناصريون الدنيا ولم يقعدوها على الشيخ الغزالى الذى «دس أنفه فى النقد الأدبى فى محاولة - فى زعمهم - لوأد الحرية الفكرية والإبداع» . حتى بلغ بهم الأمر أن يخصصوا عدداً كاملاً من مجلة «أدب ونقد» «لسان حال الماركسيين المصريين» للرد على الشيخ ولرد الإعتبار لغلامهم.

ثم تابعنا منذ أمد قريب مشهداً آخر من مشاهد الخصومة التى دأب عليها غلاة العلمانية أخيراً.. وذلك عندما إحتج الروائى المصرى ثروت أباظة على قصيدة كفرية نشرتها مجلة «إبداع» للشاعر عبد المنعم رمضان وتجرأ فيها على «ذات الله» كما لم يفعل مثله شاعر منحرف من قبل.. وما كاد إحتجاج ثروت أباظة يظهر فى الصحافة حتى إنبرى له كتاب المافيا الثقافية ذاتها وأخذوا ينادون بالويل والثبور، فلطموا الخدود وشقوا الجيوب بكاء على«حرية الإبداع» التى إنتهكت من قبل «الإرهابى» ثروت أباظة.

وما كادت قضية ثروت أباظة مع «الإبداع» تهدأ حتى إنطلقت أبواق العلمانيين واليساريين مرة أخرى لتنهش فى لحم الدكتور عبد الصبور شاهين هذه المرة.

فقد حدث وأن تقدم د. نصر حامد أبو زيد الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة بطلب للترقية إلى أستاذ مشارك. وقد وزع إنتاجه العلمى الذى أرفقه مع الطلب على أعضاء التقويم فى الجامعة كما هى العادة.. وبعد قراءة تلك الدراسات والكتب التى أصدرها د. أبو زيد رأت اللجنة المكونة من: د. عبد الصبور شاهين ود. محمود مكى ود. عونى عبد الرؤوف أن إنتاج الرجل لا يرقى إلى المستوى العلمى الذى يؤهله للحصول على درجة أستاذ وأن أكثره عبارة عن مقالات منشورة فى مجلات غير محكمة مثل: «إبداع» و «القاهرة» و «أدب ونقد» ودور نشر تملكها العلمانية والماركسية «الطابور الخامس فى عالمنا العربى الكسير».. وأنها فى مجملها دعوة سافرة إلى إسقاط القداسة عن النص القرآنى والنص النبوى

وإباحتهما للقراءة النقدية الحرة والتأويل والإجتهاد المطلق. وعرض التقرير على مجلس الجامعة فأقره ووقع عليه وأجازه إثنا عشر عضواً من أعضاء المجلس الثلاثة عشر، فرفض بذلك طلب الترقية وإنتهى الأمر فى الجامعة عند هذا الحد. إلا أن أنصار الرجل فى مافيا الثقافة لم ترضهم قرارات الجامعة، فما كان منهم إلا أن عادوا إلى العزف الصاخب مرة أخرى على صفحات مجلاتهم وصحفهم. فوزعت الأدوار على عجل فأستقر كتاب روزاليوسف قاطبة بمن فيهم رسامو الكاريكاتير للنيل من رئيس اللجنة وكاتب التقرير الدكتور عبد الصبور شاهين.. طبعاً بالإسلوب الزاعق الذى عرفت به روزاليوسف فى معاركها الفكرية والسياسية. وأخذ أقطاب اليسار على عاتقهم الهجوم على الرجل فى جميع الصحف والمجلات القومية.. بل حتى العربية، فتكالب عليه غالى شكرى، ولطفى الخولى، وأحمد عبد المعطى حجازى، وفاروق عبد القادر، وجمال الغيطانى، ومحمود الوردانى، وعبلة الروينى وغيرهم، فى دفاع مستميت عن حرية داعية لإسقاط القداسة عن النص القرآنى والنص النبوى وفى هجوم مقذع على مجلس جامعة القاهرة فى شخص أحد أعضائها وهو الدكتور عبد الصبور شاهين. كانت هذه هى آخر الأسطوانات التى أصدرتها «جوقة الخصومة» ضد مؤسسة أكاديمية عريقة وأستاذ من أساتذتها.. لا لشئ إلا لأنها مست أحد رجالها «نصر حامد أبو زيد»

وإن كان لى من تعليق على هذه الحادثة خاصة وعلى ظاهرة عامة فهى عدة وقفات أشير إليها على عجل آملاً من ورائها إلى أن ينظر فيها عقلاء مصر - وهم كثيرون - والحمد لله، فيفتح الله عليهم ويردوا الأمور إلى نصابها ويعودوا بمصر إلى أصالتها وموقعها فى مقدمة قافلة الثقافة الإسلامية العربية.

أولاً: إن قرار منع الترقية أو رفضها فى قضية د. نصر أبو زيد شأن أكاديمى خالص تفصل فيه الجامعة المعنية بأنظمتها ومجالسها، فما علاقة الصحافة بجانبها الإدارى التنظيمى؟.

ثم إننا نعلم يقيناً أن مجلس الجامعة قد رفض عشرات من طلبات الترقية التى قدمت إليه من قبل.. فلماذا لم تثر ثائرة غلاة العلمانية وتتعال أصواتهم بالبكاء على حرية الفكر والإجتهاد إلا مع د. نصر أبو زيد بالذات؟!

ثانيا: يلاحظ المتابعون لحملات البكاء والعويل على إنتهاك حرية الفكر والإبداع أنها فى الأصل دفاع عن نصوص تتضمن إشارات أو عبارات كفرية أو فيها سخرية أو تعريض بمعتقدات الأمة ومقدساتها.. فإن كان هؤلاء المدافعون متعاطفين مع مضامين تلك النصوص، فلماذا هذا التخفى وراء حرية الإبداع؟ ولماذا النفاق والتستر بالفكر أو المعتقات التى يحملونها؟

لماذا لا يعلنون عن أنفسهم وعن معتقداتهم ومذاهبهم الفكرية والسياسية بدلاً من النفاق والتلبيس على الناس؟

ثالثاً: ماذا لو أطلع القارئ العربى على حقيقة هؤلاء المتسترين وراء التقدمية، والتنوير، وحرية الفكر، والإبداع من المتسيدين على منابر الثقافة الذين أخذوا على عاتقهم مهاجمة كل فكرة أو دعوة أصيلة، وتولوا الدفاع عن كل ضلال وإنحراف.

ماذا لو تكشف للقارئ العربى المخفى من حال هؤلاء؟ والله سيتفرج فزعاً على أصناف من الشاذين فكرياً والمنحرفين عقدياً إلى الحد الذى لا يتصوره عاقل أبداً.. ولكن لا بأس فهذا قدر الله علينا الذى سيظل قائماً إلى أن نغير ما بأنفسنا.

رابعاً: نشتكى جميعاً من ظهور أشكال محدودة من الغلو والعنف بين بعض المنتسبين إلى الصحوة.. وهذا حق، وهو غلو - محدودية إنتشاره - مرفوض.. والعنف الذى تولد عنه - مهما كانت أسبابه - مرفوض ومدان شرعاً.. ولكننا نشكو فى ذات الوقت من الأسباب التى أدت إلى هذا الغلو.. أو ليس فى تكميم أفواه العلماء والمفكرين العقلاء، وإزاحتهم عن منابر الكلمة، ومواقع التأثير، وتعطيل فعالية المؤسسات العلمية الإسلامية، وتفريغها من محتواها.. وإفساح المجال فى المقابل لغلو اليساريين والعلمانيين، وتلميعهم،وإطلاق ألسنتهم وأقلامهم للنيل من أصالتنا وقيمنا، والسخرية من مقدساتنا ورموزنا.. أليس فى ذلك كله غلو فى دعم العلمانية، وكسر شوكة الأصالة؟ وسبب مباشر للعنف الذى نشاهده يومياً، ونتألم منه، ومن العنف المضاد الأكثر إيلاماً؟

خامساً: إن هذه الحملات المتتابعة على الإسلاميين خاصة، وعلى كل مدافع عن أصول العقيدة و «ألف باء» الإسلام عامة قد تجاوزت الحد حتى غدت هجوماً على الإسلام ذاته.. فسهام القوم لم تعد موجهة إلى رموز الصحوة الحركية فحسب.. بل تعدتها إلى كل من دعا إلى الكلمة الأصيلة أيا كان موقعة حتى غدا الروائى المصرى ثروت أباظه مثلاً «أصولياً إرهابياً» عند هؤلاء.

ومادامت تهمة الإرهاب قد وصلت إلى ثروت أباظة بالذات، فقد وصلتنا الرسالة واضحة جداً.. وهى أن المقصود بالهجوم والسخرية والتجريح والمصادرة هو الإسلام ذاته وليس أى أحد أو أى شئ آخر.

سادساً: إن الإعتقاد بأن مواجهة الإنبعاث الإسلامى وكبح جماح الصحوة الإسلامية المباركة ممكن من خلال تسييد فلول اليسار والعلمانية إعتقاد واهم.. وإن الرهان على أولئك والإعتماد عليهم فى صد المجتمع عن سماع وقبول رسالة الصحوة رهان المفلسين.. نعم رهان المفلسين.. فلا يراهن على أمثالهم إلا خاسر.

وكان للدكتور محمد البلتاجى حسن كلمته باعتباره من العلماء المرموقين وفى تواضع يحسد عليه كان رأيه الأكاديمى الرفيع، غنى عن أى تقديم، وننقله كاملاً كما كتبه سيادته فيما يلى : -

١ - من أهم مايستندإليه الدكتور نصر أبو زيد فى فهمه وتأويله لنصوص القرآن الكريم مافعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه - فى خلافته - من منعه سهم المؤلفة قلوبهم الثابت بنص قطعى من القرآن الكريم، ويقول الدكتور نصر: إنه لم يزد فى إجتهاداته فى نصوص القرآن الكريم غير أن فعل مثل ما فعل عمر، وقد تلقى المسلمون - على تتابع عصورهم - ما فعله عمر بالقبول والثناء والتفهم، لكن نصر أبو زيد لم يلق من بعض المسلمين - ومن محكمة الإستئناف فى حكمها الشهير فى ٩٥/٦/١٤ - إلا الحكم عليه بالتكفير والردة والخروج عن الإسلام وقد كرر الدكتور نصر كلامه هذا فى مواطن عديدة كان آخرها ما إذاعة لندن العربية صباح يوم الإثنين ٩٥/٧/٣.

ومن أكثر المواقف التى فصّل فيها الدكتور نصر وجهة نظره هذه الحوار الطويل الذى نشرته معه جريدة (العربى) بتاريخ الإثنين ٢٦ من يونيو ١٩٩٥.

ولما كنت أختلفت معه إختلافا كبيرا فى تفسير مافعله عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ومن منطلق عرض وجهات النظر الإجتهادية المختلفة - بعيداً عن كل دعاوى التكفير والتشنج وتبادل الشتائم والإتهامات - أقدم وجهة نظر الدكتور نصر كاملة بعباراته، ثم أقدم فيها وجهة نظرى التى سبق أن عرضتها منذ ثلاثين سنة، وللقارئ الكريم أن يقتنع بعد ذلك بما يراه صوابا. ولست غريبا عن عمر بن الخطاب وفقهه، ذلك أنه سبق أن أمضيت ثلاثة أعوام فى دراسة فقهه ومنهجه (من عام ٦٣ - ١٩٦٦) وحصلت بعدها على درجة (الماجستير فى الشريعة الإسلامية) من جامعة القاهرة عن دراستى (منهج عمر بن الخطاب فى التشريع).

٢ - يقول الدكتور نصر أبو زيد «فإذا ما إنتقلنا إلى الإجتهاد نجد أن الفقهاء قد إختلفوا فى الأحكام وفى عللها وتفاصيلها ولنضرب مثلا بإجتهاد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

معلوم أن هناك نصا فى القرآن الكريم عن المؤلفة قلوبهم، وهو نص قطعى الدلالة يثبت أن لهؤلاء نصيبا فى الصدقات. والمؤلفة قلوبهم كانوا من المشايخ والقبائل أراد الإسلام أن يحيّدهم فلا يحاربونه.

ولكن بعد وفاة الرسول بثلاث سنوات ذهب المؤلفة قلوبهم إلى الخليفة عمر لكى يحصلوا على نصيبهم المقرر فى القرآن، فرفض عمر أن يعطيهم هذا الحق، فقالوا: كيف تمنعنا حقا نص عليه القرآن، وأعطانا النبى والخليفة الأول إياه؟ فقال عمر: كان ذلك والإسلام ضعيف، والآن فقد قوى الإسلام ولم يعد بحاجة إلى إيلاف قلوبكم.

ببساطة شديدة لو كنا نعيش فى ذلك العصر لأعتبر هؤلاء الذين يتهموننى بالإرتداد أن عمر مرتد؛ لأنه أنكر نصا قطعيا، لكن عمر لم يتهمه الصحابة بشئ من هذا الإتهام، ولم يقل له أحد لماذا تخالف نصا قطعى الدلالة كما نسمع هذه الأيام؟

لقد كان عمر - ولسنا بحاجة إلى الدفاع عنه - يعرف أن لأحكام عللا. وهو ماصاغه الفقهاء فيما بعد من أن الحكم يدور، مع العلة وجودا وعدما، فإذا وجدت العلة طبق الحكم، ولأن علة حكم المؤلفة قلوبهم قد إنتفت

فلا مناص من إنتفاء الحكم معها، فهل يستطيع أحد أن يتهم عمر بن الخطاب بأنه أنكر القرآن؟ بالنسبة لى فإن المسائل التى تعرضت لها ـوحوكمت بسببها ـ هى مسائل إجتهادية، وفى الإسلام من إجتهد فأخطأ فله أجر، ومن إجتهد فأصاب فله أجران. ثم يقول الدكتور نصر «ونرجع إلى موقف عمر بن الخطاب من نص المؤلفة قلوبهم، فلو تعامل عمر مع النص تعاملا حرفيا، ولم يستطع أن يضعه فى سياقه لما إستطاع أن يكتشف علته التى إذا إنتفت إنتفى الحكم، والذى هو هنا إعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبا من الصدقات مقررا لهم بنص. إذن عمر بن الخطاب لم يتعامل مع النص كسلطة دائمة عندما وضعه فى سياق.

وهنا نقول: إن عمر لم يلغ النص، وإنما أكتشف إنتفاء علته التى أدت إلى نفى حكمه» (جريدة العربى) عدد ١٩٩٥/٦/٢٦.

٣ ـ ... وبعد أن نقلنا وجهة نظر الدكتور نصر نقلا حرفيا كاملا نقول: إن هناك بونا شاسعا وفارقا جذريا وأساسيا كبيرا بين مافعله عمر وما تحاول أن تفعله بالنصوص يادكتور نصر، ولقد تخطيت فى كلامك الخط الذى يخرجه من أن يكون إجتهاداً فى فهم النص، إلى كونه (إلغاء نهائيا) و (هدما) للنص، فعمر إنما كان يحاول أن يطبق الشروط الشرعية لإعمال النص بغاية الدقة، وأنت فيما تقول تجاوز ذلك كله إلى إلغاء النص وهدم جميع معانيه ودلالاته. وسأقيم الدليل القطعى من كلامك لإثبات هذا الفارق بغاية الوضوح.

تفصيل ذلك الله تعالى فرض فى القرآن الكريم نصيبا من الزكوات للمؤلفه قلوبهم حيث قال «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله...» (الآيه ٦٠ من سورة التوبة).

فمن هم (المؤلفة قلوبهم)؟ وكيف ظهروا فى تاريخ الإسلام؟ ومتى؟

لقد إجتمعوا فى ثلاث فئات فى عهد النبى ﷺ:

الفئة الأولى: مشركون بعيدون بقلوبهم وأعمالهم عن الإسلام، يعطون من المال والغنائم؛ ليكفوا أذاهم عن المسلمين، وللإستعانة بهم على غيرهم من المشركين عند الحاجة إلى ذلك، لئلا يتكتل المشركون كلهم فى معركة واحدة ضد القوة الإسلامية الناشئة فى شبه الجزيرة العربية.

الفئة الثانية: مشركون من رؤساء القوم عندهم إستعداد نفسى لإعادة النظر فى دعوة الإسلام، فيعطيهم رسول الله ـ ﷺ ـ من أموال الصدقات، ويقربهم ليتصلوا بمبادئ الدعوة ورجالها إتصالا مباشراً: فإما آمنوا بها، وإما ضعف عداؤهم لها؛ فلم يمنعوا من أسلم من قومهم من الثبات على الإسلام.

الفئة الثالثة: مسلمون حديثو عهد بالإسلام، وإيمانهم به لايزال ضعيفا، ومازالت تسيطر عليهم المفاهيم المادية التى سادت حياتهم من قبل فيعطون لئلا يرجعوا إلى الكفر بسبب الحاجة، لأن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يعلم تماما أن الرجل الجائع ضعيف الإيمان يصعب عليه الإيمان الحق بأى شئ.

ومن هنا نفهم قولة الرجل الذى كان مشركاً فأعطاه النبى ـ ﷺ ـ غنما كثيرة جداً من غنم الصدقة فرجع إلى قومه يقول: ياقوم أسلموا، فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة (رواه أحمد بإسناد صحيح) أى أنه يثق بالله تعالى وبنصره وبأن المستقبل لدعوته؛ فتسخو نفسه بالعطاء الكثير. كذلك نفهم قوله صفوان ابن أمية (وكان من سادات قريش): «أعطانى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو أبغض الناس إلى، فمازال يعطينى حتى أنه لأحب الخلق إلى» (جامع البيان ٩٠/١٠) كذلك نفهم أحاديث النبى ـ ﷺ ـ (وهى عديدة) التى بين فيها فى وضوح أنه يعطى الرجل الضعيف الإيمان ويحرم أقوياء الإيمان فيكلهم إلى قوة عقيدتهم وقد قال له أحد صحابته فى هذا «يارسول الله، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وتركت جعيل بن سراقة الضمرى؟» فقال «أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض (أى ملئها) كلهم مثل عيينة بن حصن والءقرع بن حابس، ولكنى تألفتهما ليسلما، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامية (سيرة ابن هشام ١٤٤/٤) وقد كان ـ ﷺ ـ يسمى عيينة بن (الأحمق المطاع فى قومه) (المعارف ١٠٢) لذلك كان يتألف قلبه. وكان جعيل فقيرا جداً من أهل الصفة. وإذا تتبعنا حياة هؤلاء المؤلفة بعد إعطائهم وجدنا أن بعضهم حسن إسلامه وصار من رجاله بحق وأنف من أن يكون من المؤلفة الذين يأخذون أجراً على إسلامهم، ومن هؤلاء حكيم بن حزام، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو.. إلخ. وبعضهم الآخر لم يحسن

إسلامه، وفى مقدمتهم عيينة بن حصن، حيث إرتد بعد وفاة رسول الله - ﷺ - وتبع طليحة الأسدى (أحد مدعى النبوة) وقاتل المسلمين معه، فأسر وحمل إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى المدينة، فكان صبيان المدينة يهتفون به: ياعدو الله، أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: ماآمنت بالله طرفة عين ثم أسلم عند أبى بكر فأطلقه (أسد الغابة ٤/٢٣١). وبعد الإنتصارات الحاسمة لجيوش المسلمين على المرتدين ومانعى الزكاة فى خلافة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) أصبح هو واضحا أن جزيرة العرب قد خلصت كلها للإسلام الذى أصبح هو القوة الوحيدة الهائلة الفتية التى توشك أن تخرج من بلاد العرب لتتناجز الإمبراطوريتين اللتين كانتا تحكمان العالم حتى ذلك الوقت. وكان قد أصابهما من ظواهر الشيخوخة والفساد والإنهيار ماكان يؤذن باجتياح قوة الإسلام الفتية لهما كما حدث فى خلافة عمر التى إستمرت عشر سنوات وأعقبت سنتين حكم فيهما أبو بكر خليفة لرسول الله - ﷺ الذى مات فى ربيع الأول عام ١١هـ .. وفى أواخر خلافة أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - قدم عليه رجلان من الذين تألفهما رسول الله - ﷺ - بعد إنتصاره على هوازن سنة ٨هـ - وكان أحدهما هو عيينة بن حصن الذى ذكرنا شيئا من تاريخه أنفا فقالا لأبى بكر: أنت تعرف أن رسول الله - ﷺ - قد تألفنا فى حياته، وإن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تعطيها لنا - وليس فى القوم عمر - فكتب لهما بذلك كتاباً إشترط فيه أن يشهد عليه عمر - وكان وزيره الأول كما هو معروف - فأنطلقا إليه ليشهد لهما، فلما سمع مافى الكتاب تناوله من أيديهما، وتفل فيه فمحاه، وقال لهما: إن رسول الله - ﷺ - كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل محتاج إلى تأليف القلوب، وإن الله قد أغنى الإسلام وأعزه اليوم، فأذهبا فأجهدا جهد شاكيين كما كسائر المسلمين، فالحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فرجعا إلى أبى بكر متذمرين شاكين، فقال لهمت: الحق مافعل عمر وقال. فقالا له: الخليفة أنت أم عمر ؟! قال أبو بكر: هو، لو شاء (يشير إلى إنه عرض على عمر يوم السقيفة أن يبايعه، فأبى عمر وبايع أبا بكر) . ثم إستمر عمر فى خلافته على منع إعطاء المؤلفة قلوبهم. راجع مثلاً: (تاريخ الطبرى جـ٣ وأحكام القرآن للحصاص ٣/١٥٣ وفتح القدير ٢/١٥ ... وغيرها) . ولم ينكر الصحابة على عمر ماقال وفعل، بل وافقوه على فهمه وفعله . لماذا؟ لأنهم فهموا - كما قال العلماء -) أن الحكم بوجود مؤلفه أو عدم وجودهم فى المجتمع الإسلامى يرجع إلى (حاجة) الأمة الإسلامية إلى تأليف القلوب - بحسب وضعها ومصالحها - فإن إحتاجت إلى تأليف القلوب وج المؤلفة بقدر حاجتهم وماعندهم من مال، وحنيئذ يأخذون نصيبهم المفروض، أما إذا لم تحتج الأمة الإسلامية - بحسب وضعها ومصالحها - إلى تأليف القلوب، فكيف يمكن أن يوجد هذا الصنف من الناس حتى يعطوا من الزكاة؟

إن الأمر فى هذا شبيه تماما بسهمى (الفقراء والمساكين) فى نفس الآية، فمعيار وجود هؤلاء - أو عدم وجودهم - هو أوضاع جماهير المسلمين وجميع مواطنى الدولة الإسلامية المالية، فإن وجد محتاجون لا يجدون من ملكهم وكسبهم قدر كفايتهم الشرعية فحينئذ يوجد (الفقير) و (المسكين) ويجب لكل منهم سهمه الشرعى المفروض.. وإن إستغنت هذه الجماهير - فرضا - فلم يوجد بينهم محتاج.. فكيف يمكن أن يوجد الفقراء والمساكين حتى يعطوا من الزكاة؟ وقد حدث هذا بالفعل فى خلافة عمر بن الخطا نفسه حين عرض وإليه معاذ بن جبل الزكاة على الناس فلم يجد زحدا يأخذها الإستغناء الناس بكسبهم وعطاء عمر الآخر لهم (راجع مثلا: المغنى ٢/٦٧٢ والأموال ص٥٩٦). والأمر فى هذا شبيه أيضاً بسهمى (الغارمين) و (فى الرقاب) فالذى يحدد وجودهما - أو عدم وجودهما - هو أوضاع المجتمع الإسلامى من حيث وجود - أو عدم وجود - مدينين غارمين قد ركبتهم الديون ، ومن حيث وجود عبيد أرقاء يفرض لتحريرهم سهم من الزكاة الواجبة أو عدم وجودهم كما هو الحال الآن.. وهكذا. والذى فعله عمر بن الخطاب لس (إلغاء) للنص ولا (وفقا) للعمل به، إنما الأمر فحسب أن مضمونه (لم يوجد) فى المجتمع الإسلامى زمنه، فصرف سهمهم إلى بقية المستحقين الموجودين فى المجتمع فعلاء، وهل هناك - من الناحية الواقعية الفعلية - شئ آخر يمكن أن يقوم به عمر أو غيره عندما تنتفى حاجة المسلمين إلى تأليف القلوب فلا يوجد مؤلفة عندئذ؟

أما النص القرآنى فباق دائم خالد إلى يوم القيامة. وحين يحتاج المسلمون إلى تأليف القلوب فعندئذ يوجد المؤلفة ويعطون نصيبهم. وقد حدث هذا بالفعل بعد عصر عمر مراراً وتكراراً (ومن ذلك أن عمر بن عبد

العزيز فى خلافته تألف البطريق وأعطاه ألف دينار يتألف بها قلبه لحاجة المسلمين ومصلحتهم، وعملا بالآية والسنة (أنظر مثلا: الطبقات الكبير لابن سعد ٥/٥٨). وبديهى أن الآية لو كانت قد (نسخت) و (ألغيت) فى خلافة أبى بكر أو عمر، لما جاز العمل بتأليف القلوب بعد ذلك، لكن أحدا بعد عصر النبى - ﷺ - وإنقطاع الوحى لا يستطيع أن ينسخ أو يلغى حرفا واحدا من نصوص القرآن الكريم.

... هذا مافهمه عمر وفعله، ووافقه فيه أبو بكر وجمهرة الصحابة (ونشير إلى إشتراط أبى بكر أن يشهد على الكتاب عمر.. وهى سياسة بين الرجلين العظيمين... وقول أبى بكر عن عمر: الخليفة هو، لكنه أبى). وقد سبق منذ أكثر من ربع قرن أن أفضنا فى إيضاح ذلك لكل ذى عقل، ورددنا على الدكتور محمد النويهى زعمه الكاذب بأن عمر ألغى النص القرآنى فى كتابانا (منهج عمر بن الخطاب فى التشريع، ص١٨٦ ومابعدها) لكن الفتنة تطل برأسها مرة أخرى!

٤ - ولا أعتقد أن الدكتور نصر أبو زيد يختلف معى فيما أوردته مفصلاً من تكييف فقهى لما فعل عمر، وذلك بالرجوع إلى النص الذى نقلته عنه فيما سبق. لكن موطن الإختلاف الحقيقى بيننا يكمن فى قياسه (إجتهاداته) فى النص القرآنى على مافعل عمر، مع مابينهما - فيما أرى - من بون بعيد جداً. ولنأخذ مثالا على ذلك من نفس الحوار الذى أدارته معه جريدة (العربى) حيث سأله المحرر «نحن نحمل إليك عددا من الإتهامات الشديدة من حيثيات خصومك: فأنت متهم لديهم بأنك تنكر آيات الميراث؛ لأنك تقول بالمساواة بين الرجل والمرأة...» فأجاب بما يلى حرفياً: «من خلال مقصد الشريعة الكلى وإستعراض آيات القرآن وأحاديث الرسول - ﷺ نرى أن موقف الإسلام من المرأة هو موقف التكريم والإحترام فى سياق إجتماعى سياسى لم تكن المرأة فيه تتمتع بأى تكريم، يكفى أن امرأة يموت زوجها فيأتى رجل من أسرة الزوج ويلقى عليها الرداء فلا تتزوج أبدا فى الجاهلية، بينما كان الرجل يستطيع أن يتزوج ماشاء من النساء دوت حد أقصى، وكانت مسألة الميراث للمرأة غير واردة.

وحدث مرة أن إحدى نساء النبى قالت له: يارسول الله، القرآن يذكر الرجل، فماذا عن النساء؟ ونحن نعرف فى اللغة العربية أن صيغة المذكر تشمل المذكر والمؤنث وليس العكس، وهنا نزل القرآن مستجيبا، وبدأ القرآن أول نص عربى يتكلم عن المؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والمسلمين والمسلمات، فأصبحت هناك على مستوى اللغة مساواة بين الذكر والأنثى بمعنى الندبة.

الموقف العام للإسلام من المرأة فى سياق لم يكن فيه حدود للزواج فحددها فى أربعة، وفى سياق لم يكن فيه ميراث أعطاها النصف، فالقرآن والإسلام مع المرأة وليس ضدها سمح لها أن تخرج وتسافر وتعمل بل وتحارب.. الآن السياق أختلف والمجتمع، أنا مثلا أستاذ بالجامعة وإبتهال زوجتى أستاذة فى الجامعة أناقش طلبة الدكتوراه وهى كذلك إذن هل هناك وجه للأفضلية بينى وبينها؟ والسياق كما أقول أختلف الآن وتطور الوعى، وحين نقول: إذا كان القرآن والإسلام قد أعطاها النصف فى سياق لم تكن تحصل فيه على شئ، فهل لو جاء مجتهد اليوم وقال: ننزل الحكم على الوقائع ونعطيها مثل الرجل يكون قد خالف القرآن؟» (جريدة العربى) عدد ١٩٩٥/٦/٢٦. ونقول للدكتور نصر إجابة عن تساؤله الأخير: إن (المجتهد) الذى يسلك الوجهة التى يقول بها لا يكون قد خالف القرآن فحسب، بل يكون قد (هدمه) و (ألغاه) و (فرغه) من محتواه العملى والتطبيقى و (أثار) عليه تساؤلات عديدة حول مصدره الحقيقى! ذلك أن الدكتور نصر يقول: إن تشريعات القرآن تعتبر بالنسبة للمرأة أكثر تقدما وإنسانية وعدلا من التقاليد والمظالم التى سبقته زمنا فى عصور الجاهلية، وعلى هذا فإن إعطاء المرأة ميراثا نصف الرجل (وهو التشريع القرآنى) يعتبر خطوة متقدمة فى طريق العدل والإنسانية من حرمانها الكامل من أى ميراث وإعتبارها بذاتها جزءاً من الموروث (وهو التقليد الجاهلى الظالم الذى سبق وجوده الإسلام زمنا)، لكن - من ناحية أخرى - فإن التطورات التى سارت فيها البشرية منذ عصر نزول القرآن وحتى اليوم قد سارت خطوات أخرى من التقدم والإنسانية تجاوزت فيها التشريع القرآنى بمراحل عديدة فلم يعد صالحا ولا ملائما لأن يطبق على نساء عصرنا اللاتى أخذت نفس فرصة الرجل فى التعليم والوظائف والثقافة والفضل؛ حيث أصبحت (الدكتورة إبتهال) زوجة (الدكتور نصر) مثله تماما ومساوية له فهى أستاذة بالجامعة كما هو أستاذ أخذت نفس الشهادة التى أخذها هو، وتناقش

طلبة الدكتوراه كما يفعل هو، وتؤدى جميع الأعمال كما يفعل هو، فلم يعد هناك وجه للأفضلية بينه وبينها، ووجب أن تأخذ مثله فى الميراث وإلا نكون قد أغفلنا السياق الذى أختلفت عن وقت نزول النص القرآنى: «للذكر مثل حظ الأنثيين» ـ النساء آية١١ .

هذا مايقوله الدكتور نصر ويشبه فيه قوله هذا بما فعله عمر وقاله فى مسألة المؤلفة قلوبهم.. وقياسه هذا باطل غاية فى البطلان لا يصح من أى وجه.

أولاً: لأن عمر ـ كما سبق ـ لم يلغ النص القرآنى ولم يفرغه من محتواه العملى، إنما أشترط فقط لتطبيقه أن تتوافر شروط هذا التطبيق، وقد توافرت بالفعل بعد عمر فعمل المسلمون بالنص الذى كلما توافرت شروط العمل به عمل به، فهو نص خالد دائم باق حتى يرث الله الأرض ومن عليها. لكن الدكتور نصر أعتبر النص القرآنى (حلقة منتهية) فى سلك التطور البشرى نحو التقدم والإنسانية والمساواة والعدل، هو أفضل فى هذا السياق من الحقبة الجاهلية، لكنه إذا قيس بسياق عصرنا وظروفه فهو مرحلة (تاريخية) منتهية لم تعد تلائم هذا العصر وظروفه. إذا طبقنا مايدعو إليه الدكتور نصر من التسوية بين الرجل والمرأة فى الميراث، فقد إنتهت كل مصداقية عملية وكل معنى تطبيقى لآية القرآنية... إلى غير عودة؛ لأن البشرية تسير فى طريق التقدم والرقى جيلا بعد جيل، ولا تعود إلى الوراء أبدا، ومن ثم لن تعود مرة أخرى إلى ظروف عصر تنزيل القرآن (بعد عصر جاهلى) ليكون النص القرآنى صالحا وقتها للتطبيق على المجتمع، كيف وحركة التاريخ والتقدم فى إتجاه دائم إلى الأمام، لا عودة فيه إلى الخلف! ومن ثم فقد إنتهى النص القرآنى ـ عملا وتطبيقا وواقعا ـ إلى الأبد عند الدكتور نصر أبو زيد.

ثانياً: ليست (نظرية) نصر أبو زيد مقتصرة على مسألة الميراث بل تتعدى ذلك إلى جميع التشريعات القرآنية التى جاءت فى سياق تاريخى معين، مرحلة سبقتها مراحل ولحقتها مراحل عديدة فى سلك التطور البشرى العمرانى نحو التقدم والعدل والإنسانية، وقد تجاوزها السياق وتجاوزتها الظروف الآن، ومن ثم فقد إنتهت كل مصداقية عملية وكل معنى تطبيقى لجميع التشريعات القرآنية! ولا أدرى: على أى نحو يكون وجود القرآن بعد ذلك فى دنيا المسلمين؟ ربما يصلح أن يعلق فى الصدور والسيارات للبركة؟ أو ربما كان نصا فولكلوريا يتحدث عن الماضى الجميل ويستثير بعض المشاعر الرومانتيكية فى قلوب بعض المؤمنين به وببركته! لكنه لن يكون شيئا مامطلقا فى واقع الناس الذى سيتباعد عنه جيلا بعد جيل!

ثالثاً: بناء على (نظرية) نصر زبو زيد هذه لابد أن نعيد النظر فى فهمنا للنصوص القرآنية ونصوص السنة الصحيحة التى بينت بأوضح طرق البيان زن (القرآن) قد خاطب وكلف (الناس جميعا) فى كل زمان ومكان، حيث بين لنا نصر أبو زيد أنه لم يرسل إلا إلى الذين تلقوه عن النبى ـ ﷺ ـ فى سياق التاريخ البشرى الذى تجاوزه الآن بقرون طويلة! علينا أن نعيد فهم قوله تعالى «وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الأنبياء ١٠٧) وقوله «وماأرسالناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون» (سبأ ٢٨) وقوله «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا» (الفرقان ١) ومايشابهها من أحاديث النبى ـ ﷺ ـ العديدة الصحيحة ـ فى نفس المعنى ـ لننزل هذه النصوص جميعا على (نظرية) أبى زيد بأن (العالمين) فيها و (الناس كافة) إنما هم فحسب عرب عصر التنزيل الذين خاطبهم الوحى وجاء لهم خاصة، وعلينا أن نفعل هذا على الرغم من كل معطيات اللغة العربية، وإلا كنا من الذين يبتغون إرجاع الزمن إلى الوراء، والغفلة عن السياق التاريخى التطورى للبشر، وإهدار مكاسب المرأة والإنسان من هذا التطور الدائم.

رابعاً: يقود ذلك كله إلى سؤال مهم حول المصدر الحقيقى للقرآن الكريم: أهو الله حقا؟ أم غيره؟ فإن كا من عند الله تعالى ـ كما يعتقد المسلمون ويشهدون بحق ـ فكيف يكون عالم الغيب والشهادة والسر وأخفى من السر ويغيب عنه أن البشرية فى تطور مستمر، وأنها فى سياق هذا التطور ستجاوز النص الذى أنزله لهداية العالمين (كما هى نظرية نصر أبو زيد فلا يعود يصلح لها أو يواكب تطورها؟ ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادرا على تنزيل نص يصلح للبشرين فى عصورها المختلفة وأوضاعها المتطورة؟ وهذا مقتضى نزوله للعالمين وللناس كافة، بمنطوق ومفهوم نصوصه السابقة نفسها؟

...ونحن (ولله الحمد والمنة) نؤمن إيمانا قاطعا لا يداخله شك أن الله تعالى قد فعل هذا حقا حين أوحى

بالقرآن الكريم الذى بين أيدينا، فنصوصه كلها - بغير إستثناء - هى وحدها - دون منازع - الملائمة لتحقيق مصالحنا الحقيقة اليوم وغدا وأمس.. حتى يرث الله الأرض ومن عليها، دون تعديل أو إلغاء أو مراجعة من أحد كائنا من كان، لأن «من إبتغى الهدى فى غيره أضله الله» كما قال رسول الله - ﷺ عن القرآن الكريم بحق.

وإذا كان الدكتور نصر أبو زيد قد ضرب المثل به وبزوجته فأقول له: إن إبنتى تدرس الماجستير مثل إبنى تماما، ومع هذا فإنها سترث راضية إن شاء الله نصف مايرث، وعليه من التبعات المالية أكثر من ضعفى ماعليها بكثير، ولا يمكن فهم مسائل الميراث إلا بوضعها فى (نظام النفقات) و (النظام الإجتماعى) الإسلامى بعامة. وليس تفصيل ذلك من موضوعنا.

..وفى الختام أقول للدكتور نصر: لعلك فهمت الآن لم تقبل المسلمون بالرضا والإكبار إجتهاد الفقيه العظيم عمر بن الخطاب، ولم قابلوا (إجتهادك) بما قابلوه به، فإن عرفت (الفروق الهائلة) التى تمنع أى (قياس صحيح) بين ماأراده عمر بالنص القرآنى وماتريده أنت له فقد وضعت يدك على الإجابة الصحيحة لتساؤلك.. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم..

عميد كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ثانياً الآراء الغير رافضة (ليس بالضرورة أن تكون هذه الآراء مؤيدة ولكنها بالقطع ترفض حكم الردة وتطبيقه) ..

١ - هل كان الدين معاديا للعقل ..

تحت هذا العنوان كتبت جريدة الصحافة التونسية فى صفحتها الثالثة بتاريخ ١٩٩٣/٤/١١ مايأتى:-

تماماً كما لو أن التاريخ يعيد نفسه أو تماماً كما لو أن الأحداث تتناسل لتعود فتعيد إلى الأذهان ما كان جرى للأديب الكبير طه حسين منذ أكثر من نصف قرن يجرى الآن لأحد المثقفين المصريين، إختلفت اللحظات التاريخية وإختلفت الأشخاص.. وكانت المسألة واحدة: رفض ممثلى الإسلام الرسمى لأفكار التحديث، وإتهام واحد من المثقفين بالكفر والإلحاد. ما تناقلته بعض الأوساط الإعلامية يبدو لافتاً للإنتباه فقد تعرضت مؤلفات الكاتب والباحث المصرى نصر حامد أبو زيد للمنع بموجب قرار صادر عن مجلس إدارة جامعة القاهرة الذى إعتبر أن تلك المؤلفات «مسيئة للإسلام». والأغرب من ذلك أن هذا القرار جاء كنتيجة لموقف إتخذته لجنة علمية تعتبر فيه أن حامد أبو زيد ملحد وأن كتاباته فى المسألة الدينية تعتبر «إفتراء على الإسلام». هذا الموقف أثار نقاشاً وجدلاً فى الأوساط العلمية والجامعية المصرية بإعتباره يمس مباشرة بحرية الفكر والبحث، كما وقع تفسيره على إنه يخدم بصفة واضحة الحركات الدينية المتطرفة، وهو ما عبر عنه المثقف المعروف. غالى شكرى بجريدة الأهرام المصرية قائلا: «لو أن القضية مجرد ظلم لحق بأستاذ جامعى يستحق الترقية ولم يحظ بها لما إستحق الأمر أكثر من الأسف لكن الأمر يتجاوز هذا النوع المؤسف من الظلم بكثير، يتجاوزه إلى درجة السؤال عما إذا كان هناك فى مؤازرة الإرهاب المستتر بالدين إرهاب آخر داخل جدران الجامعةهو إمتداد للإرهاب الأصلى». ونشير هنا إلى أن ماتعرض إليه أبو زيد وقع تفسيره على أنه إستهداف لحركة الفكر العقلانى المتنور، وأن المسألة تتجاوز فى الواقع شخص هذا الكاتب إلى حرية الممارسة الفكرية ذاتها وتمس بمختلف الإنتاج الفكرى العقلانى.

التهمة الموجهة لحامد أبو زيد كانت وجهت فى سنة ١٩٣٢ لطه حسين الذى رمى بالإلحاد والكفر وإعتبر آنذاك من طرف مؤسسة الإسلام الرسمى خارجاً عن الدين كما إعتبرت أفكاره المتنورة مساً بقداسة الإسلام ومروقاً عن تعاليمه. هكذا فإن النزاع بين الأوساط التقليدية المحافظة وبين أوساط المثقفين المتنورين الذى كنا نعتقد أنه تراجع بتراجع لحظات التاريخ ظل كامناً ليتفجر فى أى منعرج. وليس صدفة أن تذكر حادثة حامد أبو زيد بما تعرض له طه حسين وخاصة أن المسألة الأساسية واحدة الإتهام بالكفر والإلحاد.

إن ما يلفت الإنتباه حقاً هو أن نجد جماعة ما أو جهازاً ما أو مؤسسة ما تمنح لنفسها حق تمثيل الدين وحق الكلام بإسمه وحق التكفير، ثم هى بعد ذلك تصنف المجتمع إلى مؤمنين وكافرين وفق ما تراه. وما يثير فعلا هو أن يخترق هذا التقسيم الفضاءات العلمية وأوساط الباحثين والمفكرين، وتصبح مجالات البحث

والدراسة تصنف على أساس إيمانها وكفرها وعلى أساس ماتقرره فتوى تصدرها جماعة ما.

هذا مع العلم أن نصر حامد أبو زيد هو واحد من الباحثين المهتمين بالبحث الجدى فى قضايا فكرية ذات إتصال بالدين، فإضافة إلى شهادة الدكتوراه التى يحملها منكلية الآداب بجامعة القاهرة فهو يشغل منصب أستاذ الدراسات الإسلامية والبلاغية بنفس الكلية. ويهتم حامد أبو زيد بدراسة فلسفة التأويل والإتجاه العقلى فى التفسير ومن مؤلفاته «الإتجاه العقلى في التفسير، دراسة فى قضية المجاز فى القرآن عند المعتزلة (1983) فلسفة التأويل دراسة فى تأويل القرآن عند محيى الدين بن عربى (1983) مفهوم النص، دراسة فى علوم القران (1990) نقد الخطاب الدينى (1993) إشكاليات القراءة وآليات التأويل a (1992) هذا بالإضافة طبعاص إلى عدة بحوث أخرى منشورة وترجمات.

هذه المؤلفات تبين أن الرجل هو من الباحثين فى المسائل الدينية ذاتها وهو مثقف إختار أن يبحث بطريقة عقلانية متنورة فى عدة قضايا حساسية ومهمة ظلت طوال فترات التاريخ طى النسيان مهملة أو هى محرّمة على الدارسين والباحثين، ولم يتجرأ رلا قلة على إثارتها. وحين نعود إلى عناوين مؤلفات حامد أبو زيد نكتشف أن هذا الباحث إختار التطرق إلى أخطر المسائل التى سكتت عنها جماعة الإسلام الرسمى، بل وأعتبرت البحث فيها إفتراء على الدين، وهو نفس الإدعاد الذى تعرض له فلاسفة كبار فى التاريخ العربى الإسلامى وقد إتهموا «بالزندقة» و «المروق عن الدين».

ليس غريباً إذن أن تثير هذه الحادثة نقاشاً فى الأوساط الثقافية والجامعية طالما أنها تمس حرية البحث العلمى وتهدد الفكر العقلانى المتنور وتقصى من الأساس حق الإختلاف فى الرأى.

ملاحظات: إستقينا بعض المعطيات من جريدة القدس ليوم ٢ إبريل ١٩٩٣.

تعليــق: -

.. عفواً صحافة تونس.. فلم يصدر من الجامعة أى إتهام بالردة أو الكفر للدكتور/ نصر حامد أبو زيد وإنما رفضت ترقيته بناء على أسباب أكاديمية بحثه وفقاً لنظامها ولوائحها.. أما الإتهام بالكفر فجاء من خارج الجامعة بدعوى (حسبه) رفعت بعد ذلك أمام المحاكم ومن غير أعضاء هيئة التدريس الجامعيه..وقد أوردنا التفاصيل بالأسماء.. والقول بأن هيئة التدريس هى التى رفعت الدعوى..تدليس على الحقيقة التى لامراء فيها ولا تتوارى وراء ضمار.

٢ - قضية نصر أبو زيد للدكتور/ غالى شكرى تحت هذا العنوان كتبت جريدة الأهرام فى ١٩٩٣/٣/٣١ ..

لو أن «القضية» مجرد ظلم حاق بأستاذ جامعى يستحق الترقية ولم يحظ بها لما أستحق الأمر أكثر من الأسف ولكن الزمر يتجاوز هذا النوع المؤسف من الظلم بكثير، يتجاوزه إلى درجة السؤال عما إذا كان هناك فى مؤازرة الإرهاب المتستر بالدين إرهاب آخر داخل جدران الجامعة هو إمتداد للإرهاب الأصلى. وإذا كان الأمر قد وصل إلى هذا الحد، فمعنى ذلك أن الجامعة التى كانت قلعة حصينة للمفكر الحر فى أزمة طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى تقع الآن تحت ضغوط تستهدف تحويلها إلى إحدى محاكم التفتيش. ولو أن هذه الضغوط قد نجحت لتخلت الجامعة المصرية عن أبسط المبادئ الجامعية فى العالم: الإستقلال والبحث العلمى الحر. بل لتخلت الجامعة المصرية عن تاريخهار العظيم فى الدفاع عن العقل عموما والحرية خصوصاً.

أقول ذلك ومصر كلها تعلم أن الجامعة التى أسسها سعد زغلول وقاسم أمين بأموال الشعب المصرى فى مقاومة الجهل والإحتلال والطغيان لم تتحول بعد عن أهدافها الرفيعة السامية، ولك تفقد بعد مانفخر به من دعائم أية نهضة مرتجاة، لأن الجامعة كالمجتمع تزخر بمختلف التناقضات ولكنها تتميز دائماً بأنها ليست مخزناً لتحصيل المعلومات، بل منبرتً يدرب العقول على التفكير، ومن بين هذه العقول تبرز طلائع النهضة فى كل جيل. لذلك فإن الجامعة المصرية، بالرغم من كل شئ، مازالت تضم بين جنباتها عشرات الألوف من الأساتذة والطلاب والباحثين القادرين على مقاومة الظلام خارج أسوارها، ومحاولات التسلل داخلها.

والقضية التى نحن بصددها، ربما لم تكن الوحيدة، ولكنها تكتسب دلالتها من كونها أشبه بناقوس الخطر

الذى ينبغى أن يدق بكل قوة فى آذان الرأى العام.

والقصة تبدأ من أن الدكتور نصر أبو زيد أستاذ مساعد الأدب العربى بكلية الآداب جامعة القاهرة قد إرتضى لنفسه أن يكون جامعياً بالمعنى الكبير الشامخ لهذه الصفة الرفيعة، فلم يشأ أن يكون «مدرسا» بالمعنى الشائع هذه الأيام: حشو أدمغة الطلاب بما يتطلبه المنهج وبيع الملازم بما تتطلبه الأسئلة والأجوبة فى أوراق الإمتحان، وإنما أتاحت له الموهبة والخبرة والثقافة أن يكون «المعلم» الذى يربط بين الجامعة ومجتمعه، وأن يخرج إلى «الشارع» ككل الأساتذة الكبار مفكراً يدرب العقول على التفكير والحرية، وهو بذلك أحد الورثة اللامعين لأعظم تقاليد الجامعة المصرية ورموزها الكبيرة.

وشاءت المصادفات أن نصر أبو زيد بحكم تخصصه وتفقهه فى الفكر الإسلامى والتراث العربى أن يعايش مرحلة من أدق المراحل هى مرحلة الإنحراف لدى قطاعات من الشباب، مرحلة التضليل بإسم الدين، والتى أثمرت مايدعى بالتطرف فالإرهاب ولم يشأ الرجل أن ينطوى فى الثياب الأكاديمية ويغلق على نفسه الأبواب التى يأتى منها الريح، وإنما شرع بكل مايملك من أسلحة العلم والمعرفة يقاوم الريح السوداءدفاعاً عن وطنه وأمته والحضارة التى ينتمى إليها. كان يدرك أن هذه هى الرسالة الحقيقية للأستاذ الجامعى، فلم يتخل لحظة عن البحث العلمى الرفيع، ولم يتخل لحظة عن هموم بلده، وهى بحاجة إلى موهبته ومعرفته فى مقاومتها لحشود الظلام.

وبما أنه لا يلمع فى كل جيل من أ ساتذة الجامعة إلا القلة القليلة من الذين يرتبط عملهم الجامعى بالعمل الوطنى العام، فإن أعمال نصر أبو زيد التى شقت طريقها إلى بناء الرأى العام قد أفسحت له مكاناً ومكانة فى طليعة هذا الجيل من المفكرين. وقد إتسع هذا المكان وبرزت تلك المكانة لأن موضوعه الأثير كان «الخطاب الدينى» الذى تطلب درجة عالية من الشجاعة فى مواجهة الإرهاب.

وبالرغم من أن نصر أبو زيد لا يملك منبراً صحفياً أسبوعياً، وبالرغم من أن لغته فى الكتابة لا تتميز بجاذبية الأسلوب الصحفى وسهولته، فقد أقبل على كتاباته فى المجلات الثقافية وعلى مؤلفاته الصادرة عن دور النشر جمهور يتزايد يوماً بعد آخر بسبب الصفات الرئيسية التى يملكها بإقتدار: المعرفة والشجاعة والقضية التى وهب لها قلمه، وهو لا يملك «ظهراً» من أى نوع يستند إليه، لا علاقة له بأى حزب أو مجموعة ضغط أو موقع فى السلطة أو وجهة تمويل داخلية أو خارجية، لا يملك غير هذه الصفات الثلاث التى حققت له دائرة ضيقة تتسع تدريجياً من الرأى العام داخل الجامعة وخارجها.

وقد صدر كتابه المهم «مفهوم النص - دراسة فى علوم القران الكريم» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وأعيد طبعه، ثم صدر كتاباه «الإمام الشافعى وتأسيس الإيديولوجيةالوسطية» ونقد الخطاب الدينى» داخل مصر -زيضاً، والعديد من الأبحاث والمقالات فى المجلات القاهرية، فلم يحدث أن صودر له كتاب أو مقال من أية جهة دينية أو مدنية.

ولكن الذى يحدث هو أن لجنة الترقيات فى جامعة القاهرة رأت مصادرة نصر أبو زيد نفسه، بالحيلولة بينه وبين الترقية المفترضة إلى درجة «زستاذ». ولأن الجامعة كما قلت كالمجتمع تموج بشتى التيارات، ولأن جامعة القاهرة مازالت تزخر بالطلائع المستنيرة، فإن مجلس قسم اللغة العربية بكلية الآداب أعترض على تقرير لجنة الترقيات، وكذلك مجلس كلية الآداب، أما مجلس الجامعة العتيدة فقد إختار أعضاؤه الموافقة على تقرير لجنة الترقيات مساوياً بذلك بينه وبين غيره من المعترضين أو المظلومين ضارباً عرض الحائط بتقرير القسم وموافقة مجلس الكلية على الترقية.

والقضية برمتها ليست مسألة ترقية، وإنما القضية هى الحيثيات التى جاءت فى تقرير لجنة الترقيات والتى تشبه محاكم التفتيش من حيث بعدها البعيد عن التقويم العلمى وقربها القريب من البحث فى النوايا والضمائر والحكم بالتكفير وغيره من مفردات الإرهاب الذى تحاربه مصر كلها. والمعنى المباشر أن هذا الإرهاب الذى يشارك نصر أبو زيد فى مقاومته قد إستطاع التسلل أخيراً إلى موقع يمكنه من معاقبة هذا الأستاذ عقاباً رسمياً وقانونياً. وحتى على الصعيد القانونى، فإن المفاجأة كانت أن هناك ثلاثة تقارير حول إنتاج نصر أبو زيد من بينها تقريران إيجابيان، ولكن اللجنة أختارت التقرير الثالث السلبى. وهو مخالفة

صريحة لمنطوق اللائحة. كما أن اللجنة إختتمت تقريرها ليعبر عن رأيها الجماعى بينما هناك من رفض التوقيع على هذا التقرير.. مما يؤكد أن هناك رغبة مبيتة ضد نصر أبو زيد. كذلك جاء فى تقرير مجلس القسم أنه «إنتهى المجلس بالإجماع بعد المراجعة المتأنية والمناقشة التفصيلية إلى رفض التقرير شكلا ومضموناً. وأكد أعضاء المجلس بالإجماع فى الوقت نفسه جدارة الإنتاج المقدم من الزميل إلى درجة أستاذ فى اللغة العربية» ثم جاءت الموافقة الإجماعية من مجلس الكلية على هذا القرار الذى ضرب به مجلس الجامعة عرض الحائط.

أما الحيثيات التى وردت فى تقرير لجنة الترقيات، فإنها تتجنب العلم وتخوض فى الضمير، ذلك أن كاتب التقرير قد أغفل النصوص الواضحة وجاء بما ليس فيها. ووصل الأمر لزن يعلق على أحدها بعبارة «وهذا كفر صريح» ثم شطب عليها وكتب «وهذا تصور غريب ومرفوض»، ومرة أخرى يكتب «هذا رأى كافر مردود» ثم يشطب كلمة «كافر» ويكتب «إن الباحث لا يجرؤ على نشر أفكاره»، وهى منشورة كما يعلم، إلى أن يصف الباحث بأن «كلامه أشبه بالإلحاد». وغيرها من تعبيرات لا يتسع المقام لنشرها، ولكنها لا تقل عن كلمات محكمة التفتيش التى إنعقدت لجاليليو منذ ٣٦٠ سنة. والفرق أن الفاتيكان إعتذر لجاليليو، بينما هناك البعض فى جامعاتنا مازال مقتنعاً بأن الأرض لا تدور.

٣ ـ وحوار أجرته جريدة الأخبار مع أحد أعضاء اللجنة تحت عنوان (نزع القداسة عن غير المقدس) قالت فيه الصحفية عبلة الروينى :ـ

هو صاحب التقرير العلمى الإيجابى بجدارة د. نصر أبو زيد العلمية وأحقيته فى الترقية لدرجة «أستاذ» وهو أيضاً صاحب التوقيع على قرار اللجنة العلمية الدائمة برفض ترقية د. نصر أبو زيد وعدم جدارته للأستاذية. ثم هو ثالثا الذى قام بسحب توقيعه على قرار رفض الترقية فى مذكرة إلى مجلس جامعة القاهرة. الدكتور محمود على مكى أستاذ الأدب الأندلسى والدرسات المقارنة بجامعة القاهرة، عضو مجمع اللغة العربية وعضو الأكاديمية الملكية الأسبانية للتاريخ.

ـ تقريرك العلمى يؤكد أحقية د. نصر أبو زيد بدرجة «الأستاذ» ؟

* من غير شك، فنصر أعرفه منذ رسالته للدكتوراه فى التأويل عند ابن عربى، والتى أشرف عليها د. عبد العزيز الأهوانى ثم أسند إلى إكمال الإشراف بعد وفاة الأهوانى ثم أسند إلى إكمال الإشراف بعد وفاة الأهوانى.. وقد أقرت الرسالة بإمتياز.. وأنا أشهد أن نصرا قارئ ممتاز واع ملم بالتراث، ومعرفته بالدراسات العربية والإستشرافية والأجنبية معرفة واسعة جداً، ولهذا زشعر زن ماحدث له ظلم لأن كثيرين من الذين حصلوا على الترقية لا يصلون إلى هذا المستوى ولا إلى أدنى منه.

ـ فلماذا كان توقيعك على قرار اللجنة العلمية الدائمةبرفض الترقية ؟

* اللجنة الثلاثية للفحص قدمت تقريرين إيجابيين «تقرير د. عونى عبد الرءوف وتقريرى» وتقرير د. عبد الصبور شاهين السلبى.. وقد قرأنا جميعاً التقارير.. وحينما أتى التصويت كان متقاربا ٧:٦ لصالح التقرير السلبى، وجرت العادة فى اللجان العلمية إن تسير بالسنة الديمقراطية وهى إنه حينما ننتهى إلى نتيجة بعد التصويت أن يوقع الجميع ـ دون أن يعنى ذلك إقتناعاً ـ برغم التزامنا بهذه القاعدة على غير إقتناع فقد إشترطنا جميعاً حذف العبارات التى تحمل إتهاماً بالكفر والإلحاد.. وشطبت بعض العبارات لكن أيضاً ظلت عبارات كثيرة بنفس الإدعاء.. وكان ذلك فى رأينا أخطر كثيراً من مسألة ترقية أو عدم ترقية.

ـ ولماذا لم تعمل الديمقراطية فى اللجنة الثلاثية حيث تقريران إيجابيان مقابل تقرير واحد سلبى ؟

* المتبع فى تقاليد اللجنة العلمية أن تطرح تقارير الفحص وتؤخذ الأصوات، لكنا إشترطنا حذف كل ما يتصل بالعقيدة للتوقيع على تقرير د. عبد الصبور شاهين وهو تحقق جزئياً.. لكن لما رأيت أن التقرير لم يف بهذا الشرط سحبت توقيعى.. وهذا موجود رسمياً فى قسم اللغة العربية ومجلس الجامعة، معنى فى قسم اللغة العربية ومجلس الجامعة، معنى هذا أن توقيعى يعتبر ملغى تماماً.

ـ لماذا لم تدافع بقوة عن تقريرك العلمى ؟

* بطبيعة الحال دافعت بقوة ورأيي مثبت في تقرير مفصل من ٢٠ صفحة وقمت فيه بعرض دقيق وموضوعي للإنتاج المقدم. وكان لي أيضاً ملاحظات على الإنتاج في بعضها نقد لهذا العمل لأنني حاولت أن أكون موضوعياً فلم أكن منحازاً لا مع ولا ضد وكان ذلك واضحاً. لكن أعضاء اللجنة كل له وجهة نظره.

- ما معنى أن يضرب مجلس الجامعة عرض الحائط بكل التقارير الإيجابية في: «مجلس قسم اللغة العربية - مجلس كلية الآداب - تقريرين باللجنة الثلاثية». ؟

* هو موقف غريب.. وقد تم تجاهل هذه التقارير لأنها لم تقرأ، وهناك من تعمد عدم قراءتها، وربما لو قرئت في مجلس الجامعة لتغيرت وجهات النظر والنتيجة.. لكنهم أخذوا بمبدأ أن تقارير اللجنة العلمية تعتمد أيا كانت بالرفض أو الإيجاب حتى يريحوا أنفسهم.

- بسحب توقيعك يصبح التصويت ٦:٦ هل تصبح النتيجة بذلك باطلة؟

* لا اللجان العلمية لها قواعدها الخاصة، لكن الأخطر من ذلك قرار مجلس الجامعة «٣٥ عضواً» فقد وجد أن المسألة لظروفها الخاصة حيث الكلام عن الكفر والإلحاد وغير ذلك فلا يهم التضحية بكبش فداء كنصر.

- وكيف كانت إستجابة رئيس الجامعة لسحب توقيعك؟

* تحدثنا مع السيد رئيس الجامعة، وكانت المسألة يبدو وكأنها أحيلت إلى الجامعة لكي يدور فيها الحوار ولم يدر شيئاً من الحوار بعد ذلك. وعرضت في مجلس الجامعة ولا أدري كيف عرضت.. ومجلس الجامعة يبدو أنه أراد يريح نفسه فقال إن اللجان العلمية لا تناقش تقاريرها يعني بصراحة مسألة «زحلقة».

- هل تقرير د. عبد الصبور شاهين غير منصف؟

* أعتقد أن هذا التقرير لم يقرأ الأعمال قراءة كاملة. بدليل أن هناك بحثاً كاملاً من ٥٠ صفحة باللغة الإنجليزية لم يقرأ سوى ملخص له من صفحتين باللغة العربية.. لكن المسألة الأخطر هي مسألة تأويل ما قدمه نصر على أنه خروج على الدين.

- وهل عبارات مثل «كلمات أشبه بالإلحاد»، «جهل وكذب وافتراء»، «إساءة إلى الإسلام»، وغيرها من العبارات التي وردت في التقارير عبارات علمية؟

* ليست علمية وإنما هي مجرد سباب، وهذا ما اشترطنا خذفه وهنا أريد أن أقول إن الإسلام كان دائماً مدافعاً عن حرية الفكر.. في التاريخ الإسلامي كان هناك من ينادي بنفسه ملحداً كابن الراوندي فما الذي حدث، أتى عالم أسمه ابن الخياط وقال «الرد على ابن الراوندي الملحد».. لم يدن شخص لفكره إلا في حالات نادرة جداً كانت في معظمها خصومات سياسية اتخذت الدين ستاراً لها.

- مع فارق التشبيه فنصر أبو زيد ليس ابن الراوندي:

* وأنا أقطع وأقول إن نصر مومن تماماً لأنه يفرق دائماً بين ما يسميه النصوص الدينية الأولية والنصوص الدينية الثانوية أي التأويلات والشروح والتفاسير التي يقوم بها العلماء.. ليست في الإسلام قداسة إلا للقران ولما ثبت من الحديث النبوي بينما إختلف العلماء منذ القديم في تأويل وتفسير النصوص القرآنية.

- بعد اتضاح أبعاد المسألة واتساع الحوار حولها هل يشعر أعضاء اللجنة العلمية بالحرج من إعتماد تقرير بهذا المستوى؟

* هذا متروك للأساتذة، لكن أحب أن أشير أن الإنتاج العلمي للدكتور نصر لم يقرأ في اللجنة الدائمة ولم يطالعه كثير من الأعضاء.. ماقرئ هي التقارير الثلاثة فقط وربما استشعر بعض الزملاء في الكلام المتعلق بالإلحاد شيئاً من الضغط النفسي عليهم.. وهو أمر يتعلق بالمعركة الدائرة الآن على الساحة العربية، وهي عودة الفكر الذي تسيطر عليه الغيبيات بالمعنى السيئ أي الخرافات التي تلحق بالدين. ونحن نلاحظ أن هناك عودة لمثل هذا الفكر ضد الفكر المستنير، ويكفي أن ننظر إلى ما يقرأه الشباب حتى أمام أبواب الجامعات نجد كتبا عن أهوال القبر عن الجن وعن زواج الجن والإنس وهي أمور لا تعين إلا على تغييب العقل وهذه مسألة ينبغي أن يقف الفكر المستنير صامداً لها لاسيما أن الإسلام هو دين العقل والقرآن ينص على إعمال العقل ولم يبدأ التخلف في العالم الإسلامي والعربي إلا بعد أن جمد العقل وشاع التمسك بمثل هذه الخرافات.

ـ إجتهاد د. نصر.. برأى د. عبد الصبور شاهين ليس فى مساره الصحيح. هل للإجتهاد مسار صحيح وخاطئ.. بأى معيار؟

* هذا صحيح.. فالإجتهاد ينبغى أن يقوم بعد أن يقتل القديم بحثاً، وقد قرأ د. نصر التراث القديم قراءة واعية وفاحصة وواسعة ويحق له أن يبدى رأيه سواء فى التراث القديم أو فى الفكر الدينى الحديث. وهو حريص وهذا منصوص فى كتابه على تأكيد أن الدين جوهرى فى كل نهضة، وينبغى أن تكون هنا عقيدة سليمة لكنها ينبغى أن تكون مبرأة من الشوائب والخرافات التى لحقت بنا.. فجزء كبير من أسباب تخلفنا يرجع إلى الجمود وعدم أعمال العقل والإعتقاد بالظواهر والشكليات «التمسك بالزى وإطلاق اللحى وإخفاء الشوارب» هذا ما ينبغى محاربته لأن الإسلام هو الذى مد للعقل أفاقاً لا نهاية لها لأنه كان واثقاً بأننا حين نحارب إنساناً فى فكره فهذا يدل على أن العقيدة هى التى فى المركز الأضعف وأذكر هنا القضية التى أثيرت فى مجلس الشعب بشأن محيى الدين بن عربى وإتخذ قرار بمنع نشر الفتوحات المكية «وهذه فضيحة» بحجة أنه خطر على عقائد العامة.. كما لو كان ابن عربى يستطيع العامة قراءته مع أن المثقفين حين يقرأونه يحتاجون إلى جهد لفهمه.

ـ هل خروج قضية ترقية نصر أبو زيد للرأى العام أمر يمس الجامعة كما ادعى البعض؟

* كنا نتمنى أن تتم تسوية هذه الأشياء داخل الجامعة، لكنها الآن ملك الرأى العام لأنها متعلقة بالفكر وبالصراع الدائر الآن بين الفكر المستنير والفكر المتخلف ثم يقول الدكتور محمود مكى فى نهاية الحوار:

ـ بغير شك نصر ظلم، وله الحق أن يشعر بالمرارة وكلنا نشعر أيضاً بها، لكن أعتقد أنه لا يجب أن يستسلم وله أن ينتصف والمسألة الآن ملك للرأى العام هل يخضع للإبتزاز أم ينتصر للفكر والإستنارة والتقدم!!

٤ ـ وكتب د. حسين نصار مقالا عجيبا بالأهرام فى ١٦ / ٤ / ١٩٩٣ قال فيه :

لا يخامر أحداً الشك فى أن الجامعة أحد مراكز «العلم» ولا يخامر أحداً الشك فى أن الجامعة ترعى «نوعاً خاصاً من العلم»، يختلف عما ترعاه المراكز السابقة على الجامعة، وفضلنا أن نسميه التعليم حيناً والتربية حيناً آخر. وحين نريد أن نحدد هذا النوع الخاص من العلم نجد الناس يختلفون، ويجد كثير منهم الراحة فى تسميته «العلم العالى»، ولكنى أفضل ـ لتيسير التناول والعرض ـ أن أصنف هذا العلم صنفين. صنف يمنحه رجال الجامعات لطلبتهم، وآخر يدونونه فى بحوثهم.

أما الصنف الأول فلا يسعى إلى «تعريف» الطلاب وحسب، بل يتخذ من هذا التعريف وسيلة لتخريج المواطن الصالح، يفعل ذلك ببث «الوعى» فى الطلاب: الوعى بما يشوب مجتمعهم من نقص وضعف، وما يقتضيه ذاك من تخطيط فكرى وجهد عملى، لسد النقص، وتحويل الضعف قوة، والسير نحو التقدم والأزدهار.

أما الصنف الثانى فيسعى إلى تقدم العلوم فى التخصصات المتنوعة ؛ وليس معنى ذلك أن هذين الصنفين منفصلان لا لقاء بينهما، بل اللقاء بديهى وطيد، لأن القائم بهما شخص واحد، هو عضو هيئة التدريس الجامعية. والصنف الثانى من العلم هو الذى يعتد به فى تقييم رجل الجامعة فى كل مرحلة من مراحل حياته الجامعية، وعنه أكتب هذه الكلمة؛ لأن بعض الضباب يحيط به أحياناً، فتغمض صورته عند بعض الناس، وتختل المعايير فى قياسه. تشترط جامعاتنا المصرية أن يكون فى البحث ما أسمته «إضافة علمية» لتعتد به، وتشترط جامعات أخرى أن يكون أصيلاً مبتكراً، ويمكن أن أجمل ذلك فى أن البحث الجامعى المعتد به هو البحث الذى يمثل الشخصية الفكرية لمن يقوم به، فى جلاء كاف. وبديهى أن ذلك لن يتم إلا إذا توافرت فى ذلك البحث صفات تنطق بأنه من صنع باحثه، وتميز بينه وبين كل بحث آخر يعالج الحقل الذى عالجه.

وليس معنى ذلك أننى أحظر على أحد أن يدرس موضوعاً سبقت دراسته، بل إننى أؤمن أنه ليس من حق أحد أن يعين للباحث الجامعى موضوعات معينة ويحظر غيرها. والضابط الوحيد الذى يمكن الإحتكام إليه فى هذه المرحلة أن يكون موضوع الدراسة داخل إطار تخصص الباحث، سواء تخصصه العريض أو

تخصصه الدقيق. وينتقل بنا القول إلى الطريق الذى سلكه الباحث ليصل به إلى الغاية التى توخاها، وهو ما إعتدنا أن نسميه «منهج البحث»، وهو ـ فى إعتقادى ـ العنصر الوحيد الذى يمكن مناقشة الباحث فيه، لأن له ضوابطه المعروفة. وتبين لنا هذه الضوابط أنه ليس هناك منهج واحد يطبق فى جميع العلوم، وإنما هناك مناهج متعددة وفق التخصصات المتنوعة، فمنهج الرياضات البحتة غير منهج العلوم التجريبية، غير منهج العلوم الإنسانية، غير منهج ما وراء الطبيعة «الميتافيزيقا».. إلخ ومن الخطأ تطبيق أحد المناهج فى التخصص غير الصالح له. وعلى الرغم من هذا التنوع والتفرقة، يجمع كل هذه المناهج تحت عباءة ما نسميه «التفكير العلمى»، وهو ذلك التفكير الذى يبدأ بتصحيح المقدمات، ووضعها الموضع اللائق بها، وقرنها بما يأتى به الإطلاع أو تلتقطه الملاحظة أو يستبينه أعمال الفكر، ويتدرج حتى يصل إلى إستنباط النتائج السليمة، التى ترتبط بما قبلها إرتباطاً وثيقاً، فلا تهمله إهمالاً كلياً أو جزئياً، ولا تفتات عليه ضيقاً أو إتساعاً أو إعتسافاً، إنما يجب أن تكون النتائج بنات طبيعيات للمقدمات. إن اعوج هذا المنهج كله أو أجزاء منه، عن قصد أو غير قصد، كان للباحثين الجامعيين الحق فى نقد بل نقض هذا البحث، ولو كان صاحبه فى أرقى المراتب الجامعية. وإن سلم هذا المنهج، وجب التسليم بسلامة البحث كله، موضوعه ومقدماته وتطوره ونتائجه، سواء جاءت هذه النتائج بما يرضى عنه المجتمع، أو جاءت بما يخالف ما يعتنقه من أفكار.

ووجب على الجامعة حماية هذا البحث وأمثاله، إن تعرض لهجوم لا يقوم على تفكير علمى، شنه رجال من الجامعة نفسها أو من خارجها. فالجامعة التى لا تحرص على البحث الحر ـ الذى يتقيد بالمنهج السليم، ويلتزم التفكير العلمى ـ تفقد الهدف من وجودها.

التعليق:

يرى د . حسين نصار غلق جامعة القاهرة لعدم اجازتها أبحاث د . نصر .. !!

٥ ـ ومن المضحك المبكى ما كتبه د . سليمان العطاروهو إستاذ بكلية الآداب فقال فى أهرام ٧ / ٧ / ٩٣ : ـ

لابد من أن أبدأ حديثى هنا بتحية صفحة الحوار القومى (هذه الصفحة التى بين يدى القارئ) لسببين: هما إخلاصها وشجاعتها فى معالجة قضية نصر ـ شاهين ويتجلى الإخلاص فى مظهرين؛ المظهر الأول هو المثابرة والنفس الطويل فى عرض الأمر على الناس فهى تضرب مثلا يحتذى لموقف صحافتنا اليوم، الذى فقد هذه المثابرة أمام شعار «نضرب ونجرى»؛ فكثير من قضايا الوطن الكبرى تثار فى تحقيق أو عرض مثير على إحدى الصفحات، ثم يتم غسل اليد منها وينتهى الأمر. ولم تشهد صحافتنا فى السنوات الأخيرة مثل هذا الأسلوب المثابر، إلا فى قضية هضبة الهرم المشهورة. أما المظهر الثانى للإخلاص فهو الأمانة والحياد والوثائقية. وإذا تحدثنا عن الشجاعة التى نفتقدها اليوم جيمعاً أمام ضغط الكهنوت الدينى المخترع حديثا فى الإسلام فإننا نشعر بالرضا العميق أن الله جل وعلا أبقى هذا القلب المؤمن به وبالوطن ينبض فى قوة، متمثلا فى جريدة «الأهرام» وفى هذه الصفحة، التى عرضت نفسها للقيل والقال ولهجوم سيئ النية مرة، أو فاقد للفهم والوعى مرة أخرى ثم بعد هذه البداية أريد أن أعرض بعض الأفكار الهادئة حول قضية «أبو زيد ـ شاهين».

* أولا: إن الأمر كما شاهدنا وثائقه ليست قضية ترقية أستاذ أو عدم ترقيته، بل هى ليست قضية اللجان العلمية وتحولها إلى أثر قومى، وكان مقابل غنى بعض بلاد المنطقة بالنفط تزداد مصر غنى بالآثار. إنها قضية إنهيار مفهوم «الجامعية» وإنهيار مفهوم الجامعة نواة لقضية كبرى قومية، هى إنهيار المفاهيم فى كل المؤسسات الإجتماعية من الخاص للعام وكشاهد عيان: إن ملابسات موضوع «أبو زيد ـ شاهين»، كما جرت وتجرى أمثالها أمام عينى كشاهد عيان، تكشف عن سيادة السلوك المافياوى (صفة نسبة إلى المافيا) فى اتخاذ القرار العلمى، حيث تتم الترقية أو لا تتم طبقاً لمجموعة من الإعتبارات الشخصية التى لا علاقة لها بصالح الجامعة وأعرافها.

* ثانيا: إن سيادة الإعتبارات الشخصية فى إتخاذ القرارات، يدفع متخذ القرار إلى تزييف المبررات وإختراعها، وهو لا يقف عند حدود التلاعب بالقانون، بل يتعداها إلى إستثمار الظروف التاريخية للأمة .

* **ثالثاً**: والأمة الآن تمر بظروف تاريخية تتسم بعدة عناصر وربطت الدين ـ وهو من ذلك براء ـ فى خلق جو من الحساسية الدينية عند العامة ، يقابلها سيف فى يد عدد من الرجال الذين هم ليسوا علماء دين (لا يحملون العالمية) ولا يعرفون من أمور الدين ما يكفى للتصدى للوعظ والإرشاد والفتوى، هؤلاء الرجال مارسوا لأكثر من ربع قرن عملية إفساد عقول العامة وزرع الحساسية الدينية المفرطة لديهم، مما هيأ العامة لتفريخ التطرف والسلوك العنيف الذى يصل إلى حد قتل الأبرياء وتهديد مستقبل الوطن . ثم بعد ذلك تحولت العامة إلى سيف فى يد ذلك العدد من الرجال أصحاب الأهواء والمصالح والتجمعات المافياوية والذين أصبحوا مجموعة «كهنوت دينى» يتم إختراعها فى إسلام لا يعرف الكهنوت بل يستنكره .

* **رابعاً**: مجموعة الكهنوت الدينى تمثل ضغطاً على كل مؤسسات الوطن تحت تهديد ذلك السيف، ولهذا يعلن أحد رجال الدين «أنه لا مكان للعلمانيين فى مصر»، وهو تحت هذا الضغط لم يلاحظ أمرين: أن مصر ليس بها علمانيون بالمفهوم الذى قصده . وأيضاً بمفهوم هذا المصطلح عند أصحابه الغربيين. بل بها مفكرون أحرار يؤمنون بالإسلام.

* **خامساً**: نعود للآلية الشخصية لإتخاذ القرار بالجامعة وبحثها عن التبريرات مستغلة التحايل على القانون تارة، ومستثمرة الظروف التاريخية للوطن تارة أخرى. وهذا ما حدث فى أمر أبو زيد، فبعد ركن أوراقه وتعطيل ترقيته شهوراً طويلة، فجأة وبدون أى مبرر يعرض الأمر على جلسة طارئة، وهى جلسة إنعقدت بشكل خاطف لمواجهة قرار النظام السودانى بالسطو على جامعة القاهرة بالخرطوم. إن ضميرى الوطنى ليشعر بالحزن من إستغلال هذه الجلسة الخاصة التى تبحث كارثة كبرى للجامعة وللوطن لعرض موضوع مركون منذ زمن بشكل عاجل أما التحايل فلم يقف عند هذا بل قدم عدداً من الضحايا، حيث عرض حوالى ثلاثة مواضيع أخرى ظاهرياً تشبه موضوع أبو زيد، وعندما حاول أحدهم فتح باب المناقشة رفض رئيس الجامعة أو أحد نوابه «سداً للذرائع»

* **سادساً**: فى الجامعة يسعى نواب رئيس الجامعة لرئاسة الجامعة، والسبيل إلى ذلك منافسة رئيس الجامعة فى الهيمنة، وإثبات الجدارة أمام مجموعة الكهنوت (وهى ذات نفوذ عظيم خارج الجامعة)، وأمام المسئولين أصحاب قرار تعيين رئيس الجامعة، وقد لعبت هذه المنافسة دوراً كبيراً ومازالت تلعب فى إتخاذ القرار بالجامعة.

* **سابعاً**: لابد من مناقشة قضية «أبو زيد ـ شاهين» فى ظل الغيرة على الوطن، ومن الضرورى أن نتفق ـ نحن من نكتب فى هذه القضية ومن نقرأ ـ على مجموعة مبادئ إتفاقاً حازماً:

١ ـ يجب أن نرفض مبدأ التكفير رفضاً يصير عرفاً لمصر وتقليداً له قداسته، وكل عرف مصرى يصير عرفاً فى العالم العربى والإسلامى، فالتكفير سبة فى جبين هذه الأمة أو أى أمة.

٢ ـ تنمية الديمقراطية تحت مبدأ التدريج، وذلك لإلغاء المافيات وآلية المصالح الشخصية فى إتخاذ القرار، بأن تكون كل المناصب فى الجامعة بما فيها منصب رئيس الجامعة ونوابه بالإنتخاب الذى يشارك فيه الطلاب والعاملون، حتى إذا بايع أحد رؤساء الجامعة رئيس الدولة كانت مبايعته لها ثقل يزيد على ثقل ورقة البردى.

٣ ـ لابد من فتح ملف الجامعة فى ظل ملف التعليم بعامة ، تعليم الصغار والكبار، التعليم المستمر، محو أمية الكتابة والكمبيوتر. إن الجامعة، قمة هرم التعليم، أصبحت الآن فوق كومة من أنقاض إنهيار التعليم الأساسى والثانوى.

٤ ـ إن كثيراً من المخلصين للجامعة والمحبين لها يشعرون بالغضب لإثارة هذه القضية من أناس خارج الجامعة لإعتبارين: أحدهما تعريض إستقلال الجامعة للخطر، والإعتبار الثانى أن مايحدث فضيحة لمؤسسة غالية فى مصر الغالية . وأنا أفهم هذه المخاوف لكن لو علم هؤلاء إن الجامعة فى حالة إنهيار تام الآن، فليس بها من القوة ما تمارس به إستقلالها، علينا أن نتوقف عن الخوف، فالعالم الخارجى يعرف عن الجامعة المصرية مالا نعرفه، إن هدف هذا الحوار فى رأيى هو البحث عن عناصر العافية ـ وهى كثيرة فى الجامعة ـ لتنميتها كمصل مضاد لعناصر الإنهيار.

٥ ـ إننا فى حاجة إلى تجديد الفكر الدينى، فنحن على رأس قرن جديد، **والدين دائماً جديد**، وإنما تجديد مناهج فهمه وتفسيره والعمل به فى ظل مبادئه الكبرى المنسية أمام إغراق الناس فى متاهة التفصيلات. إن ما فعله أبو زيد خطوة أو قطرة نحو التجديد حينما درس لغة الوعاظ والمشتغلين بالدين دراسة علمية فى ظل تقدم علمي هائل لعلم اللغة والتفسير. لا قداسة لبشر بل القداسة لله رب العالمين ولكتابه وما صح عن رسوله الأمين. وأعظم ما أتصوره كمسلم من تجديد الفكر الدينى هو أن ندين لمبادئ الدين وأفكاره وليس لمن يدعون إحتكار هذه المبادئ والأفكار. وتجديد الفكر الدينى على رأس هذا القرن ضرورة، لو وعيناها لعلمنا أنه أخطر القرون حتى اليوم، ولا سبيل إلا التجديد، أو مصير بدأ فى البوسنة والصومال، ومن قبل البعيد فى الأندلس، ومن قبل القريب فى فلسطين. سأستعمل عبارة أبو زيد «التجديد أو الطوفان»، فنحن نضيع الوقت وراء مؤامرة خبيثة تستهدف عقل المسلمين، ومن ثم أدعو مجموعة الكهنوت أن يتقى الله فى الوطن فأبناؤهم أول الغارقين مع أبناء الآخرين.

٦ ـ الجامعة قلعة العلم، والعلم اليوم هو وقود القوة والإستقلال والإقتصاد والرفاهية، فلنترك للجامعة كل الحرية الأكاديمية لأنه لا تعارض بين العلم والدين، ولا صراع بين العلم والدين، ولا خوف على الدين إلا فى غياب العلم، والعلم يغرب عن الجامعة، ولهذا يتعرض الدين للخطر والسطو. وفى ظل السطو على الدين ينمو النصب الإقتصادى (الريان وأمثاله)، والإرهاب (إبتداء من مصادرة الحرية الأكاديمية بالجامعة وإنتهاء بإنفجار فى مدخل الهرم) وسقوط العقل (تعثر التنمية والإنتاج).

التعليق:

بادىء ذى بدء ينوه مؤلف هذا الكتاب . أن د . سليمان العطار ينتمي « لعطار » آخر .. فليس كل من باع « الشطة » « والتوابل الحريف » يصبح عطاراً .. !! فلا صلة قربى ولا أى معرفة بينه وبين مؤلف الكتاب فالمسافة شاسعة حتى فى الفكر والانتماء وكم كان شاقاً علي المؤلف أن يسوق هذا المقال فى كتابه .. ولكن ليعلم الكافة لأى تيار ينتمى هؤلاء .. فلقد سقنا مقاله كاملاً .. وأحسب أن القارىء اكتشف ما به من طعن وعفن بغيض فهو فضلا عن أنه يريد أن يجدد الدين إلا أنه راح يسب أساتذته الكبار واصفا اياهم بالكهنوت مرة وبالمافيا مرات وإنظر إلى إقتراحه ، أنه يريد أن يكون رئيس الجامعة بالانتخاب من الطلاب أى هزل هذا الذى ينادى به أنه يريد أن تذهب الأسس الأكاديمية والبحثية إلى الجحيم .. وليصبح مدير الجامعة حسب هوى المراهقين الصغار الذين لم يشبوا عن الطوق بعد ، ومازالوا فى مرحلة التعليم فإن أعجبهم « الفيس بريسلى » فليعينوه ولتصبح جامعتنا أشهر صالة « ديسكو » بهذا الأقتراح ألم أقل أنه يبيع « الشطة » ويتصور أنه « عطار » .. !!

وخلال ذلك الهجوم والهجوم المضاد من العلمانيين من جهة .. ومن الإسلاميين من جهة أخرى ، ارتفعت درجة المناقشة .. وبدأت تنتحى جانباً شخصياً **فقام أعضاء جمعية الخلفاء الراشدين بعقد ندوة فى الجيزة** ضمت المستشار / محمد صميدة عبد الصمد نائب رئيس مجلس الدولة السابق وهو الذى أقام دعوى التفريق أمام محاكم الأحوال الشخصية بين د . نصر وزوجته وجاء فى الندوة ما كتبه « عادل السيد » فى جريدة الحقيقة يوم السبت ١ / ٥ / ١٩٩٣ على النحو التالى :.

أقامت جمعية الخلفاء الراشدين بالجيزة ندوة الأسبوع الماضى تحت عنوان **«مطاعن د. نصر أبو زيد فى القرآن والسنة»** ، حضرها الدكتور إسماعيل عبد المتعال الأستاذ المساعد للفقه المقارن بدار العلوم.. والمستشار محمد صميدة عبد الصمد نائب رئيس مجلس الدولة السابق . طالبت الندوة جامعة القاهرة بوقف الدكتور نصر أبو زيد عن التدريس للطلاب نظراً لأفكاره المعادية للتعاليم الإسلامية من خلال المناهج التى يقررها على طلاب الفرقتين الثانية والثالثة بكلية الآداب تحت عنوان «مفهوم النص دراسة فى علوم القرآن» وكتاب «الإمام الشافعي تأسيس الأيديولوجية الوسطية».

وأكد الدكتور إسماعيل عبد المتعال أن ماتحتويه الكتب المقررة على الطلاب أخطر بكثير من البحث الذى تقدم به أبو زيد للحصول على الترقية.

وقد أعلن الدكتور إسماعيل تقريراً وافياً فيه افتراءات مزاعم الدكتور أبو زيد على القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين.

ويبدأ التقرير باستعراض الطعون التى طعن بها المؤلف «د. نصر أبو زيد» وهى: أن القرآن فى نظره «منتج ثقافى ومستمد من البيئة فيقول «هى نصوص لغوية تشكلت خلال فترة زادت على العشرين عاما بغض النظر عن أى وجود سابق للقرآن أو السنة فى العلم الإلهى أو اللوح المحفوظ» .

وهو هنا يقلد ما قاله الأقدمون فى القرآن بأنه أساطير الأولين . ثم نجده يدعو إلى التمرد على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ وعصيان أمره، والتحرر من سلطان القرآن.. فماذا يكون الكفر إذن إن لم يكن فى التمرد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟

والدكتور نصر أبو زيد لا يكتفى بهذه الطعون فى القرآن الكريم بل يدعى عدم صلاحيته لحل المشكلات الحاضرة أو المستقبلية، ويزعم أنه لا يجتمع هو والعقل أبداً.. فإذا وجد العقل ألغى النص وإذا وجد النص.. ألغى العقل. فأى كفر بالقرآن الذى دعا فى أول آياته إلى التفكير فى الكون والنظر فيه أعظم من هذا الكفر الذى يدرس لأبنائنا وبناتنا؟

لقد وضع نصر أبو زيد القرآن والخرافة فى كفة واحدة ، ونجده ينفى وسطية القرآن فى عقيدته وعبادته وتشريعه وأخلاقه ونظامه، ويزعم فى كتابه عن الإمام الشافعى أن القرآن ليس معجزة، بل هو أسطورة غيبية ومنتج ثقافى يخضع للمنهج التحليلى اللغوى فما يرفضه المنهج لا يقع فى دائرة النصوص .

وينتقل الدكتور إسماعيل عبد المتعال فى تقريره لإستعراض طعون د. نصر أبو زيد فى السنة المطهرة حيث يدعى أن السنة إجتهاد بشرى من الرسول ﷺ، وأن الإلتزام بالسنة والعمل بها يعد إهداراً لبشرية الرسول ﷺ ورفعه إلى درجة الألوهية.. وهو يعيب على الشافعى أنه سوى بين إلزام القرآن والسنة.. وهذا جهل فاضح من المؤلف.. لأن الله عز وجل هو الذى ألزمنا بذلك فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله...**﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله ﴿**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**﴾ [آل عمران: ١٣٢] وقوله تعالى:﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله..**﴾ [آل عمران: ٣١]، فهل بلغ د. نصر أبو زيد هذه النصوص وسمع بها؟!

ونجده بعد ذلك يشكك فى الأحاديث المتواترة التى نقلها جمع من الرواة.. ونحن نتحداه أن يأتى لنا بحديث متواتر واحد ثبت كذبه أو ثبت اصطناعه على حد قوله. ويستعرض الدكتور عبد المتعال فى تقريره طعن نصر أبو زيد فى الصحابة وتدنيسهم حيث يتهمهم بتأليه محمد ﷺ وهذا أخطر المطاعن التى وجهت للصحابة من عربى مسلم يدرس علوم القرآن فى قسم اللغة العربية. ويتهمهم أيضاً بأنهم ليسوا أطهاراً ولا أخياراً، ويتهمهم بالعصبية القرشية للسيادة والهيمنة على حساب القرآن الكريم.. فالسنة لم تؤسس كوحى تشريعى فى نظر المؤلف إلا للسيطرة العربية القرشية وإضفاء صفات إلهية على محمد ﷺ بعد نزع صفات البشرية . ولم يأل نصر أبو زيد جهداً فى أن يطعن فى أئمة المسلمين كأبى حنيفة والشافعى وغيرهما.. ومن يطعن فى القرآن والسنة والصحابة لا ينتظر منه أن يثنى على أئمة الفقه والتفسير والحديث.. وهو يتهم أبا حنيفة كذباً بأنه لا يعتبر إجماع الأتباع، ويطعن فى الإمام الشافعى فى كثير من المواضع، ويكذب عليه، ويحط من قدره. وينتهى الدكتور إسماعيل عبد المتعال إلى أن هذه الطعون السابقة فى القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين هى إنكار - لا نقول لأمر معلوم من الدين بالضرورة - بل لأمور أنكرها الكاتب صراحة.. بل دعا إلى التمرد على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ وعدم إمتثال أمرهما. ومن كان كذلك فإنه كافر كفراً يخرج عن الملة.. والله عز وجل كفر من إستهزأ به وبآياته ورسوله ولم يقبل إعتذاره فقال سبحانه: ﴿**.. قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ...**﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، فكيف بمن طعن فى القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين؟ كيف بمن يدرس الكفر لأبناء المسلمين ويأخذ على تدريسه راتبه من أموالهم وممتلكاتهم؟

التعليـــق:

إهتممنا بمناقشة كتب نصر أبو زيد عن (النص) القرآنى الكريم فلم نجد فيها ما يدينه بوجه قاطع فى أنه (مرتد) حيث أن رسول الله ﷺ أمرنا بأنه لو كان هناك سبعون وجه يمكن بها الإعتقاد بكفر أو ردة مسلم وهناك وجه واحد لإيمانه.. لأخذنا الوجه الواحد سبيلنا ومعتقدنا وعما سبق نجد أن د. نصر أبو زيد يعترف

بالعلم الإلهى وباللوح المحفوظ السابق على النص (القرآن الكريم) فإن يقول كما أوردت عبارة جمعية الخلفاء الراشدين عبارته «**بغض النظر عن أى وجود سابق للقرآن أو السنه فى العلم الإلهى أو اللوح المحفوظ**» تماما كما كنا ندرس (الجمله الخبريّة) فى مدارسنا الأميرية بأنها الجملة التى تحتمل الصواب أو الخطأ وكذلك الصدق أو الكذب بصرف النظر أو بغض النظر عن قائلها.. وهنا سأل أحد الطلاب هل القرآن فيه (جمل خبريه) .. ؟ أجاب المدرس: نعم فرد الطالب: إذن أيحتمل الصدق أو الكذب ؟.. قال نعم بغض النظر عن إيمان المؤمنين به وإستطراد فقهاء اللغة هنا يعنى إن جملة الأمر أو الإستفهام ليس فيها إحتمالين الصدق أو الكذب كأن يقال: أشرف/ ذاكر/ العب.. وهكذا والإستفهام كأن يقال/ أعلى حضر؟/ هل شاهدت المباراة؟/ وكذلك الطلب : أعطنى جنيها / تفضل بالجلوس/ ... «وهو أمر خفيف» كل ذلك لا يحتمل الصدق أو الكذب لأنه ليس بجمل خبرية . أما الجمل الخبرية مثل « إن محمداً قد مات » والتى قيلت فى غزوة أحد عند هزيمة المسلمين.. وإتضح فيما بعد أنه كان قد جرح ولم يمت وظنه القوم مات .

وكذلك عندما نقول هل القرآن يحتمل الصدق والكذب بإعتبار مافيه جمل خبرية نقول بغض النظر عن إيماننا به وتسليمنا برسالة الله فيه وبنزول الوحى على سيدنا محمد وتصديقنا لذلك يقال نعم فيه جمل خبرية والجملة الخبرية لغوياً . تحتمل الصدق والكذب وفقا لقواعد اللغة. فإذا قال د. نصر (بغض النظر عن إيماننا بالوحى واللوح المحفوظ) فقد أثبت فعلاً إنه مؤمن بهما ولكنه يناقش اللغة فى آيات القرآن بإعتباره أرفع الكتب وأعلاها شأنا؛ فالعبارة نفسها لا تجزم أنه مرتد؛ لأنه فعلا من الممكن أن يكون مقصده ما عبرت به؛ وطالما هناك شك فى أن يكون لا يقصد ما عبرت به.. فدعنا نحسب الشك فى صالحه.. وبذلك لا يجوز أن نحكم بردته.. ويبقى إيمانه الذى يعتقده فى صدره؛ لم يفصح به؛ يحاسبه الله وحده على نواياه ولا أحد غيره.. طالما ما أفصح به كتابة يحتمل ولو من وجه واحد.. أن يكون غير مرتد.. فلنحكم بعدم ردته.. والله تعالى أعلم.

.. وكان هناك من الكتابات ما يحمل السخريه.. أو «الطقاطيق الظريفه» من ظرفاء الكتاب ونسوق منها ما كتبه الصديق الفاضل المرحوم الأستاذ/ محمد جلال كشك.. الذى إختطفته يد الموت أثر مرض حمله معه وهو يناضل بقلمه حتى سقط.. وأحسبه من الشهداء.. فالرجل كان رمثا فى خلقه رفيعا فى تواضعه كتب مقالات خمس نشرت قبل وفاته بأيام فى مجلة أكتوبر نختار منها آخرها وتلك التى مات بعدها كتب يقول :-

عندما إتصلوا بى تليفونياً من القاهرة صباح الأربعاء وقالوا: إن المعلم صاحب فضيحة الإمام الشافعى قد هاجمك.. إستبشرت خيراً.. قلت: الأمر لا يخلو من أحد أمرين: كلاهما حلو ومبشر لمستقبل التنوير فى بلادنا.. إما أن الدكتور سيثبت بالأدلة الدامغة أن التاريخ قد أخطأ وأنه توصل إلى مايقنع بوجود شخصيتين: واحدة هى الإمام الشافعى الذى نعرفه ، والذى ولد بعد إنقضاء الدولة الأموية بـ ١٨ سنة، وشخصية أخرى أخفاهاالمؤرخون عاشت زمن الأمويين وتعصبت لعصبيتهم وعملت لهم اللى خلى الإمام الشافعى يأكل على مائدة بنى أمية وهى التى كسرت قبل ميلاده بـ ١٨ سنة وكان إسمه الإمام الشافعى أيضاً بالأدلة الدامغة.. أنا مريض.. **وقد أبرقت للحانوتى أن يعد شاهداً يوضع على قبرى مكتوباً عليه جلال كشك مات بالقلب أو السرطان أو بهما معاً.. ونصر حامد أبو زيد جاهل ومزور لا يعرف متى ولد الإمام الشافعى ولا فى أى عصر عاش..** بل سيظهر فى نعيى إن قبلت الصحف التى تفتح صفحاتها لك تقول فيها ما لاتعلم، ونعيرك بالجهل فتعيرنا بالمرض.. خسئت.. والله أكبر.. أنا أذكر أننى قلت إنه اهتبل قضية الطلاق ليشتهر وإن كان ذلك طبعاً من أهدافه.. ولكنى قلت إنه إهتبلها ليغطى القضية الأساسية وهى أنه جاهل ومزور.. وها هو ذا عندما تعرض لذلك غطى هذه ومسك فى الشهرة، نعم أصبحت أشهر من مادونا.. ولكن هل يغير ذلك حقيقة أنك جاهل ومزور ولا يليق بك ولا بالجامعة الشعبية أن تكون طالباً بها فضلاً عن أستاذ.. لا لنقص فى دينك فهذا بينك وبين الله، ولا لأنك ملحد.. فهذه مرتبة فى جهل العالم لم تصل إليها ولن تصل أبداً.. إنما أنت مجرد جاهل ولو كنت إمام جامع؛ وأنت مزور.. ولو كنت تفهم الدين حقاً كما تدعى لنهاك عن تزوير أحاديث الناس.. **أتهمه بالجهل فيعيرنى بالمرض!** أتوجه بالسؤال هذه المرة للسيد الفاضل مدير جامعة

القاهرة أتساءل.. كما لابد أن جميع أجهزة الجامعة وخريجيها وطلبتها يتساءلون: ما الذى يمنع من إحالة الدكتور نصر أبو زيد للتحقيق فى موضوع كتابه عن الإمام الشافعى الذى أثبتنا أنه ملئ بالأخطاء؟ وسكت المؤلف فلم يعلق بحرف.. أثبتنا أنه يجهل تاريخ الإمام الشافعى ومن ثم زور أنه عروبى متعصب بدليل أنه تعصب لدولة بنى أمية إلى حد أنه كان الفقيه الوحيد الذى قبل التعاون مع الدولة الأموية وسعى لكى يعينوه والياً لهم فى نجران، وأثبتنا ولم ينبس بحرف اعتراضاً أو تفسير أنه زور نصاً للشيخ أبى زهرة يؤكد زعمه هذا، وأنه زور نصوصاً على الإمام الشافعى يدعي فيها أنه قال: إن القرآن لا يفهمه ولا يفسره إلا من كان عربى الجنسية.. وهذا يعنى أنه جاهل ومزور، وأنه لا يستحق شهادة الليسانس.. وليس الدكتوراه.. فضلاً عن أن يسمح له بالتدريس لأبنائنا.. ما الذى يمنع إدارة الجامعة من التحرك لحماية سمعتها العلمية.. إرهاب هذه العصابة؟ أم ظن السوء بالدولة وتصور أنها تحمى هذا الجهل؟ إن التاريخ بالمرصاد ومهما طال إرهاب هذه العصابة التى تتميز بالجهل والفجور فلابد أن يشرق النور ولابد أن يقف التاريخ متسائلاً: كيف سمح لنصر أبو زيد أن يكون أستاذاً بالجامعة وهو جاهل إلى هذا الحد.. غير أمين.. لا فى النقل ولا فى العقل؟

وقد كتب المعلم مقالاً يرد به على جلال كشك فلم يجدِ ما يعيرنى به إلا المرض، وقال: ليس على المريض حرج.. **أنا والله مريض الجسد.. وهذا يبرئه أو يمحوه الموت.. أما مريض العقل فيبقى عاره إلى الأبد..** ألا تظن أن إبنك يوماً سيحيط به الصبية يهتفون: الشافعى أتولد إمتى؟ فإن كان فى عصر يغلب عليه العقل فغلاً لا النقل المزور فسيفضل أن يبرأ منك إن كان قد بقى لك ذكْرٌ.. مرضى يعالج.. أما الحماقة وفساد الفكر والضمير فقد أعيت من يداويها.. يعيرنى الأستاذ الدكتور المهذب بالمرض ويقول: إنه إمتنع دهراً من الرد على إشفاقاً على مرضى وأخيراً قرر أن يرد فلم ينبس بحرف لما إتهمته به وأكرره.

لقد أنشأ بحثاً عن مصادر تفكير ومواقف الإمام الشافعى فنسب إليه التعصب للعروبه وقال: إن أقوى دليل على ذلك هو أن الإمام الشافعى الوحيد من بين الفقهاء، الذى قبل التعاون مع الدولة الأموية وسعى للعمل إليها ونسب أو إستدل على ذلك بنص من الشيخ أبى زهرة.

وقد أثبتنا تزييف النص وتزييف التاريخ لأن الإمام الشافعى ولد بعد إنتهاء الدولة الأموية بـ١٨ سنة. هل رد المعلم نصر على هذا؟ ولا حرف.. أنا مريض بالسرطان وأنت مريض بالزوغان.. **أنا مريض بتضخم القلب.. وأنت مريض بفساد القلب والضمير..** لماذا لم ترد؟ لماذا لم تتمتع بشجاعة حرية الفكر وتقول: نعم أخطأت خطأ جسيماً لا أسمح به لطالب من طلبتى وقررت أن أتقدم للدكتوراه من جديد مكفراً عما فعلت وما جهلت وما زورت وإستغفرت العقل والجامعة والطلبة.

أشفقت على من مرضى.. **والله لو كنت أنا على خشبة الغسل ما قدرت على أن تنقض لى حرفاً**، وقد أثبت عليك التهمة بالسطر والصفحة.. أنا فى مرضى قرأت وبحثت وحللت.. وأنت والحمد لله بارك الله لك فى صحتك وعافيتك لم تجد عزماً أن تراجع كتاباً نكتب مثله كل أسبوع فى المجلة حتى إرتكبت فيه من الأخطاء ما ينوء بحمله الثور الشديد أو البغل العنيد.. أرجوك لا تشفق.. أرجوك فسر لنا كيف جهلت وألفت وإشتهرت.. هذه ليست والله شهرة تحسد عليها.. بل هى الفضيحة التى سترتد عليك وعلى من أيدك قريباً.. هل تراك مهما حاولت أن تتمسح بالكفر والإيمان والردة والإرهاب وقنبلة شبرا والعتبة.. هل ستضبح أشهر من سلمان رشدى.. وهل يوجد أحد من أشد مؤيدى سلمان رشدى يقول: إنه كاتب عبقرى أو إنه جاء بما لم يسبقه إليه أحد، أو حتى هل قرأ ما كتبه واحد فى المائة من الذين يصنعون شهرته.. شهرتك تقوم أساساً على الزعم بأنك تتحدى المسلمين، وأن المسلمين يطاردونك.. وإلا فلماذا لم تكتب صحيفة واحدة عن بحثك عن الإمام الشافعى وهو أهم مانشرت أو كنت تزعم ذلك؟ لماذا لا يستنبط أحد يعرف مما تقول أنك مجرد أداة مثل سلمان رشدى للتشهير بالإسلام والمسلمين، وأن قضية الطلاق هى أهم حجة فى يدك.. وإلا فإن كتاباتك موجودة من سنوات فمن إهتم بها؟ وإذا كنت تستطيع أن تجد لى سطراً أتهمك فيه بالكفر أو الردة أو

طالبت فيه بإعدام مرتد، بل أنا الذى أثبت أنه لم يعدم أحد فى تاريخ الإسلام بتهمة الردة الدينية، بل كل الإعدامات التى صدرت.أو نفذت كانت سياسية وتتعلق بأمن الدولة وقلت: إن الدولة الإسلامية وحدها هى التى تملك تحديد ما الذى يهدد أمنها فلا تتمسح بالكفر.. أنت أجهل من أن تكون مرتداً حتى الكفر يحتاج إلى عقل وحد أدنى من شرف النقل وأنت تفتقد الأثنين.. **أكرر: أنت جاهل.. ومزور..** وإن كانت زبيبة الصلاة فى وجهك فى حجم الورم الذى فى قفا (كيم ايل سونج). فليس بيننا قضية دين ولا إعتقاد ولا ردة.. وإنما بيننا قضية جهل وتزوير وأمور مما لايليق أن تتوافر فى أستاذ بجامعة كان لى شرف التخرج فيها.. وقاك الله من شر مرضى الذى تعيرنى به، ووقى مصر وكل طالب علم من شر أمراضك التى تقتل العلم.

أى داء أكبر من أن يوجد فى الجامعة أستاذ يجهل تاريخ الشخص موضوع بحثه؟! أى مصيبة أكبر من أن تعيرنى بمرض؟! وما سعيت ولا أردت.. ومثلك يفعل فمن أهم أعراض مرض أمثالك سوء الخلق، ومرضك لا يكون إلا بالإرادة والإختيار.. فالذكاء أو العلم قد يأتى مصادفة.. أما جهل مثلك فيكتسب إكتساباً وبالجهد.. هل هذه شهرة تحسد عليها أن يدافع عنك سلمان رشدى فى كبرى الصحف الأمريكية فيقول: إنك من أكبر أساتذة القانون فى مصر؟! فقد بلغت من العمر عتياً ولا يعرفك سلمان رشدى، ولا الصحيفة، ولا أحد من القراء فيصحح لهم مهنتك؟ أنت يا إبنى قميص عار رفعوه للنيل من الإسلام، وتأليب الرأى العام العالمى على المسلمين، ولا تساوى فى فكرهم قلامة ظفر، وعلمك أهون عليهم من ذلك.. هل تظن أن هناك جامعة فى مدغشقر على إستعداد لترجمة كتابك عن الإمام الشافعى.. كل بضاعتك هى هذه التهمة التى تروجها عن نفسك.. إنك تقاتل المسلمين؟ وما تقاتل إلا العلم والمعرفة وآداب النقل وقواعد العقل.. أى عقل وأى نقل ما أدراك بذلك؟! وهل يقوم العقل إلا على النقل.. أتراه يوحى لك؟ أم تريدنا أن نعود لعقل الغريزة كالحيوانات.. وهل أصبح الإنسان إنساناً إلا بما تناقله من معرفة وخبرات عبر العصور؟ وهل من أمة فى التاريخ قبل القرن الثامن عشر أخضعت النقل لفحص العقل مثل أمة الإسلام؟ لوكنت أحسنت النقل عن أبى زهرة والإمام الشافعى أكنت تصبح فضيحة العقل والنقل أبد الدهر؟ اجر العب بعيداً .. إحنا ناس عيانين ودماغنا مش ناقصاك.

التعليــق:

ومن المؤسف له أن الأخ والصديق والزميل الفاضل الأستاذ/ محمد جلال كشك مات بالداء اللعين .. بعد ما كانت آخر كلماته التى جاءت فى المقال الأخيرلنا من أدبه السهل الذى غلب عليه الظرف حتى وهو يموت فقال **«إكتبوا على قبرى أننى مت بالقلب أو السرطان واكتبوا عن أبو زيد أنه جاهل ومزور»**.. ولقد صدق حين قال ذلك.. فهو جاهل نعم.. مزور ربما.. مرتد لا أظن.. والظن شك.. والشك فى صالحه وإن كنا ههنا لا نتعرض إلى أحقية د. نصر فى الترقى من عدمه.. بإعتبارها فهما أكاديميا قحاً. وحتى لو أبدينا رأينا.. فنحن نحترم الرأى التخصصى البحت.. لكن لا مانع من أن نطلق زفرة حارة خشية على أولادنا الذين سيتعلمون تحت يديه.. حيث مبلغ علمنا أنه تم ترقيته فى فبراير سنة ١٩٩٥ عندما تقدم بأبحاث إضافية وإنتاج جديد أسماه (التفكير فى زمن التكفير) تضمن رداً على تقريرا للجان السلبية التى رفضت ترقيته.. وبهذا إنتهت مشكلة الترقية مع تغير اللجان.. وبقى أمر الحكم فى ردته متعلقا بحكم محكمة النقض أو تصديقها على حكم الإستئناف القاضى بردته.. فمناط بحث الجامعة فى شأن الترقى من عدمه يختلف عن مناط بحث المحكمة فى حكمها المنتظر، ولنستعرض مراحل دعوى الحسبة من بدايتها وحتى بوابة المتولى .. أو بوابة محكمة النقض.

الباب الثاني

أولا : صحيفة الدعوي الافتتاحية : عريضة دعوي التفريق بين «أبو زيد» وزوجته

إنه فى يوم الموافق / / ١٩٩٣ الساعة - بناء على طلب كل من:

١ - محمد صميدة عبد الصمد. ٢ - عبد الفتاح عبد السلام الشاهد

٣ - أحمد عبد الفتاح أحمد. ٤ - هشام مصطفى حمزة

٥ - أسامة السيد بيومى على. ٦ - عبد المطلب محمد أحمد حسن.

٧ - المرسى المرسى الحميدى.

ومحلهم المختار جميعا مكتب الأستاذ/ **محمد صميدة عبد الصمد** المحامى الكائن برقم ٣٣ جامعة الدول العربية بالمهندسين، قسم العجوزة، محافظة الجيزة. أنا محضر محكمة الجيزة الجزئية قد إنتقلت إلى حيث محل إقامة كل من:

١ - السيد الدكتور/ نصر حامد أبو زيد مخاطباً مع:

٢ - السيدة/ إبتهال يونس وأعلنتهما بالآتى:

المعلن إليه الأول ولد في ١٠/٧/١٩٤٣ فى أسرة مسلمة، وتخرج فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ويشغل الآن أستاذ مساعد الدراسات الإسلامية والبلاغة بالقسم وبالكلية المشار إليها، وهو متزوج من السيدة المعلن إليها الثانية، وقد قام بنشر عدة كتب وأبحاث ومقالات تضمنت، طبقاً لما رآه علماء عدول، كفراً يخرجه عن الإسلام، الأمر الذى يعتبر معه مرتداً ويحتم أن تطبق فى شأنه أحكام الردة حسبما استقر عليه القضاء، وذلك كله على التفصيل الآتى:

نشر المعلن إليه الأول كتاباً عنوانه «**الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية**» وقد نشرته دار سينا للنشر سنة (١٩٩٢). وقد أعد الأستاذ الدكتور/ **محمد بلتاجى حسن** أستاذ الفقه وأصوله وعميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة تقريراً عن هذا الكتاب ذكر فى مستهله أنه يمكن تلخيص محتواه فى أمرين:

الأول: العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة، والدعوة إلى رفضها وتجاهل ما أتت به.

والثانى: الجهالات المتراكبه بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى. واستطرد الأستاذ الدكتور العميد فى تقريره فأوضح أن صفحات الكتاب تنطق بكراهية شديدة لنصوص القرآن والسنة، إلى حد تحميل الإلتزام بهذه النصوص أوزار الأمة الإسلامية وأوضاعها المتخلفة، ومن الأدلة على ذلك:

أ - قول المعلن إليه فى آخر الكتاب فى صفحة (١١٠) إنه «قد آن أوان المراجعة والإنتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن قبل أن يجرفنا الطوفان». والنصوص المقصودة فى قوله هذا هى القرآن والسنة، بدليل قوله مثلا فى صفحة (١٥) «إن تثبيت قراءة النص الذى نزل متعدداً فى قراءة قريش، كان جزءاً من التوجيه الأيديولوجى للإسلام لتحقيق السيادة القرشية»، وقوله فى صفحة (٢٨) «إن النص الثانوى هو السنة النبوية، والنص الأساسى هو القرآن»، وأمثلة ذلك كثيرة فى صفحات الكتاب. ولا معنى للتحرر من سلطة نصوص القرآن والسنة إلا بالكفر بما فيهما من أحكام وتكليفات.

ب - قول المعلن إليه فى صفحتى (١٠٣) ، (١٠٤) من الكتاب ذاته عن موقف **الإمام الشافعى** من القياس إن «هذا الموقف يعكس رؤية للعالم والإنسان تجعل الإنسان مغلولا دائماً بمجموعة من الثوابت التى إذا فارقها حكم على نفسه بالخروج من الإنسانية، وليست هذه الرؤية للإنسان والعالم معزولة تماماً عن مفهوم «الحاكمية» فى الخطاب الدينى السلفى المعاصر، حيث ينظر لعلاقة الله بالإنسان والعالم من منظور علاقة السيد بالعبد الذى لا يتوقع منه سوى الإذعان. وكما كانت رؤية **الشافعى** تلك للعالم كرست فى واقعها التاريخى سلطة النظام السياسى المسيطر والمهيمن. فإنها تفعل الشئ ذاته فى الواقع المعاصر».

يقول الأستاذ الدكتور العميد تعليقاً على ذلك: «إنه بدهى أن العقيدة الإسلامية بل كل عقيدة دينية لا

ترضى من الإنسان إلا الطاعـة المطلقه التى هى المفهـوم الحرفى لمعنى (العبادة) و (الإسـلام) والذى لا يرتضى الإنصياع المطلق للنصوص المقدسة فهو خارج عن حد الإيمان بآيات من القرآن كثيرة جداً. منها قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) «الأحزاب ٣٦»، وقوله (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) «النور ٥١»، وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) «النساء ٦٠».

وقد أقام المؤلف نفسه عدواً **للشافعى** (الذى يسعى دائماً لتكريس سلطة النصوص كما يقول فى صفحة ١٠٠، ١٠٧) .. كذلك لم يترك مناسبة فى كتابه الصغير للغض من النصوص وتحقيرها وتجاهل ما أتت به إلا إنتهزها.

جـ ـ قول المعلن إليه الأول فى صفحتى ٢٠/٢١ ما نصه: «ويبدأ **الشافعى** حديثه عن الدلالة بتقرير مبدأ على درجة عالية من الخطورة فحواه أن الكتاب يدل بطرق مختلفة على حلول لكل المشكلات أو النوازل التى وقعت أو يمكن أن تقع فى الحاضر أو فى المستقبل على السواء وتكمن خطورة هذا المبدأ فى أنه المبدأ الذى ساد تاريخنا العقلى والفكرى، وما زال يتردد حتى الآن فى الخطاب الدينى بكل إتجاهاته وتياراته وفصائله. وهو المبدأ الذى حول العقل العربى إلى عقل تابع، يقتصر دوره على تأويل النص وإشتقاق الدلالات منه».

هذا الذى أنكره المعلن إليه على الإمام الشافعى إنما هو المعنى الحرفى لقوله تعالى «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» (النحل ٨٩) وهو أيضاً (إكمال الدين) فى قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) «المائدة ٣».

د ـ قول المعلن إليه فى صفحة ٢٢ ما نصه: والشافعى حين يؤسس المبدأ ـ مبدأ تضمن النص حلولا لكل المشكلات ـ تأسيساً عقلانياً يبدو وكأنه يؤسس بالعقل «إلغاء العقل». و «مفهوم كلامه أن إبقاء العقل لابد معه من رفض النص فهو لا يرى أنه يمكن الجمع بين الأمرين ومفهومه بداهة أن الذين يستسلمون للنصوص الشرعية ـ على أن فيها حلولا لكل المشكلات فقد ألغوا عقولهم».

طبع المعلن إليه كتاباً عنوانه «مفهوم النص ـ دراسة فى علوم القرآن» ويقوم بتدريسه لطلبة الفرقة الثانية بقسم اللغة العربية بكلية الاداب. وقد إنطوى هذا الكتاب على كثير مما رآه العلماء كفراً يخرج صاحبه عن الإسلام، وقد أعد الأستاذ الدكتور **إسماعيل سالم عبد العال** أستاذ الفقه المقارن بكلية دار العلوم بحثاً أوضح فيه بعض هذا الكفر، ومن ذلك ما يأتى:

أن المعلن إليه ذكر فى صفحة (٢١) من هذا الكتاب إن «الإسلام دين عربى .. وإن الفصل بين العروبة والإسلام ينطلق من مجموعة من الإفتراضات المثالية الذهنية أولها عالمية الإسلام وشموليته من دعوى أنه دين للناس كافة لا للعرب وحدهم». وهذا القول يعارض معارضة صريحة ويناقض آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (أول سورة الفرقان) وقوله سبحانه «إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً» (يس: ٦٩ ـ ٧٠) وقوله عز وجل «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (سورة سبأ: ٢٨).

ب ـ كما ذكر فى الصفحة (٢٣) من الكتاب ذاته إن النص القرآنى «فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى، والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً. وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بدهية ومتفقاً عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر ـ من ثم ـ إمكانية الفهم العلمى لظاهرة النص»

وقد أكد المعلن إليه هذا القول فى بحث له بعنوان «**إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى**» حيث ذكر ما نصه «يتم فى تأويلات الخطاب الدينى للنصوص الدينية إغفال مستوى أو أكثر من مستويات السياق التى ناقشناها فى القسم الأول، وفى كثير من الأحيان يتم إغفال كل المستويات لحساب الحديث عن نص يفارق النصوص الإنسانية من كل وجه. إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلى قديم للنص

القرآني في اللوح المحفوظ باللغة العربية لا تزال تصورات حية في ثقافتنا. وأقوال المعلن إليه قاطعة في إعتقاده أن القرآن منذ نزل على محمد ﷺ وجوداً بشرياً منفصلاً عن الوجود الإلهي، وأن الإيمان بوجود أزلي قديم للقرآن في اللوح المحفوظ هو مجرد أسطورة، وكما قال الأستاذ الدكتور **عبد الصبور شاهين** تعليقاً على ذلك إن المعلن إليه يرى أن «إعجاز القرآن بهذا المعنى أسطورة وكونه كلام الله أسطورة وإنتماؤه إلى المصدر الغيبي أسطورة، فهو يتحدث بحسم عن (أسطورة) وجود القرآن في عالم الغيب إنكاراً لما لا يقع تحت الحس، وعالم الغيب لا يصلح موضوعاً للفكر بل هو موضوع للإعتقاد فقط، فضلا عن إستخدام كلمة (أسطورة) في وصف وجود القرآن وهو تعبير لا يليق، إن لم يكن تجاوزاً قبيحاً.

ومن واقع كتب وأبحاث المعلن إليه وصفه كثيراً من الدارسين والكتاب بالكفر الصريح. ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد في جريدة الأهرام بأعدادها الصادرة في ١٩٩٢/١٢/٨، ١٩٩٣/١/٢٦، ١٩٩٣/٤/١٠، ١٩٩٣/٤/١٢، ١٩٩٣/٤/١٩، ١٩٩٣/٤/٢٠، وماورد في جريدة الأخبار الصادرة في ١٩٩٣/٤/٢٣. وفي جريدة الشعب في ١٩٩٣/٥/٤ وجريدة الحقيقة في ١٩٩٣/٥/٨. ولم ينف المعلن إليه شيئاً من تكفيره - على كثرته - بل لعله رضي به وإستراح إليه، بحسبانه معبراً عن عقيدته وجوهر فكره، الأمر الذي يرقى إلى الإقرار منه بما وصم به.

المعلن إليه قد إرتد عن الإسلام طبقاً لما أستقر عليه القضاء وأجمع عليه الفقهاء: ومن المعلوم أن الردة شرعاً هي إتيان المرء بما يخرج به عن الإسلام، إما نطقاً، أو إعتقاداً أو شكاً ينقل عن الإسلام، ومن أمثلة ذلك، فيما ذكره العلماء، جحد شئ من القرآن، أو القول بأن محمداً ﷺ بعث إلى العرب خاصة أو إنكار كونه مبعوثاً إلى العالمين،أو القول بأن الشريعة لا تصلح للتطبيق في هذا العصر، أو أن تطبيقها كان سبب تأخر المسلمين، أو أنه لا يصلح المسلمين إلا التخلص من أحكام الشريعة.

كما قضى بأن «من إستخف بشرع النبي ﷺ فقد إرتد بإجماع المسلمين» يراجع في ذلك على سبيل المثال:

- المغني - طبعة دار الفكر - الجزء العاشر ص ٩٤.
- الشرح الكبير - طبعة دار الفكر - الجزء العاشر ص٩١.
- التشريع الجنائي الإسلامي - للأستاذ **عبد القادر عودة** طبعة سنة ١٩٨٤ - الجزء الثاني ص ٧٠٦ وما بعدها.
- مبادئ القضاء في الأحوال الشخصية للمستشار **أحمد نصر الجندي** - الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٦ ص ٦٤٩ المبدأ رقم (٦)

وبناء على أقوال المعلن إليه الثابتة في كتبه وأبحاثه المنشورة على الملأ والتي أوردنا بعضاً منها فيما سبق، وطبقاً لما أفتى به العلماء المتخصصون بعد دراستهم لهذه الأقوال فإن المعلن إليه، وقد نشأ مسلماً، يعتبر بذلك مرتداً عن الإسلام، ويكفي لإعتباره كذلك جزئية واحدة مما كتبه ونشره، ناهيك عن تعدد أقواله التي تخرج عن الإسلام بإجماع العلماء.

ومن آثاره الردة المجمع عليها فقهاً وقضاء: أن الردة سبب من أسباب الفرقة بين الزوجين، ومن أحكامها أنه ليس لمرتد أن يتزوج أصلا لا بمسلم ولا بغير مسلم، إذ الردة في معنى الموت وبمنزلته، والميت لا يكون محلا للزواج، والردة لو إعترضت على الزواج رفعته وإذا قارنته تمنعه من الوجود. وفقه الحنفية أن المرأة المتزوجة إذا إرتدت إنفسخ عقد زواجها ووجبت الفرقة بين الزوجين بمجرد تحقق سببها بالردة نفسها وبغير توقف على قضاء القاضي، وأما ردة الرجل فهي عند **أبي حنيفة وأبي يوسف** فرقة بغير طلاق (فسخ) وعند **محمد** فرقة بطلاق، وهي بالإجماع تحصل بالردة نفسها فتثبت في الحال وتقع بغير قضاء القاضي سواء كانت الزوجة مسلمة أو غير مسلمة. (يراجع على سبيل المثال) - حكم محكمة النقض الصادر بجلسة ١٩٦٦/٢/٣٠ في الطعن رقم ٢٠ لسنة ٣٤ ق - مجموعة السنة ١٧ ص ٧٨٣ - وحكمها الصادر بجلسة ١٩٦٨/٥/٢٩ في الطعن رقم ٢٥ لسنة ٣٧ ق - مجموعة السنة ١٩ ص ١٠٣٤. ومشار إلى الحكمين بمجموعة مبادئ القضاء في الأحوال الشخصية - المرجع السابق ص ٦٥٩ - المبدأ (٢٢) والمبدأ (٢٣).

ولا يصح التذرع فى هذا الخصوص بالقول بأن الدستور يكفل حرية العقيدة، فهذه مقولة حق يراد بها باطل، وقد إستقر القضاء المصرى بجميع جهاته ودرجاته، إستقراراً مطلقاً على أن إعمال آثار الردة حسبما تقررت فى فقه الشريعة الإسلامية ليس فيه ما يخالف أحكام الدستور، وليس فيه أى مساس بحرية العقيدة، أو المساواة بين الأفراد فى الحقوق والواجبات ذلك أن هناك فرقاً بين حرية العقيدة وبين الآثار التى تترتب على هذا الإعتقاد من الناحية القانونية، فكل فرد حر فى إعتناق الدين الذى يشاء فى حدود النظام العام، أما النتائج التى تترتب على هذا الإعتقاد فقد نظمتها القوانين ووضعت أحكامها، فالمسلم تطبق عليه أحكام الشريعة الإسلامية والذمى تطبق عليه أحكام أخرى تختلف بإختلاف المذهب أو الطائفة فى حدود القوانين الخاصة فى كل طائفة تبعاً لما تدين به ليس فيه تمييز بين المواطنين. ولكن فيه إقراراً بحرية العقيدة وتنظيماً لمسائل الأحوال الشخصية فى حدودها وحدود الدين. ولا مشاحة فى أن الشريعة الإسلامية تضمنت أحكاماً متعلقة بالأحوال الشخصية وتتصل بالنظام العام، ولا يمكن إهدارها أو إغفالها مثل حكم المرتد: وقد أشار المشرع إلى قاعدة النظام العام، وأوجب مراعاته فنص فى المادة ٦ من القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ على أنه بالنسبة إلى المنازعات المتعلقة بالمصريين غير المسلمين المتحدى الطائفة والملة، الذين لهم جهات قضائية وقت صدور هذا القانون فتصدر الأحكام فى نطاق النظام العام طبقاً لشريعتهم. كما نصت المادة ٧ على أنه لا يؤثر فى تطبيق الفقرة الثانية من المادة المتقدمة تغيير الطائفة والملة بما يخرج أحدالخصوم من طائفة وملة إلى أخرى إلا إذا كان التغيير إلى الإسلام فتطبق الفقرة الأولى من المادة ٦ من هذا القانون. وتأسيساً على ذلك تكون أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالمرتد عن الإسلام هى الواجبة التطبيق والإعمال بإعتبارها قاعدة متعلقة بالنظام العام على ما سبق بيانه، وليس فيها مساس بحرية العقيدة أو المساواة بين المواطنين. (يراجع فى ذلك على سبيل المثال:ـ حكم المحكمة الإدارية العليا الصادر بجلسة ١٩٨١/١/٢٥ فى الطعن رقم ٥٩٩ لسنة ١٩ ق ـ مجموعة السنة ٢٦ العدد الأول قاعدة ٥٤ ص ٣٨٥ ـ ٣٩٤ فتوى اللجنة الأولى للقسم الإستشارى للفتوى والتشريع فى ١٩٦٠/٤/٤ منشورة بمجموعة السنتين ١٤/١٥ قاعدة ١٦٨ص٢٧٨ ـ ٢٨٦). **وخلاصة القول :**

إن المعلن إليه الأول وقد إرتد عن الإسلام طبقاً لما قرره الفقهاء العدول فإن زواجه من المعلن إليها الثانية يكون قد إنفسخ بمجرد هذه الردة، ويتعين لذلك التفرقة بينهما بأسرع وقت، منعاً لمنكر واقع ومشهود.

وغنى عن البيان أن هذه الدعوى من دعاوى الحسبة، بحسبان أنها طلب تفريق بين زوجين والأمر بكفهما عن معاشرة لا تحل لهما، فهى دعوى تدافع عن حق من حقوق الله تعالى، وهى الحقوق التى يعود نفعها على الناس كافة لا على أشخاص بأعينهم، لأن حل مباشرة المرأة وحرمتها من حقوق الله تعالى التى يجب على كل مسلم أن يحافظ عليها ويدافع عنها. (مبادئ القضاء ـ المرجع السابق ص٥٣١ مبدأ رقم ١٦، الوسيط فى قانون القضاء المدنى للدكتور فتحى والى سنة ١٩٨٧ ص٦١، والوسيط فى شرح قانون المرافعات للدكتور أحمد السيد صاوى سنة ١٩٨٨ ص١٧٠).

بناءً عليه

أنا المحضر سالف الذكر قد إنتقلت وأعلنت كلا من المعلن إليهما بصورة من هذه العريضة وكلفتهما الحضور أمام محكمة الجيزة الإبتدائية ـ دائرة الأحوال الشخصية رقم (١١) بمقرها الكائن بشارع الربيع الجيزى بالجيزة وذلك بجلستها التى ستنعقد فى غرفة مشورة إبتداء من الساعة التاسعة صباحاً يوم الخميس الموافق ١٩٩٣/٦/١٠، وذلك ليسمع المعلن اليهما الحكم بالتفريق بينهما وإلزام المعلن إليه الأول المصروفات وشمول الحكم بالنفاذ المعجل بغير كفالة..

وإنبرى دفاع الدكتور نصر يدافع عن الشكل وعجز عن الدفاع تماما عن الجوهر فقدم مذكرة دفاع جاء فيها :

أولا : الدفع بعدم إنعقاد الخصومة لعدم الاعلان صحيحاً فى المدة القانونية :

قام الأساتذة المدعون بإعلان عريضة دعواهم الى المدعى عليهم يوم ٢٥/ ٥/ ١٩٩٣ وذلك على محل

اقامتهم الكائن بمدينة « ٦ » أكتوبر كما ورد بالعريضة .. ولغيابهم وغلق السكن أُعلنا فى مواجهة مأمور قسم الهرم فى حين أن المواطن المذكور يقع دائرة قسم « ٦ » أكتوبر والمادة / ١١ من قانون المرافعات أوجبت على المحضرين أن يسلموا ورقة الإعلان فى ذات اليوم إلى مأمور القسم الذى يقع موطن المعلن إليه فى دائرته .. وقد استقر قضاء محكمة النقض على أن تسليم ورقة الإعلان الى جهة الإدارة غير التى يقيم فى دائرتها المراد اعلانه يجعل الاعلان باطلا ولا يرتب أى أثر قانونى ..

« لا يكون الإعلان صحيحاً إلا اذا سلمت صورته الى العمدة أو شيخ البلد الذى يقع موطن المطلوب اعلانه فى دائرته وإذن فمتى كان الحكم المطعون فيه إذ قضى بعدم قبول استئناف الطاعن شكلا تأسيسا على أن إعلان الحكم الابتدائى اليه قد وجه الى شيخ العزبة التى لا يقيم فيها هو اعلان صحيح قد اقام قضاءه على مجرد القول بأن العزبة التى تسلم شيخها الإعلان تابعة للبلدة الكائن بها موطن الطاعن فإنه يكون قد أخطأ تطبيق القانون » .. نقض ١١/ ٤/ ٥١ مجموعة القواعد القانونية فى ٢٥ سنة الجزء الأول ص / ٢٢٧ قاعدة / ١٧

أورد هذه القاعدة القانونية التى تضمنها حكم النقض المذكور الأستاذان / عز الدين الديناصورى والمحامى حامد عكازفى كتابهما التعليق على قانون المرافعات ص/ ٥٣ – الطبعة الثانية – ١٩٨٢ ..

كما أورده الأستاذان /حسن الفكهانى عبد المنعم حسنى فى الموسوعة الذهبية للقواعد القانونية التى قررتها محكمة النقض المصرية منذ انشائها عام ١٩٣١ – الإصدار المدنى – الجزء الثانى القاعدة القانونية رقم ١٩٨٠ – صفحة ١٠٥٥ – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ – إصدار الدار العربية للموسوعات ..

وقد وردت هذه القاعدة تحت عنوان :

تسليم صورة الإعلان الى شيخ البلد الذى لا يقع موطن المعلن اليه فى دائرته يجعل الاعلان باطلا ..

كماوردت القاعدة القانونية المؤسسة على حكم محكمة النقض فى القاعدة القانونية رقم /١٧ - ص /٢٢٧ من الجزء الأول من مجموعة القواعد القانونية التى قررتها محكمة النقض - الدائرة المدنية - منذ انشائها ١٩٣١ حتى ٢١ / ٢ / ١٩٩٥ - الدائرة المدنية الجزء الأول - المكتب الفنى بمحكمة النقض - الطبعة الأولى ..

إذن هذا مستقر ومتواتر ولا يخلو منه مرجع قانونى رصين .. وفى الحكم المذكور نجد أن محكمة النقض قد خطأت محكمة الاستئناف العليا لأنها أجازت إعلاناً سلمه المحضر إلى شيخ بلدة لا يقيم بدائرتها المراد إعلانه ووضحت ذلك الخطأ بمخالفة القانون ..

والمدعى عليهما الدكتور / نصر والدكتورة / ابتهال كما ورد بعريضة افتتاح الدعوى يقيمان بدائرة قسم « ٦ » أكتوبر ..وصورتا العريضة سلمتا إلى قسم الهرم حيث لا يقيم بدائرته المدعى عليهما ومن ثم فيكون إعلانهما بعريضة الدعوى باطلا إذ خالف صحيح القانون ..

والمدعى عليهما حضرا أمام عدالة المحكمة بجلسة ٤/١١ / ١٩٩٣ أى بعد « ٥ أشهر ونصف » من تاريخ قيد الدعوى ومن ثم طبقاً لنص المادة / ٧٠ من قانون المرافعات فإنهما يطلبان اعتبار الدعوى كأن لم تكن نظراً لعدم تكليفهما بالحضور تكليفاً صحيحاً خلال « ٣ » أشهر من تقديم الصحيفة الى قلم الكتاب ، وذلك راجع إلى فعل الأساتذة المدعين لأنهم عندما تسلموا أصل الصحيفة وجدو أن صورتها سلمت الى قسم الهرم ليس « ٦ أكتوبر » ، وهم اساتذة محامون يعلمون أن هذا خطأ قانونى واضح كان يتعين عليهم تصحيح هذا الخطأ فى خلال « ٣ أشهر » المنصوص عليها فى المادة / ٧٠ مرافعات وإذا لم يفعلوا فإن المدعى عليهما يطلبان الحكم باعتبار الدعوى كأن لم يكن ..

ومن حصيلة جميعة بطلان إعلان تسليم الصور الى قسم الشرطة الذى يقيم فى دائرته المدعى عليهما مع مضى « ٣ أشهر » من وقت رفع الدعوى دون تكليفهما تكليفاً صحيحاً ، من مجموع هذه الأمور لا تكون الخصومة قد انعقدت وأصبح الدفع بعدم انعقاد الخصومة لعدم الاعلان صحيحاً فى المدة القانونية قائماً على سند قويم من القانون ..

ثانياً: الدفع بعدم إختصاص المحكمة ولائيا بنظر الدعوى لأن المحكمة لا تختص ولائيا بالحكم على مواطن بصحة إسلامه أوردته :

حتى تقضى عدالة المحكمة بالتفريق وهو طلب الأساتذة المدعين يتعين عليها أن تحكم بردة الزوج (المدعى عليه الأول) ولا يوجد نص فى القانون المصرى ولا فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية يجيز لأى محكمة أن تقضى بصحة إسلام مواطن أو كفره أو ردته ..

والأحكام التى صدرت من دوائر الأحوال الشخصية بالتفريق كانت فيها ردة الزوج ثابتة بطريقة لا تدع مجالا للشك مثل اعتناق مذهب البهائية .. المبدأ رقم / ١٠ – صفحة ٥٤٢ من كتاب مبادىء القضاء الشرعى فى ٥٠ عام للأستاذ / أحمد نصر الجندى القاضى (المستشار فيما بعد) طبعة دار الفكر العربى ..

وهو حكم أصدرته المحكمة الشرعية لمحافظة / سيناء فى ١٤ / ١٢/ ١٩٤٤ فى القضية ١٦ لسنة ١٩٤٤ أو أن يقر زوج بعد إسلامه أنه على غير دين بالمبدأ / ١١ صفحة / ٥٤٥ من المرجع السابق .. وهو حكم صادر من محكمة أبو تيج الشرعية فى القضية ١٣٧ لسنة ١٩٣٧ فى ١٣ /٣ / ١٩٤٦ أو فى حالة مسيحى أسلم ثم رجع الى المسيحية – المبدأ رقم ٩ ص / ٥٤٠ من المرجع السابق وهوحكم أصدرته محكمة شبرا الشرعية فى القضية ١٤٤٩ لسنة ١٩٣٩ ..

ففى هذه الأحوال ردة الزوج كانت ثابتة ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه ولم تتعرض أى من هذه المحاكم إلى عقيدة الزوج لأن عقيدته كانت أمامها واضحة فهو إما بهائى وإما مسيحى أسلم ثم عاد إلى مسيحيته أو مسلم أعلن ذاته أنه لا يدين بأى دين من الأديان ..

أما أن يؤتى بمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم يطعن فى إسلامه توصلا إلى التفريق بينه وبين زوجته فهذا غير صحيح لا فى الشرع ولا فى القانون ولايقال دفعاً لذلك إن المدعى عليه الأول صدرت منه كتابات يفهم من قراءتها أنها خروج على الإسلام لأن فهوم الناس تتفاوت ، فما يراه واحد خروجا يرى فيه الآخر غير ذلك ..

ولقد قال الإمام على (كرم الله وجه) : « إن القرآن حمال أوجه » أى تختلف مدارك الناس فى فهمه وتأويله ولله المثل الأعلى .. فقد ضرب الله لنوره مثلا بالمشكاة نقول إذا كان كلام الله جل شأنه يحمل عدة تأويلات وهذا ما حدث بالفعل على طول التاريخ الإسلامى فإنه من باب أولى تختلف العقول فى التأويل بالنسبة لقول البشر .. وإذا كان كلام الله (جل شأنه) يتسم بالكمال المطلق ومع ذلك يتسع لتأويلات متباينة فإن كلام البشر الذى يعتوره النقصان من باب أولى يحتمل ذلك وزيادة .. ولا عبرة برأى فلان أو برأى علان من المشيخة أو الدكاترة فهم بشر وليسوا بمعصومين ولا قداسة لرأيهم فقد قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان شيخ المذهب عن التابعين وهم من هم ، ذلكم الجيل الثالث الذين رأوا الصحابة رضوان الله عليهم وعنهم تلقوا العلم الشريف هؤلاء قال عنهم أبو حنيفة نور الله قبره (هم رجال ونحن رجال) أى لا عصمة ولا قدسانية لهم ..

وقال الإمام / مالك شيخ المالكية رضى الله عنه : « كل شخص يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا المقام وأشار » إلى الحضرة النبوية الشريفة ومعنى عبارته : إن العصمة للرسول الأعظم وإنه هو المعصوم فقط وإن ما عداه يؤخذ من كلامه ويرد عليه ..

ونخلص من ذلك إلى أن المشيخة والدكاترة الذين استشهد بهم الأساتذة المدعون لإثبات خروج المدعى عليه الأول عن أحكام الإسلام ليست دليلا على ذلك ، والطريق مقطوع أمام عدالة المحكمة الموقرة عن بحث عقائد المتقاضين والتفتيش فى قلوبهم .. ولقد استقرت أحكام المحاكم الشرعية ومن بعدها دوائر الأحوال الشخصية على أنه : المعمول عليه بين العلماء أنه لا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان فى كفره خلاف .. وخطورة هذا الموضوع تتضح من تحرج الأئمة من الفقهاء من الإفتاء بتكفير أى مسلم حتى أن صاحب البحر رضى الله عنه ألزم نفسه ألا يفتى بشىء من ذلك .. إذ أن الإسلام الثابت لا يزول بالشك بل هو يعلو ولا يعلى عليه لأنه الحق والكفر شىء عظيم لا يصار إليه إلا إذا حصل ما يؤكد وقوعه من غير شك .. القضية رقم / ٤٠١ / ٣١ / طنطا فى ٢ /٤ / ٣٧ – ص / ٣٧٥ من المرجع السابق .. وفى حكم آخر أصدرته محكمة أشمون الشرعية فى القضية ١٣٥٧ لسنة ٣٢ فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٣٣ حكم قضى أنه « ما يشك أنه ردة لا يحكم بها إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك على أن الإسلام يعلو وينبغى

للعالم إذا رفع إليه هذا ألا يبادر بتكفير أهل الإسلام .. ، وفى الفتاوى الصغرى :- الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت رواية أنه لا يكفر .. وفى الخلاصة وغيرها : - إذا كان فى المسألة وجوه توجب التكفير ووجه يمنعه فعلى المفتى أن يميل إلى الوجه الذى يمنع التكفير تحسناً للظن بالمسلم .. وفى التتارخانية : ، لا يكفر بالمحتمل لأن الكفر نهاية العقوبة فيستدعى نهاية فى الجناية ومع الاحتمال لا نهاية .. المرجع السابق ص / ٥٤٠ - ويختتم الحكم المذكور حيثياته بالعبارة الرائعة الآتية : تلك نصوص الأجلاء من الحنفية يرى المطلع عليها أنهم فهموا روح الدين الإسلامى فهماً صحيحاً .. ونحن نقول : إن هذا هو مسلك الأئمة الأجلاء من السلف الصالح رضوان الله عليهم فما بالنا نرى الخلف يعدل عن هذا النهج القويم ويسارع إلى تكفير المسلم .. فإذا قال الأساتذة المدعون أن سند دعواهم هو الفقة الحنفى الذى يلجأ إليه قاضى الأحوال الشخصية إذا لم تسعفه نصوص القوانين ، قلنا لهم إن الفقه الحنفى يمنع الحكم على مسلم بالكفر ثم الردة على مجرد الظنون والاحتمالات وعلى أقوال (أو كتابات) تحتمل عديداً من التأويلات والتفسيرات ، لأن الإسلام هو الذى يعلو - وليس من روح الإسلام التسرع فى تكفير المسلمين .. وهكذا يبين لعدالة المحكمة أن الدفع الثانى بعدم اختصاص المحكمة ولائياً بنظر الدعوى يقوم على سند قويم من الشريعة الإسلامية وبالأخص الفقه الحنفى ثم القانون الوضعى ..

ثالثاً : الدفع بعدم جواز طلب المدعين إدخال الأزهر :

قام الأساتذة المدعون بإدخال الأزهر ممثلا فى فضيلة شيخه (لإبداء الرأى الشرعى فى أقوال د/نصر المدعى عليه الأول) .. والمدعى عليهما يدفعان بعدم جواز إدخال الأزهر بالأسباب الآتية :

أولاً : - المادة /١١٧ مرافعات هى التى حددت اختصام الغير فى الدعوى ونصها : « للخصم أن يدخل فى الدعوى من كان يصح اختصامه فيها عند رفعها ، فهل الأزهر مما تنطبق عليه عبارة من كان يصح اختصامه فيها عند رفعها » .. شراح قانون المرافعات عرفوا اختصام الغير فى الدعوى أنه تكليف شخص بالدخول فيها والغرض من ذلك هو :

١ - إما الحكم عليه بذات الطلبات المرفوعة بها الدعوى الأصلية أو بطلب يوجه إليه خاصة ..

٢ - أن يكون الحكم حجة عليه حتى لا يجحد هذه الحجية بمقولة إنه لم يكن طرفاً فى الدعوى ..

٣ - إلزامه بتقديم واقعة منتجة فى الدعوى تحت يده .. (انظر على سبيل المثال فى شرح هذه المادة كتاب التعليق على قانون المرافعات ص / ٣٢٢ مرجع سابق ذكره) ..

ومن الواضح أن الأساتذة المدعين لا يبغون أن يحكم على الأزهر بطلباتهم الأصلية ولا أن يكون الحكم الصادر فيه حجة عليه ولا توجد ورقة مشتركة بينهم وبين الأزهر يلزم بتقديمها طبقا لنص المادة / ٢٠ إثبات وهكذا نرى أن شروط إدخال الغير واختصامه غير متحققة فى جانب طلب إدخال الأزهر ..

ثانياً: ولا يجدى الأساتذة المدعون فتيلا التمسك بنص المادة/١١٨ مرافعات وذلك أيضاً للأسباب الآتية :

١ - الحق الذى ذكرته المادة المذكورة قاصر على المحكمة وحدها ولا ينصرف إلى أطراف الدعوى بأى حال من الأحوال . وهذا ما استقرت عليه أحكام النقض وشارح قانون المرافعات هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الحق ليس مطلقاً بل هو مقيد بأن يكون من ترى المحكمة إدخاله وثيق الصلة بالدعوى كأن يكون مختصاً فيها فى مرحلة سابقة أو تربطه بأحد خصومها رابطة تضامن أو حق أو التزام لا يقبل التجزئة أو أن يكون وريثاً مع أصل طرفيها أو شريكاً له على الشيوع أو أن يصيبه ضرر مؤكد من قيام الدعوى والحكم الذى يصدر فيها مع وجود دلائل قوية على تواطؤ أو غش أو تقصير من جانب أحد طرفيها فى عدم إدخاله فتتلاشى المحكمة ذلك بأن تأمر بإدخاله ..

وهذه أمثلة نخلص منها إلى ضرورة وجود رابطة قوية بين من تأمر المحكمة بإدخاله وواقعات الدعوى وواضح أن الأزهر لا يقوم فى حقه أى فرض من هذه الفروض ..

ثالثاً : - القانون المصرى لا يعرف إدخال خصم فى الدعوى ليبدى رأيه والأساتذة المدعون ينقصهم السند القانونى فى طلب إدخال الأزهر فلا قانون المرافعات ولا قانون الإثبات يجيز لهم هذا الطلب ولعلها السابقة الأولى فى تاريخ القضاء فى مصر أن يطلب خصم إدخال أجنبى فى الدعوى لإبداء رأيه ..

رابعاً : – قانون إنشاء الأزهر والتعديلات التى طرأت عليه بعد ذلك ليس فيه نص يجيز حضوره فى القضايا لأبداء رأيه . ونحن نطلب من الأساتذة المدعين أن يدلونا على نص فى قانون الأزهر وتعديلاته ليخولوا له لإعلان الأزهر لإبداء رأيه ..

خامساً : – ومع التمسك بالأسباب الأربعة المدونة بعاليه فى نطاق هذا الدفع فإن المدعى عليهما يدفعان من داخل هذا الدفع ببطلان الإدخال لأنه جاء مجهلا إذ كما ورد فى الطلب الختامى للإعلان (وذلك لإبداء الرأى الشرعى فى أقوال المدعى عليه المبينة فى هذا الاعلان وفى غيرهما مما ضمنه كتبه سالفة البيان) وبقراءة ماجاء بإعلان طلب الإدخال نجد الأساتذة المدعين قد اجتزءوا بعض العبارات التى وردت فى كتاباته وقطعوها من سياقها وذلك على طريقة من لا يؤدى الصلاة المفروضة بحجة أنه ورد بالآية الكريمة (ويل للمصلين) ..

أما عن الكتب فقد جاءت أيضاً مجهلة إذ ما هو المقصود بالكتب سالفة البيان ؟ فالأساتذة المدعون يعترفون فى / ص / ٢ بأن د / نصر حامد أبو زيد (وقد أصدر عدة كتب وأبحاث) ثم اقتصروا على « ٣ » كتب منها – فهل رأى الأزهر يكون مستكملا ووافياً بالغرض إذا اقتصر على « ٣ كتب » من كتب المدعى عليه وأبحاثه التى تربو على ٦٠ ما بين كتاب وبحث ودراسة ومثال علمى ؟ وهل يكون رأى الأزهر كذلك وافياً إذا اقتصر على الفقرات المنتزعة من سياقها والتى وردت بإعلان طلب الإدخال وبعريضة الدعوى ؟ وهل يكون من تكليف ما لا يطاق طلب الأزهر قراءة كل الإنتاج العلمى الذى صدر من د / نصر حامد أبو زيد منذ اشتغاله بالتدريس بالجامعة لما يقرب من ربع قرن ؟

نخلص من كل ذلك إلى الآتى :

فى خصوصية هذا الدفع بالإضافة إلى افتقار طلب إدخال الأزهر إلى السند القانونى الذى يؤازره . فإنه ذاته قد اتسم بالتجهيل والقصور مما يسمه بالبطلان فى ذاته ، أى حتى لو كان هذا الطلب يتفق وصحيح القانون ، وهذا مجرد فرض جدلى ، فإنه قد شابه عيب بداخله وهو التجهيل والقصور ..

رابعاً عن الموضوع :

المدعى عليهما يلتمسان من عدالة المحكمة الموقرة أن تتفضل مشكورة بالحكم فى الدفوع الثلاثة المبينة صدر هذه المذكرة وهما يحتفظان لنفسيهما بالحق فى الدفاع الموضوعى بعد ذلك ..

بناء عليه : ومع حفظ كافة الحقوق الأخرى بسائر أنواعها :

يلتمس المدعى عليهما د / نصر حامد أبو زيد ود / ابتهال يونس من عدالة المحكمة الموقرة :

أصلياً : – صدور الحكم بقبول الدفوع المبينة بصدر هذه المذكرة والحكم بها مع الزام الأساتذة المدعين المصروفات والأتعاب ..

واحتياطياً :– يحتفظان لنفسيهما بالحق فى تقديم الدفاع الموضوعى فى حينه وإذا لزم ذلك ..

التعليق:

إستمرت المرافعات تحوم حول الشكل دون الموضوع .. والمظهر دون الجوهر .. وإن كان هناك دفاع موضوعى : فقد كان دفاعاً عقيماً لا يعتد به ولا يؤبه له ، حيث كان يدور فى فلك أن الباحث د . نصر .. لا يقصد بكلمة « النص » و « الخطاب » « القرآن الكريم » .. وكان ذلك فى محاولة ساذجة للإستهانة بفكر القضاه .. فكان الدفاع دفاعا يدين د . نصر ولا يبرؤه ، لقد تقعر فى كتاباته حتى غم على محاميه الدفاع عنه ، فلابد أن يكون المحامى فى مثل هذه القضايا على مستوى رفيع من الثقافة حتى يستطيع أن يشرح ويستنبط فى أقوال موكله .. وإلا فشل .. وهذا الذى نسوقه الآن نموذج من هذا الفشل .. حيث حاول الدفاع (محاميه الذى يدافع عنه) ببلاهة منقطعة النظير – وبطريق غير مباشر أن يثبت .. أنه لو كان « النص » و« الخطاب » فى ابحاث د . نصر تعنى القرآن الكريم .. فهو مرتد .. بدليل أن الدفاع أجهد نفسه فى الدفاع بل وحصر نفسه على محاولة إثبات أن كلمتى « النص » و « الخطاب » فى كتابات د. نصر لا تعنى « القرآن الكريم » .. وكان لابد للدفاع أن يفشل ، الذى حاول – وبغباء – أن يثبت أن موكله د . نصر يقصد بكلمة « النص » و « الخطاب » أنهما تعنيان (كلام الأمام الشافعى) وليس (القرآن الكريم) .. !!

ولما كانت كتابات د . نصر .. تعني ولكل من يقرؤها – حتى ولمن حقق حظاً من التعليم بسيط أن كلمتى « النص » و « الخطاب » تعنى القرآن الكريم .. وعلى هذا فقد أصبح « المحامى » بدفاعه هذا كالدبة التى قتلت صاحبها فى الأسطورة المعروفة .. **وكان هذا الدفاع الغريب والذى ساهم فى الإيقاع بصاحبه على النحو التالى :-**

بصدد دعوى الحسبة المرفوعة من محمد صميدة عبد الصمد على الدكتور نصر حامد أبو زيد والسيدة حرمه للتفريق بينهما بزعم الكفر والارتداد عن الإسلام اليكم الآتى :

أولاً : بشأن ما أتى فى صحيفة الدعوى من اتهامات بالعداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة ، ورفض السنة وتجاهل ما أتت به ، وأنه يحمّل هذه النصوص كل أوزار الأمة الإسلامية وأوضاعها المتخلفة ، وأنه لم يترك مناسبة فى كتابه الصغير للغض من النصوص وتحقيرها وتجاهل ما أتت به إلا انتهزها ، وأن كتبه تحوى كفراً يخرجه عن الإسلام ، وأنه يذهب إلى أن الإسلام دين عربى ، وأنه يرى أن القرآن أسطورة وانتماء ه إلى المصدر الغيبى أسطورة ،وبناء عليه فهو مرتد – كما أتى فى صحيفة الدعوى- يلزم إيضاح مايلى :

أن هذه الاتهامات مبنية على إقتطاعات وإجتزاءات لعبارات من سياقاتها ، وفهمها فهماً خاصاً لا تقوله الكتب المشار إليها ، ولا العبارات المجتزأة منها حتى ولو قرأت بعيداً عنها . وهذه العبارات التى تؤسس عليها الدعوى بردة وكفر المدعى عليه كما وردت هى :

١ ـ عبارة منتزعة من سياقها فى كتاب « الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ، تقول : « وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا ، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان ». واضح من هذه العبارة أنها لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى نصوص القرآن والسنة إلا أن المدعين يعتسفونها ، وقد نزعوها من سياقها الذى لا تفهم إلا فى ضوئه وعلى هدى منه لينطقوها بما لم تقله وما لم تفعله مستنتجين استنتاجاً غريباً يؤسسون عليه حكماً أغرب وهو أنه : « لا معنى للتحرر من سلطة القرآن والسنة إلا الكفر بما فيها من أحكام وتكليفات » !! فهم يفترضون عند أنفسهم أن المقصود بالدعوة للتحرر من سلطة نصوص القرآن والسنة ، وهو فهم غريب وتأويل مريب لم يقله المؤلف ولم يشر اليه لا من قريب ولا من بعيد ، ولا فى هذا الكتاب ولا فى سواه ، وهو ما يجعل الاتهامات المؤسسة على هذه العبارات باطلة ومحض ادعاء وقذف دون سند أو بينه . فهى ادعاءات متولدة إما عن قصد مسبق للإساءة والطعن والتشهير أو عن سوء فهم وجهل بالمصطلحات والمفاهيم فى المجالات المعرفية التى تنتمى اليها ولدى أهل الأختصاص . فمع افتراض حسن النية يكون هذا الاستنتاج وليد جهل بما يعنيه علم النص ودلالة هذا المفهوم « النص » فى مجاله المعرفى ولدى أهل اختصاصه . فهناك علم كامل حوله مكتبة علمية كاملة يسمى « علم النص » أو « علم تحليل الخطاب وهو علم يهتم بكل أنواع « القول » أو « الخطاب » سواء كانت مكتوبة أو منطوقة ، وسواء كانت لغوية أو غير لغوية ، أى أنه يعتبر كل اداء فى العالم نصاً وخطاباً قابلا للتحليل والتفسير والقراءة .. وبناء عليه فإن الثقافة الشعبية كالأمثال والمأثورات نصوص كما أن العادات والتقاليد والمجاملات نصوص تحلل وتفسر وتكتشف دلالاتها وقوانين عملها وفقاً لمنهجية علمية فى القراءة والتفسير تستند إلى مجموعة من العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة ، فضلا عن غيرها من العلوم البحتة كالمنطق والرياضيات والإحصاء . وأحد المفاهيم الأساسية لهذا العلم هو مفهوم السياق الذى يمثل ركيزة من الركائز التى ينهض عليها هذه العلم لتأسيس الفهم العلمى للنصوص وإنتاج دلالاتها . ولعله يجدر بمن يريد أن يحكم على نصوص تسعى إلى تأسيس علم النص وإلى تأسيس الاعتداد بالسياق الذى لا يمكن فهم أى نص أو الحكم عليه بدونه ، ألا يهدر السياق وهو يتعامل معها ، فضلا عن غيرها من النصوص ..

لكن للأسف هذا هو ما يحدث مع العبارة المنتزعة من سياقها ومع ما سيرد من عبارات أخرى ، فدلالة النصوص فى العبارة المشار إليها لا تنصرف على الإطلاق إلى نصوص القرآن والسنة إلا لدى من لديه نية مبيتة على أن يفهمها على هذا النحو لأسباب فى نفسه هو لا فى العبارة . ذلك أن سياق العبارة الواضح

تماماً هو سياق تحليل نصوص الإمام الشافعى ،ومن ثم يكون معنى التحرر فى هذا السياق منصرفاً إلى نصوص الأسلاف ،وهو ما يعنى فتح باب الاجتهاد وإعمال العقل فى نصوصهم وتحليل هذه النصوص بأدوات العلم المعاصر ، اللهم إلا إذا كان هناك من يرى أن الأسلاف من الأئمة معصومون لا تجوز عليهم القوانين البشرية من إصابة وخطأ ، وأن ما قالوه هو اجتهاد قد يصيب وقد يجانبه الصواب مثلما يكون مقصود السلطة فى هذه العبارة هو سلطة الجهل والتقليد دون درس وفحص واختبار لسلامه أقوال الأسلاف أو المعاصرين . فالدعوى للتحرر من سلطة النصوص تعنى التحرر من سيطرة نصوص الأسلاف ، والتحرر من تقبلها دون إعمال للعقل واجتهاد العقل الذى حرص الإسلام والقرآن على إعماله والانتفاع به وليس على اغلاقه وتعطيله ، الاجتهاد الذى فتح النبى ﷺ بابه لكل مسلم حين قال : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » . ولا شك أن أقوال الأسلاف ونصوصهم تعطل شئون دنيانا وتجهلنا بها ، ثم إن سلطة النصوص هى سلطة يضيفها العقل الإنسانى ولا تنبع من النص ذاته ..

٢ – والعبارة الثانية التى تستند إليها صحيفة الدعوى لاتهام المدعى عليه بالردة ولإثبات أن ما يقصده بالعبارة السالفة هو القرآن والسنة هى « إن تثبيت قراءة النص الذى نزل متعدداً فى قراءة قريش كان جزءاً من التوجيه الأيديولوجى للإسلام لتحقيق السيادة القرشية » .. وتلك صورة أخرى لعزل السياق عن نص العبارة أو عزل العبارة عن سياق نصها ، ومن تشويهها واستنتاج ما لذ وطاب للمستنتج . فالسياق الذى ترد فيه العبارة هو سياق كيف تعامل الإمام الشافعى مع قضية نزول القرآن على سبعة أحرف وموقفه من الكلمات الأجنبية أو غير العربية فى القرآن ، مع مقارنة موقفه بمواقف غيره من الأسلاف والأئمة .. والأحرف السبعة لهجات مختلفة كان يقرأ بها القرآن تيسيراً وتسهيلاً على المسلمين حتى زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان . وهذا أمر قال به القدماء والمحدثون ، ولعل مراجعة لكتاب الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن (الجزء الأول ، صفحة ١٣ – ١٤) تؤكد ذلك حيث يورد أن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت فى قراءته بأى تلك الأحرف شاءت .. فرأت – لعله من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد – قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، هو نص وارد أيضاً فى كتاب « الإمام الشافعى » ، لم تشر إليه بالطبع صحيفة الدعوى ، أى أنه ليس قولا من عند المؤلف وإنما هى مسألة معلومة معروفة منصوص عليها فى كل كتب تاريخ القرآن وفى التفاسير ، بل إن الدكتور عبد الصبور شاهين الذى تستشهد به صحيفة الدعوى قد أوردها فى كتابه « تاريخ القرآن » (دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦) حيث يقول فى صفحة ٤٣ : « الذى نرجحه فى معنى الأحرف السبعة ما يشمل اختلاف اللهجات وتباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف السن وتفاوت التعليم وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى المراد » . هذا نص عبد الصبور شاهين ، الذى يعود مرة أخرى لكى يصف الأحرف السبعة صفحة (٧٧) من الكتاب ذاته بـ « القراءة بالمعنى » ويقول « إنها من روح التيسير الذى تميز به الإسلام !! فهل زعم أحد أنه مرتد أو كافر؟ إذن فالواقعة مثبتة تاريخياً وواكبتها مصادمات معروفة فى التاريخ ..

٣ – أما العبارة الثالثة التى تستند اليها صحيفة الدعوى بوصفها دليل كفر وردة هى « أن النص الثانوى هو السنة النبوية والنص الأساسى هو القرآن » وتفسير هذه العبارة على أنها تحوى أو تدل على إنقاص من شأن السنة ليس فى الواقع سوى نتاج عدم فهم المصطلحات والمفاهيم المستخدمة كما سبقت الإشارة ، فكلمة « ثانوى » هنا لا تعنى ولا تشير من قريب أو من بعيد إلى أى دلالة سلبية بمعنى تافه مثلا أو لا قيمة له كما تحاول الصحيفة أن توحى ، وإنما هى مستخدمة انطلاقاً من مفاهيم « تحليل الخطاب وعلم النص » المشار إليها سلفاً ، حيث يفرق مجال تحليل الخطاب بين « الواقعة الأصلية » أو النص الأصلى الأولى الأساسى الذى هو فى هذا السياق القرآن الكريم ، وبين النصوص التالية الشارحة والمفسرة لهذا النص على أنها ثانوية بحكم كونها مبنية عليه ودائرة حوله وتتحرك باتجاهه وفى فلكه . وبما أن السنة النبوية الشريفة تدور حول تعاليم القرآن شرحاً وبياناً وتفسيراً فهى بالنسبة إليه نص ثانوى ، وهو ما لا يحتمل أى مجال للبس بالنسبة لمن له أدنى صلة أو المعرفية بدلالات هذه المصطلحات والمفاهيم المعرفية ، وعليه فليس هناك ما يمس العقيدة أو قيمة السنة النبوية الشريفة ومكانتها ، بأية صورة من الصور ..

٤ – تنتزع الصحيفة ايضاً عبارة أخرى من سياقها يربط فيها المدعى عليه بين تصور الإمام الشافعى، عن إطلاقية النص وشموليته وبين مفهوم « الحاكمية » فى الخطاب السلفى المعاصر ، والعبارة التى تستشهد بها الصحيفة هى « هذا الموقف يعكس رؤية للعالم والإنسان تجعل الإنسان مغلولا دائما بمجموعة من الثوابت التى إذا فارقها حكم على نفسه بالخروج من الإنسانية ، وليست هذه الرؤية للإنسان والعالم معزولة تماماً عن مفهوم الحاكمية ، فى الخطاب الدينى السلفى المعاصر حيث ينظر لعلاقة الله بالإنسان والعالم من منظور علاقة السيد بالعبد الذى لا يتوقع منه سوى الإذعان ، ولما كانت رؤية الشافعى تلك للعالم كرست فى واقعها التاريخى سلطة النظام السياسى المسيطر والمهيمن ، فإنها تفعل الشىء ذاته فى الوقت المعاصر ..

إن منطق ، لا تقربوا الصـلاة ، لابد من أن يزيف الحقائق ويشوه المقاصد ، ذلك أن العبارة واردة فى سياق موقف الشافعى من الاستحسان ، وربط الشافعى الدائم بين « الاستحسان » والخلاف المكروه والتنازع ، وهو ما يعنى أن العقل مقيد تماماً ليس من حقه أن يستحسن أو يستقبح أمراً ، ومثل هذا التصور هو ولا شك الخطر على العقيدة . كما أن هذا الغياب للعقل ودوره فى الاستحسان وفى الاجتهاد ليس بعيداً عن مفهوم « الحاكمية » كما هو فى الخطاب السلفى المعاصر ، لدى أبى الأعلى المودودى وسيد قطب الذى أخذه عنه وغيرهما ممن يسيرون على الدرب ..

إن خطورة هذا المفهوم هو أنه يلغى تماماً من فهم الإسلام تلك المناطق الدنيوية التى تركها للعقل والخبرة والتجربة كما وردت فى قول النبىﷺ « أنتم أعلم بشئون دنياكم » . فما الذى يمس العقيدة فى هذا الكلام ؟ وهل هذا الكلام يمثل خطراً على العقيدة أم عدم إعمال العقل والجهل هما الخطر الحقيقى على العقيدة والأمة كلها ؟

أما بقية العبارة فمقصودها – وفقاً لسياقها هى وليس للكيفية التى يجتزؤها بها من فى نفوسهم مرض – ليس على الإطلاق نفى علاقة العبودية بين المسلم والله ، حاشا لله ، وإنما تقصد أن مفهوم « الحاكمية » يطرح تصوراً وفهماً ضيقاً للاسلام ، إذ لا يعكس من علاقة الله بالعالم والإنسان إلا الجانب الخاص بالترهيب والوعيد ، فى حين أن الانسان لا يكون عبداً لله إلا باختياره هو كإنسان كما أن الله جل وعلا ، لا يطلق لفظ العبد إلا على من آمن به واختار أن يكون عبداً له ، ولهذا قال الله « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .. وهو مبدأ إسلامى عظيم دون شك ، يطرح تصوراً مختلفا للتصور الذى تطرحه الحاكمية لعلاقة الله بالإنسان . إن ما لم يدركه المدعون هو الفرق الدلالى بين الطاعة والإذعان فالإذعان لا يكون إلا نتاج الخوف والإجبار ، أما الطاعة فأمرها مختلف حيث هى فى علاقة المؤمن بربه وليدة حب واختيار وقبول ، فشتان بين الأمرين وما يترتب عليهما من صورة للإسلام ؛ إن القرآن الكريم كما يطرح علاقة العبودية بالمعنى السالف يطرح أيضاً علاقة « الحب » بين المؤمن وربه ، وهى العلاقة المغفلة تماماً فى الخطاب الدينى السائد الذى يركز فقط على عبودية الخوف والإذعان ..

٥ – يدعى أصحاب الدعوى أن المدعى عليه لم يترك مناسبة فى كتابه الصغير للغض من النصوص وتحقيرها وتجاهل ما أتت به إلا انتهزها ، وهى دعوى مطلقة على عواهنها من غير شاهد أو برهان أو تحديد لما هيه هذه النصوص . هذا فضلا عن أن هناك بوناً شاسعاً بين ما يقصده المؤلف فى السياقات التى ترد فيها ، وبين الكيفية التى يفهم بها ، أو يريد أن يفهم بها متهموه هاتين الكلمتين ، وهو ما سبق توضيحه ..

٦ – تورد صحيفة الدعوى نصاً آخر من كتاب الإمام الشافعى بوصفه شاهد كفر وردة وهو « يبدأ الشافعى حديثه عن الدلالة بتقرير مبدأ على درجة عالية من الخطورة فحواه أن الكتاب يدل بطرق مختلفة على حلول لكل المشكلات والنوازل التى وقعت أو يمكن أن تقع فى الحاضر أو فى المستقبل على السواء . وتكمن خطورة هذا المبدأ فى أنه المبدأ الذى ساد تاريخنا العقلى والفكرى وما زال يتردد حتى الآن فى الخطاب الدينى بكل اتجاهاته وتياراته وفصائله ، وهو المبدأ الذى حول العقل العربى إلى عقل تابع يقتصر دوره على تأويل النص واشتقاق الدلالات منه » ..

والمدعون يعلقون على هذا النص بأن « هذا الذى أنكره المعلن اليه على الإمام الشافعى إنما هو المعنى الحرفى لقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) – (سورة النحل

آية ٨٩) وهو أيضاً (إكمال الدين) فى قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديننا) - (سورة المائدة ، آية ٣) .. كما يأخذون على المؤلف عبارة أخرى فى السياق نفسه ، وهى « والشافعى حين يؤسس المبدأ - مبدأ تضمن النص حلولا لكل المشكلات - تأسيسا عقلانياً يبدو وكأنه يؤسس بالفعل إلغاء العقل ، بوصفها شاهد كفر وردة .. ولا شك أن القول بخطورة هذا المبدأ الذى يؤسسه الشافعى لا يعنى الردة والكفر ، ذلك أن الإمام الشافعى ليس إلهاً أو نبياً معصوماً لا يجوز الاختلاف معه أو مع ما يؤسسه من مبادىء إلا اذا كان هناك من يريد أن ينزله هذه المنزلة ، تعالى الله عما يصفون . أما القول إن ما يؤسسه الشافعى هو المعنى الحرفى للآيتين فهو مغالطة صريحة ناتجة عن أن بعض الآيات يكون لفظها عاماً بينما مرادها خاصاً وهو ما يعرف **بإطلاق لفظ العموم مع ارادة الخصوص** ، وهو ما يتطلب ما يعرف فى علم التفسير بتقييد المطلق ولا شك أن عملية تقييد دلالة مفردة أو كلمة قرآنية ، كما هو معروف، يكون محكوماً بالسياق العام للنص القرآنى كله والسياق الخاص للآية التى تحوى الكلمة . وأحد المبادىء الأساسية التى تحكم عملية التفسير هنا أو تقييد الدلالة هو ألا يصطدم التفسير مع هذا السياق العام أو يتناقض مع سياق الآية ذاتها ، وهى أمور يعرفها كل دارس نبيه لعلوم التفسير . ولا شك أن حمل آية سورة النحل ، ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ على دلالة العموم والإطلاق هو ما يمثل إساءة صريحة وخطيرة للقرآن ، وذلك أن التسليم بحمل عبارة « لكل شىء » على معناها الحرفى ، بحيث تعنى أن القرآن يحوى حلولا لكل المشكلات أو النوازل التى وقعت أو يمكن أن تقع فى الحاضر والمستقل ، وهو الذى يضع القرآن موضع الطعن والتشكيك من قبل أى أحد يريد هذا ، بل ويعطى فرصة لكل خصم ورافض للقرآن أن يتساءل : أين هو تبيان القرآن لحل مشكلة الانفجار السكانى أو أزمة المواصلات ومشكلات استصلاح الأراضى أو تفشى مرض السرطان الخ ، وهى مشكلات دون شك غير مطالب القرآن بتقديم حلول لها إلا أن حمل الآية على هذا التفسير يفضى إلى هذا المأزق السخيف** .. ذلك إنما ينتج عن عدم فهم الآية فى سياق النص القرآنى كله ، ذلك أن فهمها فى ظل هذا السياق لا يجعل احداً يطالب القرآن بما لم يعلن القرآن مسئوليته عنه . لقد كرم الله الإنسان بالعقل وجعله محاسباً عن كيفية استخدامه لهذا العقل، ولذا جعله ايضاً هو المسئول عن حل مايواجهه من مشاكل .. وأتت السنة الشريفة لتؤكد ذلك حين قال الرسول ﷺ : ﴿ أنتم أعلم بشئون دنياكم ﴾ فلم يدّع القرآن أنه كتاب فى الطب أو الميكانيكا أو الذرّة ،وإنما هو كتاب الله الذى يحمل رسالته للإنسان ، ومن ثم فهو كتاب عقائد وعبادات يحدد أطر تعامل للإنسان وسعيه فى العالم انطلاقاً من هذه العقائد ، وإذن يكون تبيان كل شىء عائداً على كل شىء من هذه الأشياء تحديداً ، وليس هكذا على إطلاق الأشياء ، وإلا أسأنا إلى أنفسنا ، وكذلك معنى « الإكمال » فى آية سورة المائدة إذ يقول تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » فالإكمال هو إكمال للدين ، وليس لشىء سواه ، فلم يقل أكملت علومكم أو معارفكم أو شئون دنياكم ، حاشا لله عما يفهمون ..

٧ - تجتزئ صحيفة الدعوى كشأنها المستمر عبارة أخرى من سياقها فى كتاب « مفهوم النص » وتوردها بوصفها شاهد كفر ، دون أن نشير أية إشارة إلى سياقها فى موضعها من الكتاب ، أو حتى تكلف نفسها عناء إكمالها بما يسبقها أو يلحقها ذلك قصداً للتمويه والتعمية ، والعبارة هى « الإسلام دين عربى » ، هكذا توردها الصحيفة متهمة صاحبها بمناقضة آيات القرآن التى تشير إلى أن الإسلام موجه للبشر كافة ، وهو الأمر الذى لم ينقضه صاحب العبارة بكلمة واحدة أو حرف واحد فى كل ما كتب ، ولكن هكذا يكون التشويه واقتطاع الكلام وتحريفه عن مقاصده ، وإلا فكيف يدين ويتهم دون تزييف من يريد الإدانة والاتهام من غير بينة ، والعبارة لا ترد هكذا فى الفراغ ، وإنما تأتى فى سياق الحديث عن تحديد مفهوم العروبة ؛ وأن مفهوم العروبة لا يقوم على الجنس أو العرق بمعناه العنصرى خصوصا وأن النقاء العرقى الخالص وهم ؛ وإنما يقوم فى الأساس على مفهوم الثقافة من لغة ودين وتراث مشترك .. والعبارة فى صورتها المكتملة كما هى فى نص الكتاب هكذا « ومن منظور الثقافة فالإسلام دين عربى ، بل هو أهم مكونات العوبة واساسها الحضارى والثقافى » (مفهوم النص صفحة (٢٦) « الهيئة المصرية العامة للكتاب » ، فالعبارة لا تحتاج أن يترجم عنها أحد وإنما تشرح نفسها بشكل غاية فى الوضوح لمن أراد أن يفهم ، فهى تقول باختصار وبتكرار لما فيها

إن الإسلام هو الأساس الثقافى والحضارى للعروبة ، وهو ما لا يحتمل لبساً أو مغالطة ..

لكن صحيفة الدعوى تقتطع هذا الجزء من العبارة غير المكملة الواردة أصلا فى متن الكتاب وتقرنه إلى عبارة أخرى وردت فى هامش الكتاب ، وليس فى متنه ، لتوهم بما تريد أن توهم به من مناقضة للآيات التى تشير إلى كونية الرسالة ، وعبارة الهامش هى « إن الفصل بين العروبة والإسلام ينطلق من مجموعة من الافتراضات المثالية الذهنية أولها عالمية الإسلام وشموليته من دعوى أنه دين للناس كافة لا للعرب وحدهم » إن ايراد عبارة الهامش الى جوار عبارة المتن على هذا النحو يوهم بما تحاول الصحيفة الإيهام به من مناقضة ، فى حين أن السياق خلاف ذلك تماماً ، ذلك أن المتن الذى تمثل هذه العبارة هامشا له يقول « فإذا نظرنا للإسلام من خلال منظور الثقافة تبدد ذلك الوهم الزائف الذى يفصل بين العروبة والإسلام » (مفهوم النص) صفحة ٢٥ – ٢٦ ، وهو ما يعنى ان الكلام منصب على أولئك الذين يفصلون بين العروبة والإسلام ومناقشة هذا الفصل وتبين دوافعه ، التى قد تكون خيرة تماماً ، الا انها غير صحيحة من منظور علم الحضارة بمعنى أن إثبات عالمية الإسلام لا يعنى فصله عن سياقه التاريخى العربى الذى نشأ فيه كما لا يعنى نزع العروبة عن الإسلام ، بدليل ما يرد فى بقية الهامش الذى اجتزأته أيضاً صحيفة الدعوى دون أن تكمله حيث يقول المؤلف فى الهامش نفسه « العالمية والشمولية وفى آية ظاهرة لا يجب أن تنكر الأصول التاريخية للظاهرة بما تتركه من ملامح وسمات تظل ملازمة للظاهرة ولا تنفصل عنها » (مفهوم النص صفحة ٢٦) أى أن اثبات العالمية للإسلام لا يعنى إهدار عروبة الإسلام ، وإلا كيف يفهم الإسلام تاريخيا وثقافيا وهو أساساً باللغة العربية ، ونشأت كل علوم الثقافة العربية حوله ، ثم هل يؤدى المسلمون من غير العرب عباداتهم بغير العربية ؟

هذا من ناحية ، أما من ناحية ثانية وهى ناحية على جانب مهم من الخطورة فى دعوى أولئك الذين يسعون إلى الفصل بين العروبة والإسلام إنطلاقاً من دعوى العالمية ، هو أنهم يحكمون معياراً واحداً فقط فى النظر إلى أبناء التاريخ الواحد والمجتمع الواحد وهو المعيار الدينى ، دون ما سواه من معايير ثقافية ولغوية وتاريخية ، وهو منظور له خطره دون شك على الوطن وعلى تاريخ الأمة ، والمقصود إذن هو أن فهم الثقافة العربية لا يمكن أن يتم بمعزل عن الإسلام بوصفه أهم مكون من مكونات العروبة ، مثلما أن فهم الإسلام لا يمكن أن يتم بمعزل عن الثقافة العربية ، وهو أمر لا يتناقض على الإطلاق مع كون الإسلام رسالة للعالمين ..

٨ – تقتطع صحيفة الدعوى نصاً آخر من كتاب « مفهوم النص » يقول « إن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى » والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً ، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها ، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر – من ثم – إمكانية الفهم العلمى لظاهرة النص ، ثم تعقبه بنص آخر مقتطع من بحث « وإهدار السياق فى الخطاب الدينى » يقول « يتم فى تأويلات الخطاب الدينى للنصوص الدينية إغفال مستوى أو أكثر من مستويات السياق لحساب الحديث عن نص يفارق النصوص الإنسانية من كل وجه ، إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلى قديم للنص القرآنى فى اللوح المحفوظ باللغة العربية لا تزال تصورات حية فى ثقافتنا » ثم تعلق على النصين بأن المعلن إليه يرى أن « إعجاز القرآن بهذا المعنى أسطورة ، وكونه كلام الله أسطورة » ..

وهى صورة أخرى من صور الخلط والتحريف ، لأن لا هذين النصين ولا سواهما قصد فيهما أن كلام الله أسطورة وأن إعجاز القرآن أسطورة ، وإنما المقصود ببساطة شديدة وكما يرد مباشرة بعد النص الأول الذى اقتطعه الصحيفة قصداً للإرباك والتشويش ، هو « أن الإيمان بالمصدر الإلهى للنص أمر لا يتعارض مع تحليل النص ، من خلال فهم الثقافة التى ينتمى إليها (مفهوم النص صفحة ٢٧) ، وهنا ينبغى التنوية بالفرق بين الإيمان بالوجود الميتافيزيقى السابق للنص وبين الإيمان بالمصدر الإلهى للنص ، وهو فارق وفرق مهم ، فالإيمان بالوجود الميتافيزيقى السابق هو الذى يدخل فى حيز الأسطورة التى ترد لدى المتصوفة من أن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ باللغة العربية ، وكل حرف من كلماته فى حجم جبل يسمى جبل «

قاف ، وجبل ، قاف ، هذا الجبل أسطورى يحيط بالأرض من كل جهة ، وهى تصورات فضلاً عن وجودها لدى المتصوفة موجودة فى وعى كثير من العامة ..

القول إذن بأن النصين يعنيان أن إعجاز القرآن أسطورة ، وأن كلام الله أسطورة ليس سوى ادعاء باطل وفهم مغرض ومتربص ، بل أن مقصود النصين ، على العكس من هذا تماماً ، هو إزاحة وإزالة التصورات الخرافية الضارة حول القرآن والإسلام سعياً لتنقية العقيدة مما يضفيه بعضهم عليها من تشويش وخرافات ، وتأسيسا لها على دعائم العقل والفهم العلمي السليم ، فكيف يكون هذا هو القصد والمسعى ويقلب على هذا النحو الغريب فى فهم المقاصد والنوايا؟ ورأى المؤلف فى إعجاز القرآن موجود بكامله فى الفصل الخاص بالإعجاز فى كتاب ، مفهوم النص ، لمن يريد أن يفهم فهماً موضوعياً ..

٩ – تقول الصحيفة فى القسم الثالث ، لم ينف المعلن إليه شيئاً من تكفيره – على كثرته – بل لعله رضى به واستراح إليه ، بحسبانه معبراً عن عقيدته وجوهر فكره ، الأمر الذى يرقى إلى الإقرار منه بما وصم به ، وهو ادعاء آخر صريح يتجاهل الوقائع ويزيف الحقائق حيث فند المعلن إليه هذه الإباطيل المنسوبة إليه فى مقالين نشر الأول فى الأخبار بتاريخ ٢٥ / ٦ / ١٩٩٣ تحت عنوان ، أبو زيد يرد على البدراوى ، ونشر ثانيهما فى الأهرام بتاريخ ٤ / ٨/ ١٩٩٣ تحت عنوان ، الإسلام بين الفهم العلمى والإستخدام النفعى ،

وللأسف فأن تلك المقالات التى كفرت المعلن إليه كما تشير صحيفة الدعوى ، لم تعن نفسها بفهم أعماله وكانت سباً علنياً مقذعاً ..

١٠ – تنص عريضة الدعوى فى القسم الرابع على أن ، المعلن إليه قد ارتد عن الإسلام طبقاً لما استقر عليه القضاء واجمع عليه الفقهاء تأسيسا على أن ، الردة شرعاً هى اتيان المرء بما يخرج به عن الإسلام ، إما نطقاً او اعتقاداً أو شكاً ينقل عن الإسلام ، ومن أمثلة ذلك فيما ذكره العلماء جحد شيء من القرآن أو القول بأن محمداً ﷺ بعث إلى العرب خاصة ، أو أنكر كونه مبعوثاً إلى العالمين ، أو القول بأن الشريعة لا تصلح للتطبيق فى هذا العصر ، أو تطبيقها كان سبب تأخر المسلمين ، أو أنه لا يصلح للمسلمين إلا التخلص من أحكام الشريعة ، كما قضى بأن من استخف بشرع النبى ﷺ فقد ارتد بإجماع المسلمين..

وحيث إن المعلن إليه لم يقترف أى موجب من تلك الموجبات للردة فى ضوء ما تم توضيحه ، فإن هذه الدعوى تكون باطلة شكلا وموضوعاً ..

التعليق..

ويكاد المريب أن يقول خذونى .. حيث عندما طالب المدعون (هؤلاء الذين رفعوا دعوى الحسبة طالبين الحكم بردته) استطلاع رأى علماء الأزهر فى كتابات الدكتور نصر إنبرى الدفاع عن الدكتور نصر يحاول الحيلولة دون ذلك – كما لو أنه يخشى رأى الأزهر – وقد بدا ذلك الأمر واضحاً تماماً بل وقام الدفاع يطالب المحكمة برفض عرض الكتب على علماء الأزهر وقدم مذكرة بهذا الطلب جاء فيها ..

أولاً – الدفع بعدم قبول إحالة الدعوى للتحقيق لإثبات خروج المدعى عليه الأول على أحكام الإسلام فى أبحاثه:

هذا الطلب أثبته الأستاذ المدعى الأول فى محضر جلسة ١٤ / ١١ / ١٩٩٣ ..

وبداية نقرر أن خروج أى مسلم على أحكام الإسلام لا يعنى ردته .. فإذا خالف مسلم حكم الإسلام فى شرب الخمر وشربها أو حكم الإسلام فى الربا فتعامله به أو حكمه فى الزنا فزنى ، كل هذه الأفعال لا تخرج مرتكبها عن الإسلام ولا تجعله مرتداً كل ما فى الأمر أن شارب الخمر والزانى يوقع عليهما الحد المقرر شرعاً ، وآكل الربا عليه عقاب أخروى – ولم يقل أحد لا من عامتهم مثل الأستاذ المدعى الأول أن خروج مسلم عن أحكام الإسلام يجعله مرتداً .. **هذه واحدة ..**

أما الأخرى : فإن الأساتذة المدعين يطلبون التفريق بين المدعى عليهما كزوجين ومن البديهيات فى قانون الإثبات أن ما يطلب أحد الخصوم إثباته :

، أ ، وقائع متعلقة بالدعوى .. ، ب ، جائز قبولها – (م / ٤ ق الإثبات) ..

والمدعى الأول لم يطلب إثبات وقائع على الإطلاق ومن ثم فلا داعى لخوض فيما إذا كانت متعلقة بالدعوى ومنتجة فيها أم لا ، بل هو يطلب على ما فهمناه اثبات تفسير لما جاء فى أبحاث المدعى عليه الأول ، وبحسب تعبير الأستاذ المدعى الأول من خروج على أحكام الإسلام – وهذا ما لا ينطبق عليه الشرط الثانى وهو جواز القبول – إذ معنى ذلك هو الحكم على عقيدة المدعى عليه الأول وعلى نيته فيما كتب وهذا مما لا يجوز إثباته بأى حال من الأحوال – وسبق أن قلنا أنه لا يوجد قانون فى جمهورية مصر العربية يجيز لأى محكمة أن تفتش عن عقيدة أى مواطن وتشق عن صدره وتبحث عن نيته ..

إذن المطلوب إحالته على التحقيق لا هى وقائع ولا هى متعلقة مما يجوز إثباته قانوناً ، ومع أن الأساتذة المدعين بهذا الطلب قد تعدوا الحدود المرسومة لهم كأطراف فى الدعوى وحتى مع كونهم محامين فأن ذلك لا يجوز لهم تعدياً ، مثل أى متقاض آخر ..

والتعدى هنا يتمثل فى محاولة تفسير القانون وتطبيقه على الدعوى وهذا من شأن المحكمة وحدها لا من شأن الخصوم : « تفسير القانون وتطبيقه على واقعة الدعوى هو شأن المحكمة وحدها لا من شأن الخصوم » .. طعن مدنى رقم ٣٤٨ لسنة ٢٠ ق جلسة ٢٢ / ١٠ / ١٩٥٣ ص / ٣٢ من الجزء الأول من مجموعة القواعد القانونية التى قررتها محكمة النقض ١٩٣١ : ١٩٥٥ – المكتب الفنى بمحكمة النقض الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ ..

إن الأساتذة المدعين يبغون من وراء طلب الإحالة إلى التحقيق إحضار شاهدين ليقولا رأيهما فى أبحاث د / نصر (المدعى عليه الأول) وهذا العمل مع افتراض حسن النية لا يعتبر شهادة بأى حال من الأحوال ، ولكنه على أحسن الفروض يعتبر فتوى ولا يعرف القانون المصرى الاستعانة بفتاوى من قبل القضاء المصرى الذى هو بالنص القانونى وما استقر عليه القضاء فى مصر ، القاضى هو المفتى الأعلى فى الدعوى وليس فى حاجة إلى فتوى من أى شخص مهماكان ، وحتى لا يمارى الأساتذة المدعون فى الفرق بين الشهادة والفتوى فإننا نحيلها على سبيل المثال السريع فى الفرق بين الفتوى والشهادة إلى الأمام القرافى وهو من الفقهاء الكبار الذين بينوا الفرق بينهما وبصورة باهرة .. « الشهادة إخبار عن أمر خاص معين على جهة الحقيقة وتنقضى بانقضاء زمانها مثل الشهادة على رؤية هلال رمضان أو أن لزيد ديناراً على عمرو » .. وإذا انها (الشهادة) خبر فيجوز عليها ما يجوز عليه من الغلط والسهو والنسيان – بل والكذب المتعمد وغير المتعمد – ومن هنا جاء اشتراط العدالة فى الشاهد .. (الفروق للإمام شهاب الدين أحمد ابن إدريس القرافى) المجلد الأول – دار المعرفة للطباعة بيروت – دون تاريخ نشر) ..

أما المفتى « فهو الذى يجب عليه اتباع الأدلة بعد استقرائها ويخبر الخلائق بما ظهر له منها من غير زيادة ولا نقص إن كان المفتى مجتهداً ، فإن كان مقلداً كما فى زماننا فهو نائب عن المجتهد فى نقل ما يمضيه إمامه لمن يستفتيه) .. « الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن إدريس القرافى فى – الإحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضى والإمام – تعليق الشيخ محمود عرنوس وتصحيح عزت العطار – الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ – مكتب نشر الثقافة الإسلامية بمصر » ..

والأساتذة المدعون يطلبون فتوى لا شهادة ، والقانون فى مصر لا يعرف الأستعانة بالمفتين فى أى دعوى لأن المحكمة هى المفتى الأول والخبير الأعلى فى أية قضية كما أننا نلاحظ أن الشريعة والقانون متفقان على أن الشهادة موضوعها (خبر بتعريف الفقهاء وواقعة بتعريف القانون) ولا يكون موضوعها ابداء رأى ولا فكر ولا تأويل إنها إذا جاءت كذلك انقلبت إلى فتوى .. والسيد الشريف المعروف بـ (الجرجانى) يعرف الشهادة بأنها : « هى فى الشريعة إخبار عن عيان بلفظ الشهادة فى مجلس القاضى بحق للغير على الأخر » كتاب « التعريفات » ..

ويهمنا من هذا التعريف قول الجرجانى عن إخبار عيان .. بحق للغير على الآخر ، فهل ما يريد المدعون إثباته ينطبق عليه الشروط وهل خروج د . نصر عن أحكام الإسلام (هذا تعبيرهم هو عيان وحق للغير على الآخر) .. إن الأساتذة المدعين رفعوا هذه الدعوى على حد قولهم حسبة لله فهل يجوز لهم

مخالفة شريعته ومناقضة ما ذهب إليه أئمة الهدى ومصابيح الأنام والفقهاء الأعلام ؟

ألا يلقـى هـذا بظلال كثيفة على (إسـلاميـة) هـذه الدعـوى ويكشـف عـن كـيديتها ؟!

ومن البديهى أن محكمة الموضوع ليست ملزمة بإجابة الخصم إلى طلب التحقيق إذا استبان لها أن أجابة هذا الطلب غير منتجة بأن يكون لديها من الاعتبارات ما يكفى للفصل فى الدعوى ..

انظر على سبيل المثال محكمة النقض فى الأحكام الآتى بيانها : « الطعن رقم ٦ لسنة ٢٣ ق جلسة ٢٥ / ١٠ / ١٩٥٦ ـ والطعن رقم ٢٥ لسنة ٣٢ ق جلسة ٢٠ / ١٢ / ١٩٥٦ ..

وكلها منشورة ص / ٢٠ فى الجزء الثالث من مجموعة القواعد القانونية التى قررتها محكمة النقض الدائرة المدنية من ٥٦ إلى ١٩٦٠ ـ المكتب الفنى لمحكمة النقض – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ ..

من الواضح أن الأساتذة المدعين رافعى الدعوى يدركون جيداً أنهم قلبوا الصورة فكان يتعين عليهم الحصول على دليل رسمى بردة المدعى عليه الأول والعياذ بالله ثم يدفعون دعوى التفريق هذه . ولما كانت هناك هوة تفصل بين طلبهم في الدعوى ودليل الثبوت المطلوب فأنهم تخيروا إلى طلب الإحالة إلى التحقيق وهو طلب غير جائز قانونا كما أوضحنا ..

ثانياً : – دوائر الأحوال الشخصية (وهى المحاكم الشرعية سابقاً) تطبق قانون المرافعات فيما يتعلق بالإجراءات :

فى المذكرة الأولى المقدمة بجلسة ٢٥ / ١١ / ١٩٩٣ دفعنا بعدم انعقاد الخصومة لعدم الإعلان الصحيح فى المدة القانونية وإستندنا فى هذا الدفع إلى ما جاء بقانون المرافعات . ونتوقع أن يمارى الأساتذة المدعون فى جواز تطبيق قانون المرافعات على قضية منظورة أمام دائرة الأحوال الشخصية ونحيلهم فى ذلك إلى نص المادة الخامسة من ق / ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ والتى تنص صراحة على تتبع أحكام قانون المرافعات فى الإجراءات المتعلقة بمسائل الأحوال والوقف وقد ألغيت من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية المواد الخاصة فى الإجراءات وهى الفصل الرابع فى رفع الدعوى قبل الجواب عنها المواد ١٠٠ إلى ١٠٤ وقد ألغيت بالقانون المذكور ..

وقد جاء بالمذكرة الإيضاحية للقانون سالف الذكر ما يلى : وقد نص المشروع على اتباع قانون المرافعات فيما يتعلق بالإجراءات التى تتبع فى قضايا الأحوال الشخصية عدا الأحوال التى وردت بشأنها نصوص خاصة فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية . وهذه الأحوال التى ظلت دون تعديل هى الخاصة بالطعن فى الأحكام واعتبار الاستئناف كأن لم يكن فى حالة تخلف المستأنف عن الحضور . هذه هى الأحوال التى ما زالت قائمة ، أما الأحوال الأخرى فيطبق عليها قانون المرافعات . وهذا ما استقرت عليه أحكام محكمة النقض نذكر على سبيل المثال الطعن رقم ١١ لسنة ٢٦ ق أحوال جلسة ٢٨ / ٢/ ١٩٥٧ : « تطبيق أحكام قانون المرافعات فى الإجراءات المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية والوقف التى كانت من اختصاص المحاكم الشرعية وذلك إنما يكون فيما عدا ما ورد فى شأنه قواعد خاصة فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو القوانين المكملة لها أو فيما يستجد من اجراءات بعد إحالة الدعاوى الشرعية إلى المحاكم الابتدائية [ص/٦٥ من الجزء الثالث من مجموعة القواعد القانونية وهى مرجع سبق الإشارة إليه] ..

إن ما جاء بالمادة / ٢٨٠ من اللائحة ، طبقاً للمدون باللائحة ولأرجح الأقوال من مذهب الإمام الأعظم ، أبى حنيفة النعمان ، فهو يتعلق بالموضوع وليس بالإجراءات ..

ومن البديهى أن نذكر أن هذا النص يحتمى بالأحكام الموضوعية الإجرائية وهكذا يبين لعدالة الهيئة الموقرة أن استنادنا إلى قانون المرافعات فى الدفع الأول من مذكرتنا السابقة إنما يقوم على سند من القانون ..

ثالثاً : – الدفع بعدم قبول الدعوى لمخالفتها للشريعة القانونية والقانون :

أقام الأساتذة المدعون هذه الدعوى يطلبون فيها التفريق بين المدعى عليهما كزوج وزوجة وذلك عن

طريق الحسبة بمقولة إنها دفاع عن حق من حقوق الله تعالى وهى الحقوق التى يعود نفعها على الناس كافة لا على أشخاص بأعينهم ..

ودعوى الحسبة كماجاءت فى الفقه الإسلامى عامة وفى الفقه الحنفى خاصة تعين بداية أن يكون منطلقها الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً وهى فى اصطلاح الفقهاء أمر بمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن منكر إذا ظهر فعله .. ويكون حق الله تعالى فيها غالباً وهو من فروض الكفاية وتصدر عن ولاية شرعية أصلية أو مستمدة أضافها الشارع على كل من أوجبها عليه ولا يطلب فيها الطالب حقاً لنفسه لأنها مشتقة من الاحتساب وهو الأجر والثواب عند الله .. هذه هى أركان دعوى الحسبة كما وردت بالفقه الإسلامى عامة وبالفقه الحنفى خاصة واستناداً إلى أنها حق من حقوق الله تعالى لا يعنى أنها تجور على حق من حقوق العباد لأنه لا يتوصل إلى الحق بالباطل ..

والله تعالى غنى عن العباد ومن ثم فإن الدفاع عن حقه لا يأتى على حساب ظلم عبد من عباده . ونسبة الردة إلى مسلم هى نهاية الظلم وقد حذر الرسول ﷺ من أن يدعو مسلم أخاه بذلك والأحاديث فى ذلك متواترة ومشهورة . وكما ذهب إليه فقهاء الحنفية أن الإسلام الثابت لا يزول بمجرد الاحتمالات وأن الكفر يتعلق بالضمير ولا يصح شرعاً الاستخفاف بإيمان المسلمين ودينهم وإنه لا يحق اعتبار مسلم مرتداً إلا بقول صريح لا لبس فيه ولا يحتمل تأويلاً أو شكاً أو تفسيراً أو بارتكاب عمل لا يمكن الدفاع عنه مثل رمى المصحف عمداً فى مكان نجس أو أن يدوسه بالأقدام أو أن يمزق صحائفه أو يبصق عليها عامداً متعمداً (نعوذ بالله تعالى من ذلك جميعه) وهو ما عبر عنه البزازية (إلا إذا صرح بإرادة موجب الكفر) وفى الفتاوى الصغرى : [الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت رواية أنه لا يكفر] ..

إن استقطاع بعض عبارات من أبحاث أكاديمية جامعية والقول بأنها تحمل كفراً هو أجلى صور الظلم والافتئات على المسلمين وهو مخالف لنصوص الشريعة الإسلامية وروحها معاً ، وقد حذر السلف الصالح من السير فى هذا الطريق ومن المسارعة فى تكفير أهل الملة واتباع محمد ﷺ ..

وما أورده الأساتذة المدعون من آراء لبعضهم فى كتابات الدكتور نصر حامد أبو زيد لا تخرج عن كونها آراء أشخاص الله أعلم بنياتهم وهم ليسوا بمعصومين والإسلام لا يعرف الكهنوت الذى يعطى صكوك الحرمان من الإيمان كما فى بعض الأديان الأخرى وأئمة الأعلام وفقهاؤها العظام كانوا يتحرجون من إلصاق تهمة الكفر بأى مسلم ..

إذن دعوى الحسبة إذا كان منطلقها الدفاع عن حق من حقوق الله تعالى فإنها يجب ألا تؤدى إلى ظلم صارخ لواحد من عباده . (ومن هنا ينشأ عدم الجواز الشرعى) ..

أما عدم القبول القانونى فإن محكمة النقض قد استقرت أحكامها على أن : (الاعتقاد الدينى مسألة نفسانية فلا يمكن لأى جهة قضائية البحث فيها الا عن طريق المظاهر الخارجية فقط .. ولا ينبغى للقضاء جهته من أن ينظر إلا فى توافر تلك المظاهر الخارجية الرسمية) طعن نقض أحوال شخصية ١٠٥ لسنة ٥ ق جلسة ٣ / ١٢ / ١٩٣٦ – ص ١١٨ من الجزء الأول من مجموعة القواعد القانونية – مرجع سابق ..

والأساتذة المدعون ايديهم خالية تماماً من الأدلة الرسمية على ما ينسبونه ظلماً وعدواناً إلى د / نصر ومن ثم فأنه يستحيل على عدالة المحكمة أن تنظر فى الاعتقاد الدينى للمدعى عليه لأن الأساتذة المدعين لم يقدموا له الأدلة أو مظاهر رسمية .. وهكذا فإن عدم قبول الدعوى بحالتها الراهنة يرتكز على عمادين : الأول من الشريعة الإسلامية الغراء ، والآخر من القانون ..

بناء عليه

ومع حفظ الحق كاملا فى الدفاع الموضوعى وفى كافة الحقوق الأخرى بأنواعها يلتمس المدعى عليهما من عدالة المحكمة الموقرة : صدور الحكم بقبول الدفوع المقدمة فى المذكرة الأولى جلسة ٢٥ / ١١ / ١٩٩٣ وهذه المذكرة والحكم بموجبها .. مع إلزام الأساتذة رافعى الدعوى المصروفات والأتعاب

التعليق:

واستـمـر دفــاع د. نصــر (الضـعـيف) على هـذا النحـو حـتـى أنـه أفـرد مـذكـرات .. ضـمـت أوراقا كـثيرة أشفق على ثمـنها وثمـن المداد وقيمـة الوقت المهـدر فيـها – حيث كـانـت تـدور حـول مـحـاولة الحـيلولة بـين المدعين بالـردة وحضـور الجلسات – أي أن الدفـاع عنه انحصـر في طلبـات أهمها ، بطـلان الإعـلان – بطـلان الدعـوى لرفـعـهـا من غـيـر صـفـة – بطـلان عـرض الكتب على الأزهـر – بطلان حضـور المـدعين الجلسـات – والـدفـاع الموضـوعي الهـازل كـان ادعــاء أن القـصـد مـن كلـمـتـي ، النص ، و ، الخطاب ، مـقـصـود بـها كلـمـات الإمـام الشـافعـي وليس القـرآن – وكـثيـر مما يمكن أن نسـمـيـه ، غناء وتلحين ، وتبـاكي على حـرية القلم وحـرية الفكر.. وكـثـيـر من كلمـات رنانة جـوفـاء في مـدح د. نصـر .. وعـالميـتـه .. ولا كلـمـات موضـوعـيـة في الموضـوع .. ولا دفـاع جـوهـري عن أصـل المـسـألـة المتـهم فيـها ، وهكـذا سـار سلـوك الدفـاع فـضـلا عـن ذلك ادعـاء عــدم اخـتـصــاص المحـاكـم بنظر الدعـوى .. وطلب رفض الدعـوى بادعاء عـدم وجـود أسـاس لدعـوى الحـسبة في القانون أو طلب رفض الدعوى لعدم أساس ، للردة ، في القانون .. وأن ، الإيمان ، ينص الدستور على الحرية فيه .. وإن كان الدفاع في كـل المـذكرات التي قـدمت .. لم تخـرج عن تلك الطلبـات في الـغـالب الأعـم – إلا أنهـا – وللحق – لم تخـل من كـثـيـر من العبارات الإنشائية الجميلة .. !! لكنها .. وجميعها – تشكل ظاهرة الهروب من التصدي الموضوعي ..

ونسوا – جميعاً – أنهم وحتى بفرض نجاحهم برفض الدعوى لعيب شكلي اجرائي .. كما نجحوا في ذلك قبلاً أمام محكمة أول درجة فهذا النجاح – إن كانوا حققوه – لا يبرىء موكلهم من ، الردة ، في نظر جمهور الإسلاميين المتشددين ، وإن كان يوصلهم لعدم قبول الدعوى شكلا .. كما حكمت بذلك قبلاً محكمة أول درجة والذي كان نصه ما يلي :–

المـــحكمـــة

بعد سماع المرافعة ومطالعة الأوراق ورأى النيابة والمداولة:

حيث تخلص واقعات الدعـوى فى أن المدعين عقدوا خصومتها بموجب صحيفة موقعـة من أولهم وهـو محـام أودعت قلم كتاب هذه المحكمة بتاريخ ١٧/ ٥ / ١٩٩٣ وأعلنت إدارياً للمدعى عليهـما فى ١٩٩٣/٥/٢٥ ، طلبوا فى ختامها سماع المدعى عليهما الحكم بالتفريق بينهما وإلزام المدعى عليه الأول بالمصروفات بحكم مشمول بعاجل النفـاذ ..

وذلك على سند مما حاصله أن المدعى عليه الأول ولد فى أسرة مسلمة ويشغل وظيفة استاذ مساعد الدراسات الإسلامية والبلاغة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة القاهرة ومتزوج من المدعى عليها الثانية وأنه قام بنشر عدة كتب وأبحاث ومقالات تضمنت طبقاً لما رآه علماء عدول كفراً يخرجه عن الإسلام . الأمر الذى يعتبر معه مرتداً ويحتم أن تطبق فى شأنه أحكام الردة ومن ذلك..

١ – ما نشره فى كتاب بعنوان « الإمام الشافعى وتأسيس الأيدلوجية الوسطية » وقد أعد الدكتور عميد كلية دار العلوم تقريراً عن هذا الكتاب وذكر فى مستهله أنه يمكن تلخيص محتواه فى أمرين : الأول : العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة والدعوة إلى رفضها وتجاهل ما أتت به ، والثانى : الجهالات المتراكبة بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى ..

٢ – أن المدعى عليه الأول طبع كتاباً عنوانه « مفهوم النص – دراسة فى علوم القرآن » ويقوم بتدريسه للفرقة الثانية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب وأن هذا الكتاب قد انطوى على كثير مما رآه العلماء كفراً يخرج صاحبه عن الإسلام وفقا للتقرير الذى أعده أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية دار العلوم فى بحثه عن هذا الكتاب على النحو الموضح بصحيفة الدعوى ..

٣ – من واقع كتب وأبحاث المدعى عليه وصفه كثر من الدارسين والكتاب بالكفر الصريح، ومنها ما ورد بصحيفة الأهرام والأخبار والشعب وجريدة الحقيقة فى الأعداد المبينة بصحيفة الدعوى..

٤ – وأن المدعى عليه قد ارتد عن الإسلام وأن من آثار الردة المجمع عليها فقهاً وقضاء الفرقة بين الزوجين . ومن أحكامها أنه ليس لمرتد أن يتزوج أصلاً لا بمسلم ولا بغير مسلم إذ إن الردة فى معنى الموت ومنزلته . وأن المدعى عليه وقد ارتد عن الإسلام فإن زواجه من المدعى عليها الثانية يكون قد انفسخ بمرد هذه الردة ، ويتعين التفريق بينهما فى أسرع وقت . وقدموا سنداً لدعواهم عشر حوافظ مستندات : طويت الأولى على كتاب « الإمام الشافعى وتأسيس الإيدلوجية الوسطية » – وطويت الثانية على العدد (١٢٥) من مجلة « القاهرة » أبريل سنة ١٩٩٣ . وطويت الثالثة على صورة ضوئية خطية لتقرير عن الكتاب المودع بالحافظة الأولى منسوب للدكتور محمد بلتاجى حسن عميد كلية دار العلوم . وطويت الحافظة الرابعة على كتاب « مفهوم النص » تأليف المدعى عليه والمشار إليه سلفاً . وطويت الخامسة على : كتب بعنوان : «نقض مطاعن نصر أبو زيد » للدكتور إسماعيل سالم الأستاذ المساعد للفقه المقارن بكلية دار العلوم وطويت السادسة على نسخة من كتاب « نقد الخطاب الدينى » تأليف المدعى عليه . وطويت السابعة على مجموعة من أعداد بعض الصحف اليومية المختلفة وتضمنت الحافظة الثامنة تقريراً للدكتور إسماعيل سالم عبد العال بكلية دار العلوم بشأن كتب المدعى عليه ، ومذكرة مشابهة لأستاذين بكلية الدراسات الإسلامية ، تقرير للدكتور مصطفى الشكعة بشأن كتاب « مفهوم النص » تأليف المدعى عليه ، تقرير آخر من بعض الأساتذة . وانطوت الحافظة التاسعة على : صورة ضوئية من بحث للمدعى عليه . وطويت الحافظة الأخيرة على :

١ – صـــورة ضوئيـة مـــن حكم المحكمـة الدستوريـة فـى الدعـوى رقم ٧ لسـنة ٢ ق عليا دستوريـة بجلسـة أول مـارس سنـة ١٩٧٥ .. ٢ – صورة ضوئية من حكم النقض فى الطعن رقم ٢٠ لسنة ٣٤ ق بجلسة ٣٠/ ٣ / ٦٦ .. ٣ – صورة ضوئية من حكم محكمة نقض بجلسة ٢٩ / ٥ / ١٩٦٨ فى الطعـن رقـم٢٥ لسنـة ٣٧ ق ..

وبجلسـة ١٠ / ٦/ ١٩٩٣ حضـر المدعـى الأول عن نفـسه وبصـفته وكـيلا عـن كـل مـن المدعـيين الثالث والرابع بتوكيل وعـن السـابع بتوكـيل خـاص مودع . كما حضر المدعيان الثاني والسادس ، وقدم المدعى الحوافظ الخمس الأولى متقدمة البيان وطلب إدخـال الأزهـر ومنحتـه المحكمة بهيئة سابقة ومغايـرة أجلا لذلك لجلسـة ٤ /١١ / ١٩٩٣ وبتلك الجلسـة حـضـر هيـئـة دفـاع مـــن المدعـين وآخـرون مـعـهم وعنهـم كما حضـر عـن المـدعى عليهما هيئـة دفـاع ، وحضر نائـب الـدولـة عـن الخـصم المـدخل (الأزهر) وطلـب المدعى الأول إحالة الدعوى للتحقيق لإثبات خروج المدعـى عليه الأول عـن أحكـام الإسـلام ، وطلـب دفـاع المـدعى عليهما والخصـم المدخـل أجـلا للاطـلاع ومنحـتهم المحكمة أجلا لجلسة ١٩٩٣/١١/٢٥ ..

وبتلك الجلسة حضر المدعى الأول عن نفسه وبصفته وكيلاً عن باقي المدعين ، وطلب إحالة الدعوى للتحقيق . كما حضر دفاع المدعى عليهما ، ودفع بعدم انعقاد الخصومة لعدم إعلانها في المدة القانونية كما دفع بعدم اختصاص المحكمة ولائياً بنظر الدعوى لأن المحكمة لا تختص ولائياً بالحكم على صحة إسلام مواطن وردته ، كما دفع بعدم جواز إدخال الأزهر ، وقدم مذكرة بدفاعه سلم صورتها للخصم ، وقدم حافظة مستندات طويت على قرار وزير الداخلية بإنشاء قسم شرطة ٦ أكتوبر وبتلك الجلسة حضر محام عن نفسه وبصفته وكيلا عن نقيب وأعضاء نقابة المحامين عن المدعى عليهما كما حضر كل من دكتورة ليلى مصطفى سويف ، دكتور أحمد حسين الأهواني الأستاذان بكلية علوم القاهرة ،منضمين للمدعى عليهما بطلب رفض الدعوى، كما حضر عبد الله خليل المحامي عن نفسه وبصفته عن المنظمة الدولية لحقوق الإنسان خصماً منضماً للمدعى عليهما في طلب رفض الدعوى ، وطلب المدعى الأول أجلا للاطلاع والرد على الدفوع فمنحته المحكمة لجلسة ١٦ / ١٢ / ١٩٩٣ ..

وبجلسة ١٦ / ١٢ / ١٩٩٣ ، وهي جلسة المرافعة الختامية، حضرت هيئة من المدعين وعنهم على النحو الموضح بمحضر تلك الجلسة ، كما حضر عن المدعى عليهما هيئة الـدفـاع المبينة بذات محضر وقدم المدعى الأول عن نفسه وبصفته مذكرة بدفاعه من ثلاث صور لهيئة المحكمة تناول فيها شرح ظروف الدعوى والرد على الدفوع المبداة بجلسة ٢٥ / ١١ / ١٩٩٣ ، كما قدم رشاد سلام المحامي مذكرة بدفاعه للمحكمة وسلم صورتها للنيابة العامة في شخص ممثلها بالجلسة ودفع ببطلان حضور المدعين بالجلسة ، ومنذ بدء تناولها لانتهاء دورهم برفع الدعوى ، حيث لا يعتبرهم القانون خصوما فيها ، حيث أن النيابة العمومية هي خصم المدعى عليهما في دعوى الحسبة كما دفع تأسيساً على ذلك ببطلان إجراءات إدخال الأزهر في الدعوى لصدور تلك الإجراءات ممن لا يملك الحق فيها ، وطلب الحكم برفض هذا الإدخال كما دفع ببطلان كافة طلبات ودفاع ودفوع المدعين حيث لا صفة لهم في الدعوى وانضم له باقي هيئة دفاع المدعى عليهم في طلب رفض الدعوى وطلبوا حجز الدعوى للحكم . وطلبت هيئة دفاع المدعين بضرورة إلزام الأزهر بتقديم المستندات التي تحت يده باعتبار أن شيخ الأزهر منوط به للمحافظة على الدعوة الإسلامية، وأن المستندات المطلوبة تتعلق بالنزاع وهي مصادرة كتب المدعى عليه، ودفع ببطلان تدخل المتدخلين انضمامياً لانتفاء المصلحة بالنسبة لهم . كما قدم دفاع المدعى عليهما عدة مذكرات ، تناولت جميعها شرح ظروف الدعوى ، وتنتهي بطلب رفض الدعوى لافتقارها إلى سندها من القانون ، وقدمت الحاضرة عن المدعى عليها الثانية مذكرة بدفاعها شرحت فيها ظروف الدعوى وانتهت فيها أيضا إلى رفض الدعوى وقدم دفاع المدعى عليهما ثلاث حوافظ مستندات طويت الأولى منها على :

١ – صورة ضوئية لخطاب موجه لعميد كلية الآداب جامعة القاهرة بشأن اجتماع مجلس اللغة العربية ومرفق به تقرير لهذا القسم..

٢ – صورة ضوئية من تقرير لجنة مشكلة من مجلس كلية الآداب بشأن ترقية المدعى عليه وكذا تقارير وملاحظات بشأن أيضاً ..

وطويت الحافظة الثانية على :

١ – صـورة ضوئيـة مـن الفـتوى رقـم ٨٠ إدارة الفـتوى والتشريـع لـوزارة الخارجيـة والعدل مؤرخة ٤ / ٤ / ١٩٦٠ ..

٢ – صورة ضوئية من حكم الطعن رقم ٢٠ لسنة ٣٤ ق أحوال شخصية جلسة ٣٠ / ٣ / ١٩٦٦ ..

٣ – مجموعة صورة ضوئية لبيانات المنظمة المصرية لحقوق الإنسان وبتلك الجلسة فوضت النيابة العامة في شخص ممثلها بالجلسة الرأى للمحكمة التى قررت أن يصدر حكمها بجلسة اليوم ..

وحيث إنه عن الدفع المبدى من دفاع المدعى عليهما بعدم اختصاص المحكمة ولائياً بنظر الدعوى ، لأن المحكمة لا تختص ولائياً بالحكم عن صحة إسلام مواطن أو ردته ، فإنه لما كان من المقرر أن لمحكمة الموضوع السلطة التامة فى تكييف الدفع وإسباب التكييف الصحيح له دون التقيد بالعبارات التى أسبغها الخصوم ، وإذ كان ذلك وأثراً له ، فإن مبنى الدفع بعد اختصاص المحكمة ولائياً ليس اختصاص جهة قضائية أخرى بموضوع الدعوى وإنما هو امتناع المحكمة عن البحث فى عقائد الناس استناداً إلى ما يوجه إليه من إتهام فى عقائدهم من آخرين ، بما يكون معه حقيقة الدفع أنه بعدم قبول الدعوى ، وليس دفعاً بعدم اختصاص المحكمة ولائياً بنظرها ، وإذا كانت حقيقة الدفع بأنه كذلك فإن المحكمة ستتناول تالياً لتناولها الدفع المتعلق بانعقاد الخصومة أمامها ..

وحيث أنه عن الدفع المبدى من دفاع المدعى عليهما بعدم انعقاد الخصومة لعدم الإعلام صحيحاً فى المدة القانونية ، فإنه لما كان نص المادة ٦٨ من قانون المرافعات المعدلة بالقانون ٢٣ لسنة ٩٢ فقرتها الثالثة قد نصت على «ولا تعتبر الخصومة منعقدة فى الدعوى إلا بإعلان صحيفتها إلى المدعى عليه ما لم يحضر كما تنعقد بإعلان صحيفتها للمدعى عليه تنعقد أيضاً بحضور المدعى عليه أمام المحكمة دون إعلان ومن باب أولى تكون الخصومة قد انعقدت بحضوره بعد إعلان باطل (الطعن رقم ٤٩٤٦ لسنة ٦٢ قضائية جلسة ٦ / ١ / ٩٤ لم ينشر بعد) ..

وإذا كان ذلك، وكان المدعى عليهما قد حضرا أمام المحكمة بوكلاء عنهم فأياً ما كان بطلان الإعلان فحضورهما حقق الغاية منه ، ويكون الدفع فى هذا الشأن قد نزل منزلا غير صحيح من الواقع والقانون متعين الرفض ..

وحيث أنه عن الدفع المبدى من دفاع المدعى عليهما بعدم قبول الدعوى لرفعها من غير ذى صفة لعدم وجود مصلحة مباشرة للمدعين فى هذه الدعوى ، والوارد بمحضر جلسة المرافعة ومذكرات دفاع المدعى عليهما المقدمة بجلسة ١٦ / ١٢ / ١٩٩٣ ، حيث إن محكمة النقض قد ذهبت فى قضائها الصادر فى الطعن رقم ٢٠ لسنة ٣٤ ق ، أحوال شخصية ، بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٩٦٦ إلى أن الحق والدعوى به فى مسائل الأحوال الشخصية – التى كانت من اختصاص المحاكم الشرعية – تحكمه نصوص اللائحة الشرعية ، وأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة ، وما وردت بشأنه قواعد خاصة فى قوانينها هو أن الشريعة الإسلامية هى القانون العام الواجب التطبيق فى مسائل الأحوال الشخصية . وعملا بالمادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشريعة تصدر الأحكام فيها طبقاً لما هو مدون بهذه اللائحة ولأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة فيما عدا الأحوال التى وردت بشأنها قوانين خاصة المحاكم الشرعية ، ومنها قانون الوصية وقانون المواريث ، تضمنت قواعد مخالفة للراجح من هذه الأقوال ، فتصدر الأحكام فيها طبقاً لتلك القواعد ، مؤدى ذلك أنه ما لم تنص تلك القوانين على قواعد خاصة تعين الرجوع إلى أرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة ، أى أن هذا القضاء خلص إلى أن حكم المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية والذى جرى على أن تصدر الأحكام طبقاً للمدون فى هذه اللائحة ولأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة فيما عدا الأحوال التى نص فيها قانون المحاكم الشريعة على قواعد خاصة فيجب أن تصدر الأحكام طبقاً لتلك القواعد ، هذا يجعل من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية – وما تحيل فيها إلى أرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة – القانون العام فى مسائل الأحوال الشخصية دون ما تفرقه فى هذه المسائل بين قواعدها الموضوعية وقواعدها الإجرائية ، لئن كان ذلك هو ما ذهبت اليه محكمة النقض إلا أن هذا القضاء بما خلص إليه عل هذا النحو يتصادم مع أحكام القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ، ثم إنه يستجلب المغايرة بعد صدور قانون المرافعات المدنية والتجارية رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ وبعد صدور الدستور المصرى سنة ٧١ ..

بيان ذلك أن الأساس فى التفرقة بين القواعد الموضوعية والقواعد الإجرائية التى تحكم مسائل الأحوال الشخصية قد أرستها أحكام القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ، حيث نصت المادة الأولى منه على أن « تلغى المحاكم الشرعية والمحاكم الملية ابتداء من أول يناير سنة ١٩٥٦ وتحاول الدعاوى المنظورة أمامها لغاية ديسمبر ١٩٥٥ إلى المحاكم الوطنية لاستمرار النظر فيها وفقاً لأحكام قانون المرافعات وبدون رسوم جديدة .. الخ » ثم جاءت المادة الخامسة من ذلك القانون أقطع صراحة فى بيان قصد الشارع فى أن تخضع القواعد الإجرائية فى مسائل الأحوال الشخصية لقانون المرافعات ، حيث نصت على أن تتبع أحكام قانون المرافعات فى الإجراءات المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية أو الوقف - التى كانت من اختصاص المحاكم الشرعية أو المجالس الملية - عدا الأحوال التى وردت بشأنها قواعد خاصة فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو القوانين الأخرى المكملة لها ، بمامؤداه أن نص المادتين الأولى والخامسة من القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ قد أرسيتا قاعدتين أولاهما : هى فصل القواعد الموضوعية عن القواعد الإجرائية التى تحكم مسائل الأحوال الشخصية ، بحيث ينحصر نطاق حكم المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية فيما يحيل فيه إلى أرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة إلى القواعد التى تتصل بما يعرض من أمور تتعلق بتطبيق اللائحة ذاتها باعتبار أن الأصل فى هذه اللائحة أنها لائحة إجرائية، وثانية القاعدتين : أنه فى المسائل الإجرائية كون قانون المرافعات المدنية والتجارية هو القانون العام الذى تطبق أحكامه على كل مسألة إجرائية لم يرد بشأنها حكم خاص فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو فى أى قانون آخر ..

وحيث أنه متى كان قضاء النقض المشار إليه لم يبين على مناقشة نصوص وأحكام المادتين الأولى والخامسة من القانون ٤٦٢ أو بيان كيفية إعمالهما فى التطبيق فإن إغفاله لهما مع قيامهما واستمرار سريانهما، يوجب إنفاذ أحكامها والالتفات عن أى قضاء يخالفها ..

وحيث أنه فضلاً عما تقدم فإن النقض المشار إليه بات بعد صدور دستور سنة ٧١ منحسراً عن مواكبة البيئة التشريعية المصرية الجديدة فى قمة هرمها ، ذلك أن هذا القضاء إذ أطلق إعمال أرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة فيما يتجاوز حدود الإحالة التى تضمنتها المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ، وهى إحالة تقتصر على وجوب الأخذ بأرجح الأقوال فى هذا المذهب فما يعرض من أمور تتعلق بتطبيق هذه اللائحة الإجرائية ، فإنه يكون فى واقع الأمر قد أعمل موضوعياً أحد المذاهب التى تقوم عليها الشريعة الإسلامية إعمالا قضائياً دون أن يصدر بها قانون ، وإذ كان نص المادة الثانية من الدستور قد جرى على أن « الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية ومبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، وكان قضاء المحكمة الدستورية العليا قد استقر على أن الخطاب فى هذا موجه إلى المشرع ، وليس مؤداه إعمال مبادىء الشريعة الإسلامية مباشرة وقبل صدور تشريع بها إذ لو أراد المشرع الدستورى جعل مبادىء الشريعة الإسلامية من بين القواعد المدرجة فى الدستور على وجه التحديد ، أقصد أن يجرى إعمال تلك المبادىء بواسطة المحاكم التى تتولى تطبيق التشريعات دونما حاجة إلى إفراغها فى نصوص تشريعية محددة مستوفاه للإجراءات التى عليها الدستور لما أعوزه النص على ذلك صراحة (قضية رقم ٢٠ لسنة١ ق دستورية جلسة ٤ مايو ، سنة ١٩٨٥ ، والقضية رقم ٧٠ لسنة ٦ ق جلسة ٤ / ٤ / ١٩٨٧ ، ١٤١ لسنة ٤ ق جلسة ٤ / ٤ / ١٩٨٧) ، فإن ذلك القضاء يكون قد جاء فى إطار بنية تشريعية تغيرت جذرياً بنصوص دستورية حاكمة وقضاء دستورى قوته الإلزامية هى قوة القانون ..

وحيث أنه إذ صدر قانون المرافعات المدنية والتجارية رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ ، ونص فى المادة الأولى من مواد إصداره على إلغاء قانون المرافعات السابق رقم ٧٧ لسنة ٤٩ وعلى إلغاء كل حكم يخالف ما جاء فيه من أحكام ، فإنه بذلك لم يعد من سبيل لصحة أية مسألة إجرائية إلا أن يكون لها سند فى هذا القانون أو فى أى قانون خاص آخر إذ كان ذلك وكان نص الماة الثالثة من هذا القانون قد جرى على أن « لا يقبل أى طلب أو دفع لا يكون لصاحبه فيه مصلحة قائمة يقرها القانون .... » والمصلحة القائمة التى يقرها القانون القانونى فى هذا الصدد هى مصلحة حماية حق من أبدى الطلب أو الدفع أو حماية مركزه القانونى الموضوعى ،

ويجب أن تكون هذه المصلحة مصلحة مباشرة ، لأن المصلحة المباشرة هى مناط الدعوى بحيث لو تخلت كانت الدعوى غير مقبولة (يراجع الدكتور فتح والى – الوسيط فى قانون القضاء المدنى – طبعة سنة ٩٣ ص ٩٥ وما بعدها الطعن نفسه رقم ١٥ لسنة ٣٦ ق ، أحوال شخصية ، جلسة ٢٧ / ١١ / ١٩٦٨ ، طعن رقم ٩٠ لسنة ١٦ ق جلسة ١١ / ١٢ / ١٩٤٧ ، طعن ٣٤١ لسنة ٣٧ ق جلسة ١٦ / ٥ / ١٩٧٣ ، طعن رقم ١٢٦ لسنة ٣٥ ق جلسة ٢٠ / ١٢ / ١٩٧٢ ، طعن رقم ٨٠ لسنة ٤٠ ق جلسة ٣ / ١٢ / ١٩٧٥) . إذ كان ذلك وكانت الدعوى الماثلة بكل ما اشتملت عليه من طلبات رفعت بحسبانها دعوى حسبة تستند إلى أحكام الشريعة الإسلامية ، لم يدع رافعوها أن لهم فى رفعها مصلحة مباشرة وقائمة يقرها القانون ، ولم تكن أحكام لائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو أى قانون آخر قد أوردت أحكاماً تنظم شروط قبول هذه الدعوى وأوضاعها ، بما يكون الأمر فى شأنها خاضعاً لقانون المرافعات المدنية والتجارية الذى لم ينظم بدوره أوضاع هذه الدعوى فى أحكامه ، وأتت هذه الأحكام على النحو المشار إليه نافيه لقبولها مؤدية إلى القضاء بذلك ، فإن الدفع بعدم قبولها يكون قد جاء على سند صحيح من القانون بما يتعين القضاء بإجابة المدعى عليهما إليه ..

وعن المصروفات شاملة مقابل أتعاب المحاماه فقد صارت لزاماً على رافعى الدعوى بحسبانهم خسروا غرم التداعى وذلك عملاً بالمادتى ١٨٤ / ١ من قانون المرافعات والمادة ١٨٧ من القانون رقم١٧ لسنة ١٩٨٣ فى شأن المحاماه ..

فلهذه الأسباب

حكمت محكمة / بعدم قبول الدعوى وإلزام رافعيها بالمصاريف ومبلغ عشرة جنيهات مقابل أتعاب المحاماه ..

أمين السر **رئيس المحكمة**

التعليق :

إنبرى الكتاب بعد صدور الحكم فى تعليق صاخب وزاعق .. بين مؤيد ومعارض وقام د. محمد صميده وصحبه باستئناف ذلك الحكم بعريضة استئناف قدمت لمحكمة إستئناف القاهرة فى الميعاد القانونى .. وأعلنت للدكتور نصر وزوجته بغية رفض حكم محكمة أول درجة والحكم بتفريق الزوجين فى دعوى الحسبة الأصلية ..

** وأخذت الكتابات تترى فى الاستئناف – وقامت شخصيات إسلامية تدافع عن الدكتور نصر حامد أبو زيد أمثال أحمد سيف الإسلام – إلا أنه دافع عن الجانب الشكلى دون الموضوعى والمعنى واضح من عدم مساسه الموضوع بالدفاع أو التفنيد والإيضاح .. ولعل رسالته وصلت بذلك إلى مرسليها ..؟!!

وكان حكم الاستئناف صدمة حقيقية – لكنه كان – فى رأينا ، مؤلف هذا الكتاب ، – نتاج ضعف الدفاع – وكان الأمل فى الرد الموضوعى يقع على عاتق أحمد سيف الإسلام باعتباره – عن باقى الدفاع – فقيها دينياً فضلا عن كونه محام ولكن كان اقتصاره على الدفوع الشكلية يؤكد – كما أسلفنا – وقوع موكله فى جب الردة السحيق والمظلم بينما كان الطرف الآخر (المدعين فى دعوى الحسبة) من القوة والتمكن والاداء بمكان ، فكانت كل دفوعهم موضوعية .. وفى أمر يمس العقيدة .. والعقيدة تهم الناس جميعا .. كما أن الناس جل اهتمامهم بالدفوع الموضوعية .. وخاصة فى مثل هذه القضايا .. التى ليست كالقضايا الأخرى .. التى قد تبرىء (السارق) أو (تاجر المخدرات) لاسباب شكلية تتعلق بالإجراءات (كعدم تصريح النيابة بالتفتيش أو أسبقية التفتيش الفعلى عن تاريخ تصريح النيابة به أو بساعته أو عدم قانونية الضبط أو خطأ الاجراءات أو عدم مطابقة وزن الحرز ، المخدر المضبوط ، بوزنه المثبت فى الأوراق كل ذلك وغيره كثير قد يبرىء المتهم من العقوبة لكنه لا يبرئه فى نظر الناس ، فيظل الواقع الحقيقى بين الناس (أن المتهم مدان) والعقيدة فى مصر تسقط الإعتبار للمرتد عنها بدرجة أكبر من سقوطها (لتاجر الحشيش) مثلاً .. وكان على هيئة الدفاع التى تشكلت عن د. نصر أن تتدارك وتعى هذا الأمر جيداً .. ونسوق مثالاً للمجتمع

المصرى فى (الاعتبار وسقوطه ودرجته) .. فهب أنك تملك جهاز WALKY TALKY وهو الجهاز الشبيه بجهاز اللاسلكى الذى يحمله أمناء الشرطة .. أو أى معدة كهربائية كالتليفزيون مثلاً وهب أن هذا الجهاز تعطل واستقدمت لإصلاحه (فنى لاسلكى) أصلحه لك .. وتقاضى أجره .. ثم إكتشفت بعد انصرافه وسؤالك عن إصلاح أجهزة شبيهة بأنه بالغ فى الأجر لثلاث أضعاف الأجر المعقول .. فأنت تعرف من ذلك أنه (مغالى) أو حتى (لص) .. ولكنك قد تستقدمه مرة أخرى فى ظرف مشابه إن عز العثور على بديل .. ولكنك لو كنت إكتشفت بعد إنصرافه أن ابنتك أو زوجتك أو أحدى حرائر بيتك .. شكت لك منه بمعنى أنه حاول معها فى غيابك .. فإن ذلك يسقط إعتباره بدرجة أشد وأقصى بل قد يؤدى ذلك إلى الإعتداء عليه وليس طرده فحسب ويستحيل أن تستقدمه مرة أخرى .. فالأمور التى تسقط الإعتبار فى مصر انتهاك الشرف والدين ثم السرقة ثم الكذب .. بترتيب الأهم .. فالمهم .. فالهام ..

تلك هى (أيديولوجية) تكوين الشعب المصرى .. وذلك يغاير تماماً (أيديولوجية) الشعب الأمريكى أو الأوربى عموما فالشرف والدين فى مصر على قمة قائمة الإعتبار فى حين أن (الكذب) على قمة قائمة الإعتبار هناك – فالأوربى يمقت الكذب .. فى حين أنه قد يتهاون فى الدين . وربما سألت أحدهم عن دينه فيجيبك ببساطة (أنه لا دين له) فغالبية منهم يؤمنون بالدين الطبيعى (الأخلاق) وللأسف لم يهتم دفاع د .نصر أبو زيد بعادات وتقاليد الشعب المصرى وحتى الإسلامى أحمد سيف الإسلام تعرض للدفاع فى الجانب الشكلى دون الموضوعى – لذلك جاء حكم محكمة الإستئناف مطابقا للمتوقع من فشل ذريع فى دفاع د / نصر واعتوره عوار فكر الدفاع الذى جاء خالياً من أى جهد فقهى يذكر ، وأن كان به لجاجة من بلاغة انشائية .. غير مطلوبه .. حتى أن أحدهم ذكر أنه كتب مذكرة فى ست عشر صفحة .. (ليس بعدد الأوراق يا ولدى يبرىء المتهمون ولكن بما تحتويه هذه الأوراق من دفاع جاد وموضوعى) .. وكم كان يسيراً لو إصطحبه أحدهم لقاعة المحكمة يعلن أمامها إسلامه وينطق عندها بالشهادتين ويقول : (أن كل ماكتبته الغرض منه الترقى لدرجة استاذ وليس إيمانا منى بكل ما كتبته) ويعلن إيمانه بالوحى وعذاب القبر والجنة والنار والثواب والعقاب والجن والشياطين .. وكل الغيبيات ويقينا لو فعل ذلك لكان الحكم نهج نهجاً مغايراً لما حكم به .. أما أن يصطحب (الدفاع) بعض السوقة والرعاع فى محاولة للتظاهر حول قاعة المحكمة .. فتلك هى قمة المأساة وعمل لا أخلاقى فضلا عن كونه جريمة يعاقب عليها القانون .. ولما كان ذلك وبصرف النظر أن كان ذلك بفعل ضحالة الدفاع أو تصميم د . نصر على عدم الذهاب للمحكمة .. فقد كان على المحكمة أيضاً أن تستقدمه .. لتناقشه فى هل ما كتبه يؤمن به أم أنه من أجل الترقى كبحث أكاديمى قح ، ولكنها هى الأخرى لم تفعل وجاء حكمها على النحو التالى ..

حكم محكمة

إستئناف القاهرة

باسم الشعب

محكمة إستئناف القاهرة

بالجلسة المنعقدة علنا بسراى محكمة إستئناف القاهرة بدار القضاء العالى بشارع ٢٦ يوليو بالقاهرة برئاسة السيد الأستاذ المستشار / فاروق عبد العليم مرسى رئيس المحكمة وعضوية المستشارين نور الدين يوسف ومحمد عزت الشاذلى فى حضور حسن عبد الرحمن رئيس النيابة و أمانة سر أحمد عبد الحميد عبد الجواد ٠

فى الإستئناف المقيد بجدول الأحوال الشخصية تحت رقم ٢٨٧ لسنة ١١١ ق القاهرة والمرفوع من :

١- محمد صميده عبد الصمد ٢- عبد الفتاح عبد السلام الشاهد

٣- أحمد عبد الفتاح أحمد ٤- هشام مصطفى حمزة

٥- عبد المطلب محمد أحمد حسن ٦- المرسى المرسى الجندى

ومحلهم المختار جميعا مكتب الأستاذ / محمد صميدة عبد الصمد المحامى الكائن برقم ٣٣ جامعة الدول العربية بالمهندسين قسم العجوزة محافظة الجيزة ٠

وحضر بالجلسة الأخيرة الأستاذ/ صميدة محمد صميدة عبد الصمد شخصيا وعن باقى المستأنفين و معه الأستاذ / ذكريا عامر إبراهيم درويش المحامى

ضد

١- السيد الدكتور / نصر حامد أبو زيد ٢- السيدة/ إبتهال أحمد كمال يونس

ويعلنان بمحل اقامتهما الكائن بمدينة ٦ اكتوبر بالحى المتميز المجاورة الرابعة عمارة رقم ١٠ ع ٣ الدور الأرضى (شقة ١) التابع لقسم شرطة ٦ اكتوبر محافظة الجيزة٠

وحضر بالجلسة الأخيرة الأستاذ / أيمن البدرى عن الأستاذة / أميرة بهى الدين المحامية ٠

الموضوع

إستئنافا عن الحكم الصادر من محكمة الجيزة الابتدائية فى الدعوى رقم ٥٩١ لسنة ١٩٩٣ أحوال شخصية نفس كلى الجيزة بجلسة ٢٧/١/١٩٩٤

أقام المستأنفون وأخرين الدعوى ٥٩١ لسنة ١٩٩٣ أحوال نفس كلى الجيزة بصحيفة معلنة للمستأنف ضدهما أوردوا بها أن المستأنف ضده الأول ولد فى ١٠/٧/١٩٤٣ فى أسرة مسلمة ، وتخرج بكلية الأداب بجامعة القاهرة ويشغل الان وظيفة أستاذ مساعد الدراسات الاسلامية والبلاغة بالكلية ومتزوج بالمستأنف ضدها الثانية وقام بنشر عدة كتب وأبحاث ومقالات تضمنت طبقا لما رآه علماء عدول كفرا يخرجه عن الإسلام مما يعتبر معه مرتدا ،

ومن ثم يتعين تطبيق أحكام الردة عليه.وأورد المستأنفون ومن معهم تفصيلا لما أجملوه مما ورد فى كتابات المستأنف ضده الأول على النحو التالى :

أولا :- كتاب (الامام الشافعى وتأسيس الأيدلوجية الوسطية)
وأعد عنه الدكتور محمد البلتاجى أستاذ الفقة وأصوله وعميد كلية دار العلوم تقريرا أورد به العبارات التى تعد كفرا ٠
ثانيا :- كتاب عنوانه (مفهوم النص - دراسة فى علوم القرآن) ويقوم بتدريسه لطلبة الفرقة الثانية بقسم اللغةالعربية بكلية الآداب وانطوى على كثير مما رأه العلماء كفرا يخرج صاحبه عن الإسلام على نحو ما ورد بتقرير الدكتور/ إسماعيل سالم عبد العال أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية دار العلوم ، وعلى نحو ما جاء بتقرير الدكتور عبد الصبور شاهين أيضا٠
ثالثا: من واقع كتب وأبحاث المستأنف ضده الأول فأن كثيرا من الدارسين والكتاب وصفوه بالكفر الصريح على نحو ما جاء بجريده الأهرام بأعدادها ٨/١٢/١٩٩٢ ، و٢٦/١/١٩٩٣ ، ١٠/٤/ ، ١٢/٤ ، ١٩/٤ ، ٢٠/٤/١٩٩٣ ، وفى جريدة الاخبار فى ٢٣/٤/١٩٩٣ ، وجريدة الشعب ٤/٥/١٩٩٣ ، والحقيقة فى ٨/٥/١٩٩٣ وأن المستأنف ضده لم ينف شيئا عن تكفيره ، واستطرد المستأنفون ومن معهم أن من آثار الردة التفريق بين المرتد وزوجته ، وطلب التفريق من دعاوى الحسبة ، ومن ثم إنتهى المستأنفون ومن معهم إلى طلب الحكم بالتفريق بين المستأنف ضده والمستأنف ضدها ٠
وحيث ان الدعوى نظرت أمام محكمة أول درجة على النحو الوارد وبمحاضر جلستها ثم أصدرت المحكمة المذكورة فى ٢٧/١/١٩٩٤ حكمها بعدم قبول الدعوى ٠
وحيث أن المستأنفين لم يقبلوا هذا الحكم فأقاموا الاستئناف الماثل بصحيفة قدمت لقلم الكتاب وقيدت فى ١٠/٢/١٩٩٤ طلبوا فى ختامها الحكم بقبول الاستئناف والقضاء بالتفريق بين المستأنف ضده الاول و زوجته المستأنف ضدها الثانية وإحتياطيا ، إحالة الدعوى للتحقيق وأقام المستأنفون هذه الطلبات على أن الحكم المستأنف قد أنطوى على عيوب عديدة وجسيمة تبطله حاصلها : ١- زعم الحكم المستأنف أن محكمة النقض فى قضائها فى مسائل الاحوال الشخصية أغفلت ما توجبه المادتان الاولى والخامسة من القانون ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ من تطبيق قانون المرافعات فى مسائل الأحوال الشخصية وهذا الزعم غير صحيح فمحكمة النقض ناقشت ذلك وأرست القواعد الخاصة فى هذا الشأن وهو ما خالفه الحكم المستأنف ٠
٢- القضاء فى أعلى درجاته ذهب الى اعتبار المحاجة قائمة ومتوافرة دائما فى دعوى الحسبة و أنها مفترضة فى رافعها سواء أكان القضاء العادى أم الادارى ، أم أقوال شراح القانون ، وهو ما خرج عليه الحكم المستأنف ٠
٣- ان صدور قانون المرافعات الجديد ١٣ لسنة ١٩٦٨ ودستور سنة ١٩٧١ فى مادته الثانية لا دخل لهما فى الدعوى الماثلة وإذ أقحمها الحكم المستأنف تسببيا لقضائه يكون قد أخطأ فى التسبيب مما يبطل قضاءه
وحيث ان الأستئناف تداول فى الجلسات حيث قدم محامى المستأنف ضدهما مذكرة بجلسة ٢٦/٧/١٩٩٣ تمسك فيها بكل دفاع ودفع سبق أن طرح فى هذا النزاع منذ مولده طالبا رفض الاستئناف وتأييد الحكم المستأنف للأسباب التى وردت من قبل وفى المذكرة المقدمة
كما قدمت النيابة العامة مذكرة رأت فيها تفويض الرأى للمحكمة للآسباب التى أوردتها ٠
وحيث أن الإستئناف حجز للحكم لجلسة ١٨/٥/١٩٩٥ مع التصريح بمذكرات لمن يشاء فى الشهر الأول ، فقدمت النيابة العامة مذكرة طالبت فيها الحكم بقبول الأستئناف شكلا وفى

الموضـوع برفضـه والقضـاء مجـددا برفـض الدعـوى المسـتأنف حكمهـا ، كمـا قـدم المسـتأنفون مذكرة التمسوا فيها الحكم بطلباتهم للأسباب الواردة بها كما قدم وكيلا المستأنف ضدهما بمذكرتيـن خصصـت الأولـى مـع التمسـك بكافـة الدفـوع وأوجـه الدفـاع وبالطلبـات الواردة
بـالمذكرة السـابق تقديمهـا لجلسـة ٢٦/٧/١٩٩٤ بـالرد علـى مـا ورد بمذكـرة النيابـة الأولـى ، وحـوت المذكـرة الثانيـة الدفـع بعـدم قبـول الدعـوى لرفعهـا مـن غيـر ذى صفـة مـع التمسـك بأوجـه الدفـاع وبـالدفوع السـابق ايرادهـا فـى المذكـرات السـابقة مـع طلـب الحكـم برفـض الاسـتئناف وتـأييد الحكـم المسـتأنف وحيـث أن المحكمـة قـررت مـد أجـل الحكـم لجلسـة ٢٩/٥/١٩٩٥ لتعـذر المداولة ثم مد أجـل الحكم لجلسة اليوم لاتمام الاطلاع . وحيث ان الاستئناف حاز شكله المقرر
وحيث انـه عن الدفـع بعدم قبول الدعوى لرفعها من غير ذى صفة لعدم وجود مصلحة مباشرة بالمسـتأنفين والـذى قبلـه الحكم المستأنف فإنـه . من المقـررأن هـذا الدفـع موضوعـى و ليس مـن الدفوع الاجرائيـة ، وكـانت المـادة الخامسـة من القـانون ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ قد نصت علـى انـه (تتبـع أحكـام قـانون المرافعـات الاجرائيـة المتعلقـة بمسـائل الأحـوال الشـخصية والوقـف التـى كـانت مـن أختصـاص المحـاكم الشـرعية أو المجـالس المليـة عـدا الأحـوال التـى وردت بشـأنها قواعـد خاصـة فى لأئحة ترتيب المحاكم الشرعية أو القوانين الأخرى المكملـة) ومنطوق هذا النص ومفهومـه أن المسـائل الاجرائيـة فـى الأحـوال الشـخصية والوقـف و التـى كـانت مـن أختصـاص المحـاكم الشـرعية أو المجـالس المليـة تخضـع لأحكـام قـانون المرفعـات بشـرطين أحدهمـا ألا تكـون قـد وردت بشـأن هـذه المسـائل الاجرائيـة قواعـد خاصـة فـى لائحـة ترتيـب المحـاكم الشـرعية والثـانى ألا تكـون قـد وردت بشـأنها قواعـد خاصـة فـى قوانيـن مكملـة للائحـة لأنـه فـى حالـة تخلـف الشـرط الأول تتبـع القواعـد الـواردة للائحـة ، وفـى حالـة تخلـف الشـرط الثـانى تتبـع (اللوائـح) القواعـد الـواردة بالقوانين الخاصة .
أما المسائل الموضوعية فى الأحوال الشخصية والوقف .
والتـى كـانت أصلا من أختصاص المحاكم الشرعية فتصدر الأحكام فيها طبقـا لمـا هـو مقـرر فـى المـادة ٢٨٠ مـن لائحـة ترتيـب المحـاكم الشـرعية ، وذلـك عمـلا بالمـادة السادسـة من القـانون ٤٦٢ لسنه ١٩٥٥ والمـادة ٢٨٠ المذكـورة نصت علـى أنـه (تصدر الاحكام طبقا للمدون فـى هـذه اللائحـة ولأرجـح الأقـوال مـن مذهـب ابـى حنيفـة مـا عـدا الأحـوال التـى ينص فيهـا قـانون المحـاكم الشـرعية علـى قواعـد خاصـة فيجـب فيهـا ان تصـدر الاحكـام طبقـا لتلـك القواعـد) وحكـم المـادتين الخامسـة والسادسـة مـن القـانون ٤٦٢ لسنه ١٩٥٥ وهـو مـا صـارت عليـه أحكـام المحـاكم بكافـة درجاتهـا منـذ صـدور القـانون المذكـور ، واذا خـالف الحكـم المسـتأنف هـذا النظـر فـأعمل أحكـام قـانون المرافعـات علـى الدفـع بعـدم قبـول الدعـوى لعـدم الصفـة والمصلحـة ، وهـو دفـع موضوعـى يتعلق بموضوع الحق فـى الدعوى ومـن ثـم كـان يتعيين عليه ان يعمل عليه الاحكـام الـواردة بـأرجح الأقـوال مـن مذهـب ابـى حنيفـة لعـدم وجـود أحكـام خاصـة لهـذا الموضـوع لا فـى الأئحـة ولا فـى قوانين خاصة فأن الحكم المستأنف يكون قد خالف القانون وأخطأ فى تطبيقة .
الشهادة حسبة
وحيث أنـه مـن المقرر وفق أرجح الأقوال من مذهب أبـى حنيفـة أن الشـهادة حسبة بلا دعوى تقبل فـى حقوق اللـه تبـارك وتعالى كاسباب الحرمـات من الطـلاق وغيره وأسباب الحدود الخالصـة حقـا للـه تعـالى (بدائـع الصنـائع /٦/٢٧٧ ، الاشـباه والنـظائر لابـن تيميـة /٢٤٢) فيكـون واجبـا كفائيا أن يتقدم المكلف الى القاضى للشهادة على حد خالص لله تعالى أو لرفع حرمة قـائمة

كمعاشرة مطلق بائنا بينونة كبرى لمطلقته أو صغرى بغير عقد جديد أو لمرتد لزوجته المسلمة ، أو لكافر تزوج مسلمة وغير ذلك وتشير المحكمة أن المقصود بحقوق الله تعالى وحرماته هو ما تعلق بالمصلحة العامة أو بعموم الأمة الاسلامية ونسبت إلى الله تعالى لشرفها واتصالها بمصلحة المجتمع المسلم عامة ، تمييزا لها عن حقوق الأفراد التى تتصل بمصلحة فرد أو أفراد على سبيل التحديد والاختصاص ، والله سبحانه مالك الملك لا يند عن ملكه شىء ، والمصلحة فى ذلك هو رفع منكر ظهر فعله أوأمر بمعروف ظهر تركه عملابقول الحق تبارك وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) سورة آل عمران – الاية ١١٠ ، وكذا قول الله جل شأنه (ولتكن منكم أمه يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) سورة آل عمران – الاية ١٠٤ ، فترك المعروف يؤذى كل مسلم وشيوع المنكرات فى المجتمع أشد ايذاء له فكانت له مصلحة مباشرة فى أقامة دعوى الحسبة ، وأمتدت دعوى الحسبة من النظام الاسلامى الى القضاء الادارى فى فرنسا ، وفى غيرها وعلى الأظهر لدعوى الغاء القرارت الادارية المعيبة ويبدو القضاء المصرى ينحوى هذا النحو مما يعرف فى موضعه ، لما كان ذلك فأن المستأنفين إذا أقاموا هذه الدعوى بطلب التفريق بين المستأنف ضده الاول وزوجته المستأنف ضدها الثانية بدعوى أن الاول أرتد عن دين الاسلام وأن الثانية مسلمة فأن هذه الدعوى تقبل من المستأنفين حسبة ، حسبما أسلف القول ولهم الصفة فى إقامتها ، وإذا خالف الحكم هذا النظر يكون واجب الالغاء ولما كان الفصل فى الدفع بعدم القبول هو فصل فى مسألة موضوعية تتعلق بأصل الحق فى الدعوى مما تكون محكمة أول درجة قد أستنفدت ولايتها بالفصل فى النزاع ومن ثم تتصدى هذه المحكمة للفصل فيه وحيث أنه عن الدفوع المتعلقة بالتدخل والادخال وكان الاستئناف لم يرفع إلا من بعض المدعين امام محكمة أول درجة وعلى المدعى عليهما امامها ، ولم يتقدم احد للتدخل فى المرحلة الاستئنافية القائمة ، كما لم يحصل إدخال لاحد فى هذه المرحلة ومن ثم فأن هذه الدفوع تكون غير مطروحة على المحكمة .

الرد على الدفوع

وحيث أنه عن الدفوع التى أبداها المستأنف ضدهما فأن المحكمة تتعرض لها تباعا :-

اولا : – عن الدفع بعدم إنعقاد الخصومة لعدم الاعلان صحيحا فى المدة القانونية ، وهو كما ورد بمذكرة محامى المستأنف ضدهما يقوم على انهما أعلنا بمحل اقامتهما فى ٢٥/٥/١٩٩٣ بدائرة قسم ٦ اكتوبر ،ولغلق السكن أعلنا فى مواجهة مأمور قسم الهرم مما يبطل الاعلان ؛ وحيث أن هذا الدفع مردود ذلك أن الثابت أن المستأنف ضدهما حضرا بجلسات محكمة اول درجة ابتداء من جلسة ٤/١١/١٩٩٣ والتى تأجلت فيها الدعوى من جلسة ١٠/٦/١٩٩٣ وكان من المقرر عملا بالمادة ٧٠ من قانون المرافعات أنه يجوز بناء على طلب المدعى عليه إعتبار الدعوى كان لم تكن اذا لم يتم تكليف المدعىعليه بالحضور فى خلال ثلاث اشهر من تاريخ تقديم الصحيفة الى قلم الكتاب وكان ذلك راجعا لفعل المدعى ، وكان الثابت من الصحيفة أن المستأنفين ذكروا محل الاقامة الصحيح للمستأنف ضدهما إلا أن المحضر أثبت إنتقال لهذا العنوان بدائرة قسم ٦ اكتوبر ووجدوه مغلقا فسلم صورة الاعلان لقسم الهرم فيكون عدم تمام التكليف بالحضور لم يرجع للمستأنفين وإنما يرجع لاهمال المحضر ومن ثم تكون الخصومة قد إنعقدت بحضور المستأنف ضدهما ولا تتوافر شروط إعتبار الدعوى كأن لم تكن الواردة بالمادة ٧٠ من قانون المرافعات ، و تشير المحكمة أن المادة المذكورة اجرائية .

ولا يوجد بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو أى قانون خاص ما ينظم هذه المسألة فتكون هذه المادة واجبةالاعمال على إجراءات رفع الدعوى امام محكمة اول درجة ٠

ثانيا : الدفع بعدم اختصاص المحكمة ولائيا بنظر الدعوى ، وذكر المستأنف ضدهما سندا له أن طلب التفريق بين الزوجين إدعاء برده الزوج يستلزم البحث فى ردة الزوج ولا يوجد نص فى القانون المصرى ولا فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية يجيز لأى محكمة أن تقضى بصحة اسلام مواطن أو كفرة أو ردته ، إلا إذا كانت الردة ثابتة بطريقة لا تدع مجالا للشك وسواء بأقرار من المدعى عليه بالردة ٠٠ أو بأوراق رسمية كأن تقر إمرأة مسلمة أنها أصبحت نصرانية لتتزوج بنصرانى ، أما صدور كتابات يفهم منها الردة فأن مفهوم الناس يتفاوت والقرأن الكريم حمال أوجه وحيث أن هذا الدفع مردود ، ذلك أنه من المقرر عملا بالمادة الثامنه من القانون ٤٦٢ لسنه ١٩٥٥ أن المحكمه الابتدائية تختص بدعاوى الفرقة بين الزوجين بجميع اسبابها ، ومن ثم فإن دعوى التفريق بين زوجين بسبب ردة إحداهما تختص بها المحكمة الابتدائية ، ويكون البحث فى حصول الردة من عدمه مسألة أولية تختص بها المحكمة المذكورة ، لإمكان الفصل فى دعوى التفريق ، وهذه المسألة الأولية لا تخرج عن إختصاصها ، وتشير المحكمة أن هناك فرقا بين فالردة ، فعل مادى له أركانة وشرائطه وإنتفاء موانعه ، وبين الاعتقاد ، فالردة لابد لها من أفعال ماديه لها كيانها الخارجى ولابد ان تظهر هذه الافعال بما لا لبس فيه ولا خلاف أنه يكذب الله سبحانه أو يكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بأن يجحد ما ادخله فى الاسلام ولو وجد قول او رواية انه لا يكفر بفعل معين ولو كان ضعيفا فأنه لا يعنى بكفره ، ولا يقضى بكفره لان الكفر شىء عظيم فلا يجوز جعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية بعدم تكفيره ، أما الاعتقاد فهو ما يسره الانسان داخل نفسه ويعقد عليه قلبه وعزمه ٠٠ وتكون عليه نواياه ، فهو يختلف اختلاف بينا عن الردة التى هى جريمة لها ركنها المادى تطرح أمام القاضى ليفصل فى قيامها من عدمه وهى تدخل فيما يختص القضاء بنظره أو ما يجب قضاءه و يتعلق به ، أما الاعتقاد فهو ما يكون فيه داخل نفس الانسان وتنطوى عليه سريرته ، وهو أمر لا دخل للقضاء به ولا للناس بالبحث فيه و انما يتصل بعلاقة الانسان بخالقه ، الردة خروج على النظام الاسلامى فى اعلى درجاته و فى قمة اصوله بأفعال ماديه ظاهرة ، يقرب منها فى القانون الوضعى الخروج على الدولة ونظامها أو الخيانة العظمى ، الردة يفصل فى شأنها القاضى والمفتى ، اما عقوبة الاعتداء على الدين بالردة ، لا تتنافى مع الحرية فى وقائع الحياة الشخصية لان حرية العقيدة تستلزم ان يكون الشخص مؤمنا بما يقول ويفعل وله منطق سليم فى الخروج عن العقيده ، ومن يخرج على الاسلام لا يكون الا عن فساد فى فكر أو إستهواء بالمادة أو الجنس أو لغرض آخر من هذه الاغراض الفاسدة العابثة اما الاعتقاد فيتعلق بديانة الانسان أى بسريرته مع خالقه سبحانه وتعالى ليس للمحاكم أن تتدخل فيه أو تفتش عنه ٠

يدل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله و الله يشهد أن المنافقون لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم و أن يقولوا تسمع لقولهم) " سورة المنافقون الايات ١-٤ " ومن ثم لم يتعرض لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بشىء ، بل أدى صلاة الجنازة على بعضهم ، وترتيبا على ذلك فإن ما تمسك به المستأنف ضدهما بأنه لا يجوز للمحكمة البحث فى حصول الردة لبحث الآثار التى قررها الفقهاء والتى تلتزم المحكمة - عملا بالنصوص السالف بيانها

بأعمالهـــا ، لا يكون له دليل صحيح و يتعين الالتفات عنه كما أن ما أدلت به النيابة العامة بمذكرتها المؤرخة ١٢/٢/١٩٩٥ بأن أوردت بها ٠

"أنه لا يمكن القول بارتداد المستأنف ضده الأول بحيث يجب التفريق بينه وبين زوجته المستأنف ضدها لهذا السبب وأما بالنسبة لتعريض المستأنف ضده الاول بالدين الاسلامي ومقدساته في كتاباته فإنه يجوز مساءلته عنه قضائيا" ٠٠ هذا القول لا يتفق وما يجب على النيابة العامة من الالتزام بابداء رأيها في المسائل القانونية ، فكان عليها أن تقول إن كتابات المستأنف ضده لا تشكل في نظرها ردة ، أو تقول أنها تشكل ردة موضحة أسباب الرأى الذى تقول به أو تطلب اللجوء الى طرق اثبات ليتضح لها وجه الحق فى المسألة أن أشكل عليها الرأى ثم تنتهى الى ابداء الرأى فى طلبات المستأنفين ، غير انها لم تفعل إذ عدلت عن رأى مسبب بمذكرتها المؤرخة ١٩/٩/١٩٩٥ الى رأى غير مسبب بالمذكرة الثانية دون أن توضح سبب العدول ٠

كما تشير المحكمة الى أن ما ذكره المستأنف ضدهما من أن الردة لا تثبت الا بالاقرار أو بأوراق رسمية هو قول لا سند له لا من الاحكام الفقهية ولا من النصوص القانونية التى تحكم النزاع فالردة أفعال مادية وجريمة من الجرائم (حد من الحدود) يثبت بما تثبت به الحدود بعامة من (البينات) وطرق الأثبات الشرعية كما انها من الحدود التى لا يستلزم لها الشرع نصابا خاصا فى شهادة الشهود المثبتة لها ٠

ثالثا : - الدفع ببطلان حضور المستأنفين للجلسات ومباشرة الدعوى على زعم أن دعوى الحسبة ليست مبنية على الفرض وإنما على الفقه الدينى الذى (إحتوى قراره صدمة الانتقال التى أصابت الخطاب الدينى) ٠

وان الدولة هى التى تباشر الحماية القضائية فى دعوى الحسبة ، وأن دور المدعى ينتهى برفعها ، وهذا الدفع بدوره مردود ذلك انه من المقرر وعلى ما سلف بيانه أن دعوى الحسبة لها أصلها من كتاب الله تعالى وان المكلف وله الحق فى إقامتها ، فإن له كافة الحقوق التى أوردتها لائحة ترتيب المحاكم الشرعية للمدعى سواء فى الحضور أو بالطعن فى الحكم الصادر فيها و ذلك اذا لم تقم النيابة العامة بمباشرتها أو الطعن فى الحكم الصادر فيها ، ولذا لم يشترط فى دعوى الحسبة اذن ولى الأمر لأنها قد تكون متوجهة الى بعض أعماله أو عماله ٠وحيث إنه عن موضوع الدعوى وهو طلب التفريق بين المستأنف ضده الأول وزوجته المستأنف ضدها الثانية بدعوى ردة الأول وبقاء الثانية على إسلامها فإن الأمر يستلزم بصفة أولية بحث حصول ردة من المستأنف ضده الأول عن دين الاسلام ، فإن كانت فيتعين بحث أثارها على الزواج القائم بين الطرفين ٠

معنى الردة

وحيث أنه عن الردة ففى المعنى اللغوى : إسم من الارتداد وهو فى اللغة الرجوع مطلقا ومنه المرتد لأنه المرتد الى الوراء بعد أن تقدم للهداية والرشد ، وفى المعنى الشرعى الرجوع عن الدين الاسلامى ، والمرتد هو الراجع عن الدين الاسلام الى الكفر وركنها التصريح بالكفر إما بلفظ يقتضية أو بفعل يتضمنه ، بعد الايمان ٠ يقول الحق تبارك وتعالى : (ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك

أصحاب النار هم فيها خالدون) ٠ سورة البقرة الاية ٢١٧) ٠
ويقول الحق جل شأنه : (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وأياته ورسوله كنتم تستهزئون ،لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) " سورة التوبة الايتان ٦٥ -٦٦ " أما المقصود بالكفر الذى يصرح به المرتد أو بلفظ يقتضيه أو يفعله يتضمنه ، فإن المحكمة تأخذ بما إتجة اليه كثير من الفقهاء سواء من الحنفية أو الشافعية أو غيرهم من انه "اذا وجد قول عند أحد من الفقهاء ولو كان القول ضعيفا بعدم كفره فإنه يؤخذ بهذا القول ولا يجوز القول بتكفيره "٠ لان الاسلام ثابت يقينا ولا يزول اليقين الا بمثله فلا يزول لا بالظن ولا بالشك ، فيلزم أن يكون ما صدر من المدعى بردته مجمعا على أنه يخرجه من الملة عند كافة علماء المسلمين و أئمتهم مع إختلاف مذاهبهم الفقهية " يراجع : الاعلام بقواطع الإسلام - إبن حجر المكى الهيتمى الفصل الاول - ١٠ وما بعدها - طبعة كتاب الشعب ، حاشية ابن عابدين -٣-٣٩٣ وما بعدها ، الفتاوى الانفرادية -١٦١ ، الاشباه و النظائر ابن تيمية / ١٩٠ "٠" ويراجع فى الردة كتب التفسير منها " الطبرى -٤-٣١٦ وما بعدها القرطبى ٨٥٤ وما بعدها - طبعة كتاب الشعب ، تفسير المنار -٢-٢٥٣ ، كتب السنة وشروحها وعلى الأخص الشهيد - إبن عبد البر -٥-٣٠٤ وما بعدها ، وكتب الفقه للمذاهب المختلفة الحنفية ، بدائع الصنائع ، ٧-١٣٤ وما بعدها ، فتح القدير ٦-٦٨ وما بعدها حاشية ابن عابدين -٣-٣٩١ و ما بعدها المالكية - قوانين الأحكام الشرعية - ٣٨٢ وما بعدها ، الشافعية - المهذب/٢/٢٢٢، الحنابلة المغنى -٨-١٢٣ وما بعدها " ٠
و الردة تكون بأن يرجع المسلم عن دين الاسلام ظلما وعدوانا بأن يجرى كلمة الكفر عامدا صريحة على لسانه ، أو فعل فعلا قطعى الدلالة اوقال قولا قاطعا فى جحود ما ثبت بالايات القرانية أو الحديث النبوى الشريف واجمع عليه المسلمون فمن أنكر وجود الله تعالى أو اشرك معه غيره أو نسب له الولد او الصاحبة ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، أو أستباح لنفسه عبادة المخلوقات أو كفر بأية من أيات القرأن الكريم أو جحد ما ذكره الله تعالى فى القرأن الكريم من أخبار أو كفر ببعض الرسل او لم يؤمن بالملائكة او بالشياطين أو رد الاحكام التشريعية التى أوردها الله سبحانه فى القرأن الكريم ورفض الخضوع لها والاحتكام اليها أو أنكرها أو رد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة رافضا طاعتها والانصياع لما جاء بها من احكام الى غير ذلك من الامثلة ٠ومن حيث أن المحكمة أطلعت على المؤلفات الاتية والمقدمة بحوافظ المستأنفين أمام محكمة أول درجة و لم يتعرض المستأنف ضدهما لها بالنفى أو التشكيك فى نسبها لاولهما بل أقر بها فى المذكرات المقدمة وهو إقرار امام المحكمة لم يعدل عنه ، والمؤلفات هى :
١- نقد الخطاب الدينى دكتور نصر حامد أبو زيد - سينا للنشر - رقم الايداع ٨٧٢٧/٩٢ ٠
٢- الامام الشافعى و تأسيس الأيدولجية الوسيطة - دكتور نصر حامد ابو زيد - سينا للنشر - رقم الايداع ٩٢٩٧/٩١ ٠
٣- مفهوم النص - دراسة فىالعلوم القرآن د٠/ نصر حامد ابو زيد - اليابان -١٨/٢/١٩٨٧ على الالة الكاتبة ٠
٤- إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى - دكتور نصر حامد ابو زيد على الآلة الكاتبة ٠
وتورد المحكمة بعض العبارات من الكتب السابقة للحكم عليها القسم الاول
مايتعلق بالقرأن الكريم :
١- يقول المستأنف ضده فى مؤلفه نقد الخطاب الدينى ص ١٠٢ ٠٠ إذا كانت اللغه تتطور

بتطور حركة المجتمع والثقافة فتسوغ مفاهيم جديدة او تطور دلالات الفاظها للتعبير عن علاقات أكثر تطورا فمن الطبيعي بل والضروري ان يعاد فهم النصوص وتأويلها بنفس المفاهيم التاريخية والاجتماعية الاصلية وإحلال المفاهيم المعاصرة والاكثر إنسانية وتقدما مع ثبات مضمون النص "(والنصوص في كتابة المؤلف عامة هي القرآن الكريم وإذا أراد الكلام عن السنة ذكره بالنص الثانوى أو الثانى) .

٢- و يقول المستأنف ضده فى مؤلفه السابق ص ١٩٨-١٩٩ . تتحدث كثير من أيات القرآن عن الله بوصفه ملكا " بكثير اللام " له عرش وكرسى وجنود ، وتتحدث عن القلم واللوح ، وفى كثير من المرويات التى تنسب الى النص الدينى الثانى - الحديث النبوى - تفاصيل دقيقة عن القلم واللوح والكرسى والعرش وكلها تساهم إذا فهمت حرفيا فى تشكيل صورة اسطورية من عالم ما وراء عالمنا المادى المشاهد المحسوس ، وهو ما يطلق عليه فى الخطاب الدينى إسم " عالم الملكوت والجبروت " ولعل المعاصرين لمرحلة تكون النصوص - تنزيلها - كانوا يفهمون هذه النصوص فهما حرفيا ولعل الصور التى تطرحها النصوص كانت تنطلق من التصورات الثقافية للجماعة فى تلك المرحلة ، ومن الطبيعى أن يكون الأمر كذلك ، لكن من غير الطبيعى أن يصر الخطاب الدينى فى بعض إتجاهاتة على تثبيت المعنى الدينى عند العصر الاول رغم تجاوز الواقع والثقافة فى حركتهما لتلك التصورات ذات الطابع الاسطورى . إن صورة الملك والمملكة بكل ما يساندها من صور جزئية تعكس دلاليا واقعا مثاليا تاريخيا محددا كما تعكس تصورات ثقافية تاريخية و التمسك بالدلالة الحرفية للصورة التى تجاوزتها الثقافية و إنتفت من الواقع يعد بمثابة نفى للتطور وتثبيت صورة الواقع الذى تجاوزه التاريخ

٣- ويقول المستأنف ضده فى كتابه نقد الخطاب الدينى ص ٢٠٥ -٢٠٦- ٢٠٧ : ومن النصوص التى يجب أن تعتبر دلالتها من قبيل الشواهد التاريخية النصوص الخاصة بالسحر والحسد والجن والشياطين ..كانت الاولى تجعل العلم نقطة الارتكاز :-

السحر ، الحسد ، الجن والشياطين مفردات فى بنية ذهنية ترتبط بمرحلة محددة من تطور الوعى الانسانى و قد حول النص الشياطين الى قوة معوقة وجعل السحراحد ادواتها لاستلاب الانسان .. فقد كان الواقع الثقافى يؤمن بالسحر ويعتقد فيه واذا كنا ننطلق هنا من حقيقة ان النصوص الدينية نصوص انسانية بشرية لغة وثقافة فإن انسانية النبى بكل نتائجها من الانتماء الى عصر والى ثقافة والى واقع لا تحتاج لاثبات ، وما ينطبق على السحر ينطبق على ظاهرة الحسد .....وليس ورود كلمة الحسد فى النص الدينى دليلا على وجودها الفعلى الحقيقى بل هو دليل على وجودها فى الثقافة مفهوما ذهنيا ..... كل المواضع التى وردت فيها الكلمة فى القرآن ..... وموضع واحد بالدلاله الحرفية المرتبطة بنسق من العقائد والتصورات شبة الاسطورية القديمة.

وعن نفس الموضوع يقول المستأنف ضده فى مفهوم النص ص ٣٦ .. امكننا ان نميز بين هاتين الصورتين صورة الجن الخناس الموسوس الذى يستعاذ بالله منه وصورة الجن الذى يشبة البشر فى انقسامة الى مؤمنين وكافرين ولا شك ان الصورة الثانية تعد نوعا من التطوير القرآنى النابع من معطيات الثقافة من جهة والهادف الى تطويرها لمصلحة الاسلام من جهة اخرى .

وفى نفس الاتجاه يقول المستأنف ضده الاول فى مؤلفه / اهدار السياق ص٣٧ .. ما زال الخطاب الدينى يتمسك بوجود القرآن فى اللوح المحفوظ اعتمادا على فهم حرفى للنص وما زال يتمسك بصورة الالة الملك بعرشة وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنود الملائكة وما زال يتمسك

بنفس الدرجة من الحرفية بالشياطين والجن والسجلات التى تدون فيها الاعمال والاخطر من ذلك تمسكه بحرفيه صور العقاب والثواب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط .. الخ و ذلك كله من تصورات اسطورية .

وحرفية النصوص المنقولة عن مؤلفات المستأنف ضده الاول سالفة الاشارة تدل بمنطوقها على ما يأتى :

افكار العرش و الكرسى

اولا : ينكر المؤلف وصف الله تعالى بانه ملك الوارده بالقرأن الكريم فى آيات كثيرة نص فى ذلك (والنص هنا بمعنى ما يفيد نفسه من غير احتمال) منها : (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش العظيم) سورة المؤمنون الاية /١٦ ، وفى قوله جل شأنه (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) سورة الناس الاية ٢ . وفى قوله تبارك و تعالى (هو الله الذى لا اله إلا هو الملك القدوس).

ثانيا : ينكر المؤلف العرش والكرسى وجنود الله الملائكة ، وهى مخلوقات نزلت الايات الكريمة قاطعة الدلالة فى اثباتها مخلوقات خلقها الله سبحانه وتعالى ومن الايات على سبيل المثال :- فعن العرش يقول الحق تبارك وتعالى (وهو الذى خلق السموات والارض فى سته ايام وكان عرشه على الماء) سورة هود الاية ٧ (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) سورة المؤمنون الاية ٨٦ (وترى الملائكة حافين من حول العرش) سورة الزمر الاية ٧٥ (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) سورة الزخرف الاية ٨٢ وعن الكرسى قوله الحق تبارك وتعالى (وسع كرسيه السموات والارض) سورة البقرة الاية ٢٥٥ . وعن الملائكة تزيد الايات عن ثمانين ايه متفرقات فى سور القرأن الكريم على أنها مخلوقات الله ورسله وجنوده بدلالة قاطعة على ذلك ومن قول الحق تبارك وتعالى فى صورة فاطر الاية الاولى (الحمد الله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير) ويقول الحق سبحانه . وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) سورة الزخرف الاية ١٩ ويقول الله تعالى جل شأنه (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) سورة التحريم الاية ٦ - ويرى المستأنف ضده ان الايات التى وردت بكتاب الله تعالى اذا فهمت حرفيا تشكل صورة اسطورية والاسطورة بالمعنى اللغوى الذى يشكل المستأنف ضده احد علمائها هى الاباطيل والاحاديث العجيبة ، وهذا القول لا يبعد كثيرا عما حكاه القرأن الكريم عن قول الكافرين فى أياته (يقول الذين كفروا ان هذا إلا اساطير الاولين) سورة الانعام الايه ٢٥ ولم ترد كلمة اساطير فى القرأن الكريم الا بهذا المعنى . والمستأنف ضده قرر وصف كتاب الله بهذا اللفظ فى مواضع كثيرة منها ما ورد فى مؤلفه (نقد الخطاب الدينى) فى صفحات ٧و٨ و ٩٩ ، ٢٠٧ .

ثالثا : ينكر المؤلف وجود الشياطين ويجعل وجودها وجودا ذهنيا فى مرحلة الامة الاسلامية فى بدايتها اى وجودا فى أذهان الناس والقرأن الكريم سايرهم فى ذلك وكذلك السحر والحسد وانه لا وجود للشياطين فى الاعيان وكذا السحر والحسد والجن وبهذا الانكار ، ينكر الايات الكثيرة الواردة عن الشياطين وان لها وجودا حقيقا وانها من مخلوقات الله سبحانه والايات قاطعة الدلالة فى ذلك . ورد ذكر الشياطين والشيطان أكثر من ثمانين مرة فى مواضع كثيرة من السور منها (فأزلهما الشيطان منها فأخرجهما مما كانا فيه) سورة البقرة الاية ٣٦ ومنها (فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى) سورة طه الاية ١٢٠

(فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جنهم جثيا) سورة مـــــــريم الاية ٦٨ ولم يقف المستأنف ضده عند حد الانكار بل اخذ يسخر من النص وهو يعنى القرأن الكريم فيقول : (وقد حول النص الشياطين الى قوة معوقه وجعل السحر احد ادواتها) هذه العبارة حرفيا من كتاب نقد الخطاب الدينى ٢٠٦ ومنطوق المستأنف ضده فى كلامه السالف ان كتاب الله تعالى حوى الكثير من الاباطيل التى سايرت المجتمع الاسلامى فى بدايته لوجود هذه الاشياء فى أذهان الناس فى تلك الحقبة السحيقة من التاريخ وأن علىالناس التخلص من هذه الاباطيل والتمسك بالحقيقة التى لا يعرفها الا المستأنف ضده وحده تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ٠

رابعا: وعن الجن والوسواس الخناس فالمستأنف ضده الاول ينكر وجود الجن حسبما ورد فى مؤلفاته كما سلف البيان ، وهو بهذا ينكرها كمخلوقات لها وجودها الحقيقى والتى اثبت القرأن وجودها فى ايات قاطعة الدلاله على ذلك منها :

قول الحق تبارك وتعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن) سورة الانعام الاية ١١٢ ، ويقول سبحانه بيانا على انه يحشرهم يوم القيامة (يوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الاما شاء الله ان ربك حكيم عليم) سورة الانعام الاية ١٢٨ و فى خلق الجن يقول الحق تبارك تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) سورة الحجر الاية ٢٧ قول الحق تبارك وتعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) سورة الذاريات ٥٦ والمستأنف ضده لم يكتف بهذا التكذيب للايات القرآنية قاطعة الدلاله فيما جاءت به بل ينسب الى القرأن الكريم تطوير صور الجن تبعا من معطيات الثقافة قولا من ان سورة الناس مكيـــة ويقصد قول الحق تبارك وتعالى (قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) ويضيف ان النص طوره الى ما يشبه الناس من انقسامه الى مؤمنين وكافرين بعد ذلك فى سورة الجن ونسى المستأنف ضده ان سورة الجن مكية ايضا باتفاق ، بل هى قريبة فى ترتيب النزول من سورة الناس اى ان معطيات الثقافة كما يؤول كانت واحدة ٠

خامسا : ولا يقف المستأنف ضده عند هذا الحد فى رمى القرأن الكريم باحتوائه على الاساطير ، بل يضيف الى ذلك ايضا صور العقاب والثواب ومشاهد القيامة ليدخلها ايضا ضمن الاساطير اذا فهمت بحرفيه نصوصها، وآيات العقاب والثواب أى الآيات القرآنية عن النار والجنة وايات مشاهد القيامة وعذاب القبر هى ايات كثيرة تمثل جزءاا كبيرا من كتاب الله تعالى٠

اصول العقيدة

خلاصة ما أورده المستأنف ضده فى هذا الاصل من أصول العقيدة الاسلامية ان الايات القرانية لا تمثـــل واقعا ولا حقيقـة ولكنها تمثل وجـودا ذهنيا فـى مرحلة العصرالنبوى اى فى أذهان الناس فى ذلك الوقت ، وقد حدثت تطورات فى العقول والتاريخ وتغيرت الصور الذهنية لرب الناس فيجب ان تفهم هذه العقيده على نحو اذهان الناس اليوم ، والمستأنف ضده بهذا القول يكون قد رد قول الحق تبارك وتعالى عن القرأن الكريم ، بأنه الحق وأن ما ورد به هو الحق وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهـــوى وهذه الايات مثبوتة فى كتب الله تعالى ومنها: قول الحق تبارك وتعالى ، " يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم " سورة آل عمران الاية ١٧٠ وقوله سبحـــانه " تلك

ايـات اللـه نتلوهـا عليـك بـالحق " سـورة أل عمـران الايـه ١٠٨ ، وقولـه تعـالى " ولا تتبـع اهواءهـم عمـا جـاءك مـن الحـق " سـورة المـائدة الايـة ١٤٨ وقولـه تعـالى " أن الحكم الا للـه يقص الحـق وهـو خـير الفـاصلين " سـورة الانعـام الايـة ٥٧ ويقـول اللـه سبحانه " أن الذيـن كفـروا بـالذكر لمـا جاءهم وانـه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل مـن بين يديه ولا مـن خلفه تنزيل مـن حكيم حميد " سـورة فصلت الايتـان ٤٢،٤١ . ويقـول تعـالى شـأنه " ومـا ينطـق عـن الهـوى أن هـو الا وحـى يوحـى " سورة النجم الايتان ٣ ،٤ ومـن المعلوم فـى اللغة العربيـة ان الحق لـه معان تدور كلهـا حـول الشـيء الثـابت بـلا شـك ، والمطـابق لمـا عليـه ذلك الشـيء نفسـه ، وان البـاطل هـو بالاثبـات لـه عند الفحص (راجع المفردات فى غريب القرآن ، ومختار الصحاح ، المعجم الوسيط .

٤- ومـا زالـت المحكمـة تواصل عرض مـا أورده المؤلـف عن القرآن الكريم ويقـول المستأنف ضده في مؤلفه نقد الخطاب الدينى : ص ٩٣/٩٤ :

(النـص منـذ لحظـة نزولـه الاولـى اى مـع قـراءة النبـى لـه لحظـة الوحـى تحـول مـن كونـه "نصـا إلهيا"وصـار "نصـا انسانيا "، لانـه تحـول مـن التنزيل الـى التـأويل ، ان فهم النبى للنص يمثل اولى مراحـل حركـة النـص فـى تفاعلـه بـالعقل البشـرى ، ولا التفـات لمزاعم الخطـاب الدينـى بمطابقـة فهم الرسـول للدلالـة الذاتيـة للنص على فرض وجود مثل هذه الدلالـة الذاتيـة ، ان مثل هـذا الزعم يـؤدى الـى نـوع مـن الشـرك مـن حيـث انـه يطـابق بين المطلق والنسبي وبين الثـابت والمتغير حيث يطـابق بين القصد الالهـى والفهـم الانسانى لهذا القصد ولـو كـان فهـم الرسـول ، انـه زعـم يـؤدى الـى تأليهـه او الـى تقديسـه بإخفـاء حقيقـة كونـه بشـرا والكشـف عن حقيقـة كونـه نبيـا بـالتركيز عليهـا وحـدهـا) ويقـول المستأنف ضـده فـى نفس المؤلف ص ٢٠٦: " واذا كنـا ننطلـق ههنـا من حقيقـة ان النصـوص الدينية نصوص انسانية بـــشرية لغة و ثقافة .."

القرآن نص بشرى

٥- وفى نفس المؤلف ص ٢١٠ يقول :

يتـم تغييـب دلالات النصـوص بـالوثب علـى بعدهـا التـاريخي والوثب علـى الثقافـة والواقـع المعـاصرين بـالارتداد بهمـا الـى عصرأنتـاج النصـوص الدينيـة . ويقـول المؤلـف فـى كتابـه مفهـوم الـــنص ص ٦٠ .

(.. وتـأتى الايـة لتؤكـد ان القـرآن) مصـدر مـن (قـرأ) بمعنـى القـراءة الـذى هـو الترديد الترتيل ورتـل القـرآن ترتيـلا . سـورة المزمـل / الاية ٤ ... ان النـص فـى اطلاقـه هذا الاسم علـى نفسـه ينتسـب الـى الثقافـة التـى تشـكل مـن خلالهـا).وعبـارات المسـتأنف ضـده بمنطوقهـا - ولا تفسـر المحكمـة هـذا المنطـوق الواضـح الجلـى لأن التفسـير لا يكـون مجالـه الا فى الغـامض مـن العبـارات ، عبـارات المستأنف ضده تنفـى عن القرآن الكريم كونـه نصـا الـــهيا وتؤكـد علـى انـه نـص بشـرى . وفـى ذلـك انكـار للايـات القرانيـة قاطعـه الدلالـة فـى ذلـك وايضـا لا تستند المحكمـة الـى التفسير ولا للتـأويل لان نصـوص القـرآن الكريم فـى هـذا الشـأن " نـص " بـالمعنى الاصطلاحـى للنص الـذى سبق بيانه الذى لا يحتاج لتفسير ولا لتأويل . ومن هذه الايات الكريمة ما يأتى:

قـول الحـق تبـارك وتعـالى (وإن أحـد مـن المشـركين أسـتجارك فـأجره حتـى يسمع كـلام اللـه ثـم ابلغـه مأمنـه ذلـك بـأنهم قـوم لا يعلمـون) سـورة التوبـة الايـة ٦ - فـالقرآن كـلام اللـه بنـص الايـة ، والمستأنف ضده يصر على انه (نص انسانى بشرى) .

ويقـول الحـق تبـارك وتعـالى فـى السـور المكيـة : مـن سـورة يونـس الايـة ١٥ (واذا تتلـى عليهـم أياتنـا بينـات قـال الذيـن لا يرجـون لقاءنـا إئت بـقـرآن غير هـذا أو بدلـه قل مـا يكـون لـى أن أبدلـه مـن

تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)٠ ويقول جل شأنه فى الآيه ١٧ من نفس السورة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بأياته إنه لا يفلح المجرمون)٠ ومن سورة النحل الايتان ١٠١ و١٠٢ يقول الله سبحانه :
وإذا بدلنا أية مكان اية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين أمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) ومن سورة النمل يقول الله جل شأنه / الاية ٦ (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) فالآيات تدل نصا على أن القرأن الكريم الذى نتلوه هو كلام أن الله تعالى وأن الله سبحانه أنزل كلماته وأياته وهى التى يتلوها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى نتلوها اليوم - فالقرآن الكريم ليس فهما إنسانيا من الرسول صلى الله عليه وسلم للوحى كما يؤكد المستأنف ضده فى كلامه وليس نصا بشريا ، وليس منتجا ثقافيا ونسبة هذه الصفات للقرأن الكريم فيها رد للقرأن الكريم بأكمله بوصفه كلام الله لفظا ومعنى ورد للايات القرأنية التى تنص على أن الايات بذاتها منزلة من الله سبحانه وتعالى كما يقول الحق تبارك وتعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به - أن علينا جمعه وقرأنه فاذا قرأناه فاتبع قرأنه) سورة القيامة الايات ١٦،١٧،١٨ ٠ ثم أن القرأن الكريم مقدس وصفه الله سبحانه بانه القرأن العظيم (سورة الحجر الاية ٨٧) ووصفه سبحانه (بل هو قرأن مجيد فى لوح محفوظ) سورة البروج الايتان ٢١،٢٢ ووصفه جل شأنه فى سورة (ق) فى الاية الأولى (ق والقرأن المجيد) ووصفه بانه الحكيم (الرتلك أيات الكتاب الحكيم) سورة يونس الآية الاولى ، ووصفه بأنه شفاء رحمة للمؤمنين (الآية ٨٢ من سورة الاسراء) ووصفه سبحانه (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ٠ سورة فصلت الايتان ٤٢/٤١

تحكيم النصوص

كما وضحه سبحانه (انه لقرأن كريم فى كتاب مكنون) سورة الواقعه - الايتان ٧٧-٧٨ وانه هدى للناس ،" لبقرة /١٨٥" ووصفه سبحانه بانه (ص والقرأن ذى الذكر) "ص/١" ووصفه جل شأنه (الرتلك أيات الكتاب المبين) "سورة يوسف /١" هذه صفات القرأن الذى انزله سبحانه والذى يصفه المستأنف ضده الاول بأنه نص بشرى وانه (تأنسن هكذا) وانه فهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم للوحى ، والقول بغير هذا يؤدى الى نوع من الشرك (هكذا) وان النص اطلق على نفسه اسم القرأن ٠

٦- واذا كان المستأنف ضده توجه الى العقيدة الاسلامية فى أصلها الاول وهو القرأن الكريم لما سبق ان اوردناه ، كما توجه الى جزء من أحكام العقيدة الواردة بالقرأن الكريم ايضا ٠ فأنه أتجه إلى الشريعة ليوجه اليها الأقوال الاتيه :

أ- من كتاب أهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى ص ٣٧ يقول المستأنف ضده :- واذا انتقلنا من مجال العقائد والتصورات الى مجال الأحكام والتشريعات والاحكام والتشريعات جزء من بنية الواقع الاجتماعى فى مرحلة أجتماعية تاريخية محددة ٠

وفى ص ٦١ من كتاب نقد الخطاب الدينى يقول : وإذا كان مبدأ تحكيم النصوص يؤدى الى القضاء على أستقلال العقل لتحويله الى تابع يقتات بالنصوص ويلوذ بها ويحتمى ، فأن هذا ما حدث فى تاريخ الثقافة العربية الاسلامية ٠

ب- وفى قضيه المطالبة بمساواة المرأة بالرجل فى الاحكام على خلاف ما ورد بالقرأن الكريم

يقول المستأنف ضده فى نفس الكتاب ص ٢٢٢ ٠
(ولا٠٠ يتم الكشف عن المضمر فى قضية المرأة ومساواتها بالرجل خارج سياق الكشف عن حركة النص الكلية ٠٠٠٠٠ المضمر الكلى تحرير الانسان – الرجل والمرأة – من أسر الارتهان الاجتماعي والعقلى ، لذلك طرح العقل (نقيضا بالجاهلية) والعدل (نقيضا للظلم) والحرية (نقيضا للعبودية) ولم يكن يمكن لتلك القيم الا أن تكون مضمرة مدلولا عليها ، فالنص لا يفرض على الواقع ما يتصادم معه كليا بقدر ما يحركه جزئيا ، ولعل مسار الاجتهاد قد تحدد الان فى مسألة ميراث البنات بل فى كل قضاياالمرأة المثارة فى واقعنا) ٠ ويوضح ما يقصده بصورة أكثر بيانا ص ١٠٥ من نفس الكتاب فيقول ٠

ميراث الانثى

(وفى قضية ميراث البنات بل فى قضية المرأة بصفة عامة نجد الاسلام اعطاها نصف نصيب الذكر بعد أن كانت مستبعده استبعادا تماما فى واقع اجتماعى/ اقتصادى تكاد تكون المرأة فيه كائنا لا أهلية له وراء التبعية الكاملة بل الملكية التامة للرجل ابا ثم زوجا ٠ اتجاه الوحى واضح تماما ليس من المقبول ان يقف الاجتهاد عند حدود المدى الذى وقف عنده الوحى والا انهارت دعوى الصلاحية لكل زمان ومكان)٠ وحيث أن هذه العبارات التى صدرت من المستأنف ضده تدل نصا على انه لا يقبل أن يقف الاجتهاد عند حدود المدى الذى وقف عنده الوحى وانما يجب ان يتطور الاجتهاد بالنسبة لهذة الاحكام المنصوص عليها ارتباطا بقياس مدى تطوير النص للواقع التاريخى والمعيار فى ذلك للمناحى الكلية للوحى ٠ ومفهوم ذلك ان القرأن الكريم اذا اعطى البنت نصف الذكر فى الميراث بعد ان كانت لا ترث شيئا فالاتجاة هو اعطائها حقها ولكن لم يقرر القرأن الكريم ذلك حتى لا يصطدم بالواقع و انما اكتفى بتحريك الواقع جزئيا ليكمل الناس بأجتهادهم هذا الاتجاة لنهايته ، وكذلك الشأن فى حجب البنت لباقى الورثة ، وكذلك فى شهادة المرأتين لشهادة رجل واحد وهكذا ٠ وهذا الذى ذهب اليه المستأنف ضده يعلم هو انه يخرج على الايات القرأنية التى تنص على أحكام قطعية فى هذا المجال ومع ذلك فهو يطالب ويلح ويجعل همه كله عدم تحكيم النصوص على نحو ما نقل الحكم عنه قبل ٠ وتورد المحكمة بعض الايات قطعيه الدلالة فى ميراث الانثى بالنسبة للذكر وفى ان شهادة امرأتين تعادل شهادة الرجل الواحد من ذلك : قول الحق تبارك وتعالى فى صورة النساء من الاية التاسعة :(يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) وفى الاية ١٢ من نفس الصورة (ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فأن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فأن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) ٠٠ ثم تأتى الايتان التاليتان لهاتين الايتين لتبينا طبيعة هذه الاحكام (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعدى حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وعن شهادة المرأتين بالرجل يقول الحق تبارك وتعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فأن لم يكونا رجلين فرجل وأمراتان ممن ترضون من الشهداء) صورة البقرة من الاية ٢٨٢ ٠ وعن بعض الاحكام الواردة بالقرأن الكريم وهى ملك اليمين ووضع أهل الذمة فى الاسلام والجزية نورد بعض عبارات المستأنف ضده من كتابة نقد النص الدينى : ص١٠٤............ تزييف يجمد النصوص كما يجمد الواقع

بالغاء حقائق التاريخ واللغة ومحاربة العقل الذى حرره الوحى وليس غريبا بعد ذلك كله ان يتعلم ابناؤنا فى المدارس ان الاسلام يبيح امتلاك الجوار ومعاشرتهن معاشرة جنسية وان هذه احدى الطرائق فى العلاقة بالنساء الى جانب طريقة الزواج الشرعى ما دام ذلك قد وردت به النصوص وليس غريبا ايضا فى ظل عبودية النصوص ان يتعلموا ان المواطن المسيحى مواطن من الدرجة الثانية يجب أن يحسن المسلم معاملته ٠٠٠ وفى ص ٢٠٥من نفس الكتاب يقول :

والان وقد استقر مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات بصرف النظر عن الدين واللون والجنس لا يصح التمسك بالدلالات التاريخية لمسألة الجزية ٠٠أن التمسك بالدلالات الحرفية للنصوص فى هذا المجال لا يتعارض مع مصلحة الجماعة فحسب ، ولكن يضر الكيان الوطنى القومى ضررا بالغا ، وأى ضرر أشد من جذب المجتمع الى الوراء الى مرحلة تجاوزتها البشرية في نضالها الطويل من أجل عالم أفضل مبنى على المساواة والعدل والحرية)٠ المستأنف ضده فى العبارات يرى أن التمسك بالنصوص فى شأن الجزية يجذب المجتمع للوراء والذى وصل الى عالم أفضل مما كان عليه فالتمسك بالدلالات الحرفية للنصوص هو فى نظره يمثل التخلف والعودة اليه بعد أن تقدمت البشرية الى ما هو أفضل وهذا المعنى الحرفى لأقوال المستأنف ضده يكرره فى ص ١٠٢ من نفس الكتاب : فمن الطبيعى بل والضرورى أن يعاد فهم النصوص و تأويلها بنفى المفاهيم التاريخية الاجتماعية الاصلية و احلال المفاهيم المعاصرة والاكثر إنسانية وتقدما مع ثبات مضمون النص ٠

التعارض مع النصوص

وحيث ان ما قرره المستأنف ضده فى خصوص ملك اليمين يتعارض مع النصوص القطعية الواردة بكتاب الله تعالى والتى يلزم اتباع حكمها اذا توافرت شروطها وانتفت موانعها اى اذا وجد مالك اليمين لاركانه الشرعية وشروطه وانتفت موانعه ، فأن لم يجد مالك اليمين فلا مجال لانطباق النص ومن الايات القرآنية التى تورد حكم ملك اليمين الايات من ١ الى ٧ من سورة المؤمنون ، (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فإنهم غير ملومين فمن إبتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) اما ما اورده المستأنف ضده عن معاملة أهل الذمة وما ورد بشأنهم من وجوب الجزية عليهم وأن القول بذلك يعنى جذب المجتمع للوراء الى مرحلة تجاوزتها البشرية فى نضالها الطويل من أجل عالم أفضل ، فهذا القول رد لآيات الله تعالى فى شأن الجزية ووصف لها بأوصاف قد يتحرج البعض من أن يصف بها كلام البشر وأحكامهم بل وهو قول يخالف ما أوجبه القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكام تمثل قمة المعاملة الانسانية الكريمة للاقليات غير الاسلامية فى الدولة الاسلامية وهى معاملة يتمنى المسلمون فى العالم أجمع أن تعامل الدول غير المسلمة الأقليات الاسلامية بداخلها طبقا لأحكام الإسلام للأقلية غير المسلمة بدلا من المذابح الجماعية للرجال والنساء والولدان ٠ أما آية الجزية التى خرج عليها المستأنف ضده وهى آية قاطعة الدلالة فهى الآية ٢٩ من سورة التوبة (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ٠ وإستمرارا من المستأنف ضده فى رد بعض أحكام القرآن الكريم يقول المستأنف ضده فى كتابه مفهوم النص ص ٢١ ما يأتى : فإذا نظرنا للإسلام من خلال منظور الثقافة تبدد ذلك الوهم الزائف الذى يفصل بين العروبة والاسلام ويهمش

المستأنف ضده هذه العبارة برقم (١) ويقول في الهامش ما يأتي :- إن الفصل بين العروبة والإسلام ينطلق من مجموعة من الافتراضات المثالية الذهنية أولها عالمية الاسلام من دعوى أنه دين للناس كافة لا للعرب وحدهم ورغم أن هذه الدعوى مفهوم مستقر في الثقافة فإن أنكار الأصل العربي للاسلام وتجاوزه للوثب الى العالمية مفهوم حديث نسبيا . المستانف ضده يكرر أن عالمية الاسلام أفتراض مثالي ذهني وهو بهذا يرد الايات قاطعة الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم - للناس كافة " عامة " وليس لقريش ولا للعرب فحسب . والآيات التى تنص على ذلك منذ فجر الدعوى الاسلامية ، بل كلها آيات من الصور الملكية ونعرض بعض الآيات لترتيب نزولها كما قرر بذلك علماء علوم القرآن الكريم يقول الله سبحانه في سورة القلم وهي السورة الثانية في النزول بعد سورة العلق (وأن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون أنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين) الايتان ٥١-٥٢ . وتتكرر الاية الثانية في العديد من السور - وفي سورة الاعراف الاية ١٥٨ يقول الحق تبارك وتعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) ويقول الحق تبارك وتعالى في سورة الفرقان الاية الأولى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) ويقول جل شأنه في سورة سبأ الاية ٢٨ (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . ويقول الله سبحانه في سورة الانبياء الاية ١٠٧ (وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين).

د- و يتجه المستأنف ضده أيضا للهجوم على النصوص بعامة لينفي عنها ثبات المعاني والدلالة وينفي عنها أيضا وجود عناصر ثابتة بها يقول المستأنف ضده في كتابه نقد الخطاب الديني ص ٩٩ : الواقع هو الاصل ولا سبيل لاهداره ، ومن الواقع تكون النص (تكررالمحكمة أن المؤلف يطلق على القرآن الكريم : النص ، والنصوص) ومن لغتة و ثقافته صيغة مناهجه .. فالواقع اولا والواقع ثانيا والواقع اخيرا ، واهدار الواقع لحساب نص جامد ثابت المعنى والدلالة يحول كليهما الى أسطورة في ص ٨٣ من نفس الكتاب يقول : وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص ، بل لكل قراءة بالمعنى التاريخي الاجتماعي جوهرها الذى تكشفه في النص . وفي ص ١٠٣ من كتابة الامام الشافعي .. يقول المستأنف ضده : وهذا يدل على أنه ليس لاحد دون رسول الله صلى الله عليه و سلم - أن يقول إلا بالاستدلال. وإذا كان هذا الفهم ينطلق من موقف ايدولوجي واضح فأن هذا الموقف يعكس رؤية للعالم والانسان تجعل الإنسان مغلولا دائما لمجموعة من الثوابت التى اذا فارقها حكم على نفسه بالخروج من الانسانية ، وليست هذه الرؤية للانسان والعالم معزولة تماما عن مفهوم الحاكمية فيالخطاب الديني السلفي المعاصر حيث ينظر لعلاقة الله بالانسان و العالم من منظور علاقة السيد بالعبد الذى لا يتوقع منه سوى الازعان ثم ينتهي المستأنف ضده الى غايته من مؤلفه المذكور فيقول فيه ص ١١٠ وقد آن اوان المراجعه والانتقال الى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها بل من كل سلطة تعوق مسيرة الانسان في عالمنا علينا أن نقوم بهذا الآن وفورا قبل ان يجرفنا التيار، وهذا الذى صرح به المستأنف ضده إنما يرد به قول الحق تبارك وتعالى في ايات كثيرة عن عبودية الانسان لله سبحانه وتعالى كما في قوله تبارك وتعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) سورة الذاريات الاية ٥٦ . كما ترد الايات الكثيرة التى تلزم الانسان بطاعة ربه سبحانه وطاعة رسولة - صلى الله عليه وسلم - كما في قول الحق تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) سورة النساء الاية ٦٥ . كما ان هذا الذى اورده المستأنف ضده يرد به الايات الكثيرةالتى تفرض على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى

سائر الامة الاسلامية حكاما ومحكومين الى يوم الدين ، تفرض على الجميع الحكم بما انزل الله سبحانه ، وهل يكون الا الحكم بالنصوص ، ومن هذه الايات ما ورد بسورة المائدة بالايتين ٤٩ ، ٥٠ يقول الحق تبارك وتعالى (وأن أحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فأن تولوا فأعلم إنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم – وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) وفى نفس السورة بنص الحق تبارك و تعالى على صفة من لم يحكم بما انزل الله تبارك وتعالى و ذلك فى الايات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) ٠ (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) ٠

هـ – واذا كانت المحكمة قد اوردت بعرض مقالات المستأنف ضده فما توصيف المذكور لبعض مؤلفاته (نقد الخطاب الدينى) يقول ص ١٠ فأذا كانت هذه الفصول الثلاثة قد سبق نشرها منفصلة .. فأن وحدتها لا تكمن فقط فى وحده الموضوع الذى نتناوله (وهو الخطاب الدينى) بل تتجلى بشكل ابرز فى كونها جزء حيويا من منظومة أكبر ، منظومة العقل فى صراعه ضد الخرافة و العدل فى صراعة ضد الظلم ٠ وحيث أن المحكمة تنتقل الى كتابات المستأنف ضده عن السنة النبوية ٠

القسم الثانى : ما يتصل بالسنة النبوية ، و نقلا عن كتاب المستأنف ضده : الامام الشافعى وتأسيس الأيدولجية الوسطية العبارات الاتية : ص ٢٨ : فى محاولة الشافعى ربط النص الثانوى (السنة النبوية) بالنص الاساسى (القرأن) ٠٠٠ ص ٣١ لا يخلو بدورة من دلالة على طبيعة مشروع الشافعى المشروع الهادف الى تأسيس السنة نصا وفى ص ٣٩ يقول : فأن الوجه الثالث محل الخلاف وهو أستقلال السنة للتشريع يكشف عن طبيعة الموقف الذى أهيل علية تراب النسيان فى ثقافتنا وفكرنا الدينى ، وطبقا لهذا الموقف ليست السنة مصدرا للتشريع و ليست وحيا بل هى تفسير وبيان لما اجمله الكتاب – وحتى مع التسليم بحجية السنة فأنها لا تستقل بالتشريع ولا تضيف الى النص الاصلى شيئا لا يتضمنه على وجه الاجمال والاشارة

تأويل النصوص

وفى ص ٤٠ يكرر المستأنف ضده : واذا كانت الحكمة هى السنة فأن طاعة الرسول المقترنة دائما بطاعة الله فى القرآن تعنى أتباع السنة (المستأنف ضده هنا يورد رأى الشافعى) ولا يمكن الاعتراض على الشافعى بأن المقصود بطاعة الرسول طاعته فيما يبلغه من الوحى الالهى (القرآن)، لأنه قد جعل السنة وحيا من الله يتمتع بنفس القوة التشريعية والالزام .. هكذا يكاد الشافعى يتجاهل بشرية الرسول تجاهلا شبة تام ٠

وفى ص ٤٢ : ومعنى ذلك أن تأسيس مشروعية السنة بناء على تأويل بعض النصوص (الكتاب) – مثل تأويل الحكمة بأنها السنة ، وتأويل العصمه بأنها أنعدام الخطأ مطلقا ، لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الايدلوجى المشار اليه ولا يتبين هذا بشكل واضح الا ببيان الكيفية التى يساجل بها الشافعى من لا يقبلون من السنة إلا ما وافق الكتاب ٠

وفى ص ٥٥ : يوضح ما يراه المؤلف من دور الشافعى والدافع اليه : أن تأسيس السنة وحيا لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الايدلوجى الذى اسهبنا فى شرحه وتحليله : موقف العصبية العربية القرشية التى كانت حريصة على نزع صفات البشرية عن محمد (صلى الله عليه وسلم) والباسه صفات قدسية الهية تجعل منه مشرعا وسبق ان قال هذا المعنى ص ٤٥ بالفاظ مقاربة

وفي ص ٧٤ – ٧٥ يقـ ل المستأنف ضده : ولا شك ان قبول الشافعي للمراسيل٠٠٠٠٠ كاشف عن طبيعة المشروع الذى يريد أن يصوغ الذاكرة على أساس الحفظ ومرجعية النصوص وبعد تدشين السنة نصا ٠

وفي ١١٠ يقول : هذه الشمولية التى حرص الشافعي على منحها للنصوص الدينية بعد أن وسع مجالها فحول النص القانونى الشارح الى الاصلى واضفى عليه نفس درجة المشروعية ٠

وهذا الذى أورده المستأنف ضده عن السنة فيه رد لكثير من الايات القرآنية الصريحة فى وجوب الرجوع الى السنة والوعيد لمن يخالفها يقول الله سبحانه : "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا " سورة النساء الآية ٥٩ ، فالرد هنا الى كتاب الله سبحانه و الى سنه رسول صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته عليه و على اله الصلاة والسلام ٠

ويقول الله تبارك و تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) ٠سورة النساء الاية ٦١ ثم يقسم الحق تبارك وتعالى على عدم ايمان من لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما نشب من خلاف وهذا هو التسليم الظاهر ٠

أقوال العلماء

ثم لا يجدحرجا فيما قضى صلى الله عليه و سلم وهو التسليم باطنا بهذا الحكم ، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما سورة النساء الاية ٦٥ ٠والمحكمة لا ترى سعة حكمها ليحتوى اقوال العلماء المسلمين بأختلاف مذاهبهم ونحلهم على أن السنة وحى من الله تعالى وشرع منه فى خصوص تشريع الاحكام لا فى مجال الأمور الدنيوية و المعيشية وهى قوال ترى المحكمة أن المستأنف ضده وهو استاذ فى علوم العربية والدراسات الاسلامية بأحدى الجامعات المصرية لا تخفى عليه ، وتورد المحكمة بعضا من هذه الأقوال اقامة للحجة عليه أضافة لما سبق : يقول أبو بكر الجصاص من كبار علماء الحنفية وائمتهم (قوله تعالى(وما ينطق عن الهوى) يحتج به من لا يجيز أن يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحوادث من جهه أجتهاد الرأى بقوله (أن هو إلا وحى يوحى) وليس كما ظنه ، لان أجتهاد الرأى اذا صدر عن الوحى جاز أن ينسب موجبه وما ادى اليه أنه عن وحى أحكام القرآن ٣/٤١٣ ويقول السرخص من كبار فقهاء الحنفية (قد بينا انه كان يعتمد الوحى فيما بينه من أحكام الشرع والوحى نوعان ظاهر و باطن ٠٠ واما ما يشبه الوحى فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو استنباط الاحكام من النصوص بالرأى والاجتهاد فأنما يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذ الطريق فهو بمنزلة الثابت بالوحى لقيام الدليل على أنه يكون صوابا لا محالة) فى أصول الوحى ٢/٦٠ – ٦١ أما كلام فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة فى هذا الخصوص فقد نقل المستأنف ضده بعضا منه فى كتابه عن الامام الشافعي والاتفاق بينهم على أن السنة وحى من الله تعالى أما أهل الظاهر فيقول أبن حزم (الوحى ينقسم – من الله عز وجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قسمين : أحدهما وحى مألوف تأليفا معجز النظام وهو القرآن والثانى وحى مروى منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو – ولكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين عن الله عز وجل مراده هنا ، وقال الله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) وجدناه تعالى قد أوجب طاعته هذا الثانى كما أوجب طاعة القسم الأول الذى هو القرآن ولا فرق)

الأحكام فى اصول الأحكام ٨/١ ويقول الشيعة (لا يختلف الشيعى عن السنى فى الاخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل يتفق المسلمون جميعا على أنها المصدر الثانى للشريعة ، ولا خلاف بين مسلم وأخر فى أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم سنة لابد من الاخذ بها) مقدمة المختصر النافع فى فقه الامامية ولا تخرج كتب المعتزلة فى مجموعها عن هذا الأصل (راجع المعتمد فىأصول الفقه لأبى حسين البيصرى) وكذا كتب الخوارج (راجع شرح الدعائم تحقيق عبد المنعم عامر) ٠

من هو المرتد

وحيث أنه بالرجوع الى المذهب الحنفى لمعرفة من يعد مرتدا لاعتبار أن الرجوع الى المذهب المذكور هو الواجب عملا بالمادتين ٦ من القانون ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ، ٢٨٠ من لائحه ترتيب المحاكم الشرعية والمادة ٦ بمذكورة تقرر (تصدر الاحكام فى المنازعات المتعلقة بالاحوال الشخصية والوقف والتى كانت أصلا من أختصاص المحاكم الشرعية طبقا لما هو مقرر فى المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم المذكورة) أما المادة ٢٨٠ من اللائحة فعبارتها (تصدر الأحكام طبقا للمدون من هذه اللائحة
ولأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة ما عدا الأحوال التى ينص فيها قانون المحاكم الشرعية على قواعد خاصة فيجب فيها أن تصدر الاحكام طبقا لهذه القواعد) نجد الامام أبو بكر الجصاص يقول فى أحكام القرآن ٢/٢٣١/٢١٤ ٠٠ وفى هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه و سلم فهو خارج عن الاسلام سواء رده من جهه الشك فيه أو من جهه ترك القبول والامتناع من التسليم لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبى صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الايمان ٠٠ ويقول ابن تيمية من الحنفية (الاشباه و النظائر) ٩٠/١٩٢ : الكفر تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فى شىء مما جاء به من الدين ضرورة ، ولا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بجحود ما أدخل فيه ، ويصير مرتدا بأنكار ما وجب الاقرار به ، أو ذكر الله تعالى أوكلامه -- بالاستهزاء ، والاستخفاف بالقرأن أو المسجد أو ما يعظم كفر ٠٠ ورد النصوص كفر ويقول ابن عابدين فى حاشيته ٣/٤٠٩/٤١١ فى خصوص الزنديق (٠٠٠لاعتبارهم ابطان الكفر والاعتراف بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٠٠ فان قلت كيف يكون معروفا داعيا الى الضلال وقد أعتبر فى مفهومه الشرعى أن يطبق الكفر ؟ قلت : لابعد فيه فأن الزنديق يموه كفره ويروج عقيدته الفاسدة ويخرجها فى الصورة الصحيحة وهذا معنى ابطان الكفر فلا يتنافى اظهاره الدعوى الى الضلال و كونه معروفا بالاضلال ٠٠ ويجحدون الحشر والصوم والصلاة والحج ويقولون المسمى بها غير المعنى المراد والحاصل انه يصدق عليهم اسم الزنديق)٠
هذا هو مذهب الحنفية فى المرتد ولا توجد فيما اطلعت عليه المحكمة قول او رأى يذهب الى أن من ارتكب احد الافعال السابقة غير مرتد بل أن الاجماع أنعقد على تكفيره من واقع نص الكتاب الكريم وكذا من أستخف بالقرأن أو بشىء أو جمده أو حرفا منه أو كذب شيئا منه او اثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علمه منه بذلك أو شك فى شىء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم بأجماع وكذا من سخر بالشريعة أو بحكم من أحكامها كأن يسخر من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر او لم يقر بالانبياء والملائكة فهو كافر اتفاقا ٠" راجع تبصره الأحكام -٢- ٢٨٧ ، الاعلام بقواطع الاسلام - ٣١-٦٤ "٠

السخرية من القرآن

لما كان ما تقدم وكان الثابت مما أوردته المحكمة من تقول لأقوال المستأنف ضده فى مؤلفاته والتى اقر بها على نحو ما سلف انه ارتكب الاتى على نحو ما فصلته المحكمة فيما سبق : ١- كذب المستأنف ضده كتاب الله تعالى بانكاره لبعض المخلوقات التى وردت بالآيات القرآنية ذات الدلالة القاطعة فى اثبات خلق الله تعالى لها ووجودها كالعرش والملائكة والجن والشياطين ورد الايات الكثيرة الواردة فى شأنها ٠

٢- سخر المستأنف ضده من بعض أيات القرأن الكريم بقوله : " حول النص يقصد القرأن الكريم - الشياطين الى قوة معوقة ٥جعل السحر أحد ادواتها " وسبق الاشارة الى موضع هذا القول من مؤلفاته ٠

٣- كذب المذكور الآيات الـ .ـة وهى نص فيما تدل عليه بشأن الجنة والنار ومشاهد القيامة ويرميها بالاسطورية ٠

٤- يكذب المذكور الآيات القرآنية التى تنص أن القرأن الكريم كلام الله تعالى وتسبغ أفضل الصفات وأعظمها عليه فيقول انه نص أنسانى بشرى وفهم بشرى للوحى ٠

٥- يرد المذكور أيات كتاب الله تعالى القاطعة فى عمومية رسالة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة عامة ٠

٦- و فى مجال آيات التشريع والاحكام يرى المستأنف ضده عدم الالتزام بأحكام الله تعالى الواردة فيهما بعامة لانها ترتبط بفترة تاريخية قديمة ويطالب بأن يتجه العقل الى أحلال مفاهيم معاصرة اكثر أنسانية و تقدما وأفضل مما وردت بحرفية النصوص " كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا) سورة الكهف الاية ٥ ، وينفى عن النصوص وجود عناصر ثابتة بها ، ويرد على وجه الخصوص النصوص المتعلقة بأحكام المواريث ، والمرأة وأهل الذمة وملك اليمين الواردة بكتاب الله تعالى ٠

السخرية من السنة

٧- وبعد ان عمق المستأنف ضده هجماته وتكذيباته لكتاب الله اتجه الى السنة النبوية الشريفة لينال منها قدراستطاعته فيردها كوحى من عند الله تعالى و كاصل للتشريع و ان القول بذلك يقصد منه تأليه (محمد صلى الله عليه و سلم) وبهذا يرد الايات القرآنية ويكفر بها الواردة فى حجيه السنة وفى انها من وحى الله تعالى وان اختلفت عن القرآن الكريم فى الصفة والأثر ٠ وحيث أن هذه الأقوال بأجماع علماء المسلمين وأئمتهم اذا اتاها المسلم وهو عالم بها يكون مرتدا خارجا عن دين الاسلام ، فاذا كان داعية لها فأن بعض العلماء يسمية زنديقا فيكون اشد سواءا من المرتد ، وكان المستأنف ضده يعمل استاذا للغة العربيـــة والدراسات الاسلامية فهو يعلم كل كلمة كتبها وكل سطر خطه وماتعنيه هذه الكلمات و ما تدل عليه هذه السطور وان كان من المقرر انه عند ظهور الالفاظ فلا تحتاج الى نيه ومن ثم يكون المستأنف ضده قد ارتد عن دين الاسلام واضافة لذلك فقد استغل وظيفته كاستاذ لطلبة الجامعة فأخذ يدرس لهم هذه التكذيبات لكتاب الله تعالى ويلزمهم بدراسة واستيعاب هذه المعلومات القاتلة بما حوته من الاوصاف البذيئة التى رأى بها كتاب الله تعــالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، دون خوف من الله سبحانه وتعالى ولا خوف من سلطة حاكمه وهؤلاء الشباب فى سن التشكيل والتأثر وخصوصا بمن يعتبرونهم قدوة لهم كأساتذتهم وترى المحكمة ان الكلية التى يدرس بها المستأنف ضده والجامعة مسئولان - عن هذه الكتب لان هذه المؤسسات العلمية عندها من الوسائل وتستطيع ان تضع من التنظيمات ما يكفل منع هذه المؤلفات التى تحاول هدم

اصول العقيدة الاسلامية وما هى بمستطيعة ولكنها تشوش عقول الشباب فى أصول عقيدتهم ، وقد تدفع البعض الى المروق عن الدين ، وهذا افساد للمجتمع وللشباب وللجامعة ، والدين الاسلامى كما هو شامخ ثابت كما انزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قد تعرض لكثير من هذه الفقاقيع من دسائس ابن سبا و مرورا بزنادقة العصر العباسى وغيره من العصور، والاسلام فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفى الدول الاسلامية وفى قلوب المؤمنين باق مستمر ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره المنافقون ، وما أتاه المستأنف ضده ليس خروجا على كتاب الله تعالى وكفرا به فحسب ولكنه ايضا خروجا على دستور جمهورية مصر العربية فى مادته الثانية والتى تنص علىأن الاسلام دين الدولة فالدولة ليست علمانية ولا ملحدة ولا نصرانية ، والدولة مسلمة دينها الاسلام ، واذا كان دين الدولة الاسلام ان الاعتداء على اصوله ومقدساته اعتداء على الدول فى كيانها التى تقوم عليه وعقيدتها التى تدين بها .وايضا خروج على المادة التاسعة من الدستور فيما نصت عليه من ان الاسرة اساس المجتمع و قوامها الدين ، وخروج على المادة ٤٧ من نفس الدستور التى تجعل حرية الرأى مكفولة ولكل انسان التعبير عن رأيه فى حدود القانون ، وهو لم يلتزم حدود القانون فيما كتبه لخروجه على قانون العقوبات فى هذا الشأن، اما ما دفع به المستأنف ضده من ان ما اتاه فى حدود البحث العلمى والاجتهاد الفقهى فهذا دفع ظاهر الفساد ، فان من المعلوم لكل باحث ولو كان مبتدئا ان للبحث العلمى اصوله وللإجتهاد الفقهى قواعده و شروطه ، فأن انسلخ الباحث عن أصول العلم الذى يبحث فيه واذا حاول هدم القواعد والشروط واذا خرج عن التزامات البحث العلمى الحقه ، فلا يسمى ما كتبه بحثا ، ولا ماسطره اجتهاد ، وبالنسبة للمستأنف ضده فأنه يبحث فى علوم القرأن فى مفهوم النص ، ومفهوم النص بالمعنى اللغوى لانه لفظ باللغة العربية يرجع فى تحديده للغة العربية وهو اصطلاحى يرجع فى تحديده لأهل العلم من العلماء فى علوم القرآن الكريم وأصول الفقه .ففى اللغة العربية من مادة : فهم ، والفهم : هيئة للانسان بها يتحقق معانى ما يحس ، وافهمته اذا قلت له حتى تصوره ، فاذا انتقلنا الى المعنى الاصطلاحى نجد ان بعضهم يحده بانه التنبيه بالمنطوق المسكوت عنه ، أى ان حكم النص قائم وهناك حكم اخر يؤخذ من هذا المنطوق يفهم منه ومنه مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة (راجع : الاحكام للامدى /٢/٣٢٨ المدد فى اصول الفقة (١/١٥٢-١٥٣)اما هدم النص والدعوى الى التحرر من سيطرته وإنشاء مفاهيم عقلية لا يحدها نص ولا تلتزم بلغة فهذا ليس من صور البحث العلمى وخصوصا فى مسائل العقيدة وعلوم القرأن ، والاجتهاد لغة من بذل الجهد فى طلب الشىء المرغوب اداركه حيث يوجب وجوده او يوقن وجوده فيه واصطلاحا : استنفاذ الطاعة فى طلب حكم النازلة حيث يوجد ذلك الحكم ، ومصادر الحكم الشرعى هو كتاب الله تعالى و سنة رسولة محمد صلى الله عليه وسلم اما نصا واما اجتهادا فقهيا ، فاذا خرج المستأنف ضده عليهما وكذبهما وردهما فلا يكون هذا اجتهادا وهذا شأنه فى مؤلفاته التى أطلعت عليها المحكمة على نحو ما فعلت .

التفريق بين الزوجين

ولما كان ذلك وكان من المقرر وفق مذهب الحنيفة انه اذا ارتد احد الزوجين ، فأن كانت الردة من المرأة كانت فرقة بغير طلاق بالاتفاق فى المذهب ، وان كانت الردة من الرجل فعند ابى حنيفة وابن يوسف وقعت الفرقة بغير طلاق وهو الراجح بينما قال محمد هى فرقة بطلاق لهما . ان الردة منافية للعصمة موجبة للعقوبة ، والمنافى لا يحتمل التراخى فتبطل النكاح (الهداية وفتح القدير /٣/٤٢٨ - ٤٢٩) وإذا تاب المرتد فأنه يثبت عليه بعض الاحكام كحبوط

العمل وبطلان الوقف وبينونه الزوجة فلابد من عقد ومهر جديدين ان ثبتت التوبة وأرادا ان يعودا الى بائنته . لما كان ما تقدم فأنه يتعين القضاء بالتفريق بين المستأنف ضده الاول وزوجته المستأنف ضدها الثانية لردته وهى مسلمة والمحكمة تهيب بالمستأنف ضده ان يتوب الى الله سبحانه وان يعود الى دين الاسلام الحق الذى جعله الله نورا للناس وصراطا مستقيما يفوز به الانسان سعادة الدنيا والاخرة بالشهادة والايمان بما اوجب الله سبحانه الايمان به والتبرؤ من كل الكتابات التى كتبها لما فيها من كفر وتكذيب لآيات الله تعالى ورد لاحكامه سبحانه وليكن فى اخرين كانوا قد سلكوا مسلكه ثم تابوا الى الله سبحانه قدوة له فى ذلك .

وليسمع قول الحق تبارك و تعالى :(قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغته وانتم لا تشعرون) . سورة الزمر - الايات ٥٣/٥٥ .

فلهذه الاسباب

حكمت المحكمة حضوريا بقبول اللاستئناف شكلا وبالغاء الحكم المستأنف ورفض الدفوع المبداة من المستأنف ضدهما بعدم الاختصاص الولائى وبعدم انعقاد الخصومة و عدم قبول الدعوى لرفعها من غير ذى صفه وبأختصاص المحكمة ولائيا وبقبول الدعوى وفى الموضوع بالتفريق بين المستأنف ضده الاول والمستأنف ضدها الثانية و الزامهما بالمصاريف عن الدرجتين وعشرين جنيها مقابل اتعاب المحاماة . صدر هذا الحكم وتلى علنا بجلسة يوم الاربعاء الموافق السادس عشر من المحرم لسنة ١٤١٦ هجرية الموافق ١٤من يونية سنة ١٩٩٥ ميلادية .

أمين السر | رئيس المحكمة

التعليق :

معنى الحكم أنه (مرتد) والمرتد فيما وصل اليه بعض العلماء يستتاب ابداً .. أي يدعى للدخول في الإسلام .. وبإستمرار حتى نهاية حياته .. والبعض يرى أنه يحبس حتى يثوب .. والبعض يرى أنه يستتاب ثلاثة أيام فقط .. وإن لم يعلن توبته يقتل لقول رسول الله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » .. وقدسارع د . نصر وهرول إلى الصحف عند سماعه نبأ الحكم يستصرخها أن تنشر له بياناً يعلن فيه إسلامه .. **واستجابت الصحف جميعا واعلنت له البيان التالي ..**

لأنني باحث مسلم وهب حياته للدفاع عن الإسلام وكرس طاقته الذهنية والعلمية للكشف عن غايته النبيلة ، ومعانيه الإنسانية السامية في مناخ يسيء للإسلام ويعرضه لهجوم الأعداء بسبب بعض الذين يستغلون معانيه الإنسانية النبيلة لتحقيق غايات نفعية دنيوية رخيصة على حساب مصلحة الأمة ومصالح المواطنين مسلمين ، وغير مسلمين ، لذلك أدهشني بقدر ما أثار غضبي سعى هؤلاء سعيا حثيثا لقتلي بدلا من مناقشة أفكاري.. والجدال معي بأساليب البرهان العقلي الرشيد .. لقد سمحوا لأنفسهم باتهامي بالردة .. والزيغ عن الإسلام ، وطالبوا بالتفريق بيني وبين زوجتي ..

ولأن الإسلام الناصع الصفاء لا يسمح لهم بذلك .. فقد حاولوا التخفي وراء عباءة القانون متجاهلين أن دعوى تكفير المسلم بلا برهان ترتد – عند الله سبحانه وتعالى – على المدعي ، فالله وحده هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

لقد كانت جريمتي في نظر هؤلاء الذين يرفعون مبادىء الإسلام غطاء لأهدافهم غير النبيلة ، أنني رفضت الانصياع لقرار جامعي يصم اجتهاداتي الفكرية والعلمية في خدمة الإسلام بأنه كفر صريح ، واعتداء على العقيدة والمقدسات ، وليت التقرير الذي اعتمد عليه ذلك القرار كان تقريراً علميا أكاديميا يناقش منهج الباحث ويحلل أدواته وإجراءاته العلمية ، بل كان باختصار فتوى تكفير لاسند لها سوى آراء كاتبه التي هي محض آراء بشرية وليست دينا .. لقد تم تجريم الفكر بفكر آخر ، وسمح البعض لنفسه أن يعتبر رأيه دينا يجب اعتقاده . وكأنه بذلك يتصور نفسه إلها ﴿ تبارك الله عما يصفون ﴾ يريدون عودة عقرب الساعة إلى الوراء . وأن يعودوا بنا إلى عصر الوثنية والجاهلية الظلماء العصر الذي صرخ فيه الصديق أبو بكر في وجه مشركي قريش الذين أرادوا قتل النبي محمد ﷺ : « ما لكم قبحكم الله أتقتلون رجلا يقول ربي الله » ، ولأنني أعتز بإيماني بالله وبرسوله ،وإيماني بنبل الإسلام وإنسانية مقاصده ، فإنني أعتز كذلك بقيمة إجتهاداتي الفكرية والعلمية .. لذلك لن تنال مني فتاواكم المغرضة .. ولا محاولاتكم المستميتة لقتلي .. سأظل أناضل عن الإسلام مسلحا بالوعي العلمي .. والمنهجية الصارمة ، ولو كان دمي هو الثمن .. ولا سبيل إلا الحقيقة أو الشهادة أو معانقة النور يضيىء عقول المسلمين ويفتح أمامهم سبيل التقدم « والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .. د . نصر حامد أبو زيد في ١٦ / ٥ / ١٩٩٥ « بيان لكل الصحف ..

التعليق:

وهكذا راح يصيح « أنا مسلم » بعدما فات الأوان فالهدف من هذا البيان أن يحمي دمه ودم زوجته التي وصفها البعض بعد صدور الحكم بالتفريق وعدم تنفيذها له « بالزانية » في الوقت نفسه سارعت النيابة العامة تقدم طعنا في الحكم قدمته لمحكمة النقض لنقض الحكم ، وقدم هو طلبا في الشق المستعجل لوقف تنفيذ الحكم لحين نظر الطعن بطريق النقض فتأجل البت فيه لأسباب إجرائية حتى ٩٥/٨/٢٣ ثم ١٩٩٥/٩/٤ ثم ٢٥ / ١٢ / ١٩٩٥ وهكذا .. وقام د . نصر يقدم إشكالا في الحكم لوقف التنفيذ أمام المحكمة التي أصدرته في دائرة أخرى لمحكمة الأمور المستعجلة. فأجلت البت في طلبه لجلسة ٩٥/٧/٢٧ وتأجلت مرة أخرى لجلسة ٢٥ / ١٢ / ٩٥ ..

واستعرت الصحف .. وإشتعلت الآراء .. وأصبح هناك فرقاء .. وعلت أصوات الخطباء من فوق منابر المساجد .. وكان بعضها حواراً دار تحت أجراس الكنائس ..

ولم تهدأ الصحف .. ثورة الرأي .. ومن عجب أن المستشار د . فاروق عبد العليم سرى الذي صدر الحكم

المستأنف برئاسته .. وفى فوضى التعليقات على الحكم .. قام بالتعليق على حكمه .. !! فى سابقة فريدة لم تحدث فى تاريخ القضاء .. فالمعلوم أن القاضى تنقطع صلته بالدعوى فور النطق بالحكم فيها .. ولكن نشر له حديثاً صحفياً فى مجلة المصور المصرية بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٩٩٥ .. !! وماكان له أن يسقط هذه السقطة؟ حيث كان عليه أن ينفصل عن الدعوى بعد صدور الحكم .. ولا يتصل بها بأى وجه من الوجوه ..

ولقد دفع تصرفه هذا لهجوم الكتاب عليه .. بل كان تصرفه هذا .. جواز مرور يمر منه كل من يروق له تأييد الحكم أو الهجوم عليه .. فهو رب البيت (الحكم) .. وقد أصبح (ضاربا للدف) إذن فلا غرو أن يكون أهل البيت شيمتهم (الرقص) عملا بقول الشاعر :

إذا كان رب البيت بالدف ضارب . . فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وقد علق الكثيرون بعد ذلك على الحكم .. وكان لهم العذر .. ومن أفضل من تناول الحكم والموضوع الدكتورة / عائشة عبد الرحمن والشيخ محمد الغزالى والصديق الدكتور / ، سليم العوا ، وجمع كبير من الصحافيين منهم الأستاذ / صلاح منتصر وغيره كثير ..

التعليق علي أحكام القضاء .. هل يجوز ؟

وكان لنا رأى ـ المؤلف ـ فى التعليق على أحكام المحاكم نشر لنا بمجلة أكتوبر بتاريخ ٣١ / ١ / ١٩٩٣ وإصطحبنا فى الابداء برأيه معنا كوكبة رفيعة المستوى فى الفكر القانونى فكتب معنا فى هذا الموضوع وتحت عنوان (سؤال هام لرجال القضاء : متى يجوز التعليق على أحكام القضاء) بالصفحة رقم ٢٦ ، و٢٧ من المجلة المذكورة كلا من الدكتور كمال أنور محمد رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس القضاء الأعلى والأستاذ / أحمد شدن المحامى بالنقض والنقيب السابق لمحامى القاهرة لمدة ١٥ عاما ورئيس أول جمعية قانونية مصرية والمستشار عبد المجيد محمود المحامى الأول لنيابات أمن الدولة العليا والدكتورة فوزية عبد الستار رئيس قسم القانون الجنائى بحقوق القاهرة ورئيس اللجنة التشريعية بمجلس الشعب والمستشار مقبل شاكر نائب رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس ادارة نادى القضاة .. والدكتور / عبد المنعم الشرقاوى أستاذ قانون المرافعات بحقوق القاهرة والمحامى بالنقض والمستشار وحيد محمود ابراهيم رئيس محكمة جنايات أمن الدولة العليا بالقاهرة وكنا معهم ـ المؤلف – فنشر رأينا مع آراء هؤلاء الأصدقاء الأعزاء ورداً على سؤالنا .. متى يجوز التعليق على أحكام القضاء ؟ وتحت عنوان فرعى (خمسة شروط) نشرت المجلة ردنا على النحو التالى : –

[ولكن ماهو رأى المتخصصين فى القضاء العسكرى وماذا يقولون ؟ !! يرى اللواء / أحمد أمين العطار رئيس المحكمة العسكرية العليا سابقا ، أنه لا يجوز التعليق على القضايا عموما سواء مدنية أو عسكرية أدبيا لأن المفترض أن القاضى لابد أن يكون منزها عن أى تأثيرات خارجية، وعندما يقوم أحد بالتعليق على حكم معين ، فهو يقوم بذلك بالطعن على نزاهة الحكم . ولو صدر الحكم مخالفاً لوجهة نظر الكاتب أو المعلق وكان هذا الكاتب ذا قبول جماهيرى واسع ، ففى هذه الحالة سيكون ذلك بمثابة إهتزاز لصورة القاضى الذى أصدر الحكم ، أو المحكمة التى أصدرته ، وهنا ستختل موازين ثقة المواطنين فى القضاء أو المحكمة وإذا جاء الحكم مؤيداً لوجهة نظر الكاتب أو المعلق ، فلابد من التأكد أن البراءة التى صدرت كانت بمحض الصدفة أن تطابقت مع وجهة نظر الكاتب ، لأن المفترض فى القضاء النزاهة .. والقاعدة القانونية تنص على أن تكون الأدلة صارخة لا تحتاج إلى شك . وإذا حدث فيها أى شك فهنا الحكم يكون فى مصلحة المته، وعلى هذا ، فإن القضاء يؤمن بأن تبرئة متهم مشكوك فى صحة إتهامه ، خير ألف مرة من إدانه متهم مشكوك فى براءته .. فالقاعدة القانونية أن الشك يفسر لصالح المتهم ، وهو ما يعمل به رجال القضاء ..

ويضيف رئيس المحكمة العسكرية العليا سابقا ، أن التعليق على القضايا غير مجرم قانونا مالم يصدر قرار من القاضى بحظر النشر لسرية القضية أو لعدم التأثير على الشهود ، لأنه من الممكن – ما دام أن القضية فى مراحلها وإجراءتها – عن طريق التعليق يمكن أن تتضح أمام المتهم والشهود نقاط جديدة ؛ ويجوز التعليق

على القضايا التى صدرت بشأنها أحكام نهائية باته ، ولكن مع التحفظ بأن تأييد الحكم من جانب المعلق هو تأكيد لفهم هذا المعلق لجوانب القضية وبالتالى إذا كان هذا المعلق له قبول جماهيرى واسع لدى القراء فهو يؤكد ثقتهم في أحكام القضاء وأن معارضته هى عدم فهم كامل من المعلق لجوانب القضية ومن شأنه أن يخل فيما اذا رأى من يؤيد رأى القائم بالتعليق – بنزاهة القضاء والقضاة ..

وفى الجملة يرى رئيس المحكمة العسكرية العليا سابقاًأنه يجوز التعليق على الأحكام القضائية النهائية أو الباتة ولكن بتوافر شروط خمس فى القائم بالتعليق من الكتاب أو الصحفيين أولها أن يكون المعلق قانونيا متخصصا فى دراسة القانون ويفضل أن تكون له ممارسة بالأعمال القضائية .. وثانيها أن يكون ملما بكل ظروف القضية .. وثالثها : أن يكون على علم تام بالأوراق المتداولة فى هذه القضية .. ورابعها : ألا يكون المعلق متهما فى تعليقه بمعنى ألا تربطه صلة قرابة أو صلة من صلات المنفعة أو صلة من صلات العداء أو صلة من صلات الخسارة فى أمر هذه القضية أو الخصوم أو القائمين على مباشرتها ، وليس لديه مغرم أو مغنم من التعليق وألا يكون لديه أى مصلحة خاصة فى إدانة متهم أو تبرئته .. وخامسها : ألا يكون هناك خطر من النشر لهذه القضايا والحظر يصدر من المحكمة لأسباب قد تراها جوهرية] ..

هذا ما نشر لنا بالنص فى أمر متى يجوز التعليق على أحكام القضاء .. وأحسب أن رئيس محكمة الاستئناف قد أخطأ بتعليقه على حكمه حيث دافع عن الحكم الذى أصدره فله فى ذلك (مغنم) بالتعليق فضلاً عن أن الحكم الذى هو فى مفهوم تلاميذ كلية الحقوق « هو الحقيقة ذاتها » .. لم يعد ذلك .. بدفاع قاضية عنه ؟!!.. وهذا .. ما كان له أن يقترفه ..

ولم يكن صراخ الخاصة والغوغاء قاصراً على الصحف والمجلات وحتى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وإن انتشر على المقاهى والمجالس الشعبية .. وكان السبب تعليق القاضى على الحكم .. ولكن لأن موضوع العقيدة يمس كل فرد .. حتى إن كان هذا الفرد لاهيا عابثا لا يقيم لدنيه فروضها .. ولكن وكما قلنا أن ايديولوجية المجتمع المصرى تهيم بالعقيدة وجداً حتى وأحسب ما أقول ينطبق على مثالنا الوهمى التالى : هب أن أحداً من غير رجال الدين .. واللاهين عن القيام بشعائر الدين بل ومن الغارقين فى الملذات من خمر إلى نساء إلى قمار .. والعياذ بالله .. وهو فى هذا الحال سمع وسائل الإعلام تقطع برامجها لتذيع البيان التالى ..

(قررت الحكومة المصرية إلغاءصلاة العصر لتكون فروض الصلاة أربعة فقط بدلاً من خمسة ، وذلك تخفيفاً على كاهل المواطنين وتيسيراً عليهم.) ..

فرغم أنه لا يحمل من الإسلام غير اسمه .. وربما لا يؤدى الفروض فى أوقاتها أو غير أوقاتها إلا أنه بالقطع سيثور مع الثائرين ، فالإسلام فى القلب عامر ، حتى من بعض من يعصوه .. ولذلك شغلت مصر كلها بأمور دينها وليس كما ظن الفتى المغرور د . نصر أن مصر إنشغلت بأمره شخصياً .. فقد كان كما قلنا أشبه بفتاة الختان فى شهرتها .. فالشهرة لم تكن لها فى شىء .. ولكن الشهرة كانت فى الحدث نفسه لإلتصاقة بالإسلام ..فكتب الجميع فى أمر الإسلام .. من يدين به .. ومن لا يدين .. ومن ذلك ما أعلنته منظمة حقوق الإنسان المصرية .. فأصدرت البيان التالى عقب استعار الأزمة وقبل صدور حكم المحكمة ..

د . نصر أبو زيد معرض للاغتيال (بيان للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان)

تتابع المنظمة المصرية لحقوق الإنسان بقلق بالغ التطورات الأخيرة فى قضية الدكتور / نصر حامد أبو زيد الذى تم حرمانه من الحصول على درجة الأستاذية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة بسبب آرائه وأفكاره المنشورة فى أبحاث ودراسات علمية ..

ولقد أشارت المنظمة فى بيان سابق لها صدر فى تاريخ ٤/ ٥ / ١٩٩٣ ، أن هذا الحرمان يشكل إنتهاكاً خطيراً لحرية الفكر والاعتقاد ومخالفة صريحة بشأن الحرية الأكاديمية. . وفى تطور جديد لقضية الدكتور / نصر حامد أبو زيد أقام البعض دعوى قضائية بطلب التفريق بينه وبين زوجته الدكتورة / **ابتهال يونس** على أساس أنه مرتد عن الإسلام ، من وجهة نظرهم ..

وقد بدأ نظر الدعوى بجلسة ١٠ / ٦ / ١٩٩٣ وتأجلت لاستطلاع رأى الأزهر فى ردة الدكتور / **نصر حامد أبو زيد ..** وتتابع المنظمة هذا التطور بقلق بالغ ، لأن مجرد طرح إيمان واعتقاد الإنسان على بساط المناقشة العامة فى مناخ التعصب الدينى – بصرف النظر عما سيؤول إليه موقف الأزهر – سوف يعرض الدكتور / نصر أو زيد وزوجته لخطر الاغتيال بواسطة بعض جماعات الإسلام السياسى والتى تعتقد أنه من الواجب عليها تنفيذ القتل فوراً فى المرتد ، وهذا ما حدث للدكتور / فرج فوده الذى اغتيل فى العام الماضى ، بناءً على بيان أصدرته ندوة من علماء الأزهر اعترضت فيه على السماح له بتشكيل حزب المستقبل بدعوى أن كتاباته « مناهضة للإسلام » .. بالإضافة إلى ذلك فإن تلك الدعوى تمثل محاولة خطيرة لوضع القضاء المصرى فى مواجهة غير مبررة مع حرية الفكر والاعتقاد التى كان الدفاع عنها واحترامها موقفاً ثابتاً ومستقراً فى التراث القضائى والقانونى المصرى منذ أكثر من سبعين عاماً ، وأيضاً فإنها تمثل انتهاكاً خطيراً للدستور المصرى وكافة المواثيق والعهود الدولية الخاصة بحقوق الإنسان والتى تكفل جميعها حرية الفكر والاعتقاد ..

وفى هذا الإطار تشير المنظمة إلى أن الخطر الذى يهدد الدكتور / نصر أبو زيد ، ما هو إلا إحدى الثمار المرة لتنامى سعار التعصب الدينى الذى أزكته وتواطأت عليه لسنوات مؤسسات الدولة ، وخاصة فى الإعلام والتعليم ، والذى طالما حذرت وتحذر منه المنظمة المصرية لحقوق الإنسان منذ سنوات ..

والمنظمة إذ تطلق هذا البيان صرخة تحذير ، تطالب الدولة بتوفير كافة سبل الحماية والأمان للدكتور / نصر أبو زيد وزوجته . وتطالب كل مؤسسات المجتمع المدنى بالتضامن معهما فى الحملة الموجهة ضدهما والدفاع عن حرية الفكر والاعتقاد فى مصر ، وتدعو الدولة إلى مراجعة جذرية لبرامج أجهزة الإعلام المملوكة لها ولاستئصال سموم التعصب الدينى فيها ..

نصر يقول .. أنا مصر

وفى حوار مع د . نصر لجريدة العربى فى ٢٩ / ١١ / ١٩٩٣ رفض المثول أمام المحكمة وابداء حسن نواياه فى بحثه عن الإسلام وعدم ارتداده فى كتبه فكتبت تقول :–

شغلت قضية (أبو زيد – شاهين) الرأى العام المصرى والعالمى – ولا تزال – منذ أبريل الماضى عندما رفضوا ترقيته إلى درجة الأستاذية وتحولت القضية إلى ساحات المحاكم ومنتديات الفكر بعد أن أصر د . نصر أبو زيد على رفع دعوى أمام محكمة القضاء الإدارى ضد ادارة الجامعة مطالباً بحقه فى الترقية . لا حباً فيها كما يقول ، ولكن دفاعاً عن حرية الرأى والبحث العلمى . وعلى الجانب الآخر رفع د . عبد الصبور شاهين سيف التشهير والتكفير ، بل ودفع استاذاً مساعداً بكلية دار العلوم لكتابة كتاب بعنوان « الرد على مطاعن أبو زيد فى القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين » تقدم به لنيل درجة الأستاذية . وهو الكتاب الذى استند إليه محمد صميدة المحامى والمستشار السابق بمجلس الدولة كوثيقة ،وطالب فى الدعوى رقم ٥٩١ لسنة ١٩٩٣ بالتفريق بين د. نصر أبو زيد وزوجته « باعتبارها مسلمة وهو مرتد وتطبيق حد الحرابة عليه حتى نتمكن من منعه من التدريس داخل الجامعة » ، وتأجلت القضية التى تنظرها محكمة الجيزة للأحوال الشخصية من جلسة ٤ نوفمبر إلى ٢٥ نوفمبر لحين سماع رأى الأزهر . ودخلت الجماعات الإسلامية اللعبة وأرسلوا خطابات تهديد بالقتل إلى د . نصر أبو زيد إذا لم يغادر مصر إلى أى دولة غير إسلامية مؤكدين أنهم لن يردوا إلا بالآلى !

القضية برمتها الآن أمام الرأى العام ليختار أحد طريقين : إما الدفاع عن المبادىء التى ترسخت عبر قرون طويلة من الاجتهاد العقلى .. أو الانسحاب أمام تخلف الإرهاب وعقلية العصور الوسطى ..

* يقول د . أبو زيد :

بالنسبة لقضية الترقية أصبحت الآن فى ذمة القضاء ، ولكن التداعيات التى تمت بناءً عليها كشفت عن مدى عدم تقبل المجتمع الذى يعبر عنه الخطاب الدينى لأى إطار للاجتهاد الفكرى ليس لعدم مشروعية تلك الاجتهادات ولكن بسبب الجهل بأدوات البحث العلمى الحديثة والمعاصرة التى يجب أن يتحلى بها العقل الإسلامى لمزيد من الفهم والمعرفة والنتيجة « محزنة » ، لأنها أكدت إن أمكانيات تطور الوعى الإسلامى

محدودة ، وبالتالى نتجت التداعيات المعروفة لنا جميعاً من تحول ساحات المحاكم إلى أماكن للفتوى الدينية، وأصبحنا نناقش كل مشاكل حياتنا ونحولها قسراً إلى قضية دينية . وهذا هو الخطر الحقيقى الذى يحول الإسلام إلى وقود مستهلك .. فحين نتساءل هل نقل الكلى « حرام أم حلال » نكون قد خرجنا بالقضية الطبية عن مجالها الأصلى وهو البحث عن أسباب تفشى هذا المرض فى المجتمع المصرى .. وعندما تنحصر أزمة الاقتصاد فى « حرام وحلال » نفقد إمكانية مناقشة أزمة الإنتاج والعمل ودوران رأس المال ..

*** ماذا لو حكمت المحكمة فعلا بالتفريق ؟**

* بالتأكيد سيكون شيئاً محزناً وأنا لست مشغولاً بما سيحدث لى لأننى مواطن سيموت مثل الاف المواطنين . ولن تقع الأمة بموتى أى أنه د . نصر يتصور نفسه مصر كلها فهو لا يخشى على نفسه من الموت ولكنه يخشى على مصر ففى موته موت لمصر .. !! أى حماقة وأى جهل هذا وأى غرور صلف مريض هذا الذى يقوله .. المؤلف ويستطرد قائلاً (ولكن حيث ينتهك عالم الإنسان الداخلى وينتهك صدره وقلبه فعليك السلام أيها الوطن . ولك أن تتخيل مستقبل مصر ؟ وعلينا أن نفكر فى العام لا الخاص .. أنا حزين جداً لأن تتحول المحاكم فى أواخر القرن العشرين إلى ساحات للفتوى الدينية ومع تأكيد المحامين لى أن دخولى المحكمة ونطقى بالشهادتين أمام القاضى سيجعله يرفض الدعوى ، ولكن هل نظن أننى إن فعلت ذلك سأخرج من المحكمة وأعود إلى طلابى فى الجامعة وأنا نصر أبو زيد .. أرجو أن يجيبونى) ؟

*** هل يوجد إذن ما يمكن أن نسميه الاجتهاد فى الدين ؟**

* طالما استخدمنا كلمة اجتهاد فمعنى ذلك إقرارنا به .. النصوص الدينية فى القرآن والسنة هى خطاب الله للبشر ، وإذا لم يكن المستقبل البشرى قادراً على فك شفرة تلك الرسالة وفهمها فلا مبرر لوجود الرسالة ذاتها ، والأداة الوحيدة لهذا الفهم هى العقل ؛ لأن الخطاب الإلهى لا يتضمن معنى واحداً ثابتاً ويستطيع مخاطبة البشر فى كل زمان ومكان .. مما يعنى استجابته لتطور الوعى الإنسانى ولا يمكن وقف هذا الوعى والفهم عند زمن معين ..

*** وهل هذا ما كنت تقصده بتاريخية النصوص ؟**

* نعم أردت بتلك المقولة أن أؤكد أن دلالة النص تمتد عبر التاريخ وتتغير وتتجدد نتيجة تغير الوعى ، فإذا ألغيت الاجتهاد ألغيت النصوص ذاتها .. والإمام على يقول « القرآن بين دفتى المصحف لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال » وهذا هو الفرق بينى وبينهم ، لأننى أجتهد وأقبل المناقشة وهم يدعون أن اجتهاداتهم هى صحيح الإسلام ولا يجوز مناقشتها . فالشيخ الغزالى مثلا يطرح اجتهاداته بعنوان « هذا ديننا » بمعنى أنها الإسلام النهائى ، أما د . شاهين الذى نشر رسالته للدكتوراه بعنوان « تاريخ القرآن » فقد نسى بعد العلم ، والسؤال الآن من يوقف دلالة النص .. من يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه .. أو من يقول إن ما قاله الشاطبى والشافعى وابن حنبل نهاية الأمر ؟

*** كيف يرى د . نصر مستقبل الجامعة فى ظل إشهار سيف التكفير أمام أى باحث مجتهد ؟**

* الكثير من أساتذة الجامعة تصوروا أن قضيتى داخلية ولا يصح طرحها خارج أسوار الجامعة ولابد هنا من التفريق بين الجامعة كمؤسسة أدافع عنها بحرية البحث والاجتهاد وبين ممارسات إدارة الجامعة التى قد تخطىء أو تصيب ذلك لأن غياب الوعى فى قضيتى الخلط بين الجامعة وإداراتها يوازى قول الحكام الديكتاتوريين بأن الهجوم على شخص الحاكم ، هو هجوم على الوطن .. بالقطع لا ، لأن الوطن والجامعة كلاهما معطى ثابت جوهرى ، فالمواطن الذى حارب عامى ٦٧ و ١٩٧٣ كان يدافع عن الوطن لا عن الحاكم . وقد أن الأوان أن يكف المتعلمون عن تزييف وعى الناس . لذلك لم أخضع للابتزاز أو الوعود بترقيتى إذا أثرت السكوت.. فإن معركتى هى معركة كل المثقفين وليست معركة شخصية ابداً ولن تكون ..

*** عندما تكون الدولة ضعيفة تستجيب للابتزاز السياسى من أى جماعة ترى أنها تشكل قوة ضغط عليها .. فهل ترى أن نصر أبو زيد ضحية لهذا الابتزاز وأنه كبش فداء لمغازلة التيار الدينى ؟**

- في الجامعة نعم ، لأن قرار إدارة الجامعة من الممكن اعتباره تضحية بنصر لمغازلة التيار الدينى داخلها ذلك لأن القرار كان ذا طابع سياسى وأرادت الإدارة به عمل توازنات وعدم المغامرة أو الدخول في معركة مع التيار المتغلغل داخلها، فرأت ذبح التيار العقلانى.. والدليل على ذلك كلام رئيس الجامعة لى « بأن تقرير د . شاهين يحتوى على اتهامات خطيرة » وهذا يعنى أن بالتقرير اتهامات وبالتالى فهو ليس تقريراً علمياً .. والموافقة على التقرير تعنى أننى كبش فداء ..

*** ويستطرد الدكتور أبو زيد قائلاً :**

- وهل موقف الدولة هو موقف الجامعة ؟ لا أدرى .. ولكن من المؤكد أن الدولة فى موقف لا تحسد عليه، رغم أنها لم تحسم اختيارها بعد . وفى تقديرى أن الدولة ليس مطلوباً منها الاختيار بين هذا أو ذاك ، لأنها عندما تصنع الاختيار وتختار اتجاهاً وتكبت الآخر يظل هذا الآخر موجوداً ويمارس فاعلياته فى القاع حتى يحدث تغير فى سياسات الدولة فتمارس الاختيار الآخر وتصبح دائرة لن تنتهى ..

يجب أن نترك الحسم لاختيارات الناس لذلك يجب أن نناضل جميعاً من أجل ديمقراطية حقيقية لكل القوى ولهذا أقول إن التيار السياسى الإسلامى قوة حقيقية من قوى الوطن واتجاه اصيل بها ، فسياسياً من حقه الوجود والتعبير عن نفسه من خلال وسط اجتماعي ديمقراطى يرسخ حرية حقيقية ، وأعنى بذلك إعطاء الحرية للقوى السياسية للتعبير عن نفسها وخلق مؤسساتها بعيداً عن سلطة الدولة ، لأن من مكمن الخطورة أننا جميعاً نعتمد على مشروع الدولة ، وعليه فلا يوجد مشروع قوى حضارى للإسلاميين ولا غيرهم ..

*** ولكن مع إتاحة الفرصة الكاملة للديمقراطية وباستغلال الحس الدينى عند الجماهير .. يمكن أن يؤدى ذلك إلى خلق سلطة دينية ؟**

- ليكن فلا توجد وصاية على شعوب المنطقة العربية وعليها أن تختار وتدفع ثمن اختيارها . والمشكلة أن « النخب » السياسية والفكرية تفترض أنها وصية على الشعوب كما حدث فى الجزائر من النخبة العسكرية بمساعدة فرنسا مدعية أنها تحمى الجزائر من إرهاب الدولة الدينية فهل تمت حماية الشعب هناك من الدماء ؟

*** ولكن تجارب التاريخ فى ظل وجود سلطة دينية كما فى إيران مثلاً تؤكد دمويتها ؟**

- بعبع الثورة الدينية فى إيران انتهى بتجربة الشعب نفسه الذى يتجه الآن لصنع آليات الديمقراطية .. فالتاريخ لا تصنعه قرارات النخب ولكن تصنعه الشعوب ..

الشعب الألمانى اختار هتلر وذاق مرارة الديكتاتورية والآن تخرج الملايين فى الشوارع احتجاجاً على النازية الجديدة . وخرجت شعوب أوربا فى مظاهرة تدين الاعتداءات على العراق ، ولم يفعل ذلك العرب .. التجربة إذن هى المحك فى حياة الشعوب ..

وانظر إلى المشهد الثقافى الآن فى مصر بفضل نخبنا السلطوية والقمعية التى لا تطرح سوى بديلين فقط : إما نار النظام أو جنة الإرهاب والنتيجة فى النهاية حشد كل القوى لمساندة النظام .. وبالعودة إلى التاريخ مرة أخرى لتحليله ، نؤكد أن شعوبنا العربية والاسلامية منذ عصر النبوة وخلاف السقيفة لم تختر حكامها حتى الآن وإن وجد ما سمى بشكل الاختيار مثل اختيار يزيد من معاوية عندما أشهر أحدهما سيفه لمبايعة يزيد وقال : إما هذا أو ذاك .. بعدها أفتى الإمام مالك « لا بيعة لمكره » .. هذا هو التاريخ الذى يؤكد أننا عطلنا شعوبنا عن دخوله ..

*** ولكن نتائج التجربة مخيفة ؟**

- لماذا نفترض أن روح المقاومة فجأة ستموت داخل الشعوب .. هنا يجب أن ننبه الجماهير إلى أن من يتحدث باسم الإسلام هم فى حقيقتهم سياسيون وليسوا دينيين .. وأى تنبيه نظرى لن يجدى وسوف يستمر صعود أسهم الإسلاميين ولفترة طويلة .. ولا بديل سوى التجربة فالشعوب لا تتغير بالكتب والمقالات ولابد لكى ندخل عصر التنوير أن نمر عبر القرون الوسطى !

* ودور المثقفين فى مواجهتهم ؟

ـ ينطلق من نفس الأرضية فهم يقولون « الإسلام هو الحل » ولم يستطيع أحد أن يقول لا ، بل يقولون نعم هو الحل ولكنه ليس كما يقولون .. فرج فوده فعل ذلك واليساريون يفعل بعضهم ذلك فى البرامج السياسية والاحتفالات .. جميعاً نتاجر بالإسلام فماذا كانت النتيجة ؟ ظهرت جماعات عشوائية وتكونت إمارات ومجتمعات إرهابية ، وهذه الظاهرة تعنى الانهيار الضمنى لكل إنماط السلطة ..

التعليق :

أخطأ أبو زيد خطأ بالغا .. ويبدو أن الشهرة غرته والصحافة العالمية التى أحاطت به أطريته .. والأمن الحكومي الذى أحاط به بفضل نداء بيان لجنة حقوق الإنسان المصرية .. أبهرته .. حتى ظن أنه أصبح زعيما أو إماماً .. وواضح مدى الغرور والصلافة فى ردوده وعدم تواضعه حتى مع أساتذته ومن أسف أن هذا المقال يمكن أن يفهم منه أنه ربما يكون جاهلاً مغروراً .. بدليل أنه كبر عليه أن يقتدى بالدكتور طه حسين .. الذى سارع إلى النيابة يعتذر ويعلن عدم قصده لإهانة الإسلام فحفظ التحقيق .. ولكن صاحبنا هذا شعر بفضل الهالة الإعلامية التى إهتمت به أنه أصبح أفضل من طه حسين .. وأصبح المفكر الذى تستضيفه الدول .. فأنكر تواضعه .. ويبدو أن البيئة الحياتية الأولى التى عاشها فى بداية حياته الأولى يوم كان فنى مواصلات سلكية ولاسلكية كان لها أبلغ الأثر فى تعاظمه اليوم وانبهاره بالإهتمام الذى تاقت له نفسه كثيراً فأسرف فى العناد .. وتلك هى أسباب صلافته وغروره .. لكن ليس أبداً لأنه مرتد أو متمسك بردته .. وفى أحسن الأحوال .. ربما ليبيع كتبه ويثرى منها وهى التى علا طبعتها الأولى التراب من عام ١٩٨٧ فى المكتبات من أثر عدم إمتداد يد باحث اليها من هذا التاريخ فإذا به مع تلك الأحداث وفى عام ٩٤، ٩٥ فقط تنفد جميعها ويتم الإعداد لطبعة ثانية.. كل ذلك جميعه كان سبباً فى موقفه .. ولكن ليس من بين هذه الأسباب أنه (مرتد) بدليل أنه أحزنه هجوم شيخ قريته عليه من فوق منبر قرية قحافه فى طنطا أمام أخواته وأهله وأصدقائه الذين لهى ولعب معهم صغيراً .. وطبعاً (مما زاد الطين بله) أن كرمته تونس فمنحته وسام الإستحقاق الثقافى بمناسبة إنعقاد الدورة الثانية عشرة لمعرض تونس الدولى للكتاب . عام١٩٩٣ .. فاستعلى .. فطغى ﴿ أن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ وإستعلاؤه هذا دفع الأقلام إلى أن تنهش فيه **فكتب عميد كلية أصول الدين د . سعد الدين صالح مقالاً جاء فيه :ـ** منذ صدور حكم القضاء المصرى النزيه بالتفريق بين نصر حامد أبو زيد وبين زوجته باعتباره مرتداً عن الإسلام ، قامت الدنيا ولم تقعد ، وراح الاعلام الغربى المعادى للإسلام يدافع عن حرية الفكر ، وقام جماعة من العلمانيين والشيوعيين بدفاع مجيد عن صاحبهم وراحوا يطعنون ويشككون فى نزاهة القضاء المصرى ويستعدون جهات الاختصاص بنقض الحكم . مع إن هذا الحكم لم يصدر الابناء على دراسة متأنية فى فكر من حكمت المحكمة بردته وهو فكر واضح وصريح وقد سبق أن وضعه على مشرحة البحث اساتذة أفاضل من أهل الاختصاص وفندوا ما فيه ..

وحقيقة أن ما يكتبه نصر أبو زيد فى كتبه من الصّراحة والوضوح بمكان ..

– فالرجل لا يخفى عداءه للاسلام ، ولا يخفى ازدراءه لنصوص الكتاب والسنة .. فهو يعتبر القرآن الكريم مجرد نص لغوى ولكن العرب حولوه الى كِتاب مقدس .. يقول الدكتور نصر حامد أبو زيد فى كتاب (مفهوم النص) بعد أن تحدث عن جهود الزركشى والسيوطى وابن الصلاح فى الحفاظ على:علوم القرآن وعلوم الحديث – يقول بالحرف الواحد « لكن هذه العمليات – على أهميتها من الوجهة الثقافية – كانت تتم من منطلق تصور دينى صاغته إتجاهات الفكر الرجعى فى تيار الثقافة العربية الاسلامية وهو تصور أقل ما يقال عنه الآن انه تصور يعزل النص عن سياق ظروفه الموضوعية التاريخية بحيث يتباعد به عن طبيعته الاصلية بوصفه نصا لغويا ويحوله الى شيء له قداسته » ص ١٤ من الكتاب المذكور ..

ثم يقول : « إن هذا التحول لطبيعة النص ومن ثم لوظيفته كان محصلة لمجمل اتجاهات الثاقافة المسيطرة – الثقافة الرجعية – ثقافة الطبقات التى استندت الى تأييد المغامرين العسكريين » ص ١٤ ..

معنى هذا أن القرآن منذ نزل لم يكن مقدسا ولم يكن وحيا إلهيا منزلا وإنما هو مجرد نص لغوى أضفى عليه أصحاب الفكر الرجعى – على حد قوله – صفة القداسة ..

اذاً فالرجل صريح وواضح فى إنكاره لما علم من الدين بالضرورة وهو أن القرآن كتاب مقدس انزله الله بهذه الصفة على رسول الله ﷺ .. والرجل واضح فى كراهيته لاحكام الشريعة الاسلامية ويصف المطالبين بها بأصحاب الفكر الرجعى المتحالف مع الامبريالية العالمية والصهيونية واسرائيل راجع ص ١٦ من الكتاب المذكور ..

مع انه هو نفسه صديق حميم لهذه القوى التى سماها بالامبريالية وهى التى تدافع عنه وتحميه الآن فيصدق عليه قول القائل : « رمتنى بدائها وانسلت » وهو يعلن أسفه الشديد على تمسك أحزاب مصر بالإسلام كعقيدة وشريعة فيقول : « ومن المؤسف أن تتبنى كل احزابنا السياسية هذا المطلب رغم إفتراض إختلاف المنطلقات النظرية لكل حزب من هذه الأحزاب » ص ١٨ من الكتاب المذكور ..

– وهو يعتبر رجال الدين مع الذين يغيبون الوعى ويتحالفون مع أعداء الوطن فيقول : «وهل يستطيع البـاحث اخيـراً ان يتجـاهل الاعـلام الرسـمى الدينى بكل مـا يمارسه من تخريب فى وعى الناس حين يحاصرهم بالاحاديث والمناقشات والتمثيليات والأفلام والفتاوى التى تغيب الناس عن قضاياهم الحقيقية ، وتفسر الدين لصالح القوى المسيطرة المتحالفة مع أعداء الوطن والدين » ص ٢٣ ..

– والرجل صريح فى إنكاره لأسبقية وجود القرآن فى اللوح المحفوظ قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ ، وإن القرآن مجرد منتج ثقافى عربى تشكل خلال عشرين سنة يقول أبو زيد : « إن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى ، والمقصود بذلك انه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على عشرين عاما – وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقا عليها ، فإن الإيمان بوجود ميتا فيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر – من ثم – إمكانية الفهم العلمى لظاهرة النص » ص ٢٧ ..

ولكن كيف نفهم القرآن فهما علمياً ؟ هنا يصرح الرجل بأنك لا تستطيع أن تفهم القرآن بأنك لا تستطيع أن تفهم القرآن فهما علميا اذا اضفته الى الله لان الله ليس موضوعا للدرس العلمى ، يقول أبو زيد « أن القرآن يصف نفسه بأنه رسالة ، والرسالة تمثل علاقة اتصال بين مرسل ومستقبل من خلال شفرة أو نظام لغوى ، ولما كان المرسل فى حـالة القرآن (الله) لا يمكن أن يكون موضوعا للدرس العلمى . فمن الطبيعى أن يكون المدخل العلمى لدراسة النص القرآنى مدخل الواقع والثقافة . الواقع الذى ينظم حركة البشر المخاطبين بالنص وينتظم المستقبل الأول للنص وهو الرسول والثقافة تتجسد فى اللغة .. بهذا المعنى يكون البدء فى دراسة النص بالثقافة والواقع بمثابة بدء بالحقائق الميتافيزيقية ومن تحليل هذه الحقائق يمكن أن نصل إلى فهم علمى لظاهرة النص » ص ٢٨ ..

وهكذا فلا يمكن أن نفهم الظاهرة القرآنية إلا اذا قطعنا أى صلة لها بالسماء فهى لا وجود لها فى العالم الالهى أو اللوح المحفوظ ص ٣٠ ..

أيها الموافقون على الرجل والمعارضون لاحكام القضاء والغيورون على اسلامه وايمانه ، هذه هى نصوص كلامه التى سطرها فى كتبه ..

وإذا كنتم تثبتون له الاسلام ، لأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن عليكم أن تعلموا أن هناك نواقض لهذه الشهادة ومن هذه النواقض :

ـ إنكار ما علم من الدين بالضرورة .. الاستهزاء بالمصحف الشريف واعتباره مجرد منتج ثقافى بشرى .. السخرية من تشريعات الإسلام .. الاستهزاء بنصوص الكتاب والسنة .. إنكار صلاحية أحكام الاسلام وتعاليمه .. إنكار نص من نصوص القرآن مثل قوله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ﴾ .. والرجل واقع فى كل ذلك ـ وبصراحة لا تحتمل اللبس ولا المداراة .. علما بان ما ذكرناه هو مجرد مقتطفات سريعة من مقدمة كتاب واحد له ولا نريد أن نجرح مشاعر المسلمين بما سطرته يده فى صلب الكتاب لاننا لا نريد تهييجا ولكن إن استمررتم فى حملتكم المعادية للاسلام والمؤيدة للمتهجمين عليه فسوف نفضح المستور ..

التعليق:

معلوم أن كلمة « النص » فى كل تفاسير سير القرآن الكريم سواء الألوسى البغدادى أو عبد القادر المغربى

أو غيره تعلى القرآن ولم تكن أبداً إستخفافاً أو إزدراءاً .. وقد حاول (العميد) أن يحمل كلمات البحث أكثر مما تطيق وتحتمل إن الله لا يكلفنا أن نبحث فى ذاته .. ولكنه لم يمنعنا .. وإن بحث د . نصر وأخطأ فهو مخطىء فى مفهوم من لم يرتضى بحثه (مثلى مثلا) ولكنى لا أزعم أنه أخطأ إلى حد الردة ..

بأن أفسر كلامه بما يضر بالإسلام فى حين أنه يمكن أن يفسر ويكون هناك وجه إيمان فيه من سبعين وجه .. فيركن للوجه الواحد وكان أشمل رد إتسم بالرزانة والإيمان معاً.. ما جاء على لسان د . محمد سليم العوا ونرفع يدنا تماما وننقله كاملا غير منقوص .. حيث أن تأييد نا له بالغ ما بلغ الإيمان من وجهة نظرنا – المؤلف ـ كما أنه إستحوذ تأييد وجهة نظرنا فى هذا الموضوع برمته فقد جاءت كلماته على النحو التالى ..

لم يثر حكم قضائى فى تاريخنا مثل ما أثاره الحكم الصادر فى ١٤ / ٦ / ١٩٩٥ من محكمة إستئناف القاهرة دائرة الأحوال الشخصية ، فى الاستئناف رقم ٢٨٧ لسنة ١١١ قضائية ، من ردود فعل محلية وعالمية .. والحكم المعنى هو حكم بالتفريق بين الأستاذ الدكتور نصر حامد أبو زيد (أستاذ الدراسات الإسلامية فى قسم اللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة) ، والسيدة زوجته الدكتورة ابتهال أحمد كمال يونس (أستاذ بقسم اللغة الفرنسية بالكلية نفسها) ..

وقد أصدرت الحكم الدائرة الرابعة عشرة الاستئنافية برئاسة المستشار فاروف عبد العليم مرسى وعضوية المستشارين نور الدين يوسف ومحمد عزت الشاذلى ، وانتهت هذه الهيئة بعد استعراض مؤلفات أربعة للدكتور نصر حامد أبو زيد هى : نقد الخطاب الدينى ، الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ، وبعد

أن نقلت منها أربعة وثلاثين نصا ضمنت حكمها ، حرفيا ، تسعة وعشرين منها وأشارت إلى خمسة بأرقام صفاحتها ، إنتهت من ذلك كله إلى أن الدكتور نصر أبو زيد :

١ ـ كذب الآيات الدالة على الجنة والنار ومشاهد القيامة ورماها بأنها أسطورية ..

٢ ـ كذب الآيات القرآنية التى تنص على أن القرآن الكريم كتاب الله وتسبغ أفضل الصفات عليه فقال : إنه نص إنسانى بشرى وفهم بشرى للوحى ..

٣ ـ فى مجال آيات التشريع والأحكام ذهب إلى عدم الالتزام باحكام الله تعالى الواردة فيها بعامة لأنها ترتبط بفترة تاريخية قديمة ، وطالب بان يتجه العقل إلى إحلال مفاهيم معاصرة أكثر إنسانية وتقدما وأفضل مما ورد بحرفية النصوص ..

٤ ـ رد السنة النبوية باعتبارها وحيا من عند الله وأصلا للتشريع بمقولة ان القصد من القول بذلك هو تأليه النبى ﷺ ـ وبذلك فهو قد أنكر الآيات الواردة فى حجية السنة وفى أنها وحى من الله تعالى ..

٥ ـ رد (نفى دلالة) آيات القرآن القاطعة فى عمومية رسالة الرسول ﷺ ـ للناس كافة وعامة ..

٦ ـ كذب كتاب الله تعالى بإنكار بعض المخلوقات الثابت بالقرآن خلق الله لها مثل العرش والملائكة والجن والشياطين ..

٧ ـ سخر من بعض آيات القرآن الكريم مثل الآيات المتعلقة بالشياطين والسحر ..

وانتهت المحكمة ـ من ذلك كله ـ إلى أن ما أتاه الدكتور نصر أبو زيد ليس خروجا على كتاب الله تعالى وكفراً به فحسب ولكنه أيضا خروج على دستور جمهورية مصر العربية فى مادته الثانية التى تنص على أن « الإسلام دين الدولة ، فالدولة ليست علمانية ولا ملحدة ولا نصرانية ، الدولة مسلمة دينها الإسلام » .....

ثم استطردت المحكمة فى بيان مخالفة ما قاله الدكتور نصر حامد أبو زيد من آراء لنص المادة التاسعة من الدستور ولنص المادة السابعة والأربعين منه ، ولنصوص قانون العقوبات وردت فى هذا السياق على القول بأن هذه الآراء ـ التى ذكرتها المحكمة ـ تدخل فى باب البحث العلمى والاجتهاد الفقهى بقولها « هذا دفع ظاهر الفساد » ..

هذا هو إجمال الحكم ، أدلة ، ومنطقاً ، وهو مثير بغير شك ، وباعث لجدل بدأ ولم ينته ، ولا نظنه سيصل إلى مستقره فى وقت قريب ..وهو حكم يستحق التعليق يقيناً من وجهات متعددة ، لكننا نقتصر هنا على مناقشة المسائل القانونية التى يثيرها ، أو أثارها بالفعل مؤثرين هدوء المنطق القانونى على حدة الخلاف

الفكرى السياسى الذى يصبغ الساحة الإعلامية بالوان شديدة القتامة ، ويزحمها بأفكار بالغة التعصب من جانب معظم المشاركين فى مناقشة الحكم الذى أصبح هو القضية ..

تقاليد التعامل مع أحكام القضاء :

* ولا أهمل فى سياق هذا التعليق قواعد سبق أن كتبت عنها (الأهرام ١٥ / ١٢ / ١٩٩٢) تتضمن التقاليد واجبة الاتباع فى تناول الأحكام القضائية :

- فالقضاة فى ممارسة سلطة القضاء لا يجوز تناولهم بالمدح ولا بالقدح فهم – فى تجردهم لإحقاق الحق - أغنياء عن الثناء ومبرؤون من المذمة ..

- والأحكام لا تتناول بالتعليق إلا إذا أصبحت نهائية غير قابلة لأى طعن ، ويعلق عليها أهل الاختصاص فى حدود العلم القانونى ، ووفق أساليبه وباستخدام مصطلحاته ..

- ودوافع القاضى ، وأسلوب إدارته لعمله القضائى ، وعقيدته الدينية أو السياسية أو الفكرية وبواعثه واتجاهاته الشخصية ، كل ذلك مناطق محرمة ليس لأحد أن يقع فيها أو يحوم حولها ، وإلا كان كالراعى يحوم حول الحمى (الأرض المملوكة للغير) يوشك أن يقع فيه (أى يعتدى على حرمتها ويهدر حمايتها) ..

- واحترام هيبة القضاء (السلطة) والقضاة (الأفراد) ضرورة لا مفر منها لاحترام سيادة القانون ورسوخ ميزان العدالة فى أيدى قضاة مطمئنين إلى حفظ أقدارهم وصون كرامة محاكمهم بين بنى وطنهم : رضوا بالأحكام التى تصدرها المحاكم أم غضبوا لها ..

التعريض بالقضاء لا يجوز :

* ولذلك فإننى أرى أن التوفيق لم يحالف كتابا تناولوا المحكمة التى أصدرت الحكم فعرضوا بها تصريحا أو تلميحا ، ولم يصادف كتابا وصفوا الحكم بأنه « فضيحة العصر » ونفوا عنه الصحة القانونية والشرعية قبل أن تعرف أسبابه ويتاح لأحد الاطلاع على أسانيده !! وسبقوا الزمن فأفتوا على صفحات الصحف بأن الحكم « منقوض لا محالة » ولم يكن طعن أمام محكمة النقض قد رفع أصلا ، بالإضافة إلى لا يجوز لأحد أن يقطع - غيبا - بما سوف تنتهى أية محكمة إليه فى نظر قضية معروضة عليها ..

* وبعض ما ذكرت وكثير مما لم أذكر مما قيل وكتب ونشر عن الحكم والمحكمة يقع تحت طائلة مخالفة المادة (١٦٦) من الدستور التى تحظر التدخل فى القضايا أو فى شئون العدالة، وتحت حكم المادتين (١٨٦) و (١٨٧) من قانون العقوبات اللتين تعاقبان كل من أخل بمقام قاض أو هيبته أو سلطته ، وكل من نشر أمراً من شأنه التأثير فى القضاة الذين يناط بهم الفصل فى دعوى مطروحة أمام أية جهة من جهات القضاء فى البلاد أو فى رجال القضاء أو النيابة أو الشهود .. أو التأثير فى الرأى العام لمصلحة طرف فى الدعوى أو ضده .. وتضاعف العقوبة إذا كان النشر بقصد إحداث التأثير المذكور ..

* والقاضى ينفصل عن حكمه بمجرد إصداره إياه ، وتنقطع صلته بالدعوى فور الفصل فيها ، وليس له أن يتحدث عن الحكم شرحا ولا بيانا ولا دفاعا عنه ، ولا يجوز له أن يتناول أسرار المداولة بالبيان ، ولا أسباب طول الزمن الذى استغرقته الدعوى ، أو السرعة التى فصل بها فيها بالاعتذار أو التسويغ ..

* وقد كان جديرا بالجميع أن يراعوا هذه الاعتبارات فى تناولهم هذه القضية ، كما تجب عليهم مراعاتها فى تناول أى أمر يتصل بالقضاء والقضاة ..

عن دعوى الحسبة :

* وأولى المسائل التى آثارها الحكم فى قضية الدكتور نصر حامد أبو زيد هى مسألة مدى حق الأفراد الذين لا تربطهم به ولا بزوجته قرابة أو مصاهرة أو نسب فى إقامة مثل هذه الدعوى ، وهو ما يعبر عنه القانونيون بضرورة توافر شرطى الصفة والمصلحة فى الدعوى ، وهما لازمان لقبولها ..

وقيل فى هذا الشأن بعد صدور الحكم إن المحكمة قبلت الدعوى باعتبارها دعوى حسبة على الرغم من أن دعوى الحسبة قد ألغيت نصوصها بصدور القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ بإلغاء المحاكم الشرعية ..

- فما الحسبة ؟ - وهل يعرفها نظامنا القانونى ؟ - وهل ألغاها القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ؟

* الحسبة في تعريف محكمة النقض في حكمها في الطعن رقم ٢٠ لسنة ٣٤ قضائية بتاريخ ٣٠ من مارس ١٩٦٦ هي : « فعل ما يحتسب (أي يرجى ثوابه) عند الله وفي اصطلاح الفقهاء هي أمر بمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن منكر إذا ظهر فعله ، وهي من فروض الكفاية » (فروض الكفاية واجبات شرعية على مجموع الأمة إذا قام بها البعض سقطت عن الجميع ، وإن تركها الكل أثموا جميعا) ..

* وتستطرد محكمة النقض قائلة : « دعوى الحسبة تكون فيما هو حق الله أو فيما كان حق الله فيه غالبا كالدعوى بإثبات الطلاق البائن وبالتفريق بين زوجين زواجهما فاسد ، وجمهور الفقهاء على عدم تقييدها بشرط الإذن أو التفويض من ولي الأمر » ..

* ويكون القيام بفرض الكفاية في الحسبة - بتعبير محكمة النقض في حكمها المذكور - « بالتقدم إلى القاضي بالدعوى والشهادة لديه أو باستعداء إلى المحتسب أو والي المظالم تبليغ النيابة العامة » ..

* والحسبة في الأصل ميراث إسلامي جليل يقوم بمهمة تحريك العامة للدفاع عن الأمة ويجعلهم مسئولين جميعا عن تغيير المنكر أو - بالأقل - إنكاره بقلوبهم ، وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكون في أولى صورها ، حيث يتعلق الأمر أو النهي بمصالح الأمة العامة التي يعبر عنها الفقهاء بأنها «حقوق الله » في مقابلة المصالح الخاصة التي يسمونها (حقوق العباد) ، وحقوق الله أو المصالح العامة للأمة التي صيغ في الفكر القانوني المعاصر لحمايتها مفهوم « النظام العام » الذي هوفكرة مركزية في كل نظام قانوني أيا كان مصدره .. وحيث يكون هناك نظام تنظيم لممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالادعاء أمام القضاء ، أو بالشكوى إلى سلطة عامة مختصة فإن إثم القعود عن الإنكار والتغيير يرتفع عن الكافة بقيام البعض بالشكوى أو برفع الدعوى ، وتأثم الأمة كلها إذا ظهر فيها المنكر فلم ينكره أحد ، وإذا ضيع فيها المعروف فلم يأمر به أحد ..

* وأصح أقوال العلماء أنه لا يحتاج إلى اذن من الحاكم ، لأن كثيراً من صوره يكون فيها الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر موجهاً إلى الحاكم أو الحكام ، فلو جعلناه وهنا بأذنهم لتعطل القيام بهذا الواجب الديني الجليل ..

وقد بلغ من أهمية هذا الأمر في الإسلام أن جعلته المعتزلة - الفرقة الممدوحة دائما بدفاعها عن حرية الفكر والتعبير - أصلا من أصول الإيمان لا يتم الإيمان إلا به .. (انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ط . ١٩٦٥ ، ص ٧٤٢) ..

صور للحسبة في القانون المصري :

* وفي نصوص الدستور المصري ونصوص القوانين المصرية مواضع تدل على أخذ المشرع المصري بفكرة الحسبة أي فكرة جواز رفع دعوى أمام القضاء لا تكون لرافعها مصلحة شخصية مباشرة في رفعها ..

* فالمادة (٧١) من الدستور تجيز لأي شخص التظلم أمام القضاء من تقييد حرية الغير بالقبض عليه أو اعتقاله ، وهذا النص تطبيق مباشر لنظرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكمل نص المادة (٥٧) من الدستور التي تجعل « كل اعتداء على الحرية الشخصية أو حرمة الحياة الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الدستور والقانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم ..

* وفي قانون المحكمة الدستورية العليا تنظم المادة (٢٧) حق المحكمة في التصدي للقضاء بعدم دستورية أي نص في قانون أو لائحة يعرض لها « بمناسبة ممارسة اختصاصاتها ويتصل بالنزاع المعروض عليه .. » .. وهذه صورة من صور ممارسة الحسبة بواسطة القضاء ..

* وفي القانون نفسه صورة ثانية لهذه الممارسة تضمنتها المادة (٢٩) التي تجيز فقرتها الأولى لأي محكمة (مهما كانت درجتها) أو هيئة ذات اختصاص قضائي إذا تراءى لها أن نصا مطلوبا تطبيقه غير دستوري أن توقف الدعوى وتحيل الأوراق بغير رسوم إلى المحكمة الدستورية العليا للفصل في المسألة الدستورية ..

* والباب الرابع من الكتاب الأول من قانون المرافعات عنوانه : « تدخل النيابة العامة » .. وهو

يتضمن المـواد من ٨٧ إلى ٩٦ وبعضها يوجـب على النيـابة العامـة التدخل فى بعض الدعاوى وبعضها يجيز لهـا ذلك دون أن تكون هناك مصلحـة مباشرة للدولة تقاضى النيابة للدفاع عنها أو حق للدولة تقوم النيابة باقتضائه ..

والقول أن النيابة العامة هنا تمثل المجتمع كله ، صحيح ، وهو تطبيق مباشر ظاهر لفكرة الواجب الكفائى الذى لو لم تقم به الجماعة أثمت كلها ، وإذا قام به بعضها سقط الإثم عن الجميع ..

* والمادة ٢٥٠ من قانون المرافعات تجيز للنائب العام ولو لم تكن النيابة خصما فى الدعوى ـ أن يطعن بطريق النقض لمصلحة القانون فى الأحكام الإنتهائية أيا كانت المحكمة التى أصدرتها ، وتمنع الفقرة الأخيرة من هذه المادة ٢٥٢ من القانون ذاته ميعاد الطعن بالنقض أمام النائب العام فلا تقيده بزمن معين..

* وتتضمن المادة (٢٣) من قانون مجلس الدولة حق رئيس هيئـة مـفوضى الدولة فى الطعن أمـام المحكمة الادارية العليا حتى فى الأحكام التى لا يجوز لأطراف الدعوى الطعن فيها ، إذا صدر الحكم على خلاف ما جرى عليه قضاء محكمة الإدارية العليا ، أو إذا اقتضى الفصل فى الطعن تقرير مبدأ قانونى لم يسبق للمحكمة الإدارية العليا أن قررته ..

وليس هذا إلا إعمالا صريحا ـ وصحيحا أيضا ـ لفكرة دعوى الحسبة .. فالفرض فى هاتين الحالتين أن النيابة أو هيئة المفوضين ليست خصما فى الدعوى ، وليست لها مصلحة قانونية تجيز لها الطعن فى الحكم الصادر فيها ، ولكن المصلحة العامة التى تتمثل فى صيانة القانون من استقرار الخطأ فيه تطبيقاً أو تأويلا أباحت المحظور ، وجعلت طعن النائب العام أو رئيس هيئة المفوضين جائزاً بل وزادت على ذلك المادة ٢٥٢ من قانون المرافعات بأنها لم تقيد الطعن من النائب العام بالميعاد المقرر للخصوم الأصليين ذوى المصلحة الشخصية المباشرة فى الطعن فى الحكم ، ومنعت إفادتهم ـ رغم ثبوت مصلحتهم ـ من هذا الطعن ..

* وتمثيل النيابة العامة فى دعاوى الأحوال الشخصية واجب بحكم المادة ٨٧١ من قانون المرافعات ، وهى تبدى رأيها بمذكرة فى مسائل القانون المعروضة على المحكمة ، ويبطل الحكم الذى لا يتضمن بيان حضور النيابة وإبداء رأيها فى الدعوى ، ويجوز للنيابة الطعن فى الأحكام الصادرة فى قضايا بطلان الزواج بموجب المادة ٩٠١ من قانون المرافعات ، ويجوز لها الطعن بالنقض فى القرارات الصادرة فى مواد الحجر والغيبة والمساعدة القضائية وسلب الولاية أو وقفها أو الحد منها أو ردها واستمرار الولاية أو الوصاية والحساب بمقتضى نص االمادة ١٠٢٥ من قانون المرافعات ..

وقبل انشاء نيابة عامة للأحوال الشخصية كانت تختص بمسائل الولاية على المال المجالس الحسبية وفقا للمرسوم بالقانون الصادر فى ١٣ / ١٠ / ١٩٢٥ ، ثم سميت نيابة الأحوال الشخصية المختصة بالولاية على على المال بالنيابة الحسبية ، ولا يزال هذا هو اسمها الشائع بين الناس ..

والمحاكم الشرعية عرفت دعوى الحسبة :

* ففى أحكام المحاكم الشرعية ـ قبل إلغائها ـ أن الحسبة ، خاصة بالدعاوى القضائية وبالخصومات فى حقوق الله تعالى التى يطلب من القاضى الفصل فيها بحكم قضائى فى دعوى وخصومه شرعية يكون المحتسب فيها مدعيا وشاهدا بما يدعيه ، (المحكمة العليا الشرعية فى حكمها الصادر بجلسة ٢٩ / ٥ / ١٩٤٨ منشور بمجلة المحاماة الشرعية السنة ٢٠ العدد ١ ـ ٣ ص ٥٣) ..

* واستقر القضاء الشرعى على أن دعوى التفريق ، تسمع من أى أنسان ، ويكون المدعى فيها مدعيا وشاهدا بما يدعيه ، وعلى أن المدعى فى دعوى الحسبة لا يطلب حقا لنفسه ، (المستشار أنور العمروسى ، أصول المرافعات الشرعية ط ١٩٧٩ ص ٩٤ وما بعدها) ..

* فالحسبة دعوى يعرفها النظام القانونى المصرى ، وتقر محكمة النقض جواز الادعاء بها فى مسائل الولاية على المال (كما فى حكمها فى الطعن رقم ٢٠٥١ لسنة ٥١ قضائية الصادر فى ١٩٨٣/٦/٣٠) ..

هل ألغيت دعوى الحسبة ؟!

*** فهل ألغيت هذه الدعوى فى مجال الأحوال الشخصية بصدور القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ؟**

إن الجواب بالنفى هو وحده الصحيح ، فحكما النقض المشار اليهما كلاهما صادر بعد صدور القانون المذكور ، وكلاهما استند فى إجازة دعوى الحسبة إلى نص المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية التى توجب صدور الأحكام عند عدم وجود نص خاص فى المسألة المعروضة على القضاء ، وفقا لأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة ، وهو ذات السند الذى اتخذه ركيزة لقضائه حكم محكمة الاستئناف فى قضية الدكتور حامد أبو زيد ..

* فالذين ذهبوا إلى التنديد بالحكم لأنه قال بصحة دعوى الحسبة ، والذين زعموا أن النصوص المنظمة لها قد ألغيت، تجاوزوا ما قررته محكمة النقض ، واستقرت أحكامها عليه من قبول دعوى الحسبة على النحو الذى قبلها به حكم محكمة الاستئناف فى قضية الدكتور نصر حامد أبو زيد ترجيحا للمصلحة العامة المتمثلة فى وجوب احترام احكام الشرع على القاعدة الجزئية التى توجب أن تكون لرافع الدعوى مصلحة شخصية مباشرة فيها ..

* والذين طالبوا بإصدار تشريع يمنع دعوى الحسبة لم يتنبهوا إلى وجود عشرات النصوص فى التشريع المصرى ، كنصوص الدستور وقانون المحكمة الدستورية العليا وقانون مجلس الدولة وقانون المرافعات التى أسلفنا ذكرها ، لا قوام لها إلا بالأخذ بنظرية الحسبة ، والغاؤها هدم بالإضافة إلى أصول نظامنا القانونى ، فضلا عن تعارضه مع نص المادة الثانية من الدستور التى لو صدر قانون مخالف لمبادىء الشريعة فى ظلها لكان مدموغا بعدم الدستورية على نحو ما استقرت عليه أحكام المحكمة الدستورية العليا ..

حرية العقيدة والحكم بالردة :

* والمسألة الثانية ـ بالغة الأهمية ـ التى يثيرها الحكم بالتفريق للردة الصادر فى قضية الدكتور نصر أبو زيد هى مسألة مدى تعارض الأحكام التشريعية الخاصة بالردة والمرتدين مع حرية العقيدة المقررة شرعا ، والمنصوص عليها فى الدستور والتى يحميها القانون ..

* لقد اتهم الحكم الصادر بالتفريق بين الدكتور نصر أبو زيد وزوجته بأنه يعيد عهد محاكم التفتيش وبأنه يتجاوز القواعد الشرعية المقررة من أنه لا إكراه فى الدين وهى مستمدة من نصوص صريحة فى القرآن الكريم نفسه ، وبأنه محاكمة للضمائر ، شوق عن القلوب ، وكلاهما غير جائز لا فى الشريعة الإسلامية ولا فى القانون المصرى ..

* والحقيقة أن مسألة الردة مسألة مغايرة لحرية العقيدة والحق فيها وعدم جواز الإكره عليها ..

فحرية العقيدة تعنى حق كل إنسان فى اعتناق ما شاء من الأفكار والمعتقدات ولو خالفت معتقدات الجماعة التى يعيش فيها أو ينتمى إليها ، أو يعتقد صحتها غالبية أعضائها ، وسواء ! أوافقت بعد ذلك ـ معتقدات أقلية منها أم شذت حتى عن معتقدات الأقلية ..

وهذا الحق مكفول فى شريعة الإسلام ولا يجوز لأحد إن ينقب عن عقيدة أحد أو حتى يسأله عنها ولو أفضت به هذه العقيدة إلى مخالفة الإسلام مادام أساسها فكراً شغل عقل صاحبها وملك عليه قلبه ، فادار وجه النظر فيه مع نفسه ، ثم استقر فيه على أمر مخالف لما يعتقده المسلمون ، وأبقى هذا الأمر فى وجدانه لم يدع الناس إلى اعتقاده، ولم يعالنهم بمخالفة دين الإسلام الذى يدينون به ..

* وكل ذلك لا يتحقق به شىء مما يبيح تدخل الآخرين فى شأن صاحبه ولا يجوز بسببه رفع أمره إلى القضاء بطريق الحسبة أو بغيره من الطرق ..

* ولكن محاولة صرف الناس عن الدين بالشبهات التى تقوم فى نفس صاحبها ـ وقد لا تكون قائمة عند سواه ـ وإذاعة هذه الشبهات وإشاعتها بين الناس ، ودعوتهم إلى تبنيها وتصويرها كما لو كانت حقائق (علمية) تصادم حقائق (الدين) أو عقائد تنافس عقيدة الإسلام ، ومعارضة شرائعه جملة أو إنكار صحة بعضها مهما بدا جزئياً ، كل أولئك وبعضه تتحقق به حالة متميزة عن حقيقة الاعتقاد ومغايرة لها : هى التعبير المعلن عن العقيدة الخاصة المخالفة لعقيدة الإسلام، وهو ما يتحقق به ـ بعد توافر شروط أخرى ـ وصف الردة . (راجع دراستنا عن الموضوع فى أخبار الأدب، عدد ١٥ / ٨ / ١٩٩٣) ..

* وقد عبرت عن ذلك كله محكمة النقض فى إيجاز بليغ فقالت : إن حكم الردة فى شأن التفريق بين

الزوجين ، محافظة على حقوق الله وصيانة لها من العبث ، وهى لا تتصل بحرية العقيدة ، ولكن بما رتبه الفقهاء عليها - أى على التعبير عن العقيدة - من آثار .. (نقض ٣٠ / ٣ / ١٩٦٦) ..

* ولذلك فقد قال الحكم الصادر بالتفريق بين الدكتور نصر أبو زيد وزوجته : إن التصدى للردة إذا عرضت على القضاء ، لا تعد محاربة لحرية الاعتقاد ، وإنما حماية للاعتقاد من هذه الأهواء الفاسدة العابثة ، أما الاعتقاد فتعلق بديانة الإنسان أى بسريرته مع خالقه سبحانه وتعالى وليس للمحاكم أن تتدخل فيه أو تفتش عنه (ص ٦ من الحكم) ..

والواقع أن حماية الاعتقاد ضرورة من ضرورات الاجتماع الإنسانى حتى لا تميع الحدود بين العقائد والمذاهب ، ويدعي من شاء ما شاء منها ، ثم يهدمها بفكره أو سلوكه ..

* والحكم إنما أقام قضاءه على ما ظهر للمحكمة أن الدكتور نصر أبو زيد يقوله ويعلنه ويكتبه وينشره ويدرسه لطلابه ، وقدمه فى حوافظ مستنداته أمامها من مؤلفاته ، وأقر به فى مذكراته ، من أقوال اعتبرتها المحكمة موجبة لثبوت الردة الظاهرة ، ولم تنقب المحكمة عن عقيدة خاصة ، ولا فتشت فى سريرة ، ولا شقت قلب أحد ، ورميها بذلك كله ظلم لها ، وتحميل لحكمها فوق ما يحتمل وذم لقضائها بما ليس فيه ..

* ومع ذلك فأهل العلم بالقانون يعلمون علم اليقين أن المحاكم تبحث كل يوم فى كل دعوى عن إرادة الأطراف ، وعن قصدهم وتستنطق عقودهم وأقوالهم وتصرفاتهم عن إرادتهم الظاهرة والباطنة ، وتقضى فى النهاية بما يغلب على ظنها أنه الإرادة الحقيقية لأطراف النزاع ..

الردة لا تثبت إلا بيقين :

* والقاعدة الإسلامية إذا كان الكلام الظاهر يحتمل وجها واحدا من الوجوه التى لا يكفر صاحبها بها فإنه يجب حمل الكلام على هذا الوجه وعدم القضاء بالكفر ، هكذا قال الحكم وقوله صحيح ، فالتعامل فى القضية كلها لم يجر مع عقيدة وإنما جرى مع التعبير المادى الخارجى عنها ، وقد عبر الدكتور نصر أبو زيد - كما سيأتى - عن تأويله لبعض كلامه بما يحتمل وجوها غير التى رأتها المحكمة فيه ، وهذا أمر يجدد المناقشة ويفتح بابا لموقف آخر غير الذى انتهى الحكم إليه ..

* لكنه لا يعنى أن الحكم حاكم شيئاً فى قلب الدكتور نصر ، إنما هو حاكم كلاما منسوبا إليه لم ينكره ولم يقدم إلى المحكمة تفسيراً له ..

وهكذا يتبين وجه الحق فى مسألة حرية العقيدة ومخالفة الحكم لها ..

حدود حرية التعبير :

* فهل يظل مقبولا أن تناقش المحاكم - وتحاسب على - التعبير عن العقيدة فى ظل الدستور المصرى الذى يقرر حرية التعبير ؟

* إن نص المادة ٤٧ من الدستور الذى يكفل حرية الرأى والتعبير عنها يقيد هذا التعبير بالتزام حدود القانون ، فهى ليست حرية مطلقة من القيود بل هى مقيدة - فوق قيود اعتبارات النظام العام والآداب - بقيد عدم تجاوز حدود القانون ، فإذا وقع تجاوز فى التعبير عن الرأى بأن خالف مقتضيات النظام العام والآداب ، أو خالف القانون ، فإن الحماية المقررة فى المادة ٤٧ من الدستور تنحسر عن هذا التعبير ، وتحقق المساءلة القضائية عنه مدنيا أو جنائيا حسب الأحوال ..

* وإذا كان الحكم قد رأى فى تعبير الدكتور نصر أبو زيد عن آرائه مجاوزة لحدود القانون فإنه فى حدود هذا الذى رآه لا يكون محل انتقاد أو مستوجبا لطعن مادام قضاؤه بذلك واستخلاصه له قد بنى على أسباب سائغة فى العقل لها - من أوراق الدعوى - ما يؤيدها ..

الآثار المدنية للردة :

* المسألة الثالثة التى يثيرها حكم التفريق هى مسألة الآثار التى تترتب فى القانون المصرى على ثبوت ارتداد شخص ما عن دين الإسلام بعد ثبوت اعتناقه إياه ، وينبغى هنا أن نقرر أن القضية المعروضة على المحكمة لم تكن قضية ردة ، وإنما هى قضية تفريق تحكمها القواعد المطبقة فى مجال قضاء الأحوال الشخصية لا قواعد القانون الجنائى ، فما هذه القواعد ؟

* إن حكم المصرى فى هذا الشأن هو حكم المذهب الحنفى ، ذلك أن المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية تقضى بأن تصدر الأحكام فى مسائل الأحوال الشخصية وفقا لما هو مدون باللائحة (وقد حلت قوانين أحدث منها محل كثير من نصوصها) ، فإن لم يوجد نص صدر الحكم « وفقا لإرجح الأقوال فى مذهب أبى حنيفة » ..

* وللردة فى الفقه الإسلامى وفى المذهب الحنفى نوعان من الأحكام : أحكام جنائية وأحكام مدنية ، وقد سبق لنا تفصيل القول فى الأحكام الجنائية للردة فى دراسة مطولة (فى أصول النظام الجنائى الإسلامى ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٣) ، وفى بحث مختصر (أخبار الأدب ، ١٥ / ٨ / ١٩٩٣) وهى - على كل حال - غير مطروحة فى القضية الحالية للدكتور نصر حامد أبو زيد فلا محل لإعادة القول فيها ، وهى - من ناحية أخرى - معطلة فى التشريع المصرى الحالى فلا تملك المحاكم الحكم بها لعدم النص عليها فى القوانين المطبقة ..

* أما الأحكام المدنية للردة فحاصلها سقوط أهلية المرتد وبطلان العقود التى يبرمها وعدم توريثه وانفساخ نكاحه ، ومن أهم آثارها فى مجال الزواج كما عبرت عنها محكمة النقض فى حكمها الصادر فى ٣٠ / ٣ / ١٩٦٦ أنه : « ليس لمرتد أن يتزوج أصلا لا بمسلم ولا بغير مسلم إذ هى - أى الردة - فى معنى الموت وبمنزلته والميت لا يكون محلاً للزواج وإنها إذا اعترضت الزواج رفعته وإذا قارنته تمنعه من الوجود » ..

كيف تقع الردة وتثبت ؟!

* ولكى يتحقق فى شخص وصف المرتد يجب أن تجتمع ثلاثة أمور :

- **أولها** : أن يصدر عنه قول أو فعل يخرجه عن الإسلام..
- **ثانيها** : أن يعرض عليه معنى قوله أو فعله ويبين له أنه يكفر به ، فلا يرجع عنه ولا يفسره على نحو يحتمل عدم إرادة الخروج على الدين ولو كان هذا التفسير شديد الضعف ..
- وآخرها : أن يحكم قضاء مختص بعد تحقيق الأمر وسماع دفاع المدعى بردته بثبوت الردة ..

* وحاصل الأمر الأول أن الردة يجب أن تكون بقول أو فعل معلن يجاهر صاحبه به ، فليس لأحد أن يستنطق أحدا عما يبطن ليصل بذلك الاستنطاق إلى تكفيره ؛ وبالإعلان والمجاهرة يقع الركن لمادى للردة ..

* وحاصل الأمر الثانى أن يكون معنى ما جاهر به المدعى بردته وأعلنه صريحا فى الخروج على الدين لا يحتمل تأويلا مهما بدا ضعيفا يؤدى إلى احتمال آخر ، لأن الإسلام - فى كل من أعلن الشهادتين - ثابت بيقين وما ثبت بيقين لا يزول بالشك ، ولا يزول إلا بيقين مثله ، ولو احتمل كلام أحد أو فعله تسعة وجوه كلها كفر بالإسلام ووجها واحدا لا يعد كفراً صريحا وجب حمله على هذا الوجه الأخير دون الوجوه التسعة الأولى ..

وجوب الإستتابة قبل الحكم بالردة :

* ومناقشة صاحب القول أو الفعل فيه وكشف وجوه دلالته والرد على غير الصحيح من مفاهيمه والوقوف على جميع الاحتمالات التى ترد عليه حتى يصر على وجوه الكفر كلها أو بعضها ، أو يعود إلى الاستمساك بوجوه الكفر كلها أو بعضها ، هو ما يسمى فى الفقه بالاستتابة ..

* والاستتابة هى طلب التوبة أو التمكين منها بكشف الشبهات وإيضاح الحقائق وإلقاء الضوء على فساد القول أو الفعل ، ولذلك فإنه لا يكفى القول إن كلام من يتهم بالردة معلن وهو لم يرجع عنه ، لأن هذا الكلام المعلن نفسه هو محل المناقشة لكشف الشبهة وبيانها ، وليست الاستتابة هى « تحقيق » التوبة أو « قبولها » - كما فهم بعض الكاتبين - لأن تحقق التوبة وصدقها والتيقن من حصولها أمور نفسية بحتة وقلبية محضة لا يطلع عليه بعد الله سبحانه وتعالى إلا صاحبها وليس أحد مكلفاً بالتحقيق من دين الناس ، ولكن العلماء مكلفون بكشف الضلالات وإزالة الشبهات وعرض الحق ليؤوب الناس إليه ..

* فإذا كشفت الشبهة وأزيل الشك وأصر القائل أو الفاعل على رأيه دون تأويله أو تفسيره على نحو لا

يكون به كافراً ، فهنا يتدخل القضاء لإيقاع الآثار التى تملك المحاكم ايقاعها على المرتد جنائية كانت أم مدنية ..

موقف الدكتور نصر أبو زيد بعد الحكم:

* وقد فات كثير من هذه المعانى كثيراً من الكاتبين فى قضية الدكتور نصر حامد أبو زيد ..

* ولكنه هو نفسه قد عبر فى بعض ما كتبه بعد صدور حكم محكمة الاستئناف عن بعض آرائه تعبيرات تقتضى نظراً جديداً فى شأن ما رأته المحكمة مكونا لركن الردة المادى من أقواله المنشورة ..

* فقد نشر على لسانه (الأهرام : ١٩ / ٦ / ١٩٩٥) قوله : « أنا مسلم وفخور بأننى مسلم ، وأؤمن بالله سبحانه وتعالى وبالرسول - عليه الصلاة والسلام - وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وفخور بانتمائى إلى الإسلام ، وأيضا فخور باجتهاداتى العلمية وأبحاثى ، ولن أتنازل عن أى اجتهاد فيها إلا إذ ثبت لى بالبرهان والحجة أننى مخطىء » ..

* ونشر فى جريدة العربى (١٩ / ٦ / ١٩٩٥) قول الدكتور نصر أبو زيد : « لو سألنى القاضى عن الشهادة فسأطلب منه أن يقرأ كتبى ثم نتناقش على أرض الواقع » .. وقوله قبل ذلك : « الأصل أننى مسلم ، يؤمن بالله ربا وبالإسام دينا وعلى من يرى غير ذلك أن يثبت غير ذلك فالبينة على من ادعى » ..

* ونشر فى مجلة روز اليوسف (٢٦ / ٦ / ١٩٩٥) قول الدكتور نصر أبو زيد :

* « .... ولأننى أحس بمسئولية اجتماعية وفكرية بوصفى معلما وباحثا أصدرت هذا البيان ، وهأنذا أعلن استعدادى على صفحات هذه المجلة لتلقى ما اثاره الحكم القضائى من أسئلة واستفسارات فى عقول أبناء مصر جميعا للإجابة عنها وشرح ما هو غامض أو ملتبس أو مثير للريبة ، أقول : إننى على استعداد للإجابة عن الاسئلة والاستفسارات لا عن الدفاع ضد الاتهامات » ..

* ونشرت جريدة العربى (٢٦ / ٥ / ١٩٩٥) حوارا مطولا مع الدكتور نصر حامد أبو زيد أول فيه - بتاويلات تحتاج إلى مناقشة مستفيضة معه - كلامه عن عدد من المسائل التى آثارها الحكم القضائى الصادر بالتفريق بينه وبين زوجته ، ومن أهم هذه التأويلات قوله عما يقصده « بالتحرر من « سلطة النصوص » إنه جاء فى سياق كلامه عن « نصوص الإمام الشافعى » أو « نصوص الفقه » وإنه يطالب بالتحرر من « سلطة النصوص » لا من النصوص نفسها ، ورده على إتهامه بإنكار الوحى بأن « القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى مصدره إلهى » ..

* وهذه الأقوال المنشورة لا تعنى أكثر من إستعداد الدكتور نصر أبو زيد لمناقشة أفكاره وآرائه التى يعلن إنه لم يرد بها - بوجه من الوجوه - الخروج عن الإسلام ..

* وهذا هو ما قررنا أنه كشف للشبهات وتقليب لاحتمالات الدلالة على وجوهها كافة حتى نصل إلى حقيقة يقينية لا يجوز أن نحكم بردة إنسان دون الوصول إليها ..

* وقد يعترض على هذا القول بأن القضاء لا يملك إجراء هذه « الاستتابة » أو المناقشة الفكرية ، لأنه إن فعل يكون القاضى قد كشف عن رأيه فى موضوع الدعوى قبل الحكم فيها ، وهو ما يجعله غير صالح لنظرها قانونا ..

وهذا الاعتراض مردود بأن المحكمة – فى هذه الحالة تصدر حكما تمهيديا بالتحقيق أو بالاستجواب، وتدعو صاحب الشأن وتناقشه فيما ترى مناقشته فيه ليتبين لها وجه الحق فى الدعوى على نحو يمكنها من الفصل فيها فصلا صحيحا.

وقد يقال : إن فى كون آراء المدعى بردته معلنة بنسبتها إليه فى كتبه ومقالاته وعدم إنكاره لها ما يكفى للقيام مقام واجب كشف الشبهة أو الاستتابة، وهذا أيضا غير صحصح، لأن المواجهة المباشرة لرأى المدعى بردته ومناقشته تفصيلا فى مقصوده منه قد تكشف عن وجوه لهذا الرأى لا تنحدر به إلى درجة الكفر بالإسلام، وما نقلناه فى الفقرات السابقة عن الدكتور نصر أبو زيد وما أبداه فيها من تفسير لبعض آرائه فى بعض المواضع التى أخذتها عليه المحكمة دليل على صحة ما نقول به من وجوب كشف الشبهة مواجهة، وهو ما يطلبه صراحة الدكتور نصر أبو زيد نفسه الآن، بل لقد طلب إجراء حوار مع أشخاص معينين لبيان

وجهة نظره في تفسير آرائه وتأويلها ، (العربي ٢٦/٦/١٩٩٥ وروز اليوسف ٢٦/٦/١٩٩٥).

والاستتابة التي تزيل الشبهة وتحول بين الجماعة والوقوع في فتنة التكفير بالظن لا باليقين يجب أن تتم في جو علمي هادي يحدو أطرافها فيه طلب الحق، ويحفه الاحترام المتبادل ، ويظلله الاعتقاد بأن اختلاف الرأى لا يفسد قضية الود، ويجب أن يشمل ذلك كل موضع رؤى أن في قول القائل أو فعله خروجا عن الإسلام أو مصادمة له، ويقبل تفسيره مهما بدا بعيدا بعد بيان بعده إذا كان في صحيح العلم الشرعي وصحيح اللغة التي يكون التعبير بها يحتمل ما قاله ، ولا تتهم النيات، ولا تجرم البواعث ولا يبحث عن الدوافع، ولأن أمر السرائر كله موكول إلى الله، وليس للقضاء إلا البحث في الظاهر وتقويمه والحكم به وعليه.

هل كان التقاضى هو الحل ؟!!

والمسألة الأخيرة التي يثيرها حكم التفريق بين الدكتور نصر أبو زيد وزوجته لا تتعلق بالحكم نفسه بقدر ما تتعلق بمسألة مدى ملاءمة عرض هذه القضية على القضاء أصلا.

أن القضاء هو السلطة العاصمة من البغي والعدوان، وهو أداة الجماعة في طلب الحقوق واقتضائها والفصل في الخصومات وإنهائها، تلك هي وظيفته الأصلية التي ينبغي أن يفرغ لها،ولا شك أن من الحقوق ما هو عام تملكه الجماعة وتدافع عنه، ومنها ما هو خاص يقوم كل ذى مصلحة في شأنه بالتقاضي دفاعا عنه أو اقتضاء له.

وحماية الدين من الحقوق العامة والذود عنه من فروض الكفاية، ولكن القضية التي نحن بصددها قضية تفريق بيين زوجين أساسها الفكر المعلن لأحد الزوجين، وقضايا الفكر تحتاج إلى روية في معالجتها وإلى رد الأمر فيها إلى أهله من العلماء وأهل الاختصاص،ولو أن كل صاحب رأى مخالف لرأى الجماعة – أو كثرتها – كان طريق الرد عليه أن يرفع إلى القضاء أمره لأحجم كثير من أهل المقدرة وأصحاب الرأى والمفكرين – بل والفقهاء عن الجهر بما يعتقدون خشية التبعات التي تترتب على هذا الأمر، وهذا الإحجام يفقد الأمة خيراً كثيراً في علمها وفقهها وتقدمها، لا بأس أن يكون ثمته بعض التجاوز من بعض الكتاب مادام في الناس من يرد على هذا التجاوز ويقيم أمر الحق على الجادة بأن يحملوا صحيح العلم ويرادوا عنه « تأويل المبطلين وانتحال الجاهلين، كما جاء في الحديث الشريف.

والنأى بالقضاء عن الخصومات الفكرية والفقهية يحفظ للقضاء هيبته واستقلاله، ويصون له حصانته واحترامه، وهي معان نحن أحوج مانكون إلى أن تستقر في يقين الجماعة ويقين كل فرد فيها، وألا يتزعزع الحرص عليها والدفاع عنها في الحاكمين والمحكومين على السواء.

والقاضي إذا رفع إليه أمر لا يملك إلا أن يقضي فيه ، وإلا كان منكراً للعدالة مستحقا للمساءلة، وهو لا يقضي إلا بما إطمأن ضميره إليه، وثبت من البينات لديه، ولكننا نحمل القاضي عنتا فوق عنت حين نحمل إليه خلافاتنا الفكرية – ولو كانت في النطاق الديني – لنطلب منه الفصل فيها بحكم قضائي .

ويسع المخالفين الدكتور نصر أبو زيد – وأنا واحد منهم– أن يناقشوا آراءه بالكتابة والبيان، وأن يردوا عليه حجة بحجة ودليلا بدليل .. وفهما بفهم حتى يتبين الرشد من الغي.

والدولة مدعوة بعد هذه القضية إلى أن تعيد النظر في تنظيم الحسبة، حيث تمس الدعوى فيها مصالح أفراد معينين ، فتضع لقبول الدعوى شروطا تضمن عدم إساءة استعمال الحق في التقاضي .. وهذا حديث يقتضي تفصيلا له مقام آخر غير هذا المقام.

وإذا كانت هذه هي قضية التفريق الأولى في تاريخ القضاء المصري التي تقام الدعوى فيها بسبب فكر المدعى عليه المعلن والمنشور والذي يدرس في أعرق جامعاتنا، وقد صدر الحكم وهو- حتى تقول كلمتها فيه محكمة النقض – عنوان الحقيقة ودليلها ؛ فهل لنا أن نتطلع إلى أن تكون المرة الأخيرة التي يحمل فيها إلى ساحة القضاء صاحب رأى دون أن تتم مناقشته علنية على أوسع نطاق – كما يطلب الآن الدكتور نصر أبو زيد – لفكرة وآرائه وشواهده؟! وهل تكون الفتنة التي سببها هذا الأمر منذ بدايته حتى الآن درسا لأطرافه جميعا: أن يحترم كل منا عقيدة الأمة ودينها، وأن نناقش بعضنا بعضا في ساحة الفكر الحر كلما اختلفنا ،

وأن نحتفظ لساحة القضاء بمهمتها الأصلية فى اقتضاء الحقوق وفض الخصومات ولكلمته – حين ينطق بها – باحترامها وحرمتها؟!! إنتهى تقرير الدكتور سليم العوا ..

التعليق :

وأيا كان حكم محكمة النقض فلابد أن يكون واضحاً فيه أن د . نصر أبو زيد ليس مرتداً إذا كان الحكم لصالحه ، أما إذا كان الحكم بتأييد الحكم المستأنف وإعتباره مرتداً .. أو كان لصالحه لأسباب شكلية كأن يلغى حكم الاستئناف مثلاً لعدم استدعائه واستتابته أو أيا من الوجوه الشكلية الغير متصلة بموضوع الدعوى ففى هذه الحالتين أنصح د . نصر أبو زيد – حتى وإن كان إيمانه داخل صدره الذى يعرفه أنه مسلم ومؤمن بالله – فعليه أن يعلن توبته ويسترد زوجته بزواج جديد ومهر جديد وبهذا يكون خضع لحكم المحكمة الواجب التطبيق وحسبه الله إن كان فى سريرته لم يقصد بكل ما كتب أن يرتد عن دين الإسلام والله أعلم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾

صدق الله العظيم ٢٠ / الحديد

وإذا كان لنا رأى فى الموضوع وليس فى الحكم فلنضمنه للورقة التالية

القرآن ينجيك يا نصر

ومن نافلة القول أن د . نصر والذى يطالب برد الآيات إلى أزمانها وتاريخ نزولها وسببية نزولها ويود – وفقا لكتاباته – بوقف فاعلية كثير من الآيات على واقعنا المعيش اليوم..

هو نفسه القرآن الذى ينجيه اليوم بعد حكم الردة فقد ورد فى القرآن الكريم أية ٩٣ / النساء ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولن لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم ، فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا** ﴾ ..

والمعنى أن الله جلت قدرته يمنع لمن ينطق الشهادتين ويلقى عليك السلام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أن تقوله له : لست مؤمنا حتى ولو كنت تعلم دخيلة نفسه – والتى لا يعلمها إلا الله جلت قدرته .. حتى لو قالها خوفا أو نفاقا أو كرها وهو كاره مرغم .. فقد كنتم أنتم الذين وصفتموه بالكفر أو بأنه ليس مؤمنا .. كنتم فى أول إيمانكم كذلك .. (كذلك كنتم من قبل) ،، حتى فتح الله عليكم بنعمة الإيمان فأمنتم بعد ذلك بقلوبكم (فمن الله عليكم) وعلى هذا .. فقد كان القرآن معك يا نصر .. فهل كنت أنت معه .. ؟! فإذا وقفت هذه الآية على وقت نزولها ما كنت نجوت اليوم يا نصر بتفسيرنا .. بل وبتفسير القدماء الذى هو فى كتاباتك ـ محل نظر منك ـ فهم المفسرين الأولين والذين ترفض سلطانهم (سلطة النص) لا يقولون تفسيراً لهذه الآية غير ذلك ، فأنت واجد فى تفسير الإمامين الجليلين (للسيوطى) التفسير الآتى :ـ

نزلت هذه الآية لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم ، فقالوا : (ما سلم علينا إلا تقية) أى ما هو بمسلم وإنما سلم علينا خوفا واتقاء قتله) فقتلوه وإستاقوا غنمه (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم) سافرتم للجهاد (فى سبيل الله فتبينوا) وفى قراءة بالمثلثة فى الموضوعين ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام ﴾ بألف ودونها أى التحية أو الانقياد بقوله كلمة الشهادة التى هى أمارة على الإسلام (أى نطق بالشهادتين) لا تقولوا له (لست مؤمنا وإنما قلت ذلك تقية لنفسك ومالك) فتقتلوه (تبتغون) تطلبون لذلك (عرض الحياة الدنيا) متاعها من الغنيمة (أو شهرة تشتهرون بها – المؤلف) ﴿ فعند الله

مغانم كثيرة ﴾ تغنيكم عن قتـل مثله لماله (كذلك كنتم من قبل) تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة (لاحظ هنا أن الرسول يخاطب الصحابة وليس عامة المسلمين وأنهم نطقوا الشهادتين دون عقيدة صادقة حتى تعصم أموالهم في بداية أمرهم ـ المؤلف ـ) .. ﴿ فمن الله عليكم ﴾ بالإشتهار بالإيمان والإستقامة (فتبينوا) .. [بمعنى حاذروا والمعنى مستخلص من الآية ﴿ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ﴾ أى فحاذروا بمعنى الأمر بأن لا تفعلوا – المؤلف] أن تقتلوا مؤمنا وإفعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ ..

وفى **تفسير القرآن الجليل (للنسفي) ص ٣٤٧** .. روى أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره (أى أعلن إسلامه ولم يعلنه أحد من قومه – المؤلف) فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ بمعنى هجم عليهم نفر من المؤمنين لمحاربتهم وغزوهم في حدود الثلاثين – المؤلف) فهربوا وبقى « مرداس » لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا ، كبر ونزل وقال « لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم » ، فقتله « أسامة بن زيد » .. وإستاق غنمه .. فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً [حزن رسول الله ﷺ حزنا شديداً ؛ والأدق غضب غضبا شديداً لقتلهم من نطق بالشهادتين وسلم عليهم – المؤلف] وقرأ الآية على « أسامة » ..

وجاء في التفسير السابق معنى ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ عن « أسامة بن زيد » وصحبه قول رسول الله ﷺ لهم : (أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماؤكم وأموالكم من غير ما إنتظار الإطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم) ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ١١٠ / الكهف

وبالقياس على ما تقدم فقد نطق د . نصر أبو زيد الشهادتين .. وأعلن في الصحف – بعد الحكم عليه – أنه يعتز بإسلامه وأكررها بعد الحكم عليه .. فحتى لو كان نطقه للشهادتين وإعلانه باعتزازه بالإسلام يخرجه من حكم الردة .. أى وحتى لو كان نطقه للشهادتين تقيه يتقى بها قتله .. والله أعلم .. هذا هو الإسلام في سماحة تفسيره .. دون غلو .. كما أن الإسلام له ضوابطه وأحكامه التي تطبق .. بغض النظر .. عن حبنا أو كراهيتنا .. وبغض النظر عما نراه نحن وفقا لمشاعرنا وأحاسيسنا التي إنتفضت غضبا من آراء سفيهة وردت في كتاباته عن الإسلام .. والله كفيل بالقصاص .. ويحضرني هنا قصة أبرهة الأشرم عندماهم بهدم الكعبة عام ٥٧٠ م عام ميلاد رسول الله ﷺ وخرج اليه سيد مكة عبد المطلب بن هاشم يطلب إبله .. بعد أن عجز عن رد عدوانه على الكعبة .. فالإبل له ..والكعبة لها رب يحميها) .. فالإسلام في حمى الله يا نصر .. ولكن لنا أولادنا .. نطالب بمنعك عن تربيتهم وتعليمهم في الجامعة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا وهو الغفور الرحيم ﴾ ٥٣ / الزمر ..

الخاتمة

****

نخلص فيما خلصنا اليه فى الكتاب ٠٠ الى ما نحيل اليه فى متن الكتاب ولكن وبصفة خاصة بالنسبة لقضية د٠ نصر ابو زيد فإنى أرى أعمال التوصيات التالية :-

* ١- حرية البحث الأكاديمى مكفولة تماما للمتخصصين فى كافة البحوث سواء الخاصة بديننا أو دنيانا ٠٠ ولا مانع من أن يصدر تشريع لتأكيد حرية البحث على إطلاقها ٠٠

٠٠ فكما للقضاء سيادته فى أحكامه لا معقب عليها لدرجة أن يقال (الحكم هو عنوان الحقيقة بل هو الحقيقة ذاتها) والدليل أننا لم نسمع أن هناك قانونا عاقب قاض بالإعدام لأنه أخطأ فى حكمه ٠

٠٠ وكذا الأطباء طلقاء من كل قيد فى معالجتهم مرضاهم ، فهم أيضا سادة مهنتهم ، ٠٠ فلم نسمع أن هناك طبيبا حكم عليه بالإعدام لخطأ أرتكبه فى العلاج أو حتى فى غرفة العمليات ومات مريضة بسبب هذا الخطأ ٠٠ وحتى فى الحياة العامة بالنسبة للمهن الحرة كثيرا ما نتكبد جميعا تكاليفا باهظة نحسن فى غنى عنها نتيجة لخطأ (السباك) فى عمله ٠٠أو خطأ (الميكانيكى) فى إصلاح السيارة أو نحو ذلك فيتلف من أى منهما أجزاء كانت صالحة وهو يصلح جزء أخر فى أعمال الفك والتركيب ٠٠ ولا يمكن أن يصدر على أى منهما حكما بالإعدام ٠

فالباحث المفكر؛ أدواته البحث فهو بشر أيضا ٠٠ وممتهن لمهنة الإبداع والفكر والثقافة فكيف نحكم عليه بالإعدام لأنه أخطأ ٠٠ ونفرق منه زوجته ٠٠ !!

أن أيا من المهن أو الأعمال أيا كانت أنواعها أو طرائقها لابد أن تكون آمنه لتعمل بلا خوف

٠٠ فحتى المحاربين أبدا لم نسمع أن هناك حكما بالإعدام صدر على قائد جيش أو قائد معركة خسر الحرب بسبب خطته التى وضعها و كان يحسبها محكمة وإتضح فشلها بعد خسران الحرب وضياع الأمة وألاف الشهداء من الشباب٠

فكما لابد أن يعمل القاضى بإطمئنان وثقة وكذا الطبيب والمحامى الذى كثيرا ما يفشل دفاعه عن موكله البرئ الذى يدخل السجن وربما يعدم أو تفرق عنه زوجته ٠٠!!

نتيجة لخطأ الدفاع ٠٠ فلم نسمع أبدا بإعدام محام لفشله فى تبرئة موكله البرئ أصلا ٠٠ نتيجة ضعف قدراته الدفاعية أو حتى إهماله وعدم التأمل فى أغوار وملابسات القضية ٠٠

فكيف والحال كذلك يعدم باحث أخطأ فى بحثه وتفرق عنه زوجته ٠٠!!

٠٠ سيدى نحن على عتبة القرن الواحد والعشرين ٠٠!! ونحن مصر٠!!

*٢- (قسم اللغة العربية / كليه الاداب - كليه دار العلوم) إتضح من الإعلام الصاخب حول الموضوع أن المنتمين لهذه آراؤهم تتعارض مع المنتمين لتلك أفلا أدمجناهما معا فضلا عن إنهما يقدمان للطلاب علوما واحدة بمفهومين مختلفين ٠

*٣- البند السابق يسوقنا لبحث إمكانية أخضاع كافة الكليات المتماثلة لإدارة واحدة ، ولست أعرف مدى إمكانية تنفيذ ذلك عمليا ؛ فمثلا تخضع جميع كليات الطب المنتشرة فى الجمهورية لجامعة متخصصة وهكذا فى باقى التخصصات والهدف من ذلك موضح فى المثال التالى :-

نجد اليوم مثلا أن خريجى طب القاهرة أفضل حظا من طب طنطا أو الزقازيق لأن

المعامـل والمستشفيات فـى هـذه أوفـر منهـا فـى تلـك ٠٠ ولأن - وهـذا الشـئ طبيعـى - الأسـاتذة الأكفـاء يفرضـون شـروطهم - ولهـم الحـق -فـى أن يكونـوا بجـوار بيوتهـم ومستشـفياتهم وعيـاداتهم فـى القـاهرة ولا مـانع لـدى أى منهـم أن يـترك الجامعـة كلهـا إذا أعـترضت علـى شـروطه (والـف حتـه تتمنـاه) فـى حيـن يكـون فـى طـب الزقـازيق الأسـاتذة الإقليميـون أو الذيـن ليسـت لديهـم قـدرات فـرض الـشروط !! ومـن عجـب أن توزيـع الطـلاب إقليميـا ، نجـد فيـه أن طـب الزقـازيق أعلـى درجـات - فـى التنسـيق - مـن طـب القـاهرة ٠٠ وهـذا ضـد الدسـتور الـذى يقضـى بتكـافوء الفـرص ، فتجـد أن الطـلاب ذوى الدرجـات الأقـل فـى جامعـة القـاهرة حيـث كفـاءة المـعدات والأسـاتذة والعكـس بـالعكس فـى جامعـة الزقـازيق ٠أمـا إذا كـانت جميـع كليـات الطـب فـى مصـر (القـاهرة - عيـن شـمس - أسـكندرية - أسـيوط - بنهـا ٠٠٠ الـخ) تخضـع كلهـا لهيئـة واحـدة فهـذا يسـهل إنتقـال الطـلاب فـى زيـارات متبـادلة ويصبـح لدينـا (جامعـة الطـب - جامعـة التجارة - جامعة الحقوق ٠٠٠٠ الخ) ٠

وبالتـالى عندمـا يـترقى أستاذ فـى كليـة ٠٠ فـإن جامعـة اللغـة العربيـة مثـلا هـى التـى تصدق علـى الترقيـة فـلا يحـدث مـا حـدث مـع الدكتـور / نصـر حيـث أنفـرد الدكتـور عبـد الصبـور شـاهين بإعتبـاره المتخصص بعمداء الكليات(الطب البيطرى -الزراعة- الطب ٠٠٠٠ الخ) وربما وافق مجلـس الجـامعة علـى رأى الدكتـور عبـد الصبورشـاهين بأعتبـارهم جميعـا غـير متخـصصون وهـو المتخصـص الوحيـد وضـاعت تقـارير المجـالس المتخصصـة كموافقـة مجلـس القسـم ومجلـس الكلية على الترقية مثلا ٠

بالمناسبة ٠٠ هـل لـو كـان إقـتراحى السـابق قـابلا للتطبيـق وتـم تجربتـه وفشـل ٠٠ وثبـت خطـأه هـل سـيتم إعدامـى ؟!! وهـل لـو رفـض الأقـتراح٠٠ وكـان فـى رأى المتـخصصيـن عبثـا سـتتم محاكمتى ٠٠؟؟!

لا نجـاح بـدون فشـل ٠٠ دعـوا الفكـر يـثرى ٠٠ ففـى ثرائـه وتفاعلـه ٠٠ تتطـور الأفكـار٠٠ وتنهـض الأمم ٠

٤- أن يعـود مـرة أخـرى تدريـس جـزء تبـارك للشـيخ عبـد القـادر المغربـى فـى المـدارس كمـا كـان عـام ١٩٤٧ حتـى لا نـدع الشـباب نهشـا للأفكـار المتطرفـة والإرهـاب فـى التفسـيرات ذوى الأغراض الغريبـة لرسـالة السـماء (القـرآن الكريـم) (سيشـار لهـذا التفسـير فـى المفهـوم القـادم فـى هذه الخاتمة) ٠

****

مـا سـبق كـانت توصيـات عامـة ولكـن مـا يلـى ملخـص لوجهـه نظرنـا فـى بـراءة الدكتـور / نصـر حـامد ابو زيد من تهمه (الردة) ٠

* اولا عن الجامعة :-

****

ومهمـا كـانت نتـائج البحـث الـذى قدمـه فـإن قبولـه أو رفضـه فـى الجامعـة يتـم مـن منطلـق أكاديمـى علمـى ٠٠ ولذلـك لا شـأن ولا تعـارض فـى أن يقبـل بحثـه فـى الجامعـة و يرفـض فـى دعوى (الحسبة) أمام القضاء لإختلاف المناط فى هذه عن تلك ٠

* ثانيا عن الحكم :

****

إذا كان الحكم الصادر (هو عنوان الحقيقة بل هو الحقيقة ذاتها) فإننى أجنح لناحية محامى

الدكتور/ نصر .. وألومة " لماذا لم يثبت للمحكمة أن موكله مقر بالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن دستورا ومنهاجا..؟ وأن البحوث المقدمة منه هي لإثراء الفكر الأكاديمي ولكن موكله يصلي ويصوم ويحج وينطق الشهادتين ولا مانع من أن يستقدمه للإقرار بذلك أمام المحكمة وقد فعل ذلك الدكتور / طه حسين قبله فحفظ التحقيق .. أكثير على الدكتور / نصر أن يقتدي بالدكتور / طه حسين ؟؟!!! وعلى كل حال فالإقرار الذي وزعه على الصحف بذلك يكفي لنقض الحكم وقد قدمه لمحكمه النقض في الشق المستعجل التي أجلت البت فيه لجلسة ٣٠/١٠/١٩٩٥ ولا أنصحه بأن يكرر ما ذكره بجريده العربي في ٢٩/١١/١٩٩٣ (وهل تظنون أني لو فعلت ذلك سأخرج من المحكمة وأعود لطلابي في الجامعة وأنا نصر ابو زيد ؟!!! أرجو أن تجيبوني ..؟)

* ثالثا من الكتب و البحوث ذاتها : -

****

لم يأت الدكتور/ نصر حامد ابو زيد بجديد فيما ذكره في كتبه ولا أقصد من المستشرقين أمثال رجيس بلاشير في كتابه مدخل الى القرآن وفرانسوا بورجا (فرنسي) Peter Neslroth أو Barbara Jonson ولكن وعلماء مسلمين ومفسرين للقرآن أيضا أمثال: الإمام محمد عبده/ السيوطي / الزركشي / الشيخ عبد العزيز المغربي / جواهر القرآن للإمام الغزالي / إبن عربي/ كما أن هناك مذاهب إسلامية يقول قولهم في بحثه ، ولنضرب مثالين أو ثلاث فقط :-

*١- قوله عن القرآن أنه (لم ينج من آثار عمليات المحو والإثبات)

نعم .. الشيعة قالت ذلك بل وقالت أكثر؛ ومما قالته أن الله أمر (جبريل الأمين) بأن ينزل وحيا على سيدنا (علي) بالقرآن ؛ و لكن جبريل أخطأ وأنزلها على محمد بن عبد الله ؛ ويقولون أنه تم محو (الصلاة على عليّ) من القرآن وإضافة الصلاة على سيدنا محمد بدلا منه ..وما زالوا مسلمين (الشيعة مذهب إسلامي) .. وناقل الكفر- بفرض كفرهم - ليس بكافر.

* ٢- صدرت العبارة التالية في بحث للدكتور نصر :

(تتحدث كثير من آيات القرآن عن الله بوصفه مليكا له عرش وكرسي وجنود .....

وتلك إذا فهمت حرفيا في تشكيل صورة أسطورية .... والتمسك بالدلالة الحرفية للنص والصورة التي تجاوزتها الثقافة و إنتفت من الواقع يعد بمثابة نفي للتطور وتثبيت صورة الواقع الذي تجاوزه التاريخ) من نقد الخطاب الديني .

****

ولعلي أدلل فوق دلالة ما نقله الدكتور / نصر من العبارة السابقة من مصادر لغوية و تفسيرية قديمة ؛بما ورد في تفسير جزء تبارك والصادر عن وزارة المعارف العمومية والمطبوع في المطبعة الأميرية بالقاهرة عام ١٣٦٦ هجرية - ١٩٤٧ ميلادية تأليف العالم الجليل الشيخ / عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة وهذا التفسير تم تقريره على المدارس الثانوية الأميرية عام ١٩٤٨ نقول المدارس الثانوية (وليست المدارس الثانوية الأزهرية) أي عموم المدارس التي يحصل طلبتها على (الثقافة والبكالوريا والتوجيهيه) ليدخلوا الطب والهندسة .. وباقي الكليات يقول ص ٢/٣ عن تفسير سورة الملك (تبارك الذي بيده الملك) نصا :-

[(بيده الملك) أى أن التصرف المطلق فى هذه الكائنات له تعالى لا لغيره ويراد من ذكر اليد فى مثل هذا الإستعمال أفادة بمعنى التمكن من الشيء والإستيلاء التام عليه]٠
أى أن (اليد) لفظ أسطورى لا يعبر عن دلالته حرفيا وكذا (الملك) تقريب ليفهم الناس ٠٠ فاليد المقصود بها (الهيمنة الإلهية والتصرف المطلق والتمكن والإستيلاء التام)٠
و (الملك) المقصود بها عموم الكائنات و ليس (الملك والصولجان والتاج) وعلى ذلك تكون دعوة نصر أبو زيد للتحرر من النص (إفتئات على الحقيقة) لأن النص متحرر منه فعلا فلا تفسير فى كل التفاسير يتمسك بحرفية النص فى إن الله له (يد) مثلا ٠
٣- نفس المصدر السابق ص ٣/٤ :
(الذى خلق سبع سموات طباقا) ورد فى تفسيرها النص التالى حرفيا :-
(السموات السبع هى طرائق السيارات ومداراتها ، ومدارات النجوم طبقات وأقتصر الوحى على ذكر السموات على سبعة - مع أن العلم أثبت أنها أكثر من ذلك لأنه تعالى أنما يخاطب القوم وقت البعثة بما عرفوا من أمر الأفلاك وكواكبها ٠٠ ليحدث الخطاب فى نفوسهم عبرة وإذعانا وسكوت الوحى عن ذكر ما زاد على سبع سموات لا ينفى وجود الزيادة) ٠
إنتهى النقل من نص التفسير المشار اليه

أما وعلى هذا القياس فإن دعوة نصر أبو زيد للتحرر من النص ، كانت مطبقة فعلا من قبل ١٩١٩ فى كل التفاسير تقريبا إذن ماذا أتى به نصر حامد أبو زيد من جديد ، فهذا تفسير مقرر على المدارس وكتاب التفسيرهذا مدون فيه أن مؤلفه انهاه عام ١٩١٩ أى عام الرواج الفكرى والدينى ، ويشير أن النص بدلالته اللفظية أن سبع سموات طباقا ٠٠ يعتبر نصا اسطوريا
ونزل ليفهمه البشر بلغه العرب ؛ ٠٠ ولكن قصد به المجاز ٠ ان الوحى ذكر (سبع سموات) لتطابق ذلك مع مفهوم القوم وقت البعثة فلم يخطيء د٠ نصر حامد عندما ذكر أن النص عربى ولأهل العرب بل ولمفهوم العرب وقتها ٠٠ ونحن أهل العربية نطور المفهوم مع بقاء النص كما هو طبعا وليس فى أى من ذلك كفر ولا ردة بل تفسير للمصحف مقرر على المدارس منذ عام ١٩١٩ ٠
٤- وكما هو واضح من التفسير السابق أن كلمتى " (النص) و(الخطاب) " تعنى القرأن الكريم منذ زمن بعيد ولم يحدث أو يأت بجديد الدكتور/ نصر وإن كان قد أخطأ وظنه الآخرين إرتد أو تأكدوا من إرتداده بواسطة أمور أخرى أبداها وأعلن عنها ؛ فعليه أن ينكر ظنونهم أو يثبت لهم خطأ ما تأكدوا منه ؛ وفى كل الأحوال لابد أن يؤكد لمحكمة النقض إيمانه بالله والرسول وعليه بعد كل ذلك أن يستمر فى حياته وفقا لما يأنس له من أى فقيه من الفقهاء الذين أختلفوا وإختلافهم رحمة ٠
ولا يسعنى - ههنا- إلا أن أذكر كلمات الدكتور / طه حسين : -
(لغتنا العربية ٠٠ يسر لا عسر ٠٠ ونحن نملكها كما كان القدماء يملكونها ولنا أن نطور فيها ونضيف إليها)٠٠وفى الجملة يجب أن نوضح إن كتب د٠نصر فى مجموعها بغير تميز لا تغدو إلا أن تكون مزق ممزق من التراهات العشوائية المتراكمة بغير تراص ، بعضها فوق بعض لا ضابط فيها ولا رابط ، كالفقعقات الفقاعية التى لا نفع فيها ولاضرر منها فما كتبه ينحرف به بعيدا عن المفهوم الإسلامى إلى مفهوم يحسبه جديدا وما هو بذاك ، وأحسب أننا أوضحنا ما فى نسيج خياله ، ولكنه وكما قلت ترددا وتكرارا

ليس بمرتد ، فالواجب على القاضى المتنطس أن يسبر أغوار كلماته بعين التمحيص والتأمل ، فلا يكفى أن يستخلص من ظاهر كتاباته مرودها ، ولا يكفى أن يفهم قصد خبث طوية د٠نصر بالإسلام والمسلمين وإن كنت أعترف أن ظاهر كلماته أراها تهدف الى السوء ٠ ٠ولكن الرأى شيء ٠ ٠والحكم شيء مختلف تماما ٠ ٠فالحكم حكم ٠ ٠ أما الرأى فهو رأى ، لذلك كان على القاضى أن يستقدمه اليه -وجوبا- قبل صدور الحكم ليناقشه ٠ ٠هل يقصد بقوله أن القرآن الكريم "كتاب العربية الأكبر ٠ ٠ أن ينكر عالميته وينكر قوله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ١٠٣/الانبياءأم أنه يؤكد عروبته مع عالميته مصداقا لقوله تعالى "وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا "٢٧ سبأ ، فلا يكفى فى الحكم فهم القاضى ٠ ٠فمن شروط المرتد ٠ ٠أن يتمسك بردته ويدافع عنها ويجاهر بها ، وهذا أهم نقيصة فى الحكم ،لذلك أرى وجوب نقضه ، حيث كان ينبغى أن يكون إعلانه للردة بلسانه وفى مجلس القضاء ٠ ٠تصريحا وإعلانا ٠ ٠وليس تلميحا وتلويحا ، فلابد لسلامة الحكم أن يثبت فيه أن إنكاره للرسالة المحمدية إنكار جحود ومرود وعصيان يقينى فى روعه وقلبه ،وليس إنكارا من أجل الشهرة أو الترقية أو الدعاية لمؤلفاته أو لكسب المال ، فإن يثبت الأخيرة هذه لكان " منافقا عكسيا " أى أنه مؤمن بقلبه ولكنه ينافق للشهرة والمال والعالمية ٠ ٠ وهذا ما لم تثبت أن المحكمة تأكدت منه ٠ ٠ وذلك جميعه وغيره كثير -فات دفاعه أن يوضحه للمحكمة ٠ ٠وفات المحكمة أن تنتبه اليه ٠ ٠وبعد أن إنتهينا من الكتاب جميعه ٠ ٠ بقى أن أدعو الله مخلصا ٠ ٠ أن أكون وفقت فيما خلصت اليه من آراء ٠ ٠فإن كان كذلك ٠ ٠فإنى أتوجه بكل ما كتبت حسبه لله عز وجل ٠ ٠برجاء أن يغفر لى - بما قدمت - كل خطاياى ٠ ٠التى لا أظن أن أحدا قد خلا منها ٠ ٠حتى الأنبياء ٠ ٠فهذا سليمان يصل إيمانه بقدرة الله على الإستجابة أنه لا يكتفى بطلب المغفرة فحسب ، بل يطلب طلبا خارقا لا يعرفه و يضمنه طلب الانفراد به عن سائر البشر الى يوم الدين فيقول " رب أغفر لى " ليس فقط بل " وهب لى ملكا " لا يعرف سليمان نفسه كنه الملك الذى يرجوه فهو لا يطلب قصرا ولايطلب ضيعة وإنما يطلب سطوة وسلطة ولا يحدد نوعها أو ماهيتها ولكن يثق فى أن الله قادر على أن يأتيه بخوارق لا يعرفها "سليمان" ويسخرها الله لخدمته وتكون أكبر وأغرب مما يقدر سليمان نفسه على التفكير فى كنهها ففوض ربه فى نوعيتها تفويضا مطلقا فقال " ملكا " على إطلاقها ٠ ٠ ليس هذا فقط بل وطلب أن يمنع الله تعالى عن كل الخلق هبة هذا الملك بعده٠ ٠ لينفرد به سليمان وحده دون سواه وحتى قيام الساعة فقال " لا ينبغى لأحد من بعدى " وأكد وثوقه وإيمانه فى مقدرة الله على فعل ذلك فقال " إنك أنت الوهاب" ٠ ٠ وأمام هذا الإيمان المطلق بقدرة الله تعالى وثقه سليمان و قناعته فى إجابة الله له، لم يخذله الله وأعطاه سؤله كما لم يفكر فيه وكما لم يتصوره سليمان ، فسخر له الريح " فسخرنا له الريح " وسخر له الجن والشياطين وغفر له وقربه منه جزاء ثقته فى ربه أنه سيجيبه الى مطلبه. قال رب إغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب ٣٥/٤٥ (سورة ص) وإنظر أنت ماذا تتمنى إذا ضاقت بك السبل ووجدت نفسك فى صحراء جدباء قاحلة موحشة لا زرع فيها ولا ضرع ولا جرعة ماء وكنت فيها لست وحيدا فقط ولكنك مسئول عن زوجتك وطفلك الرضيع ٠ ٠ أن كل ما ترجوه وتطلبه وتتمناه وتتوق اليه هو أن يمر بك عابر سبيل أو على أحسن الأمانى تتمنى أن

تمر بك قافلة محملة بالماء والطعام والعتاد أو تتمنى قطعة من ظل تستظل بها مع زوجتك ورضيعها من قيظ الحر القاتل ولكنك أبدا ٠٠ لا تفكر فى أبعد من ذلك ٠٠وربما أبعد الأمانى جموحا أن تتمنى أن ينقلك أحد من هذا الكرب الى المدينة حيث الخصب والنماء والراحة والاستقرار ٠٠ لا أظنك ولاأظننى معك أطلب أبعد من هذا ٠٠ ولكن إيمان الأنبياء بقدرة الله على الإستجابة يختلف تماما ، حيث بلغ من أمر سيدنا إبراهيم وهو فى حال أشد قسوة مما ذكرت أن كان طلبه من الله أن يجعل المرأة (زوجته) والرضيع (أبنه) قادرين على أن "يطعما المارة و السيارة بل وطلب أن يأتيهما أفئدة من الناس تهوى اليهما وإنظر الى قوة التعبير فى (تهوى) أى يتساقط الناس عليهما كالمطر الغزير ليقوم هذين العاجزين (المرأة والرضيع) باطعام الناس !! يا سبحان الله ٠٠لقد طلب العكس تماما ٠٠لم يطلب الطعام لزوجته ورضيعها ٠٠ بل طلب أن تكون زوجته ورضيعها قادرين على إطعام الناس ، كيف وهما لا يملكان جرعة ماء!!، هذا هو إيمان الأنبياء بقدرة الخالق ولم يصف زوجته ورضيعها فى دعائه الى الله بالمثنى فلم يقل إجعل أفئدة من الناس تهوى (اليهما) ولكنه قال (اليهم) أى إجعلهما يا ربى (المرأة والرضيع) قادرين مقدرة الكثرة والوفرة فنادى ربه بأن يكونا قادرين قدرة الكثرة فقال (اليهم) ولم يقل (اليهما) ٠

" ربنا أنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " ٣٦/إبراهيم

٠٠ ألا تلاحظ عزيزى القارىء أن المملكة العربية السعودية رغم أنها ليست زراعية بها كل الثمرات ولا يخلو منها أى نوع من الفاكهة صيفا أو شتاء حتى اليوم ، فلتتدبر الآية جيدا لعلك تعرف الجواب وهذا داوود ، قدرة الله تجلت فى إستجابة دعائه ، " فلقد آتينا داوود منا فضلا ، يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد " ٩/سبأ

"ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير " ١١/سبأ

وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فأستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عندنا وذكرى للعابدين " ٨٣ / الأنبياء

(ونوحا إذ نادى من قبل فأستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم " ٧٥/الأنبياء وهذا يونس لم تسلبه محنته فى بطن الحوت إيمانه بالله ولم يعترض على كربه بل كان من المسبحين " فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ١٤٣/الصافات " ، فإن كنت وفقت ٠٠فيما إنتهيت اليه ٠٠ فليغفر الله خطاياى ٠٠وإن كنت غير ذلك ، فحسبى أنى إجتهدت داعيا من هم أفقه منى لتدارك ما وقعت فيه من خطأ جزاهم الله عنى خير الجزاء ٠٠ولله الأمر من قبل ومن بعد ، بسم الله الرحمن الرحيم "ولسوف يعطيك ربك فترضى" ٤/الضحى صدق الله العظيم

تم بحمد الله فى ٢٩/٩/١٩٩٥

****

ثبت المراجع العربية

****

١- تدبير المتوحد (لإبن باجة) ٢- الاشباه و النظائر (لإبن نجيم و السيوطى) ٣- تفسير القرآن الجليل (للنسفى) ٤- تفسير الإمامين الجليلين (الجلالين) ٥- فى ظلال القرآن (سيد قطب) ٦- سنن إبن ماجه (لابن ماجه) ٧- إعجاز القرآن (للباقلانى) ٨- جواهر القرآن لأبوحامد الغزالى ٩- تراجم التفاسير (للبيضاوى) ١٠- نور الإسلام (المجلد الأول) ١١- الأسلام دين العلم و المدنية (للشيخ محمد عبده) ١٢- المغنى فى أبواب التوحيد والعدل(القاضى عبد الجبار) ١٣- فتح العرب لمصر (د٠بتلر) ١٤- الإتقان فى علوم القرآن (السيوطى) ١٥- أساس البلاغة (الزمخشرى)١٦- السيرة النبوية (طه عبد الرؤوف سعد) ١٧- البرهان فى علوم القرآن (الزركشى) ١٨- البداية و النهاية (إبن كثير) ١٩- المقدمة (لعبد الرحمن بن خلدون) ٢٠ - حاشية السندى (السندى) ٢١- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للامام الفخر الرازى) ٢٢- نيل الاوتار. (الشوكانى) ٢٣-الرسالة للإمام محمد بن أدريس الشافعى ٢٤- مفردات الراغب (الأصفهانى) ٢٥- إحياءعلوم الدين (ابو حامد الغزالى) ٢٦- آحكام القرآن (الجصاص) ٢٧- روح المعانى (الألوسى البغدادى) ٢٨- المحلى (لإبن حزم) ٢٩- الكشاف (جار الله الزمخشرى ٣٠- تفسير جزء تبارك (عبد القادر المغربى) ٣١- الإمام الشافعى د٠ محمد البلتاجى حسن ٣٢- مذهب أبى حنيفة النعمان (إبن عابدين) ٣٣- مذهب الإمام مالك (حاشية الدسوقى على الشرح الكبير) ٣٤-بداية المجتهد و نهاية المقتصد (لابن رشد) ٣٥- أصول الفقة فى الأحكام (الحريرى) ٣٦ - حياه محمد (د٠ محمد حسين هيكل) ٣٧- نساء النبى (د٠ عائشة عبد الرحمن) ٣٨- تاريخ القرآن (د٠ عبد الصبور شاهين) ٣٩- مقالات (د٠ سليم العوا) ٤٠- قصة ابو زيد (د٠ عبد الصبور شاهين) ٤١-أيها السادة السلام عليكم (ذ٠ زكريا البرى) ٤٢- الاحكام الأساسية (د٠ عبد الناصر العطار)٤٣- سيرة محمد بن عبد الله (عمر ابو النصر) أعظم قصة فى التاريخ ٤٤- أبحاث و مؤلفات د٠ نصـــر ابو زيد (بيانها فى صلب الكتاب) ٤٥- أحكام فقة الشريعة (محمد بن يحيى) ٤٦ - المغنى (لابن قدامة) ٤٧- أحكام القرآن الكريم (لابن العربى) ٤٨- فتاوى الإمام عبد الحليم محمود ٤٩- من القرآن الكريم (د٠ عبد الفتاح ود٠ سعد شلبى) ٥٠- الشقة من حق الزوجة (للمؤلف) ٥١- تفسير المنار (للشيخ محمد عبده) ٥٢- الملك و الصعاليك (للمؤلف) ٥٣- الطريق الى الله (عبد الرزاق نوفل) ٥٤- مبادىء القضاء (المستشار احمد الجندى) ٥٥- تفسير القرطبى (القرطبى) ٥٦- تفسير ابن كثير (ابن كثير) ٥٧- الأحاديث النبوية (صحيح البخارى) ٥٨- دائرة المعارف الإسلامية (إسلاميكا) ٥٩- حياة محمد (أميل دومنجم)٦٠- مجموعة أحكام (قرارات المحكمة العليا) ٦١- فجر الإسلام (احمد أمين ٦٢- حياة محمد (وليم موير) ٦٣- الإسلام و النصرانية (الإمام محمد عبده) ٦٤- فى الأدب الجاهلى (د٠طه حسين) ٦٥- الكبائر (للامام أبى عبد الله محمد الذهبى الدمشقى) ٦٦- البحر الرائق (لابن نجيم) ٦٧- أم النبى (بنت الشاطىء) ٦٨- تأييد العلم للإعتقاد بالله (ديكارت - ترجمة محمد فريد وجدى) ٦٩- جامع البيان (ابو الجعفر الطبرى) ٧٠- سيدة مصر الأولى و الأخيرة(عبد الله امام) ٧١- الحسبة فى الإسلام (ابن تيمية) ٧٢- فقه السنة (سيد سابق ٧٣-دائرة المعارف العربية (بطرس البستانى) ٧٤- الروح القدس للأب متى المسكين ٧٥- أولاد حارتنا (لنجيب محفوظ)

ثبت المراجع الأجنبية

****

REFRANCES :

****

1 - Encyclopedia britannice .
دائرة المعارف البريطانية .

2 - Abology .
الدفاع (لأفلاطون) .

3 - De veritate Religionis christianae
حقيقة الدين المسيحي (لجرونيوس ، هيجو) .

4 - Speculum Mentis .
خريطة المعرفة (لكولنجورد) .

5 - Advancement of hearing .
ترقية العلوم (لبيكون / فرنسيس) .

6 - Shart Treatise on god, Man and his Wellbeing .
رسالة موجزة في الله والإنسان وسعادته (لسبينوزا) .

7 - Treatise of homan Nature .
رسالة في الطبيعة الإنسانية (لهيوم) .

8 - Le Monde .
العالم (لديكارت) .

9 - Cagitata et visa .
فكر وأنظر (لبيكون / فرنسيس) .

10 - On women .
في النساء (لشوبنهور) .

11 - On Principles and ongins
في المبادىء والأصول (لبيكون / فرنسيس)

12 - Of the original contract.
في العقد الأصولي (لهيوم) .

13 - What its Metaphysik ? .
ما الميتافيزيقا ؟ (لهيدجر) ..

14 - Metaphysics .
ما بعد الطبيعة (لأرسطو)

15 - Principles of phiosophy .
مبادىء الفسلفة (لديكارت)

16 - Lectures on Metaphysics .
محاضرات في الميتافيزيقا (لهاملتون وليم)

17 - Discouse on metaphysics .
مقال عن الميتافيزيقا (ليبنتز)

18 - Kants theary of Knowledge .
نظرية المعرفة عند كانت (لبرتشارد)

19 - The metaphysics of progmatism
ميتافيزيقا البرجماتية (لهوك ، سدني)

20 - Disputatio metaphisica de principis indiveui .
مناقشة ميتافيزيقية لمبدأ « الفريد » (لليبنتز)

21 - Critique of pure reaseon .
نقد العقل الخالص (لكانت)

22 - introduction of the theary of Nowleadge .
مقدمة لنظرية المعرفة (لفشيته)

23 - Burnet taylor heresy .
هرطقة بيرنت - تيلر (لتيلر - ألفريد)

24 - Duty and Ignorance of fact .
الواجب والجهل بالواقع (لبرتشارد)

25 - TiM and free will.
الزمان و الإرادة الحرة
مترجم إلي الانجليزية عن الأصل الفرنسي لبرجسون والذي عنوانه : -
Essal sur les donnees immediates de la conscience .
مقالة في معطيات الوجدان المباشرة (لبرجسون)

****

الفهرست

رقم الإيداع : ٩٢٠٨ / ٩٥ فى ١٩٩٥/٩/٢٧
بدار الكتب والوثائق القومية :
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 00-9161-8

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ماذا علينا اذا لم يفهم البقر ٠ ٠؟!!

****

٠٠ كتاب ، ليس لجمهور العوام نصيب فيه – يتنطس حكم المرتد ، في مفهوم النص القرآني ٠٠ وبهدوء وروية ، يجيب بعد بحث ، تجده في طيات الكتاب ، على :– هل هناك حدود لحرية البحث والتفكير ؟ ومتى يجابه السيف القلم ٠٠؟ وفي أي الحالات ٠٠؟ وهل يمكن التفاهم مع الأنماط المختلفة في مصر ٠٠؟ وهل يمكن إحتواؤهم جميعا في كنان إجتماعي واحد ٠٠؟!

إذا كان لـ"أرسطو" الذي أشتهر عنه مهارته في التحليل ، ودقته في الحجاج – مقولة " الفضيلة وسط بين رذيلتين" فدائما تجد القمة وسطا بين سفحين ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والحب وسط بين الكراهية والتدلدل، فالمستقيم وسط بين إنحنائين ، وهكذا نجد (الإسلام) في سلامة مسلميه ، وسطا بين الغلو والهوس الديني فينفرط إلى بوابة الإرهاب ، في نهاية حده الإيجابي ، ٠٠ وبين التساهل فيه والإهمال له والسخرية منه ، فينفرط إلى بوابة " الردة" في نهاية حده السلبي ٠٠ وكلا النقيضين بغيض٠

فكيف فهم الجانحون في تطرفهم السلبي كتابات إبن رشد ؟ وكيف فهم الجانحون في تطرفهم الإيجابي كتابات إبن تيمية ؟ وهل تاهت مصر بين الفريقين ؟ وما السبيل لضم مصر ، فريقيها تحت جناحيها ، أو بالأحرى ، ما السبيل لعودة العاصيين المتمردين ، مرة أخرى ، تحت أقدام مصر الأم ٠؟ وهما يذرفان دموع الندم ، ليستظلا بظلها الظليل ، بعد طول شقاء ، طال فيه غيهما ونهشا ثوب أمهما ، فتمزق وإهترأ٠ ٠

الرأي عندي ٠٠ أننا نحتاج أن يراجع الفريقان نفسيهما ٠٠ حتى ينتبها لثوب أمهما مصر الذي بلى في مواضع ٠٠وتمزق في مواقع أخرى ٠٠ بعضها عزيز غال ٠٠ إنكشف وباح ، وأصبح في حاجة لإبنيها – من الفريقين معا – أن يستراها ٠٠ لعزتهما ٠٠وكبريائهما ٠٠وشرفهما٠ ٠ذلك بالرتق والرقع ، إن عز عليهما تبديله بثوب قشيب ٠

أما تركها هكذا ٠٠ ويتناحر الولدان ويقتتلان ، هذا يؤيد إبن رشد ، وذاك يؤيد إبن تيمية فهذا يثير فينا الجعموس كرؤيتنا للدعموص في الطين ٠

كما أنه – في ظني – لا يرضى به إبن رشد ولا إبن تيميه – إن كانا بيننا – فهل يرضى به نصر وشاهين ، هذان الولدان المعاصران من أولاد مصر وفريقيهما ٠٠؟! وما هي آراء ومذاهب إبن سينا والفارابي وأرسطو وإبن باجة وإبن طفيل اللاتي أعتنقها الأول ففرقت المحكمة بينه وبين زوجته ، لردته، وما هي حيثيات الحكم ٠٠؟ وكيف سارت القضايا ؟ وما السبيل٠؟

الجواب عن كل ذلك وغيره مما يعد مرجعا شاملا لرجال الدين والعلم والبحث والقضاء ولكل راغب في إزدياد ، هو هدف هذا الكتاب وجوهره ٠

المؤلف